

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الدراسات العليا
شعبة - الدعوة -

تم تصديق ما كلف به
للشيخ عبد السلام دقنه

عبد السلام دقنه

دافع الرشد محمد

محمد

السكوة الخالدية في سورة العنكبوت

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه)

إعداد الطالب

عبيد بن عبد العزيز بن عبيد السلمي

إشراف الدكتور: صالح بن عبد الله العبود

لعام ١٤١٠ هـ

١٤١٠
١٤١٠
١٤١٠

((العَدَمُ))

ان الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا
من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله
إلا الله وحده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (النساء) .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ (آل عمران) .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ (الأحزاب) . (١)

(١) من بداية الكلام الى قوله : . . . (عظيما) هذه خطبة الحاجة التي
كان يعلمها الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصحابه . كما في
سنن أبي داود ٥٩١/٢ . كتاب " النكاح " باب " في خطبة النكاح "
٣٣ . واللفظه . والترمذي ٤٠٤/٣ . وابن ماجه ٦٠٩/١ .
والنسائي ٨٩/٦ . ومصحف ابن أبي شيبة ٢٨١/٤ .

أما بعد :

فان الدعوة الى الله - عزوجل - من أصول الاسلام الواجبة على
المسلم بقدر استطاعته ، فهي من أفضل الأعمال وأبرها عند الله جل
وعلا . وكل البشر محتاجون اليها ، ففيها عزهم وحياتهم الحقيقية .

والدعوة الصادقة لا بد أن تكون نابعة من عقيدة سليمة . وكتاب الله
- عزوجل - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - هما المصدران الأصليان
للدعوة الصادقة والعقيدة السليمة .

لذا اخترت أن يكون الموضوع الدراسي من المصدر الأول ، لأكشف
عن بعض الجوانب المهمة فيه بالنسبة لهذا الموضوع .

وقد دعت بحشي بالأصل الثاني ، لأنه المفسر والموضح لما أجمل
في القرآن .

وبما أن البحث في جزء من المصدر الأول يحتاج الى عمر طويل ، وجهد
مضني ، لا يسعني القيام به . فكيف به كله ! ؟

لذا اخترت احدى سوره ، وهي سورة (العنكبوت) ، ولما
تشتمل عليه من أهمية بالفئة في هذا الموضوع .

وقد نبهني الى ذلك فضيلة الشيخ / عبد المحسن العبداد
- جزاه الله خيرا - عن اختيار الموضوع . فقال :
" موضوع الدعوة في سورة العنكبوت " .

ولم أقتنع لأول مرة ، وجمعت عدة مواضع ، منها الفتنة للدعاة
والأمثال ، ومصير من كذب دعوة الأنبياء عليهم السلام ، وغيرها . ثم عرضتها على فضيلته
فقال لي : " هذه كلها تجدها في سورة العنكبوت " .

فراجعت السورة وتفحصتها ، واذا هي قد اشتملت على هذه المواضيع وغيرها ، فشرح الله صدرى للموضوع .

وتتضح أهمية هذا الموضوع بما تشتمل عليه السورة من عدة نقاط لخصتها في ما يأتي :

فقد جاءت سورة العنكبوت بعد (القصص) التي فيها أخبار عن فرعون ، أنه علا في الأرض وجعل أهلها شيعة .

ثم افتتح الله - سبحانه - سورة (العنكبوت) بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار ، وعذبوهم على الايمان بعذاب دون ما عذب به قوم فرعون بني اسرائيل ، تسلياً لهم بما وقع لمن قبلهم ، وحثاً لهم على الصبر^(١).

قال تعالى - مجلاً ما فصله في سورة (القصص) وغيرها - :

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ (٣) (العنكبوت) .

وافتح السورة بالحروف المقطعة يؤذن بأن من أغراضها ، تحسدى المشركين بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ، على أحد أقوال أهل العلم في الحروف المقطعة .

وفي السورة الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء الى الله وحده ، من غير اعتماد على غيره سبحانه أصلاً ، لئلا يكون

(١) انظر: من أسرار ترتيب القرآن للسيوطي . تحقيق عبد القادر عطية
الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ . نشر دار الاعتصام ، طبعة دار النصير
القاهرة . ص : ١٢٣ .

المعتمد على غيره مثل العنكبوت ، فان ذلك مثل كل من أعرض عنه سبحانه
وتعوض عوضاً منه . (١)

والموضوع الأساسي للسورة ، هو الحديث عن الايمان والفتنة ، وحقيقة
الايمان ، وما يكشف عن معادن النفوس من الابتلاء والفتنة ، وأنه ليس
كلمة تقال باللسان مع موالات أعداء الله ، ويظهر ذلك جلياً في سبب
نزل أول السورة (كما سيأتي) . (٢)

وقد بين الله - سبحانه - مصير المؤمنين والكافرين ، وأن كل انسان
مسؤول عما يعمل ، فلا يحمل أحد عن أحد شيئاً يوم القيامة :

وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا

مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ

(١٣) (العنكبوت) .

ومن تصور - أو ظن - أن اعلان الايمان يكفي في قبول ايمانهم عند
الله وعند الناس ، فظنه مردود عليه ، لأنه سيمتحن ، فان صدق وصبر
على المكاره والتكاليف في طريق هذه الكلمة ، والا فهو من الخاسرين
الهالكين ، وقوله بلسانه لا يفيد شيئاً .

٢- وقد بين الله - سبحانه - في هذه السورة نماذج من ابتلوا وفتنوا
من الذين من قبلنا ، ومنهم خيرة خلقه الذين صبروا وبلغوا عن
الله ، وهم أنبياءه : نوح ، وابراهيم ، ولوط ، وشعيب ، ثم أشار

(١) انظر: مساعد النضر للاشراف على مقاصد السور . لابراهيم بن عمر البقاعي

الشافعي . تحقيق : عبد السميع محمد أحمد حسنين . مكتبة الرياض

الحديثة ٢/٣٤٥ .

(٢) سيأتي في ص: ٢١٩ - ٣٩١ من هذا البحث .

الى قوم عاد وشمود .

وهذا عرض يصور ما وجد من عقبات وفتن في طريق كل دعوة ، والتهوين من شأنها أمام قوة الايمان ، والاعتماد على قدرة الله - سبحانه - وتعالى - والمضي في تبليغ رسالته ، وتحمل تبعات هذه الرسالة احقاقا للحق وازهاقا للباطل .

وانظر الى نوح . كيف صبر على قومه ألف سنة الا خمسين عاما ؟ لم يكل ، ولم يمل ، حتى آيس منهم ، فجاءه نصر الله ، باهلاك المعاندين بالطوفان ، ونجى ومن آمن معه في الفلك .

وابراهيم ^{عليه السلام} امر قومه بالعبادة والتقوى لله ، ونهاهم عن معتقادتهم الفاسدة ، مما جعلهم ينتقمون منه بالنار ، ولكن الله أنجاه منها عبرة وعظة .

وكان ممن آمن بابراهيم : لوط ^{عليه السلام} . فبعثه الله الى قوم قد فسدت فطرتهم ، وانحرفت عن الطريق الصحيح ، حتى طمعوا بضيوف نبيي الله ، ولكن الله رد كيدهم ، وطمس أعينهم .

وشعيبا كان يدعو قومه الى الله ، ويخوفهم باليوم الآخر ، وينهاهم عن الفساد ، وأنهم محاسبون على فسادهم .

ثم بين الله - سبحانه وتعالى - عاقبة قوم عصوا رسله ، واتبعوا أهوائهم ، وشهواتهم ، واغفروا بقوتهم ، فبطروا نعمة الله عليهم كعاد وشمود .

ومنهم من أطفاه المال واستبداد الحكم ، والتعرد على أمر الله ومشاركته في الألوهية . كفرعون وقارون وهامان . ولكن الظالم

يلقى جزاءه مهما طال به الأمد .

وقد تكرر هذا المعنى في أكثر سور القرآن ، ليستقر في الأذهان .

وبين الله - سبحانه - تهاة معتقدات هؤلاء القوم ومن حذى

حذوهم ، بمثل يضربه من واقع حياة الناس ، ومشاهداتهم .

قال تعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ

أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ

أَتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ (العنكبوت) .

وينتهى هذا التخصيص بهوان الشرك وعزة الايمان ، وبيان قدرة الله

الذى يضرب الأمثال ، ليتعظ بها العقلاء ، ويفهما العلماء :

وَتِلْكَ

الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ

﴿٤٢﴾ (العنكبوت) .

٤- وقد وجه الله - سبحانه - وتعالى - الرسول ^{عليه السلام} والمؤمنين الى توجيهها

سامية كريمة ، تكون مخرجا لهم من الفتنة ، وعونا لهم على الصبر في

سبيل الدعوة ، وذلك باقامة شرع الله ، والتعبد له . ومن ذلك :

أ - الأمر بتلاوة القرآن ، ففيه أخبار من فتنا قلبنا ، ليكونوا أسوة

لنا وسلوه ، كما أنه هو الوسيلة للدعوة ، والآية الربانية

المصاحبة لها .

ب - الأمر بإقامة الصلاة ، فهي تفرب العبد من الله ، وتجعل
الانسان المحق فيها ، يستحي من الله أن يقترب كبائس
الذنوب وفواحشها ، فهي تطهر من دنس الفحشاء والمنكر .

٥- وتناولت السورة الطريق الأمثل في دعوة أهل الكتاب ، وجد الهمم
بالحسنى ، لأن من كان هدفه الحق - إذا تبين له - فإنه سيتبعه
لأن كتبهم السابقة - قد بشرت بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وهم
على علم بذلك ، أما من كان ظالماً ، فله معاملة أخرى ، لأن الله
هدف غير الحق .

ويتضح من خلال الآيات التي فيها مجادلة أهل الكتاب ، وحدة
الدين والعقيدة والايمان ، واتحاد ذلك في جميع الرسالات التي
جاءت من عند الله .

فالمؤمنون في كل زمان ومكان ، يؤمنون بجميع الكتب المنزلة من عند
الله ، فالجميع مسلمون .

فقد بين الله - سبحانه وتعالى - علاقة القرآن بالكتب السابقة
التي لم تحرف ، وما بينها من ترابط وتماسك ، ففي الآيات بيان لحكمة
مجئ الرسالة الجديدة ، والكشف عما بينها وبين الرسالات قبلها من
صلة ، مما جعل بعض أهل الكتب السابقة يؤمنون بالقرآن ، لأنهم
مصدق لما معهم ، وقد عميت عنه بعض البصائر ، مع ما بينه الله لهم
عن رسوله (صلى الله عليه وسلم) .

فهم يعرفون أميته ، وأنه لم يقرأ كتباً قبله ، ولم يخط . فكيف

يأتي به من عند نفسه ؟ . كما أنه لا علاقة له بالسحرة والكهنة
فكيف يأتي به من ساحر أو كاهن ، كما يزعمون ؟ .

فالله رد عليهم شبههم ، وبين أن الرسول - صلى الله عليه وسلم -
بشر ، وليس من حقه أن يقترح على الله انزال الآيات ، فلو تأملوا
لعلموا أن آياته خير من آيات العذاب التي يقترحونها . فلذلك
يحذرهم الله من استعجالهم العذاب ، ويهددهم بمجيئه بغتته
وهم لا يشعرون ، ويصور لهم قربهم منهم ، واحاطة جهنم بهم ، ويصف
حالهم يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم .

ثم يعود الى المؤمنين ويخاطبهم بأنه لا بد لهم من الثبات أمام
الفتنة والأذى الذي أتاهم ، ولا سبيل الى ذلك ، إلا بالهجرة الى
أرض الله الواسعة ، حتى يتمكنوا من أداء شعائرهم ، وعلان دينهم
ويهبون عليهم الدنيا وتفاهتها ، وأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة
فان كان الذي يمنعهم من الهجرة هو خوف الجوع ، وترك الأموال
بمكة ، فان ذلك يهون في سبيل الله .

فانظروا الى تلك الحيوانات والدواب التي لا تملك رزقا ولا تدخره
كيف يهيئ الله لها الرزق . كما قال سبحانه :

وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ

رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ (العنكبوت).

كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لو أنكم تتوكلون
على الله حتى توكله ، لزرقكم كما يرزق الطير ، تغدوا خماصا
وتروح بطانا " . (١)

٧- ثم عقب على أهل الفتنة من الكفار ، بأنه لا يمكنهم أن ينكروا ربوبيته ، وأنه خالق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر فلا يمكنهم أن يفلتوا من عقابه ، فلا يغتروا ببسط الله لهم في الرزق ، لأن ذلك ليس إلا ابتلاء واختبار ، والا فهو منزل المطر ومحى الأرض ، ولو شاء لمنع ذلك عنهم .

غير أن الدنيا لا تساوى عند الله شيئا بالنسبة للآخرة ، فبسط منها ما شاء للكافر والمؤمن ، ودلل على ذلك بما يوجد في أنفسهم وذلك بلجوئهم الى الله ونسيانهم الدنيا حين يركبون الفلك .

وقد عدد الله عليهم عدة نعم . منها : نجاتهم في الفلك واسكانهم الحرم ، والبسط لهم في الرزق ، فأنكر عليهم أن يؤمنوا بما هم فيه من الباطل والغرور ، ويكفروا بنعمة الله عليهم ، وتوعدهم على ذلك .

ووعد المؤمنين المجاهدين وعدا أكيدا ، وتشبثا لهم ، وبشرى وطمأنينة . فقال سبحانه :

وَالَّذِينَ

جَاهَدُوا فِيْنَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سَبِيلَنَا وَإِنَّا لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

(العنكبوت) .

سنن الترمذى ٥٧٣/٤ . كتاب الزهد " باب " ٣٣ " حديث رقم ٢٣٤٤

وقال : " هذا حديث حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه " .

سنن ابن ماجه ٣٩٤/٢ كتاب " الزهد " باب " ١٤ " حديث رقم ٤١٦٤

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

مستدرك الحاكم ٣١٨٤ وقال : " هذا صحيح الاسناد ولم يخرجاه . انظر : تخريج

احياء علوم الدين ٢ / ١٠٢٣ / رقم ١٤٦٦ .

وبعد هذا الاجمال لما اشتملت عليه السورة . فقد رأيت مناسبة تامة أن يشمل بحثي جميع جوانب الدعوة من حيث الدعوة ذاتها ، والمدعو اليه ، وأساليب الدعوة والدعاة ، والمدعوون ، من خلال السورة الكريمة .

وذلك أنه لا بد من معرفة الدعوة وأهميتها .

ولا بد من معرفة ما يدعى اليه ، وهو ما يجب اعتقاده ، وندى للـ به ، فلا دعوة صادقة إلا إلى عقيدة ، فبينهما ارتباط وثيق .

والداعية إذا كان صادقاً في دعوته ، لا يدعو إلى شيء إلا وهو يعتقد .

وكذلك لا بد من معرفة الطريق الصحيح لتوصيل هذا المعتقد إلى الناس بالأساليب والوسائل المناسبة .

وكذلك لا بد من معرفة أهم صفات الداعي الذي يريد أن تؤثـر دعوته في الناس ، وخير مثال لذلك هم الأنبياء - عليهم السلام - ومن تبعهم وسار على طريقهم .

كذلك لا بد من معرفة أصناف المدعويين ، وميولهم ، واتجاهاتهم للتمكن من جلبهم ، والتأثير عليهم .

وعلى ضوء هذا . فقد قسّمت البحث إلى :

مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة أبواب .

فالمقدمة تشتمل على : أهمية الموضوع وسبب اختياره ، وتقسيمه .

والتمهيد يشتمل على : تعريف الدعوة وحاجة الناس اليها .

ثم الأبواب الأربعة وهي كالآتي :

** الباب الأول : المدعو اليه وحقه (كما ورد في السورة) :-

وينقسم الى مقدمة وخمسة فصول :

* المقدمة : وفيها بيان مراتب الدين اجمالا .

* الفصل الأول : الاسلام

* الفصل الثاني : الايمان .

وينقسم الى أربعة مباحث :

* السبحة الأولى : تعريفه وما يشتمل عليه من أنواع التوحيد .

* السبحة الثانية : ماورد من أسماء الله وصفاته في السورة الدالة على

ربوبيته .

* السبحة الثالثة : توحيد الألوهية في السورة .

* السبحة الرابعة : العبادات الواردة في السورة .

* الفصل الثالث : بقية أركان الايمان في السورة .

وينقسم الى خمسة مباحث :

* السبحة الأولى : الايمان بالملائكة .

* السبحة الثانية : الايمان بالكسب .

* السبحة الثالثة : الايمان بالرسول .

* السبحة الرابعة : الايمان باليوم الآخر .

* السبحة الخامسة : الايمان بالقدر خيره وشره .

* الفصل الرابع : المرتبة الثالثة (الاحسان) .

* الفصل الخامس : الفتنة والابتلاء لمن تحقق ايمانه

وينقسم الى أربعة مباحث :

* السبحة الأولى : كونها سنة من سنن الله في هذا الكون .

* السبحة الثانية : الحكمة من الفتنة والابتلاء .

* السبحة الثالثة : هل للمسلم أن يستدعي البلاء على نفسه ؟

المبحث الرابع : أنواع الفتن الواردة في السورة

- *** الباب الثاني : أساليب الدعوة :
- وينقسم الى أربعة فصول :
- * الفصل الأول : الحكمة .
- * الفصل الثاني : الموعظة الحسنة :
- وينقسم الى أربعة مباحث :
- * المبحث الأول : الترغيب .
- * المبحث الثاني : الترهيب .
- * المبحث الثالث : أسلوب لفت الأنظار .
- * المبحث الرابع : الجمع بين الحكمة والموعظة الحسنة - وينقسم الى قسمين :
- الأول : الأمثال . الثاني : القصص .
- * الفصل الثالث : الجدل .
- * الفصل الرابع : موانع قبول الدعوة .
- * الباب الثالث : الدعاة في السورة :
- وينقسم الى مقدمة وستة فصول :
- * المقدمة - في أهم صفات الدعاة .
- * الفصل الأول : نوح (عليه السلام) .
- * الفصل الثاني : ابراهيم (عليه السلام) .
- * الفصل الثالث : لوط (عليه السلام) .
- * الفصل الرابع : شعيب (عليه السلام) .
- * الفصل الخامس : محمد (صلى الله عليه وسلم) .
- * الفصل السادس : ما أجمل ذكره من الأنبياء في السورة .
- *** الباب الرابع : المدعوون في السورة :
- وينقسم الى أربعة فصول :
- * الفصل الأول : المؤمنون .
- * الفصل الثاني : المنافقون .
- * الفصل الثالث : الكفار .
- * الفصل الرابع : أهل الكتاب .

وكان غالب اعتمادي في هذا البحث على كتب التفسير ، وخاصة المتقدم منها ، الا أنني وجدت بعض الصعوبة ، لأنها لم تتطرق لمثل هذا التفصيل وهذا الأسلوب ، بل غالبها مجمل .

ولكن الله - عز وجل - أعانني ، فأكثر من المراجع ، ومن القراءة ، فخرجت بهذا البحث الذي أرجو أن يكون بابا للعلم والعمل .

وقد خرجت الأحاديث من مصادرها الأصلية ، فما كان موجودا في الصحيحين خرجته منهما ؛ وأشرت الى من أخرجه غيرهما ، وان لم يكن فيهما خرجته .

كما أنني قمت بتعريف التراجم التي لم تكن مشهورة ، وغالب اعتمادي في ذلك على : سير أعلام النبلاء ، اذا وجدت فيه الترجمة ، وذلك لأن المحققين ذكروا عند كل ترجمة مراجعها في كتب الرجال .

وقد وضعت فهرس تفصيلية بآخر البحث للآيات والأحاديث ، والرجال والأشعار ، والمواضيع .

واعترافا بالفضل لأهله ، فإني أشكر كل من ساعدني على هذا البحث من قريب أو بعيد ، وخاصة والدتي الذين اهتموا بتربيتي ، فقد تولي أبي تعليمي في الصغر ، ولا زال يحفزني على مواصلة العلم .

كما أخص بالشكر لفيلذة الدكتور : صالح بن عبد الله العبود

(المشرف على هذه الرسالة)

وأسأل الله - عز وجل - أن يبقي الجامعة الاسلامية في المدينة النبوية للاستمرار في نشر رسالتها العلمية . وأن يجزي القائمين عليها خير الجزاء .

التمهيد

الدعوة وحاجة الناس اليها

*** **

** **

**

التمهيد
الدعوة وحاجة الناس اليها

الدعوة في اللغة :

(ادعو) : الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد ، وهو أن تميل الشيء اليك ، بصوت وكلام يكون منك ، تقول : " دعوت ، أدعو دعاة . والدعوة الى الطعام - بالفتح - ، والدعوة في النسب - بالكسر . . . وداعية اللين : ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده ، وهذا تمثيل وتشبيه . وفي الحديث : " دع داعية اللين . . . " (١) .

وتداعت الحيطان ، وذلك اذا سقط واحد وآخر بعده ، فكأن الأول دعا الثاني . . . ، وداعى الدهر : صروفه ، كأنها تميل الحوادث (٢) .

و " دعوت فلانا وبقلان : ناديته وصحته به ، وما بالدار داع ولا مجيب

والنادبة تدعو الميت : تندبه . تقول : وازيداه . ودعاه الى الوليمة

ودعاه الى القتال ، ودعا الله له ، وعليه ، ودعا الله بالعافية والمغفرة والنبي داعي الله ، وهم دعاة الحق ، ودعاة الباطل والضلالة " (٣) .

" ودعوت فلانا ، أى : صحته به واستدعيتيه ، ودعوت الله له ، وعليه

دعاء ، والدعوة : المرة الواحدة " (٤) .

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/٧٦/٣١١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٩ بالفاظ متقاربة .

ونظر الفائق ١/٤٢٦ .

(٢) معجم مقاييس اللغة لأبي فارس ج ٢ ص : ٢٧٩ .

(٣) أسس البلاغة للزمخشري ص : ١٣١ .

(٤) الصحاح للجوهري ٦/٢٣٣٧ مادة " دعا " .

وقوله تعالى :

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا
كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ (الرعد)

قال الزجاج^(١) : " جاء في التفسير أنها شهادة أن لا اله الا الله ،
وجائز أن تكون - والله أعلم - دعوة الحق من دعا الله وحدا ، استجيب
له دعائه . . . " .

وقوله تعالى :

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ (الأحزاب) .

معناه : داعيا الى توحيد الله وما يقرب منه .

والنبي - صلى الله عليه وسلم - داعي الله - عز وجل - ، وكذلك المؤمن^(٢) .

(١) هو : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن السري ، لزم المبرد ، وأدب القاسم
ابن عبيد الله الوزير ، وكان سبب غناؤه ، أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي
جماعة ، وأبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي من كتبه : " معاني القرآن " ،
و " الانسان وأعضائه " ، و " الفرس - العروض - الاشتقاق - وال نوادر وغيرها .
(ت : ٣١١ هـ) . وقيل : ٣١٠ ، ٣١٦) . سير أعلام النبلاء
٣٦٠ / ١٤ رقم ٢٠٩ . وفيات الأعيان ٤٩ / ١ . النجوم الزاهرة ٢٠٨ / ٣ .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة . لعلي بن اسماعيل بن سيده .
(ت : ٤٥٨ هـ) . تحقيق : عبد الستار أحمد خنج . الطبعة الأولى
١٣٧٧ هـ . نشر مكتبة مصطفى الحلبي مصر . ج : ٢ : ص : ٢٣٤ كلمة :

وفي الحديث : " الخلافة في قریش ، والحكم في الأنصار ، والدعوة في الحبشة " (١) .

أراد بالدعوة " الأذان " جعله فيهم تفضيلاً لمؤذنه " بلال " .
" ودعا المؤذن الناس الى الصلاة ، فهو داعي الله ، والجمع :
" دعاة " ، و " داعون " ، مثل قاضي وقضاة وقاضون ، والنبي داعي
الخلق الى التوحيد " (٢) .

" وفي كتاب هرقل : " أدعوك بدعاية الاسلام " (٣) . أي : بدعوته .

وفي رواية : " بدعاية الاسلام " (٤) . وهي بمعنى : الدعوة أيضاً
مصدر . كالعافية والعافية " (٥) .

(١) أوله في مسند الطيالسي ١٢٥/٤ رقم ٩٥٦ ، ٢٨٤/٩ ، وهو بتمامه
وزيادة والهجرة في المسلمين والمهاجرين بعده في مسند أحمد
١٨٥/٤ . عن عتبة بن عبد السلمي ، ومجمع الزوائد ٤ / ١٩٢ .
وقال الهيثمي : " رجاله ثقات " : ١٩٤/١ . وذكر الألباني في سلسلة
الأحاديث الصحيحة ٤٦٦/٤ رقم ١٨٥١ .

(٢) المصباح المنير . لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت : ٥٧٠هـ)
تحقيق عبد العظيم الشناوي طبعة دار المعارف .

(٣) مسند أحمد ٢٦٣/١ جزء من حديث . وصحيح البخاري ١ / ٦
" بدء الوحي " ، التفسير ١٦٩/٥ سورة آية عمران ، باب " قل يا
أهل الكتاب " . صحيح مسلم ١٣٩٦/٣ ، الجهاد باب " كتاب
النبي - صلى الله عليه وسلم - الى ملوك الكفار " .

(٤) جزء من حديث في صحيح البخاري ٤/٤ " الجهاد " باب " دعاء النبي
- صلى الله عليه وسلم - الى الاسلام " . وهو نفس الحديث الذي قبله .

(٥) المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث ١ / ٦٦١ .

" والدعاة قوم يدعون الى بيعة هدى أو ضلالة ، وأحد هـ -
داع ، ورجل داعية ، اذا كان يدعو الناس الى بدعة أو دين ، اذا دخلت
الهاء فيه للمبالغة ...

قال الله - عز وجل - مخبرا عن الجن الذين استمعوا القرآن - :

يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ
ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ (الأحقاف) .

ويقال لكل من مات : دعني فأجاب . ويقال : دعاني الى الاحسان
اليك احسانك الي ... (١) .

وقول الله - عز وجل - :

وَاللَّهُ

يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ (يونس) .

دار السلام هي : الجنة ، والسلام هو : الله . ويجوز أن تكون
الجنة : دار السلام ، أي : دار السلامة والبقاء ، ودعا الله خلقه اليها
كما يدعو الرجل الناس الى مدعاة . أي : الى مأدبة يتخذها وطعام يدعو
الناس اليه " (٢) .

ومما تقدم تبين أن كل المعاني التي مرت متقاربة ، وانما تختلف معنى
الكلمة تبعاً للسياق ، وضعها في الكلام ، وعلى هذا لا خلاف بين أهل اللغة
سوى أن بعضهم اقتصر على بعض المعاني .

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١٤ ص : ٢٥٩ .

(٢) القدر السابق ج ١٤ ص : ٢٦٠ .

فالمعنى الأصلي لهذه الكلمة : " الدعاء " ، والانتساب ، والصياح والتجمع ، والنداء ، والزعم ، والسؤال ، والاستغاثة ، والحث ، والطلب .
فهي تستعمل للخير والشر ، ولكن المقصود هنا الدعوة الى الله عزوجل .

التعريب الاصطلاحي للدعوة :

ما تقدم تبين أن للدعوة عدة معاني ، بحسب اضافتها ، فالمقصود هنا : اضافتها الى الاسلام ، وقد عرفها العلماء بعدة تعريفات . منها :
" الدعوة الى الله : هي الدعوة الى الايمان به ، وبما جاءت به رسله بتمد يقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا ، وذلك يتضمن الدعوة الى الشهادتين ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة الى الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، والايمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة الى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه " (٢) .

وعرفت بأنها : " جمع الناس على الخير ، ودلالتهم على الرشد ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر " (٣) .

ومن تعريفات الدعوة : أنها حث الناس على الخير والهدى ، والأمر

-
- (١) انظر: مرشد الدعوة لمحمد نمر الخطيب ص : ٢٢ .
 - (٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية . جمع وترتيب : محمد بن قاسم النجدى . طبعة المساحة العسكرية - القاهرة ١٤٠٤ هـ . ج ١٥ ص : ١٥٧ .
 - (٣) أسس الدعوة . محمد السيد الوكيل . مطابع أخبار اليوم . نشر دار الطباعة والنشر الاسلامية . القاهرة . ص : ٩ .

بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل " (١) .

وقيل : هي : " النصيحة التي أجعل فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - الدين " (٢) .

وقيل : هي : " دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعا ، تجدد على يد محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين ، كاملا وافيا لصالح الدنيا والآخرة " (٣) .

وقد ذكرت عدة تعريفات ، ومن خلال نظري الى هذه التعريفات تبين لي أن هناك فرق بين :

" الدعوة الاسلامية " . والدعوة الى الاسلام (ومحتوياته من : العقيدة ، والشريعة ، والعبادات ، والمعاملات ، والنظم .

فيقصد بالأولى : " الدين الاسلامي " .

أما الثانية : فقد اخترت لها التعريف الآتي :

" الدعوة الى الاسلام هي : قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعا الى الدين الاسلامي في كل زمان ومكان ، بوسائل وأساليب مشروعة ، تتناسب مع حال المدعويين على مختلف اصنافهم وعصورهم ، حسب الاستطاعة " .

-
- (١) هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ ص : ١٧ . الطبعة التاسعة ١٣٩٩ هـ . دار الاعتصام - دار النصر - القاهرة .
 - (٢) محاضرات الجامعة الاسلامية ص : ٢٥٢ . من محاضرة القاها : معوض عوض ابراهيم عام ١٣٩٧ هـ .
 - (٣) الدعوة الاسلامية دعوة عالمية . لمحمد الراوي ص : ٢٩ . طبعة دار العربية . لبنان . " الثانية " .

وقد اخترت هذا التعريف لأنه جامع مانع ، حيث ذكرت فيه الداعى والمدعو واليه ، والمدعو ، والدعوة ذاتها .

فالدعوة الى الاسلام هي : تبليغ دعوة الاسلام ، فالذى يدعوا الى الاسلام ، يتعرض تلقائيا لبيان الاسلام وشرحه ، واذا فبينهما تشابه وارتباط وثيق .

وفي السورة بيان للأركان الأربعة ، وهي : المدعو اليه وحقه على عباده ، من الايمان والتوحيد .
والداعى ، وهم الأنبياء ^{عليهم السلام} : وقد ذكر بعضهم .
والمدعو ، وهم أصناف الناس من مؤمنين ومنافقين وكفار وأهل الكتاب .

ونستنتج من ذلك بعض أساليب الدعوة ، وهذا ما سيأتي تفصيله (انشاء الله) .

حاجة الناس الى الدعوة :

ان الناظر في بدائع الكائنات وافتقارها للخالق العظيم ، واحكامه وانظامه سبحانه لها ، يعلم أن مقتضى الوهيته وحكمته ، أن لا يترك عباده حيارى ، وهو خلقهم للابتلاء والامتحان . كما قال سبحانه :

الَّذِي خَلَقَ

الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢١﴾ (الملك) .

لذلك شرع لهم ما يكفل سعادتهم في دنياهم وآخرتهم ، ويعلموا ما يراد منهم ، لأن من عدله سبحانه ، أن يكافئ المحسن ويعاقب

المسيء ، ولا يعذب أحدا حتى يبين له سبيل الرشاد (١) .

كما قال سبحانه :

مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَأَزْرَةٌ وَزُرٌّ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ (الاسراء) .

وكان الشرع الذي ارتضاه لهم هو الدين الذي بعث به رسله فبلغوه
من أولهم : نوح (٢) عليه السلام . . . الى آخرهم : محمد (صلى الله
عليه وسلم) .

وإذا استعرضنا تاريخهم ، وجدناهم يبعثون في قوم يتخبطون في
ظلمات الجهل والخرافة .

فنوح - عليه السلام - أرسل حينما نسي الناس دينهم ، ولبس عليهم
الشيطان عبادة ربهم ، كما يتضح ذلك من قوله سبحانه :

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ۚ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ (نوح) .

وقوله سبحانه :

وَقَالُوا
لَا نُذِرْنَ ۗ الْهَتَكُمُ وَلَا نُذِرْنَ وَدَاوُلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ (نوح) .

(١) انظر: دعوة الحق (٢٨) وحى الله . د . د . حسن ضياء الدين عنتر

ص : ٤٧ . طبعة رابطة العالم الاسلامي . مكة .

(٢) أول الرسل : نوح كما في حديث الشفاعة :

وقد أخرج البخارى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب ، بعد ، أما "ود" كانت لكلب بد وممة الجنادل ، وأما "سواع" كانت لهذيل ، وأما " يغوث " فكانت لمراد ، ثم لبني غطفان بالجوف عند سبأ ، وأما " يعوق " فكانت لهمدان ، وأنا " نسر " فكانت لحمير لآل ذى الكلاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلمّا هلكوا ، أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عدت " (١) .

" والمقصود . أن الفساد لما انتشر في الأرض ، وعمّ البلاد ، بعبادة الأصنام فيها ، بعث الله عبده ورسوله نوحا - عليه السلام - يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وينهى عن عبادة ما سواه " (٢) .

وكذلك اذا نظرنا الى نبي الله - ابراهيم الخليل - عليه السلام - فانه ما بعث الا بعد أن ضلّ قومه . كما قال تعالى :

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَعَبَّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلَيْمٌ لِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ (العنكبوت) .

(١) صحيح البخارى ج ٦ / ٧٣ . طبعة المكتبة الاسلامية . تركيا .

وانظر: قصص الأنبياء . لابن كثير ١ / ١١٤ .

(٢) قصص الأنبياء للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير (ت : ٧٧٤هـ) تحقيق عبد القادر أحمد عطا . الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ . (١٩٨٢م . نشر المكتبة الاسلامية . لبنان . دار احياء التراث العربي ١١٦/١ . وانظر: البداية والنهاية

وكذلك موسى - عليه السلام - فانه أرسل الى فرعون حينما
طغى ، وتجبر ، وتكبر ، وادعى الربوبية من دون الله . كما قال
سبحانه :

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١١٧﴾ (النازعات) .

وقوله سبحانه :

فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿١١٨﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَ ﴿١١٩﴾ فَحَشَرَ

فَنَادَى ﴿١٢٠﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿١٢١﴾ (النازعات) .

وكذلك بقية الرسل - عليهم السلام - الى خاتمهم : نبينا محمد
- صلى الله عليه وسلم - ، فانه ما بعث الا والناس في جاهلية جهلاء
وضلالة عمياء ، كما قال سبحانه وتعالى :

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ

أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

أخرج ابن جرير الطبرى عن قتادة (١) قال : " هذا قبل أن يبعث
الله نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - امتلأت ضلالة وظلما ، فلما بعث
الله نبيه ، رجع راجعون من الناس) (٢) .

(١) تأتي ترجمته ص : ٣٥٤ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى .

(ت : ٣١٠ هـ) . الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) . شركة

ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر ٤٩/٢١ .

فالرسول صلى الله عليه وسلم ، بعث في هؤلاء القوم ، مجددًا للدين
الذى جاء به من قبله من الرسل ، وداعيًا الى صراط الله المستقيم ، مؤيدًا
بالقرآن العظيم ، الذى كله دعوة الى التوحيد ، فهو :

" اما خبر عن الله - عز وجل - ، وما يجب أن يوصف به ، وما يجب
أن ينزه عنه ، واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعد مسن
دونه ، واما أمر ونهي والزام بطاعته . فهذا من حقوق التوحيد ومكملاته ،
واما خبر عن اكرامه لأهل التوحيد ، واما خبر عن أهل الشرك واهانتهم (١) .

لذلك الذين أطاعوا الرسول ، وعطوا بما أنزل معه من سلف هذه
الأمّة ، جمع الله شطهم بعد الشتات ، ووجد كلمتهم بعد الفرقة ، فسادوا
في الأرض ، ونشروا العدل ، وأقام الله بهم هذا الدين .

من هذا الاستعراض السريع ، نستنتج أن العقول البشرية مهما وصلت
من التقدم والاختراع والابداع ، فان لها قدرتها المحدودة التي لا تستطيع
تجاوزها ، وخاصة في معرفة أسماء الله وصفاته ، وكيف يعبد ، ومعرفة
حدوده من حلال وحرام .

وقد زعم بعض الفلاسفة أنه يمكنهم الاستغناء عن دعوة الرسل بالعقول
التي وهبها الله لهم ، فسنوا لأجل ذلك القوانين ، وحلّلوا وحرّموا وخطّطوا
واعتمادهم في ذلك على تحسين العقل وتقيحه ،

وقد ادعى ذلك اناس قبلهم كالبراهمة : وهم : " طائفة من المجوس
زعموا أن ارسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم ، لاغناء العقل عن الرسل ، لأن

ما جاءت به الرسل ، ان كان موافقا للعقل حسنا عنده فهو يفعله ، وان لم يأت به ، وان كان مخالفا قبيحا ، فان احتاج اليه فعله والا تركه " (١) .

ولكن هذا القول باطل ومردود ، لأنه معروف أن الله سبحانه وتعالى خلق العقول وجعلها تميز بين الحسن والقبيح ، والنافع والضار ، وهذا من حيث الجملة ، والا فهناك أمور تفصيلية لم يعرفها العقل ، وانما جاءت عن طريق الشرع . " فما كان حسنا في وقت قبيحا في وقت ، ولم يهتد العقل لوقت حسنه من وقت قبحه ، أتت الشرائع بالأمر به في وقت حسنه ، وبالنهي عنه في وقت قبحه . . . " (١) .

فالحاجة الى الرسل ضرورية ، بل هي فوق كل حاجة ، فليس العالم الى شيء أحوج منهم ، الى المرسلين - صلوات الله عليهم أجمعين .

ولهذا يذكر سبحانه عباده نعمه عليهم برسوله ، ويعد ذلك عليهم من أعظم المنن منه ، لشدة حاجتهم اليه ، ولتوقف مصالحهم الجزئية والكلية والدينية والدنيوية عليه ، وأنه لا سعادة لهم ، ولا فلاح ، ولا قيام الا بالرسول .

فاذا كان العقل قد أدرك حسن بعض الأفعال وقبحها ، فمن أين له معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ، والأدلة التي تعرف بها الله الى عباده على السنة رسله ؟ . ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه ودينه الذي شرعه لعباده ؟ . ومن أين له تفاصيل مواقع محبته ورضاه ، وسخطه وكراهته ؟ ومن أين له معرفة تفاصيل ثوابه وعقابه ، وما أعد لأوليائه ، وما أعد لأعدائه ومقادير الثواب والعقاب وكيفيتهما ودرجتتهما ؟ . . . الى غير ذلك مما جاءت

(١) لوامع الأنوار البهية للسناريني ٢٥٦/٢ . طبعة قطر .

به الرسل ، وبلغته عن الله ، وليس في العقل طريق الى معرفته . فكيف يكون معرفة حسن بعض الأفعال وقبحها بالتقل ، مغنيا عما جاءت به الرسل !؟

فظهر أن ما ذكروه مجرد تهويل مشحون بالأباطيل والحمد لله (١) .

يقول ابن تيمية - مبينا حاجة الناس الى الرسل - : " الرسالة ضرورية للعباد ، لا بد لهم منها ، وحاجتهم اليها فوق حاجتهم الى كل شيء والرسالة روح العالم ، ونوره وحياته ، فأى صلاح للعالم اذا عدم الروح والحياة والنور ؟ والدنيا مظلمة ملعونة الا ما طلعت عليه شمس الرسالة .

وكذلك العبد ، ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ، ويناله من حياتها وروحها ، فهو في ظلمة ، وهو من الأموات ،

قال الله تعالى :

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ (الأنعام) .

فهذا وصف المؤمن ، كان ميتا في ظلمة الجهل ، فأحياه الله بروح الرسالة ، ونور الايمان ، وجعل له نورا يمشي به في الناس ، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات (٢) . آمه

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور دار العلم والولاية . الطبعة لدار الفكر

٠ ١١٧ / ٢

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٠ ٩٣ / ١٩

فما دام أن هذه حاجة الناس الى الرسل ، فحاجتهم الى من يبين دين الرسل ليست بأقل من حاجتهم الى الرسل .

لذلك جعل الله - سبحانه - آخر الرسائل سالحة لكل زمان ومكان وتكفل بحفظها ، لاستيفائها بحاجات البشر الى يوم القيامة . فقام بحفظها علماء أجلاء ، (هم ورثة الأنبياء) (١) .

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " (٢) .

والناس محتاجون الى الدين ، والى تعلم شرع الله القويم ، واذا أعرضوا عن ذلك ، فانه هلاكهم وزوالهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : " ان من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد " (٣) .

(١) جزء من حديث رواه الترمذى في كتاب " العلم " باب ١٩ جزء ٥ / ٤٩ . والدارمي في سننه ١ / ٨٣ . وابن ماجه ١ / ٨١ . وذكره البخارى تعليقا في باب " العلم " قبل القول والعمل . كتاب " العلم " ١ / ٢٥ . وسنن أبي داود كتاب " العلم " باب " الحث على طلب العلم ٤ / ٥٨ .

(٢) أخرجه أبوداود في سننه ٤ / ٤٨٠ عن أبي هريرة . كتاب " الملاحم " باب " ما يذكر في قرن العائقة " (١) رقم الحديث : ٤٢٩١ .

والحاكم في المستدرک ٤ / ٥٢٢ . والخطيب في تاريخ بغداد ٢ / ٦١ . قال العراقي : " صحيح " . انظر : تخريج أحاديث احياء علوم الدين ١ / ٢٨٠ . ورمز له البيهقي بالصحة . انظر : فيض القدير ٢ / ٢٨٢ . انظر : مشكاة المصابيح ٢ / ٨٢ . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢ / ١٥٠ . رقم ٥٩٩ . وصحيح الجامع ١ / ٤٣ رقم ١٨٧٠ . وقال الألباني : " والسند صحيح ورجالها ثقات رجال مسلم .

(٣) صحيح البخارى ١ / ٢٨ كتاب " العلم " باب " رفع العلم " . واللفظ له . وفي مواضع أخرى بالفاظ متقاربة . صحيح مسلم ٤ / ٥٦ . كتاب " العلم " باب " رفع العلم " وأخرجه أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض

الله . الله " (١)

وهذا منذر خطر عظيم ، فانك ترى غالب الناس في هذا الزمان قد
أعرضوا عن دين الله وشريعته ، وحكّموا القوانين الوضعية بين عباده .

فالناظر الى حال الناس في هذا القرن ، يجد أن الناس قد استحسود
عليهم الشيطان ، وسيرتهم الأهواء ، وانتشر بينهم الجهل ، فهم منقسمون
الى الأقسام الآتية :

- ١- الجهل الذي لا يعرف ربا ولا ديناً ^{الذي} يعبد الشجر والحجر .
 - ٢- الكتابي الذي يدعي أنه على دين موسى ، وعيسى ، وهما منه براء .
 - ٣- المسلم بالبطاقة والهوية لا بالاعتقاد والعمل .
 - ٤- المسلم الذي جهل معظم أمور دينه . فاستخف بحرمات الله ، وشاعت
فيه المنكرات ، وغزى في عقرب داره بجحافل المضللين والمشككين .
- فهذه الأقسام ، تجب دعوتها وردّها الى دين الله ، والتحاكم الى
شريعته .

ولكن من يقوم بهذا الواجب ؟ يقوم به :

(١) صحيح مسلم ١/١٣١ كتاب " الايمان " باب " ذهاب الايمان آخر
الزمان " .

ومسند أحمد ١٠٧/٣ ، ٢٠١٠ ، ٢٥٩٠ ،

وسنن الترمذى ٤/٩٢ كتاب " الفتن " باب ٣٥ " كلها عن أنس .

٥- المسلم الذي عرف ما أنيط به - وهو قليل - ، فهو الذي يتحمل المسؤولية لدعوة تلك الأصناف المتقدمة ، التي ثفخ الشيطان في عقولهم ، فأصبحوا دعاة للتمرد على الله وشريعته ، وتعاليم رسوله بحجة أن في الدين حجرا على العقل ، وعائقا عن ركب الحضارة والرقي ، فصارت الدول ترفض تعاليم الاسلام ، وبعضها تضع الالحاد مبدءا دستورياً ، باسم شعارات هدامة ، كالعلمانية ، والماركسية والشيوعية ، وغيرها .

حتى أن معظم الدول التي فيها مسلمون ، تنهج هذا النهج وترضى عوام المسلمين باعلانها أن دين الدولة الاسلام ، ثم تهدمهم .

فما أحوج هذا العالم الذي هذا وضعه ، الى دعوة تنير له السبيل وتهديه الى طريق النجاة والفلاح .

فعلى دعاة الاسلام أن يهتموا بهذا الوضع ، ويقوموا بهذا الواجب فيدعون الوثني الى الدخول في الاسلام ، ويبينون لهم حقائق الجمادات وأنها لا تنفع ولا تضر . . . الخ " .

ويدعون أهل الكتاب للاهتداء بالقرآن الذي فيه بيان حقيقة كتبهم كما أن كتبهم أمرتهم باتباع الرسول والايان به .

ويدعون الشيوعيين الملحدين الى التخلي عما هم عليه من الالحاد .

ويدعون المسلمين المنحرفين الى الرجوع الى دينهم ، والانابة والتوبة

، مما سلف ،

كما يدعون اخوانهم المسلمين بالتواصي بالحق والصبر عليه ، حتى يأتي

نصر الله ،

فعلي دعوة الاسلام أن لا يياسوا من دعوة الجميع ، ولا يساموا ، فانهم
مأجورون منتصرون في الدنيا والآخرة .

ولعل لقائل أن يقول : ما علاقة تعريف الدعوة والحاجة اليها
بهذا البحث ؟ .

فأقول : ان القرآن كله شامل لدعوة الاسلام ، ومبين كيفية تبليغها
وسورة العنكبوت جزء من هذا القرآن ، ففيها بيان لبعض دعوة الاسلام
وكيفية تبليغها ، والدعاة والمدعوين (كما سيأتي بيانه انشاء الله) .

*

*

*

*

*

--

*

الباب الأول

المدعو اليه وحقه كما ورد في السورة

وينقسم الى مقدمة وخسة فصول :

- المقدمة : مراتب الدين اجمالاً
- الفصل الأول : الاسمــــــــــــــــــــــ
- الفصل الثاني : الايمانــــــــــــــــــــ
- الفصل الثالث : بقية أركان الايمان
- الفصل الرابع : الاحسانــــــــــــــــــــ
- الفصل الخامس : الفتنة والابتلاء لمن تحقق ايمانه

*** ** **

** **

**

مقدمة
مراتب الدين اجمالاً ، الاسلام والايمان

ان مراتب الدين ثلاثة . هي : الايمان ، والاسلام ، والاحسان .

يدل على ذلك ما ورد في حديث عمر - رضي الله عنه - قال : " بينما نحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم ، اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه . وقال : " يا محمد : " أخبرني عن الاسلام ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ان استطعت اليه سبيلاً " . قال : " صدقت قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الايمان ؟ قال : " الايمان أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره " . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الاحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك " . قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : " ما المسئول عنها بأعلم بها من السائل " . قال : فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : " أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان " . قال : ثم انطلق ، فلبثت ملياً . ثم قال لي : " يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " . (١)

(١) صحيح مسلم ٣٦/١ الايمان باب " بيان الايمان والاسلام والاحسان " واللفظ له . صحيح البخارى : ١٨/١ ، الايمان باب سؤال جبريل عن الايمان . مسند الامام أحمد ٥٢/١ واللفظ له . وسنن ابن ماجه مقدمة

وهذه العرابت الثلاث قد ورد ما يبينها في السورة .

فالإيمان والاسلام يجتمع فيهما الدين كله ، ولا بد للأتين بجميع
الدين من الاحسان ، كما سيأتي بيانه ، الا أن الايمان والاسلام بينهما
خصوص وعموم ، وهما من الأسماء المشتركة ، يجتمعان تارة ، ويفترقان
أخرى .

فاجتمعا في مثل قوله سبحانه :

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾ (الأحزاب).

وقوله سبحانه :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات).

== ٢٤ / ١ باب ٩ .

وانظر: المسند بتحقيق أحمد شاكر ١ / ٢٣٣ رقم ١٨٤ ، وص: ٣١١ رقم ٣٦٧ .

وص: ٣١٥ رقم ٣٧٤ .

قال أحمد شاكر: " اسناده صحيح " .

ومن السنة حديث جبريل المتقدم .

ويفترقان . فيذكر الايمان وحده أو الاسلام ، وذلك في مثل

قوله تعالى :

الْمَرَّةِ (١) أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ (٣) (العنكبوت) .

وكما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : " قال رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - : " بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله
الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج
وصوم رمضان " . (١)

وكما في حديث وفد عبد القيس ، حينما قدموا على رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - فقالوا : " يا رسول الله انا هذا الحي من ربيعة
وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر ، فلا نخلص اليك الا في شهر الحرام ، فمرنا
بأمر نعمل به ، وندعوا اليه من وراءنا " . قال : " أمركم بأربع ، وأنهاكم
عن أربع : الايمان بالله - ثم فسرها لهم . فقال : " شهادة أن لا اله الا الله
الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا
خمس ما غنمتم ، وأنهاكم عن : الديار " (٢)

(١) صحيح البخارى ٨ / ١ كتاب " الايمان " باب " ٢ " .

صحيح مسلم ٥ / ١ كتاب " الايمان " باب " بيان أركان الاسلام ودعائه
العظام ه " .

(٢) الديار : وهو القرع اليابس في الوعاء منه . النووى على مسلم ١ / ١٨٥ .

وهو اليقطين ، وهو القرع ، وهي من الأشجار التي لا تقوم على

والحنتم^(١) ، والنقير^(٢) ، والمقير^(٣) (٤)

فدل ذلك على أن الايمان والاسلام ، اذا ذكرا جميعا ، افترقا

== ساق . غريب الحديث للحربي ١٠٢٣/٣ . وثمرها كان أهل الطائف يخرطون فيها عناقيد العنب ، ثم يد فنونها حتى تدمر ثم تمسوت غريب الحديث للهروي ٣٠٥/١ .

(١) الحنتم : عن أنس : " كانت الحناتم قلالها يجاء بها من مصر مغيرات الأجواف . وقيل : هي " جرار حمر مزفتة يؤتى بها من مصر ، وليست بالجرار الخضر .

وقيل : هي جرار حمر مغيرة يؤتى بها من الشام ، والحنتمسة : الجرة الخضراء . غريب الحديث لابراهيم الحربي ٦٦٦/١ . والمزفت : يعين على شدة ما نبذ فيه ، فيقرب من المسكروان لم يبلغه .

وقيل : جرار كانت تحمل فيها الخمر ، فمنهى أن ينبذ فيها مخافه أن لم ينعم غسلها فيكون فيها طعم الخمر وريحها .

وقيل : أنها جرار تعمل من طين ، عجن بالدم والشعر ، فمنهى عنها ليعتنع من يعطلها " . المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث لمحمد المديني الأصفهاني (ت : ٥٨١ هـ) : ٥٠٨/١ .

(٢) أصل خشبة ينفر . الفائق ٤٠٢/١ . وهو أصل شجرة ينقر وينبذ فيه " . معجم مقاييس اللغة ٤٦٩/٥ . وكان أهل اليمامة ينقرون أصل النخلة ثم يسترخون فيه الرطب والبسر ، ثم يدعون حتى يهدر ثم يموت " . غريب الحديث للهروي ٣٠٥/١ .

(٣) المقير : هو المزنت وهو العطل بالقياس وهو الزفت . وقيل : الزفت نوع من القار والصحيح الأول . وخصت هذه بالنهي لأنه يسرع الى ما يوضع فيها من تمر وزبيب الاسكار النووي على مسلم ١٨٥/١ .

(٤) صحيح مسلم كتاب " الايمان " باب " الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم " ٤٦/١ . واللفظه . صحيح البخاري كتاب " الايمان " باب " أداء الخمس من الايمان " ١٩/١ . وكتاب " العلم " ٣٠/١ .

معناها ، واذا افترقا صارا معناهما واحد ، وقد اجتمعا في حديث^(١) عمر .
وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ما المراد بكل منهما ، " فجعل الاسلام
هو الأعمال الظاهرة : الشهاداتان والصلاة والزكاة والصيام والحج ، وجعل
الايان مافى القلب من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر " .^(٢)
والاحسان شامل لجميع مراتب الدين ، فكل محسن مؤمن مسلم ، وليس
كل مسلم محسن وليس كل مؤمن محسن كما سيأتى في بيان الاحسان .
والسورة ورد فيها ذكر بعض أركان الاسلام وأركان الايمان والاحسان .

*** ** **

** **

**

(١) المتقدم فى ص : ٣١

(٢) الايمان لابن تيمية ص : ١٠ .

الفصل الأول

المرتبة الأولى من مراتب الدين

الاسلام

وبينه وبين الايمان تداخل كما تقدم ، ولم يرد في السورة نص عليه الا أنه يشمل الأعمال الظاهرة من الدين ، اذا اجتمع هو والايمان ، لذلك سأذكر ما ورد منها في هذه السورة بعد تعريفه .

فالا سلام يطلق على الدين الذى لا يقبل الله ديناً غيره ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، فان جميع الأنبياء على دين الاسلام . (١)

كما يطلق على الدين الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم فقط ، وهو يشمل جميع مراتب الدين من الاسلام والايمان والاحسان .

وقد عرف أنه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله . (٢) وهذا يشمل جميع الدين كما تقدم ، الا أنه اذا جمع مع الايمان فانه يطلق على الأعمال الظاهرة كما في حديث عمر رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، والاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت الحرام ان استطعت اليه سبيلاً) . (٣) الحديث

وقد فسر الاسلام بأخص من ذلك كما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) . (٣)

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ٩٠ / ٣

(٢) ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب : ٤٨

(٣) الحديث بتمامه في ص ١٧٤ من هذا البحث .

وهذا خامس من عام من أمور الدين .

أما أركان الإسلام الواردة في حديث عمر رضى الله عنه فلم يرد لها في السورة

ذكر غير الشهادتين والصلاة .

أما بقية أركان الإسلام فلم يرد لها ذكر الا دخولها بالعموم مثل قوله تعالى

أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ بِحَسْرَتٍ وَأَنْتَ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

* العنكبوت ٤٥ *

فمن تلاوة الكتاب المعنوية آيتاء الزكاة والصوم والحج .

فالركن الأول : الشهاداتتين

وأول ركن من أركان الإسلام الشهاداتتين ، فشهادة أن لا اله الا الله هي التي بعث بها جميع الرسل ، وهي مشتلة لجميع أنواع التوحيد ، والايان ، وسيأتى تفصيل ذلك عند الايمان ، وبيان أنواع التوحيد كما أنه لا يقبل الإسلام من أحد حتى ينطق بها مع شهادة أن محمد رسول الله .
أما شهادة أن محمد رسول الله " فتقتضى الايمان به وتصديقه فيما أخبر —
، وطاعته فيما أمر ، والانتها عما نهى عنه ، وزجر ، وأن يعظم أمره ونهيه
، ولا يقدم عليه قول أحد كائنا من كان " . (١)

والله عز وجل بعثه بشيرا ونذيرا ، ومن لم يؤمن به لم يصح ايمانه ، ففرض الصلاة عليه في كل صلاة ، ولا تتم الصلاة الا بذلك . (٢)

كما أوجب ذكره في اليوم خمس عشرة مرة ، وذلك عند النداء والاقامة للملوات الخمس .

وقد ورد في القرآن الأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم في نيف وثلاثين موضعا ، وقرنها بطاعته سبحانه ، ثم حذر خلقه مخالفته " . (٣)

قال الأجرى : (٣) ثم اعلموا يا أمة محمد يا مؤمنين أن الله أوجب على جميع الخلق أن يعظموا قدر نبيه عليه السلام بالتوقير له والتعظيم وأن لا يرفعوا أصواتهم فسوق صوته كل ذلك اجلال له ، وأعلمهم أن من خالف ما أمر الله به من ذلك التعظيم

(١) فتح المجيد : ٤٥

(٢) انظر الشريعة للأجرى ص : ٤١٥ .

(٣) الشريعة للأجرى : ٤٠٩

(٣) هو : أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي ، من مؤلفاته : الشريعة ، والرواية ، والغريب ، والأربعين ، والثمانين ، والتهدد ، وغيرها ، سمع أبا مسلم الكجى ، ومحمد المرزى ، وأبا شعيب الحرانى ، والغريابى ، وأحمد ابن زنجويه القطان ، وغيرهم . كان صدوقا خيرا عابدا ، ديناشقة ، صاحب سنة واتباع . توفي سنة ٣٦٠ هـ . سير أعلام النبلاء : ١٦ / ١٣٣ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٢٩٢ - ٢٩٣ .

لرسوله أنه يحبط عمله وهو لا يشعر" . (١) وقد قال صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) (٢) ، وهو أول مأمور بعبادة ربه ، فقال الله له :

أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

* العنكبوت ٤٥ *

وقال تعالى :

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ

هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

* الإسراء ١ *

وقد جمع الله له بين العبودية والرسالة ، فالعبودية الخاصة وصفه فأعطى مراتب العبد العبودية الخاصة ، والرسالة ، وقد اجتمعت للرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو أكمل الخلق في ذلك ، والله عز وجل جمع له بين هاتين الصفتين دفعا للافراط والتفريط ، فان كثيرا من يدعى أنه من أمته أنفرط بالفلو قولا وفعلا ، وفرط في ترك متابعتها . (٣)

ورسالته عامة لجميع الثقليين ولجميع أهل الأرض ، كما أن أهل الأديان

السابقة مطالبون بالإيمان به واتباعه صلى الله عليه وسلم كما قال عز وجل عنهم :

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا

إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾

* العنكبوت ٤٧ *

(١) الشريعة : ٤١١

(٢) صحيح البخارى : ٩/١ كتاب الايمان باب ٨ ، صحيح مسلم : ١/٦٧ كتاب

الايمان باب ١٦ .

(٣) فتح الجيد : ٤٥

وقد أثبت الله عز وجل رسالته صلى الله عليه وسلم في هذه السورة ، ورد على

من أنكرها ، وكفر به صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ الَّذِي آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ
وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَّا رَتَابَ الْمُبْتَلُونَ ﴿٤٨﴾

العنكبوت

٤٨، ٤٧

وثانيها : الصلاة

وهي ثاني أركان الاسلام وأحد مبانيه العظام ، فلا عمل بعد توحيد الله أفنل من الصلاة لله لأنه افتتحها بالتوحيد ، والتعظيم لله بالتكبير ، ثم الشناء على الله ، وحمده وتمجيد ، ودعائه ، وهذا ما اشتطت عليه الفاتحة التي هي ركن من أركان الصلاة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) . (١)

فاقامة الصلاة فيها تلاوة للقرآن الكريم لفظا ومعنى ، فاللفظ بقراءة الفاتحة

وامعها لقوله تعالى **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نُّجِدْهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**

* المزل ٢٠ *

والمعنى أن القرآن فيه أمر باقامة الصلاة في آيات كثيرة ، واقامتها وآداؤها في وقتها بقراءتها وركوعها وسجودها وقعودها وتشهدها وجميع شرائطها . (٢)

والمقيم للصلاة معترف بوحداية الله ، حيث أنه يقرأ فيها الفاتحة ، وهي مشتتة على جميع أنواع التوحيد .

(١) صحيح البخارى : ١٨٤/١ ، كتاب الأذان باب ٩٥

وصحيح مسلم : ٢٩٥/١ ، كتاب الصلاة باب ١١ ، ومواضع أخرى قريبة من هذا اللفظ ، وأخرجه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، والدارسى ، وأحمد ، ومالك ، وقريبا منه في سنن أبى داود .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٧/١٣

كما أنه يسبح لله في الركوع والسجود ، ويكبر عند كل خفض ورفع ، يختتمها بالشهادة لله بالوحدانية ورسوله بالرسالة ، يودى ذلك وهو منتصباً لله قائماً وراكعاً وساجداً ، وهذا كله توحيد لله ، واعترافاً له بالعبودية . (١)

والأمر بإقامة الصلاة يشمل الصلوات المفروضة ، وغيرها من النوافل ، وليس خافياً بالصلوات الخمس إلا أن لها مزية على غيرها في الفصل كما قال صلى الله عليه وسلم : (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ماتت صلوات ذلك يبقى من درنه ، قالوا : لا يبقى من درنه شيئاً ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يحو الله به الخطايا) . (٢)

فإذا اجتمعت معها النوافل كانت أعظم قدراً ، وأكثر أجراً ، وهذا عام ففى جميع العبادات لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله قال : (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وياتقرب الى عبدى بشئى أحب الى مما افترعت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيننه ، وياترددت عن شئى أنا فاطمه ترددى عن قبض نفس المؤمن يكره الموت ، وأنا أكره مساءته) . (٣)

(١) انظر تعظيم قدر الصلاة للمروزي : ٢٦٨/١

(٢) صحيح البخارى : ١٣٤/١ ، كتاب المواقيت ، باب ٦ واللفظ له .

صحيح مسلم : ٤٦٢/١ ، كتاب المساجد باب : ٥١

وأخرجه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، والدارى ، ومالك ، وأحمد .

(٣) صحيح البخارى : ١٩٠/٧ ، كتاب الرقاق باب التواضع : ٣٨ ، واللفظ

له ، وسند أحمد : ٢٥٦/٦ .

والصلاة من أحب الأعمال الى الله ، لذلك ألزم قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم حبها ، وجعلها قرّة عينه دون غيرها ، قال صلى الله عليه وسلم : (حبيب السي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرّة عيني في الصلاة) .^(١)

وكان يفزع اليها عند الشدائد ، والطمات ، كالكسوف ، وفي الحرب ، فعن أبي بكرة قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكسفت الشمس ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يجرد رداءه حتى دخل المسجد ، فدخلنا فصلى بنساء ركعتين حتى انجلت الشمس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ، فاذا رأيتموهما فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم) .^(٢)

وفي رواية لسلم عن أسماء قالت : (كسفت الشمس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ففزع فأخطأ بدرع حتى أدرك بردائه ، بعد ذلك قالت : فقضيت حاجتي ثم جئت ودخلت المسجد ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فقلت معه ، فأطال القيام حتى رأيتني أريد أن أجلس ثم التفت الى المرأة الضعيفة فأقول هذه أضعف مني فأقوم ، فركع فأطال الركوع ، ثم رفع رأسه فأطال القيام ، حتى لو أن رجلا جاء خيل اليه أنه لم يركع) .^(٣)

(١) مسند الامام أحمد : ١٢٨/٣ ، واللفظ له عن أنس ، وقريبا من في : ١٩٩/٣ ، ٢٨٥

، السنن الكبرى للبيهقي : ٧٨/٧ ، وسنن النسائي : ٦١/٧ ، كتاب عشرة النساء ، مستدرک الحاكم : ١٦٠/٢ ، وقال صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه ، وصحده الألباني في صحيح الجامع : ٨٧/٣ رقم ٣١١٩

(٢) صحيح البخاري : ٢٣/٢ كتاب الكسوف باب ١ ، وباب ١٧ بلفظ قريبا من هذا ، وفي ٣٣/٧ كتاب اللباس باب ٢ ، وسنن ابن ماجه : ٤٠١/١ ، كتاب اقامة الصلاة باب ١٥٢ عن النعمان بن بشير .

(٣) صحيح مسلم : ٦٢٥/٢ كتاب الكسوف باب ٣ بهذا اللفظ ، وفي ٦٢٥/٢ قريبا منه ، مسند أحمد : ٣٤٩/٥ ، ٣٥١/٦ ، وقريبا من هذا اللفظ في سنن أبي داود : ٧٠١/١ كتاب الكسوف باب من قال بأربع كلمات عن قبضة الهلال ، ومسند أحمد : ٣٧/٥ عن أبي بكرة .

وعن علي رضي الله عنه قال : لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا الا نائم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسى ويدعو حتى أصبح . (١)

وقال حذيفة رضي الله عنه : (رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وهو مشتمل في شمله يمسى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى) . (٢)

وكانت آخر وصية للرسول صلى الله عليه وسلم ، فعن علي رضي الله عنه قال : كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيماكم) . (٣)

وسياتى بيان لفوائدها ص ١٥٦ ضمن العبادات الواردة في السورة .

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي : ٢٣١/١ ، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ، كما ذكر في تحفة الأشراف : ٣٥٨/٧ ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة : ٤٩/٣ ، و ٣٩/٣ .

(٢) أخره في مسند الامام أحمد : ٣٨٨/٥ - وهو عند المروزي في تعظيم قدر الصلاة : ٢٣١/١ ، والطبري : ٢٠٥/١ .

(٣) سنن أبي داود : ٣٥٩/٥ ، كتاب الأدب ، باب في حق الملوك : ١٣٣ وأخرجه ابن ماجة : ٩٠١/٢ ، كتاب الوصايا باب (١) ، عن أنس وعلي بدون (اتقوا الله) .

والمروزي في تعظيم قدر الصلاة : ٣٣٢/١ - ٣٣٣

وأخرجه بلفظ آخر الامام أحمد في المسند : ٢٩٠/٦ - ٣١١ - ٣١٥ -

٣٢١ عن أم سلمة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : ٢٦٧/٣ ،

حديث : ٣٧٦٧ .

أما بقية الأركان فكما ذكرت في ص ٣٧ عند حديث عمر رضى الله عنه
ولم يرد لها ذكر في السورة ، إلا أنه ورد ذكر الصبر ، وهو يطلق
على الصوم في بعض الأحيان ، كما قال تعالى :

وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾

* البقرة ٤٥ *

فقد قال مجاهد^(١) : أن الصبر هنا " الصوم " ، ومنه سعى شهر رمضان
شهر الصبر^(٢) .

إلا أن هذا خاص من عام ، فالمراد بالصبر ، الصبر على أدا الفرائض

وقال ابن جرير^(٣) : " الصوم بمعنى معانى الصبر عندنا " .^(٤)

وكذلك في بيان وعف المؤمنين بالصبر في قوله سبحانه :

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ * العنكبوت ٥٩ *

(١) تأتي ترجمته في ص : ٦٥

(٢) معالم التنزيل : ٦٨/١ ، وتفسير القرآن العظيم : ١٣٢/١

(٣) تأتي ترجمته في ص : ٦٤

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٥٩/١ .

أما الحج

فقد ورد في السورة ذكر البيت الذي يحج إليه الناس ، بقوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا وَيُخَطَفُ

النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾

* العنكبوت ٦٧ *

وهذا امتنان من الله على كفار قريش بهذه النعمة العظيمة ودعوتهم السي

شكرها .

ووجود هذا البيت علامة على بقاء هذا الدين ، واستمرار الحج اليه

، وزواله من علامات الساعة كما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
(يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة) . (١)

قال ابن حجر في الفتح : * قيل هذا الحديث يخالف قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا وَيُخَطَفُ

النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾

* العنكبوت ٦٧ *

ولأن الله حبس عن مكة الفيل ، ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة ولم تكن

از ذاك قبلة ، فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة للمسلمين .

وأجيب بأن ذلك محمول على أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة حيث

لا يبقى في الأرض أحد يقول الله الله ، كما ثبت في صحيح مسلم : (لا تقوم
الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله) . (٢)

(١) صحيح البخارى : ١٥٩/٢ ، كتاب الحج باب : ٤٩ .

صحيح مسلم : ٢٢٣٢/٤ ، كتاب الفتن باب ١٨

مسند أحمد : ٢٢٠/٢ بنحوه .

(٢) صحيح مسلم : ١٣١/١ ، كتاب الايمان باب ٦٦

سنن الترمذى : ٤٩٢/٤ كتاب الفتن باب ٣٥

مسند أحمد : ١٠٧/٣ - ٢٠١ ، ٢٥٩

ولهذا وقع في رواية سعيد بن سمعان (١) (لا يعمر بعده أبدا) (٢) .

وقد وقع قبل ذلك فيه من القتال ، وغزو أهل الشام له في زمن يزيد بن معاوية ، ثم من بعده في وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطة بعد الثلاثاء ، فقتلوا من المسلمين في المطاف ما لا يحصى كثرة ، وخلصوا الحجر الأسود فحولوه إلى بلادهم ، ثم أعيد بعد مدة طويلة ثم غزى مرارا بعد ذلك ، وكل ذلك لا يعارض

قوله تعالى :
أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّا ءَامِنًا وَيُنْخَطَفُ

النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾

* العنكبوت ٦٧ *

لأن ذلك انما وقع غالبه بأيدي المسلمين ، فهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم : (ولن يستحل هذا البيت الا أهله) (٣) ، فوقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو من علامات النبوة ، وليس في الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها * (٣) أهـ .

وأقول : الا أن الله حرمها ، وتوعد على من أخل بأمنها . في أي وقت .

(١) هو : سعيد بن سمعان مولى الزرقيين ، أنصاري ، مدني ، روى عن أبي هريرة ، روى عنه ابن أبي زئب . التاريخ الكبير : ٤٧٩/٣ ، الجرح والتعديل : ٣٠/٤ .

(٢) جزء من حديث في سند أحمد : ٢٩١/٢ - ٣١٢ - ٣٢٨ - ٣٥١ .

(٣) انظر فتح الباري : ٤٦١/٣ .

الفصل الثاني

الأيمان

وينقسم الى أربعة مباحث :

المبحث الأول : أ - تعريفه وما يشتمل عليه .

ب - توحيد الربوبية .

المبحث الثاني : توحيد الأسماء والصفات

المبحث الثالث : توحيد الأكوهية في السورة

المبحث الرابع : العبادات الواردة في السورة

المبحث الأول - الايمان -

ورد الايمان مقرونا بالعمل الصالح في ثلاث آيات في السورة (كما سيأتي ذكرهما) .

فالعمل الصالح يشمل : الايمان ، والاسلام . وكل عمل صالح أمر الله - عز وجل - به ، وندب اليه ، وأفضلها الايمان بالله .

كما ثبت أنه قيل للرسول - صلى الله عليه وسلم - : " أى الأعمال أفضل ؟ قال : " ايمان بالله ، وجهاد في سبيله " (١) .

فهذا دليل على أن الأعمال من الايمان ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة . حيث يقولون :

" الايمان قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان " (٢) .

(١) صحيح البخارى ١١٢/٣ كتاب " العتق " باب " أى الرقاب أفضل " وهو جزء من حديث . والسائل فيه أباذر .

سنن النسائي كتاب " الجهاد " ١٩/٦ . وسنن الدارمي كتاب " الصلاة " باب " أى الصلاة أفضل " ١٣٥ . وكتاب " الجهاد " باب " أى الأعمال أفضل " ١٢١/٢ . والرقائق باب " ٢٨ " ٢١٦/٢ ، مسند الامام أحمد ٢٠٩/٢ - ٢٦٤ عن أبي هريرة .

(٢) انظر : الايمان لابن تيمية ص : ١٦٢ - ٢١١ .
والايمان لابن منده ٣٤١/٢ . قال فيه ذكر خبر يدل على أن الايمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان يزيد وينقص .

وانظر : الايمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ص : ٥٣ . وانظر : فتح البارى ٤٦/١ . وانظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤ / ٨٣٠ .

قال البخارى - رحمه الله تعالى - : " وهو قول وفعل ويزيد وينقص " (١) .

وقد ورد في السورة ما يدل على أن الأعمال من الايمان . بقوله

سبحانه :

الْمَرَّةَ (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ (٣) (العنكبوت)

وقوله سبحانه :

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعٰلَمِينَ
(العنكبوت) .

قال أبو عبيد (٢) - بعد أن ذكر الآيتين ، وقوله سبحانه :

وَلَيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ (١٤١) (آل عمران) .

(١) صحيح البخارى ١ / ٧ كتاب الايمان " باب " قول النبي - صلى الله عليه

وسلم - : " بني الاسلام على خمس " .

(٢) هو : القاسم بن سلام . ولد سنة ١٥٧ هـ بهراة ، وولي قضاء طرطوس

وسكن مكة ، ومات فيها سنة ٢٢٤ هـ . وعمره (٦٧ سنة) ، له مؤلفات عدة منها :

" غريب الحديث والأمثال ، والأموال ، والايمان " ، تاريخ بغداد ٤٠٣ / ٢ ،

رقم ٦٨٦٨ . وسير أعلام النبلاء ١٠ / ١٠٤٩٠ رقم ١٦٤ .

قال : " أفلمست تراه تبارك وتعالى قد امتحنهم بصدق القبول
بالفعل ، ولم يرض منهم بالاقترادون العمل ، حتى جعل أحدهما من
الآخر " (١) . هـ .

وهذا رد على العرجة الذين يقولون : " أن الايمان قول بلا عمل "
والجهمية الذين يقولون : " الايمان المعرفة " (٢) .

وقد ذكر الله الايمان وعطف عليه الأعمال الصالحة في كثير من الآيات
في كتابه الكريم ، وهذا يدل على أن الأعمال من الايمان ،
ومن ذلك قوله سبحانه :

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ (العنكبوت) .

وقوله سبحانه :

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿١﴾

(العنكبوت) .

(١) الايمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ص : ٦٦ .

(٢) الايمان لمحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني ١٨٧ .

انظر: الطل والنحل للشهرستاني ١٣٩/١ .

وقد رد العطاء على العرجة والجهمية وغيرهم من الفرق بما يطول ذكره
هنا .

انظر: مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري

وقوله سبحانه :

وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ (العنكبوت) .

فهذه الآيات تدل على أن الأعمال داخلة في الايمان ، وملازمة له .

قال القرطبي ^(١) : " قوله تعالى : (يعطوا الصالحات) ردّ على
من يقول : أن الايمان بمجردة يقتضي الطاعات ، لأنه لو كان ذلك ، ما أعدها
فالجنة تنال بالايمان والعمل الصالح " ^(٢) .

والآيات فيها ذكر المؤمنين الذين صدقوا ايمانهم بأعمالهم الصالحات .

ومن أخرج الأعمال عن الايمان استدل بمثل هذه الآيات لقولهم أن
العطف يقتضي المغايرة ، والآلزم التكرار هنا " ^(٣) .

والعطف لا يقتضي المغايرة في كل حال ، فانه هنا من باب عطف

الخاص على العام ، وهو كثير في القرآن . كقوله سبحانه :

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٦٨﴾ (البقرة) .

(١) تأتي ترجمته ص : ٣٦٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢٣٨ . وانظر : فتح القدير

للشوكاني ١/٥٤ .

(٣) انظر : التفسير الكبير للفخر الرازي . حيث قال بذلك : ٢/١٢٧ .

فان جبريل وميكائيل من الملائكة (١) .

ومن الآيات الدالة على أن الأعمال من الايمان في السورة قوله سبحانه :

وَالَّذِينَ

جَاهِدُوا فِيْنَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٦﴾

(العنكبوت) .

قال ابن منده (٢) : " ذكر ما يدل على أن الجهاد في سبيل الله - عزوجل - من الايمان (٣) . ثم ساق هذه الآية .

قال البخارى - رحمه الله تعالى-: " باب الجهاد من الايمان " .

وأورد قوله صلى الله عليه وسلم : " انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا ايمان بهي ، وتصديق برسلي ، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ، ولو وددت أني أقتل في سبيل الله ، ثم أحيى ، ثم أقتل ، ثم أحيى ، ثم أقتل " (٤) .

(١) انظر تفصيل ذلك في : كتاب " الايمان " لشيخ الاسلام ابن تيمية ص : ١٦٣ .

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى " ابن منده " ، ولأوه لعبد قيس ، كان واسع الرحله ، كثير الحديث ، حافظ ، ثقة ، من مؤلفاته : " الايمان " ، و " التوحيد والصفات " ، و " التاريخ " و " معرفة الصحابة " ، و " الكنى " ، وغيرها . توفي سنة ٣٩٥ هـ . سير أعلام النبلاء ٢٨ / ١٧ .

(٣) الايمان لابن منده ٣٩٤ / ٢ .

(٤) صحيح البخارى ١٤ / ١ كتاب " الايمان " .

هذا ما يدل على تعريف الايمان عند السلف باختصار .

وما دلت عليه السورة بدخول الأعمال في الايمان ، وهو مذهبهم .

ويطأ أن للايمان أركان ، كما تقدم في حديث عمر^(١) ، فسيكون

هذا الفصل في الحديث عنها ، كما وردت في السورة انشاء الله .

*

*

*

*

*

*
_

(١) تقدم حديثه في ص : ٣١ من هذا البحث .

الركن الأول : الايمان بالله جل وملا :

وهو أن تؤمن بأن الله - سبحانه - هو الخالق الرازق ، العديب - المحي المعيت ، أي أنه رب كل شيء وطيقه ، كما تؤمن بأنه سبحانه متصف بصفات الكمال ، منزه عن صفات النقص ، وأن تؤمن بأسمائه الحسنی ، كما أخبر عن نفسه ، من غير زيادة أو نقصان ، أو تحريف أو تأويل .

كما قال سبحانه وتعالى :

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ (الشورى) .

كما تؤمن بأنه هو المستحق للعبادة وحده دون سواه .

فالايان بالله شامل لنوعي التوحيد . وهما :

التوحيد العلمي ، الخبري ، الاعتقادي :

وهو توحيد المعرفة والاثبات . ويشمل : توحيد الربوبية ، وتوحيد

الأسماء والصفات .

توحيد التصدي والطلب :

وهو توحيد الألوهية والعبادة (١) .

(١) انظر : شرح الطحاوية ص : ٨٨ .
() انظر : معارج القبول ١ / ٥٤ . وانظر : فتح المجيد ١٤ .

قال ابن القيم^(١) : " التوحيد نوعان : نوع في العلم والاعتقاد ونوع في الارادة والقصد ، ويسمى الأول : التوحيد العلمي ، والثاني: التوحيد القصدى الارادى . لتعلق الأول بالاخبار والمعرفة ، والثاني: بالقصد والارادة .

وهذا الثاني - أيضا - نوعان : توحيد في الربوبية ، وتوحيد في الألوهية ، فهذه ثلاثة أنواع " .^(٢)

فالايمان شامل لهذه الأنواع جميعا ، لا ينفك أحد منها عن الآخر فمن أنكر واحدا منها ، فقد حبط عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

فالأول التوحيد " العلمي الخبرى الاعتقادى " . وينقسم الى قسمين :

الأول : الربوبية . الثاني : الأسماء والصفات .

أولا : الربوبية :

وهو توحيد الله بأفعاله من خلق ورزق واحياء واماتة ، وقد اعترف بذلك

(١) هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب النزعي ، ولد سنة ٦٩١ هـ ، ولازم ابن تيمية من سنة ٧١٢ ، وسجن معه ، أبطل بدعة الوقيد في جامع دمشق التي دامت أكثر من مائتي سنة ، خاصة في ليلة النصف من شعبان ، سمع الحديث واشتغل بالعلم ، برع في علوم كثيرة ، كان حسن القسراة والخلق ، كثير العباداة ، مولعا بجمع الكتب ، له مؤلفات عدة منها : " الصواعق المرسله " ، و" الداء والدواء " ، و" أحكام أهل الذممة " ، "الروح " ، و" حادى الأرواح " ، و" أعلام الموقعين " ، و" طريق الهجرتين " ، و" جلاء الأفهام " .

توفي يوم الخميس ثالث عشر من رجب سنة ٧٥١ هـ ، رحمه الله .

البداية والنهاية ١٤ / ٢٣٤ . النجوم الزاهرة . ١ / ٢٤٩ . الدر الكامنة

في أعيان المئة الثامنة ٤ / ٢١ . الاعلام ٦ / ٥٦ .

(٢) مدارج السالكين ١ / ٣٣ .

المؤمنون والكفار ، ولم ينكره إلا قليلا من الناس ، وهم الملحدون ، أو
الدهريون : " المنكرون للصانع " (١) .

كما قال تعالى :

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا
إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ (الجاثية) .

وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع : فرعون ، وقد كان
متيقنا به في الباطن . كما قال له موسى :

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ
هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَافِرَعُونَ مُشْبُورًا ﴿١٠٢﴾ (الاسراء) .

والآ فالقلوب مفسورة على الاقرار به ، أعظم من غيره من مخلوقاته " (٢) .

كما قالت الرسل لهم . قال تعالى : ﴿ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ (ابراهيم) .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٢٣٠ .

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية . طبعة المكتب الاسلامي ص : ٧٧ .

لذلك ورد في القرآن على سبيل الاخبار ، لا على سبيل الطلب
والأمر ، لأنه لا يكفي وحده ، بل لابد من لازمه ، وهو توحيد العبادة .

والآيات التي ذكرت في هذه السورة عن هذا التوحيد تقرره وتؤكدده
في النفوس ، للوصول الى غيره ، وهو توحيد الألوهية .

كما قال سبحانه :

وَلَيْن

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ (العنكبوت) .

وقد كان المشركون يعترفون بذلك ، كقولهم في التلبية : " لبيك لا شريك
الآ شريكا هولاك ، تملكه وما ملك " .

فعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : " كان المشركون يقولون : " لبيك
لا شريك لك . قال : فيقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ويلكم قد قد^(١)
فيقولون : " الآ شريكا هولاك تملكه وما ملك . يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت^(٢) .

وقد قرر الله هذا التوحيد بما تدل عليه بعض صفاته ، كالقدرة ، كما
سيأتي بيانه .

*

*

*

(١) " قد قد " . معناه : كفاكم هذا الكلام فاقصروا عليه ولا تزيدوا " .

صحيح مسلم بشرح النووي ٩٠ / ٨ .

(٢) صحيح مسلم ٨٤٣ / ٢ كتاب " الحج " باب " التلبية " .

وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٧٠ / ٣ .

المبحث الثاني

توحيد الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات يدل على توحيد الألوهية ، وتوحيد الألوهية لازم له ،
فالله عز وجل أخبرنا بأسماءه الحسنی لندعوه بها ، كما قال تعالى :

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

“الأعراف . ١٨٠”

ودعاؤه بها يتنمّن دعاء العبادة ودعاء المسألة .

وقد قال على الله عليه وسلم : (ان لله عز وجل تسعة وتسعين اسما مائة الا واحد

من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر) .

وفي رواية (من حفظها) . (١)

ومعنى احصاؤها حفظها والتعبد لله بها وتصديق معانيها والعمل بمقتضاها . (٢)

“ ولا يمكن لأحد أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله
تعالى وصفاته ليعبده على بصيرة ” . (٣)

وقد أمرنا الله عز وجل أن ندعوه بأسمائه كما في الآية المتقدمة ، والدعاء يشمل

دعاء العبادة ودعاء المسألة .

فدعاء العبادة أن نتعبد لله بمقتضى هذه الأسماء فنتوب اليه لأنه التواب ،

ونستغفره لأنه الغفور ونهمل ونكبر بالسنتنا لأنه السميع يسمعنا ونتعبد له بالجسور

لأنه البصير يرانا ، ونخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير . .

(١) صحيح البخارى : ٦٦٩/٧ ، كتاب الدعوات ، باب ٦٨ ، وكتاب التوحيد :
١٦٩/٨ ، باب ١٢ ، صحيح مسلم : ٢٠٦٢/٤ ، ٢٠٦٣ ، كتاب الذكر والدعاء
باب ٢ ، وأخرجه ابن ماجة والترمذى ، والامام أحمد

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٥/١٧ .
وفتح البارى : ٢٢٥/١١ .

(٣) القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنی ص : ٥ .

ودعاء المسألة أن نقدم بين يدي مطلوبنا من أسماء الله تعالى ما يناسب دعاءنا

فنقول : يا غفور اغفر لي ، ويا رحيم ارحمني ، ويا حفيظ احفظني .

وسميت في اسم الجلالة ((الله)) أنه مشتق من الألوهية وهي العبودية وسميت

في صفة العلم أن الله عالم بما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، ويعلم ما في

النفس وما تخفى الصدور ، متفرد بذلك ، فمن آمن بذلك واعتقده فلا بد أن تكون

حالته متجهة إليه وحده بالخشية والانباء لئلا يعلم الله منه خلاف ما يريد فيسخط

عليه .

كذلك من آمن بسمع الله وبصره فلا يتكلم الا بما يرضى الله ، ولا يعمل الا ما يرضى

الله ، ومن آمن بقدرة الله فانه يخاف الله عز وجل فانه قادر على اهلاكه ، ومن

آمن أن الله هو الرزاق فلا يطلب الرزق من غيره ، ومن آمن بعزة الله فلا يطلب

العزة من غيره ، ومن آمن بغنى الله عن خلقه فلا يمين على الله بعمله ، بل يعترف

أن المنة لله .

وهذا التوحيد يدل على توحيد الربوبية فما دام أن من صفاته الخالق ، والرزاق ، والسميع ، والعليم ، والبصير ، فهو بلا شك من كانت هذه صفاته فهو الرب ، كما أنه يدل على توحيد الألوهية .

فإذا كان من صفاته الرزاق - المعطى - المانع - الغفور - الرحيم ، فانسنا نطلب ذلك منه سبحانه ،

قال ابن القيم : ^(١) " أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله فهي مشتقة من الصفات ، فهي أسماء ، وهي أوصاف ، وبذلك كانت حسنى ، إذ لو كانت ألفاظا لا معانى فيها لم تكن حسنى ، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال ، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب فى مقام الرحمة والاحسان وبالعكس ، فيقال : اللهم انى ظلمت نفسى فاغفرلى انك أنت المنتقم ، واللهم أعطنى ، فانك أنت الضار المانع ونحو ذلك ^(٢) .

وفى الدعاء المأثور : (اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت) ^(٣) .

وتقول : اللهم اغفرلى انك أنت الغفور الرحيم .

ومذهب أهل السنة والجماعة اثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات

من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، كما قال سبحانه : **فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ^(١) الشورى

(١) تقدمت ترجمته ص ١١ .

(٢) مدارج السالكين : ٣٦/١

(٣) جزء من حديث يقال بعد الصلاة ، أخرجه البخارى : ٢٠٥/١ ، كتاب الأذان

، باب الذكر بعد الصلاة ، ومسلم فى الصحيح : ٣٤٣/١ ، كتاب الصلاة

، باب اعتدال أركان الصلاة ، من الدعاء بين الركوع والسجود .

ماورد من أسماء الله عز وجل وصفاته في هذه السورة

الله

ورد لفظ الجلالة ((الله)) في هذه السورة أربع عشرة مرة أولها قوله سبحانه :

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾

• العنكبوت ٣ •

ومعنى هذا الاسم كما قال ابن عباس : " أنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه

أجمعين " . (١) ، وقيل معناه الذى يستحق أن يعبد ، وقيل معناه " واجب الوجود

الذى لم يزل ولا يزال والمعنى واحد " . (٢)

وقال ابن تيمية رحمه الله : " هو الذى يؤله فيعبد محبة وانابة واجلالا واکراما " (٤)

" وهذا الاسم أحق بالعبادة وهو الاله المعبود ، ولهذا يقال : الله أكبر ، الحمد

لله ، سبحانه الله ، لا اله الا الله وهذا الاسم يتضمن غاية العبد ومصيره

ومنتهاه وما خلق له ، وما فيه صلاحه وكماله وهو عبادة الله " . (٥)

قال ابن القيم رحمه الله : " واسم ((الله)) دال على كونه مألوها معبودا

تألهاه الخلائق محبة وتعظيما وخضوعا وفزعا اليه فى الحوائج والنوائب وذلك مستلزم

لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد ، وألهيته وربوبيته ورحمانيته ، وملكه

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن : ٥٤ / ١

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٠٢ / ١

(٣) ترجم له بكتب خاصة كسالأعلام العلية للبخاري ، والعقود الدرية فى مناقب ابن تيمية

لابن قدامة ، والكواكب الدرية لمرعى الحنبلى - لابن فضل الله العمري - وترجم له

فى فوات الوفيات : ٣٥ / ١ - ٤٥ ، والدرر الكامنة : ١٤٤ / ١ ، والهدايات

والنهاية : ١٣٥ / ١٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٧١ / ٩ ، والأعلام : ١٤٤ / ١ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ٢٢ / ١ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ١٣ - ١٢ / ١٤ .

مستلزم لجميع صفات كماله ان يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحى ولا سميع ولا بصير
ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم فى أفعاله ، وصفات الجلال والجمال
أخص باسم الله .^(١)

وقد عده بعض العلماء^(٢) : هو الاسم الأعظم من أسماء الله سبحانه وتعالى " ولم

يتسم به غيره ، ولذلك لم يشن ولم يجمع ، وهو أحد تأويلي قوله تعالى :

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ دَسْمِيًّا ﴿٦٥﴾

مر ٦٥ - مر ٦٥

أى من تسمى باسمه الذى هو الله .

فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الالهية المنعوت بنعوت الربوبية

المنفرد بالوجود الحقيقى ، لا اله الا هو سبحانه .^(٣)

قال الخطابى^(٤) : " وهذا الاسم هو أشهر أسماء الرب تعالى وأعلاها محلا فى الذكر

والدعاء ، وكذلك جعل امام سائر الأسماء وخصت به كلمة الاخلاص ووقعت به الشهادة

فصار شعار الايمان وهو اسم ممنوع لم يتسم به أحد قد قبض الله عنه الألسن فلم يدع به

(١) مدارج السالكين : ٤١/١

(٢) اختلف العلماء فى ماهو الاسم الأعظم ، فقال بعضهم : أن كل أسماء عظمسى

، منهم أبى جعفر الطبرى ، وأبو الحسن الأشعري ، وأبى حاتم ، وابن حبان ،

والباقلانى . وقال بعضهم كل اسم دعى به العين مستغرقا ليس فى فكره غير الله

، لأن من تأتى له ذلك استجيب له ، وهذا قول جعفر الصادق ، والجنيد ، وقيل :

استأثر الله بعمله .

والذين قالوا به وأثبتوه اختلفوا الى أربعة عشر قولا ، منها (الله) ، ومنها

(الله الرحمن الرحيم) ، ومنها (الحى القيوم) و(الحنان المنان بديع السموات

والأرض ذو الجلال والاکرام الحى القيوم) ، ومنها (رب رب) .

انظر فتح البارى : ٢٢٤/١١ ، وبذ الجهود فى حل أبى داود : ٣٤٦/٧ ،

رسالة السيوطى عارضة الأحوذى : ٣٤/١٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ١٠٢/١ .

(٤) هو : أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستى ، ولد سنة ٣١٩ هـ

، من شيوخه : ابن الأعرابى ، وابن داسة ، وأبو طى الصفار ، وغلام شعلب ، والفضال

الشاشى ، ومن تلامذته : أبو حامد الاسفرثينى ، وأبو أحمد الحاكم ، وأبو ذر الهروى

المالکى ، وهو محدث فقيه شاعر أديب لغوى ، من مؤلفاته معالم السنن ، وغريب =

شيء سواه . (١)

وقال ابن منده : (٢) " ذكر معرفة اسم الله الأكبر الذي تسمى به وشرفه على الأذكار

كلها ، فقال عز وجل : **أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ**

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

العنكبوت :

وقال لنبه على الله عليه وسلم :

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوِئَكُمْ ﴿١٩﴾

وقال الله تعالى :

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ الأعراف

وقال :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ الأعراف

فاسم الله معرفة ذاته منع الله عز وجل خلقه أن يتسمى به أحد من خلقه ، أو

يدعى باسمه اله من دونه جعله الايمان ، وعمود الاسلام ، وكلمة الحق ، والاخلاص ،

= وغريب الحديث ، والعزلة ، والجهاد ، والشجاعة ، وتوفى سنة ٣٨٨ هـ .
سير أعلام النبلاء : ٢٣/١٧ ، البداية والنهاية : ٢٣٦/١١ - ٣٢٤ ، النجوم
الزاهرة : ١١٩/٤ .

(١) شأن الدعاء للخطابي ت اللدقاق ص : ٣٠ .

وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣١/١ قريبا من هذا .

(٢) هو : محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن منده ، ولد باصبهان سنة ٣١٠
أو ٣١١ ، سمع من أبيه وعم أبيه عبد الرحمن ، وسعيد الأعرابي وطبقته بمكة ،
وجعفر بن محمد العلوي بالمدينة ، وأحمد المقدسي وغيره بببيت المقدس ، ومحمد
القطان وغيره بنيسابور ، كثير الرحلة حتى بلغ شيوخه أكثر من ألف شيخ ، وحدث
عنه الداك وأبو نعيم ، والنقاش ، والعسال ، والقطان ، وغيرهم . من مؤلفاته :

" الايمان " و" التوحيد " و" الصفات " و" التاريخ " ، وغيرها ، ت ٣٩٥ هـ .

سير أعلام النبلاء : ٢٨/١٧ ، البداية والنهاية : ٣٣٦/١١ ، الاعلام : ٢٥٣/٦ .

ومخالفة الأعداء والاشراك فيه يحتجز القائل من القتل وبه يفتح الفرائض وتنعقد الأيمان ويستعان من الشيطان وباسمه يفتح ويختم الأشياء تبارك اسمه ولا اله غيره (١) . أهـ .

قال ابن القيم : " اسم الله دال على جميع الأسماء الحسنی والصفات العلیا بالدلالات الثلاث (٢) ، فانه دال على الهیته المتضمنة لثبوت صفات الالهیة له مع نفي أضرارها عنه .

وصفات الالهية هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال وعن النقائص ، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنی الى هذا الاسم العظيم ، كقوله تعالى :

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)

ويقال : ((الرحمن الرحيم والقدوس والسلام والعزیز والحكيم)) من أسماء الله ، ولا يقال ((الله)) من أسماء ((الرحمن)) ولا من أسماء ((العزیز)) ، ونحو ذلك فعلم أن اسمه ((الله)) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنی دال عليها بالاجمال ، والأسماء الحسنی تفصيل وتبيين لصفات الالهية التي اشتق منها اسم ((الله)) . (٤)

وقد اختلف العلماء في هذا الاسم هل هو مشتق أم لا .

فذهب ابن جرير (٥) الى أنه مشتق ، ورد على من قال بجموده ، ثم قال :

(١) التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن مندو : ٢١ / ٢

(٢) تقدمت ترجمته في ص : ٥٥

(٣) هذا مبني على كلام سابق له عن دلالة أسماء الله عز وجل على صفاته بالتضمن .

والزوم والمطابقة . مدارج : ٣٩ / ١

(٤) مدارج السالكين : ٤١ / ١

(٥) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري ، ولد سنة ٢٢٥ هـ

سمع من محمد بن أبي الشوارب ، واسحاق بن اسراييل ، وأحمد البغوي ومحمد الرازي ، وغيرهم ، وحدث عنه : أحمد القاضي ، ومحمد بن عبد الله الشافعي ومخلد بن جعفر ، وغيرهم ، له مؤلفات منها : تاريخ الأمم والملوك ، والتفسير =

* ولا شك أن الالهة على ما فسرهم ابن عباس ومجاهد^(١) في قوله تعالى : ((ويذرك
والكهتك)) أي عبادتك .

مصدر من قول القائل أله الله فلان آلهة ، كما يقال عبد الله فلان عبادة ،
وعبر الرويا عبارة * .^(٢)

كما ذهب إلى ذلك الكسائي^(٣) ، والفراء^(٤) ، وروى عن الخليل وسيبويه^(٥) .^(٦)

== تهذيب الآثار ، ت ٣١٠ هـ ، تاريخ بغداد : ١٦٢/٢ ، سير أعلام النبلاء :
٠ ٢٦٢/١٤

(١) هو : مجاهد بن جبر شيخ القراء والمفسرين ، أبو الحجاج المكي الأسير مولى
السائب المخزومي ، روى عن ابن عباس وأخذ عنه القرآن والتفسير والفقه ، وعن
أبي هريرة ، وعائشة ، وسعد بن أبي وقاص ، وغيرهم ، حدث عنه عكرمة ، وطاووس
، وعطاء ، والأعمش ، وغيرهم ، وهو ثقة ، ت سنة ١٠٤ هـ أو ١٠٧ أو ١٠٨ هـ ،
يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقره عند كل آية أسأله فيم نزلت
وكيف كانت . طبقات ابن سعد : ٤٦٦/٥ ، الجرح والتعديل ، القسم الأول من
المجلد الرابع : ٣١٩ ، سير أعلام النبلاء : ٤٤٩/٤ .

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ٥٤/١ .

(٣) هو : علي بن حمزة أبو الحسن الأسدي من أهل الكوفة واستوطن بغداد وعلم
الرشدين ثم الأمين ، قرأ على حمزة الزيات ، وسمع من سليمان بن أرقم وأبي بكر
ابن عياش ، وسفيان بن عيينة وغيرهم ، وروى عنه أبو توبة ، والفراء ، وأبي عبيد
القاسم بن سلام ، والدوري ، وغيرهم ، من مؤلفاته : معاني القرآن والآثار فسي
القراءات ، ت ١٨٩ هـ ، تاريخ بغداد : ٤٠٣/١١ ، سير أعلام النبلاء : ١٣١/٩

(٤) هو : يحيى بن زياد بن عبد الله ابن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي صاحب
الكسائي يروي عن قيس بن الربيع ، ومنديل بن علي ، وأبي الأحوص ، وأبي بكر بن
عياش وروى عنه سلمة بن عاصم ، ومحمد بن الجهم السمرى وغيرهم وكان ثقة ، له
معاني القرآن ، و (البهي) ^{نحوه} ٢٠٧ هـ بطريق الحج ، (تاريخ بغداد :
١٤٦/١٤) ، (وفيات الأعيان : ١٧٦/٦ ، سير أعلام النبلاء : ١١٨/١٠ .

(٥) هو : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، صاحب العربية منشى علم العروض
حدث عن أيوب السختياني ، وعاصم الأحول ، والعمام بن حوشب ، وغالب القطان
وأخذ عنه : سيبويه ، والنضر بن شميل ، وهارون بن موسى ، والأصمعي وغيرهم
، ثقة ، نكيا ، ولد سنة ١٠٠ هـ ، ت ١٧٠ هـ ، له من المؤلفات : العين ، والعروض
والشواهد ، والنقط والشكل ، والنغم ، انظر وفيات الأعيان : ٢٤٤/٢ ، والسير :
٢٤٩/٧ وفيها .

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٠٢/١ .

وذهب بعض العلماء الى أنه جامد ، منهم : الشافعي ، وأبو المعالي ^(١) ،
والخطابي ^(٢) ، والفضالي ^(٣) ، والفضل ^(٤) ، وغيرهم ، وروى عن الخليل وسيبويه

(١) هو شيخ الشافعية امام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني ، ولد سنة ٤١٩ هـ وسمع من أبيه وأبي سعد النضوي ، وأبي حسان محمد بن أحمد المزكي ، ومنصور بن رامش وغيرهم ، وروى عنه الفراوي ، وزاهر الشحامي ، وأحمد المسجدي ، وغيرهم ، كان مهتما بعلم الكلام ثم رجع عنه ، قليل المعرفة في الحديث ، من كتبه : نهاية المطلب في المذهب ، والارشاد في أصول الدين ، الشامل في أصول الدين وغيرها ، توفي سنة ٤٧٨ هـ ، انظر وفيات الأعيان : ١٦٧/٣ ، البداية والنهاية : ٢٨/١٢ ، سير أعلام النبلاء : ٤٦٨/١٨

(٢) تقدمت ترجمته في ص : ٦٢

(٣) هو : أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الفزالي ، مهرفي علم الكلام والجدل ، والتصوف ، من مؤلفاته الاحياء ، والجام العوام ، والرد على الباطنية ، والمعتقد ، وجواهر القرآن ، فضائح الاباحية .
انظر وفيات الأعيان : ٢١٦/٤ ، البداية والنهاية : ١٧٣/١٢ ، السير :

٠ ٣٢٢/١٩

(٤) لعله أبو طالب الفضل بن سلمة ، لأنه لغوي له تمانيف في معاني القرآن ، أخذ عن ابن الأعرابي ، ومحمد السمعاني ، ويعقوب بن إسحاق ، وأخذ عنه : الصولي .

له من الكتب : البارع ، والناجز ، وجلاء الشبه ، والطيغ ، وغيره . توفي سنة ٢٩٠ هـ

تاريخ بغداد : ١٢٤/١٣ ، السير : ٣٦٢/١٤ ، الفهرست : ١٠٩ ،

معجم الشعراء : ٢٩٧ ، ومعجم الأدباء : ١٦٣/١٩ ،

أنياب الرواه : ٣٠٥/٣ - ٣١١ ، بغية الوعاة : ٢٩٦/٢ - ٢٩٧ ، طبقات

المفسرين للدودي : ٣٢٨/٢ .

فقالوا : ان الألف واللام لازمة له لا يجوز حذفهما منه .

قال الخطابي : * والدليل على أن الألف واللام من بنية هذا الاسم ولم يدخلا

للتعريف ، ألا ترى أنك لا تقول : يا الرحمن ولا يا الرحيم كما نقول يا الله ، فدل على أنهما من بنية الاسم والله أعلم .^(١)

والراجح عندي أنه مشتق لما تقدم من بيان معناه وأنه مأخوذ من اله أي تعبد

، ولما تدل عليه أسماء الله عز وجل من الصفات المشتقة منها بالمطابقة أو التضمن واللزوم .^(٢)

قال ابن القيم : * زعم السهيلي^(٣) وشيخه أبو بكر بن العربي^(٤) أن اسم الله

غير مشتق لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق ، ولا ريب أنه ان أريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٠٣/١ ، وانظر تفسير القرآن العظيم : ٣٢/١

(٢) انظر مدارج السالكين : ٣٩/١ ، وانظر الايمان لابن تيمية ص : ١٧٢ ، وانظر

القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين ص : ١١

(٣) هو : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن اصبح بن حسين بن

سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي السهيلي ، من تأليفه : الروض الأنف

في السيرة ، والتعريف والاعلام فيما أبهم في القرن من الأسماء والأعلام

، ونتائج الفكر ، ومسألة رؤية الله تعالى في المنام ، ورواية النبي صلى الله

عليه وسلم ، والسرفى عور الدجال ، ولد سنة ٥٠٨ هـ ، وتوفي بمراكش

سنة ٥٨١ هـ . وفيات الأعيان لابن خلكان : ١٤٣/٣ .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ، ابن العربي الأندلسي ، الاشبيلي

المالكي ، ارتحل مع أبيه الى بغداد ودمشق وبيت المقدس ومكة ومصر ، وبعد

أن توفي أبيه رجع الى الأندلس ، ومن مؤلفاته : عارضة الأحوزى ، وأحكام

القرآن ، وأمهاة المسائل ، وغيرها ، ت سنة ٥٤٣ هـ ، سير أعلام النبلاء :

مستمد من أصل آخر فهو باطل ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألم بقلوبهم ، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى ، وهي الالهية كسائر أسماء الحسنى كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير فان هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له .
وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر ، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة " . (١)

(١) بدائع الفوائد لابن القيم : ٢٢/١

الرب

من أسماء الله عز وجل الدالة على ربوبيته ((الرب)) .

وقد ورد في هذه السورة خمس مرات ، فقد ورد في مقام النصر ، قال تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ

* العنكبوت ١٠ *



كما جاء في الدعاء وللب النصر منه سبحانه ، قال تعالى :

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ

* العنكبوت ٣٠ *

وورد في مقام الايمان والهجرة حيث أن لوط عليه السلام آمن بابراهيم وهاجر الى

ربه ، قال تعالى :

فَتَّامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ

إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

* العنكبوت ٢٦ *

وجاء في مقام اعتراف الكفار به مع عنادهم وتكبرهم ، قال تعالى :

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ

ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ؕ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

* العنكبوت ٥٠ *



وجاء في مقام وصف المؤمنين باعتمادهم وتوكلهم عليه ، قال تعالى :

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

* العنكبوت ٥٩ *

ففي هذه الآيات ما يدل على أنه الناصر حيث طلب منه لوط النصرة
والتجأ اليه بالهجرة ، وهذا يدل على أحقيته في العبادة حيث هاجر
لعبادة ربه ، كما أن المؤمنين يتوكلون عليه سبحانه ، والتوكُّل
من العبادة ..

والرب في كلام العرب متصرف على معان ، فالسيد المطاع فيها يدعى ربا
والرجل المصلح للشئ* يدعى ربا والمالك للشئ* يدعى ربه ، وقد يتصرف
أيضا معنى الرب في وجوه غير ذلك غير أنها تعود الى بعض هذه الوجوه الثلاثة
، فرينا جل ثناؤه ، السيد الذي لا شبه له ، ولا مثل في سواده ، والمصلح
أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ، والمالك الذي له الخلق والأمر

وعن ابن عباس قال : قال جبريل لمحمد : يا محمد قل الحمد لله رب العالمين
، قال ابن عباس : يقول : قل الحمد لله الذي له الخلق كله السموات كلهن
ومن فيهن والأرض كلهن ومن فيهن وما بينهن ، ما يعلم ، وما لا يعلم ، يقول :
اعلم يا محمد أن ربك هذا لا يشبهه شئ* . (١)

ومعنى الرب : " هو الذي يربى عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه الى جميع
أحواله من العبادة وغيرها " . (٢)

" والرب : اسم من أسماء الله عز وجل ولا يقال في غيره الا بالانضافة ، وقصد
قالوه في الجاهلية للملك " . (٣)

وقال بعض العلماء : ان هذا الاسم هو اسم الله الأعظم ، لكثرة دعوة الداعين به
. . . ولما يشعر به هذا الوصف من الصلة بين الرب والمربوب ، مع ما يتضمنه مسن
العطف والرحمة والافتقار^(٤) في كل حال .

(١) الطبرى : ٦٢/١ ، وانظر الدر المنثور : ١٣/١ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ٢٢/١ .

(٣) الصحاح : ١٣٠/١ باب (ريب) .

(٤) وقد تقدم الكلام في اسم الله الأعظم في ص : ٦٤

ومتى أدخلت الألف واللام على ((رب)) اختص الله تعالى به ، لأنها للمعبود
وان حذفناها منه فانها بحسب ما يضاف اليها ، فيقال : الله رب العباد ، وزيـد
رب الدار ، فالله سبحانه رب الأرباب يملك المالک والملوك ، وهو خالق ذلك ورازقه
، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق ، وكل ملوك فمُلك بعد ان لم يكن ، ومنتزع ذلك
من يده ، وانما يملك شيئاً دون شئ* - وصفة الله تعالى مخالفة لهذه المعاني (١) .

* واسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شئ* وخالقه والقادر عليه
لا يخرج شئ* عن ربوبيته ، وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره
فاجتمعوا بصفة الربوبية واختلفوا بصفة الالهية ، فألهم وحده السعداء* . (٢)

فالرب هو الربى جميع العالمين ، وهم من سوى الله بخلقه اياهم واعداده لهم
الآلات ، وانعامه عليهم بالنعمة العظيمة التي لو فقدوها لم يكن لهم البقاء* فما بهم من
نعمة فمنه تعالى .

وتربيته تعالى لخلقه نوعان : عامة ، وخاصة .

فالعامة : هي خلقه للمخلوقين ، ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها
بقاؤهم في الدنيا .

والخاصة : هي تربيته لأوليائه فيرببهم بالايان ، ويوفقهم له ويكملهم ، ويدفع عنهم

الصوارف ، والعوائق الحائلة بينهم وبينه .

وحقيقتها : تربية التوفيق لكل خير ، والعصمة من كل شر .

ولعل هذا المعنى هو السرفى كون أكثر أدعية الأنبياء* بلفظ الرب فان مطالبهم كلها

داخلة تحت ربوبيته الخاصة* . (٣)

كما قال لوط عليه السلام :

قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

* العنكبوت . ٢ .

(١) تفسير القرطبي : ١٣٨/١

(٢) مدارج السالكين : ٤٣/١

(٣) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٣٤/١

والله سبحانه فاطر الخلق على الاعتراف بربوبيته ، كما قال سبحانه :
 فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ
 الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه
 أو ينصرانه أو يمجسانه) . (١)

فأمر الله بالاستمرار على الدين الذي شرعه من الحنيفية طمة ابراهيم التي فيها
 الهداية وغاية الكمال ، وهي في الحقيقة ملازمة للفطرة السليمة التي فطر الله
 الخلق عليها ، فانه سبحانه فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا اله غيره . (٢)

و((الرب)) هو العربي الخالق الرازق الناصر الهادي ، وهذا الاسم أحق باسم
 الاستعانة والسألة ، ولهذا يقال : (رب اغفر لي ولوالدي) ، (ربنا ظلمنا أنفسنا
 وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ، (رب ظلمت نفسي فاغفر لي) . (٣)
 وهو يتضمن خلق العبد ومبتداه ، وهو أنه يربه ويتولاه . (٤)

(١) الحديث أخرجه البخاري ٩٧/٢ ج ١٠٤ ، وما قبل من أول الخبر
 (٢) انظر ابن كثير : ٦٨٨/٣ ، ونقد الكلام عند توحيد الربوبية ص :
 (٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ١٣/١٤

العليم

من أسماء الله عز وجل الدالة على ربوبيته ((العليم))

ومعنى (عليم) أى عالم ، وروى عن ابن عباس أنه كان يقول : " هو الذى قد كمل فى علمه " (١) الذى لم يخف عليه شيء ما خلق وما لم يخلق علم نفسه وغيره من معدوم وموجود على العموم والشمول . (٢)

وقد ورد هذا الاسم فى السورة فى ثلاثة مواضع هى : قوله سبحانه مَنْ كَانَ يَرْجُوا

لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾
" العنكبوت ٥ "

وقوله سبحانه :

وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ

رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾

" العنكبوت ٦ "

وقوله سبحانه :

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿٦٢﴾

" العنكبوت ٦٢ "

وكما تقدم (٣) أن أسماء الله تدل على صفاته جل وعلا ، فاسم العليم يدل على صفة العلم لله جل وعلا ، وإذا تدبر القارىء السورة وجدها تدل على علمه سبحانه بما فيها من أخبار الماضين وحال المؤمنين ونعيمهم - وبؤس الكافرين وشقايتهم ، ما يطول ذكره ما فصله فى مواضعه .

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١ / ١٩٥

(٢) عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى : ١٣ / ٣٦

(٣) تقدم فى ص : ٢٢

وقد وردت هذه الصفة لربنا جل وعلا في سبع مواضع في السورة .

الأولى : قوله سبحانه :

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾

* العنكبوت ٣ *

الثانية : قوله سبحانه :

وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ



* العنكبوت ١١ *

فهاتان الآيتان قد يتوهم أنهما تنفيان علم الله تعالى الله عن ذلك ، فإذا عرف

معناها وبيان سلف الأمة لهما زال الاشكال باذن الله عز وجل .

* فالله عز وجل عالم بذلك منهم قبل الاختبار ، وفي حال الاختبار وبعد الاختبار ،

ولكن معنى ذلك : وليظهرن الله الصادق منهم في قوله أمنا بالله من كذب الكاذب

منهم بابتلائه آياه بعدوه . ليعلم صدقه من كذبه ، أولياؤه * (١)

قال البخارى : " فليعلمن الله علم الله ذلك انما هي بمنزلة فليميزن الله كقولـه

ليميز الله الخبيث * . (٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : " والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم

يكن لو كان كيف يكون ، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة * .

* وبهذا يقول ابن عباس ، وغيره في مثل قوله : ((الا لنعلم)) الا لئرى (٣) ، وذلك

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٢٩ / ٢٠ ، والضمير في أولياؤه يرجع الى الله

عز وجل ، أولففتون فبيعتدون عنه اذا كان كاذبا ويعينونه اذا كان صادقا ، والأول

أرجح ، انظر الطبرى : ١٣ / ٢ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، تفسير سورة العنكبوت : ١٩ / ٦ .

(٣) وضعف ابن جرير ذلك وقال أن العرب لم تقل به ، ولم يوجد في كلامهما علمت

بمعنى رأيت وانما الموجود العكس ، تفسير الطبرى : ١٤ / ٢ .

ولذلك لم أقف على قول ابن عباس هذا الذى حكاه ابن كثير ، وحكاه القرطبي

في تفسيره عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وكذلك ابن الجوزى =

لأن الرواية إنما تتعلق بالموجود والعلم أعم من الرواية ، فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود^(١) .

وفى قوله ((فليعلم)) قرأتان ، الأولى : بفتح الياء واللام أى ليظهرن الله

الصادق من الكاذب فى قولهم ، ويميز بينهم .

الثانية : ضم الياء وكسر اللام ((ليعلم)) والمعنى أى يعلم الطائفتين نفسى

الآخرة بمنازلتهم ، أو يعلم الناس بصدق من صدق ويفضح الكاذبين بكذبهم ، أو

ينزع لكل طائفة علامة تشتهر بها ، وتتميز عن غيرها .^(٢)

وقيل فى معنى ((لنعلم)) أى العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب ، فإنه

لا يتعلق بما هو عالم به فى الغيب ، إنما يتعلق بما يوجد ، معناه لنعلم العلم

الذى يستحق العامل عليه الثواب والعقاب .^(٣)

قال الشنقيطى^(٤) عند تفسير قوله تعالى وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا

جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ

مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ

هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَادَهُ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ

” البقرة ١٤٣ ”

لِرءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)

قال : ” ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار

== فى زاد المسير : ١٥٥/١ ، القرطبي : ١٥٦/٢ .

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٤٤/٣

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣٢٦/١٣ ، وفتح القدير : ١٩٢/٤ ، والقراء

الثانية لعلى بن أبى طالب وجعفر بن محمد ، زاد المسير : ٢٥٥/٦ ، وانظر

الدر المنثور : ١٤١/٥ .

(٣) تفسير البغوى معالم التنزيل : ١٢٣/١ ، وانظر أضواء البيان : ٨٨/١

(٤) هو : العالم المعروف محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكنسى

الشنقيطى ، ولد سنة ١٣٢٥ هـ فى موريتانيا ، وتعلم فيها ، وقدم للحج

عام ١٣٦٧ هـ ، وأقام بالمدينة ، ودرّس فى المسجد النبوى ، ثم فى الرياى

عام ١٣٧١ هـ ، ورجع الى المدينة عام ١٣٨١ هـ ، ودرّس فى الجامعة الاسلامية =

عما لم يكن يعلمه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون ، وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار عما لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا :-

قُلْ لَوْ كُنْتُمْ
فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ * آل عمران ١٥٤ *

فقوله : واللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ بعد قوله : لِيَبْتَلِيَ دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئا لم يكن عالما به سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، لأن العليم بذات الصدور غنى عن الاختبار ، وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخلقه . (١)

والآية الثالثة في اثبات صفة علم الله هي قوله سبحانه : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

* العنكبوت ٨ *

فقوله سبحانه ((أنبئكم)) أي أخبركم ، والخبر لا يكون إلا عن علم ، فاذا علم حالكم فكما أخبر سبحانه فيجازيكم بما تستحقون * . (٢)

كما أن فيها اثبات علم الله بما هو كائن حيث أخبر أننا راجعون إليه سبحانه .

== إلى أن توفي بمكة عام ١٣٩٣ هـ ، له مؤلفات عدة منها : أضواء البيان ، ومنهج دراسات آيات الأسماء والصفات ، ومنع جواز المجاز ، (رحلة خروجه من بلاده إلى المدينة ، وغيره . انظر مشاهير علماء نجد ص : ٥١٧ ، الأعلام للزركلي : ٤٥ / ٦ .

(١) أضواء البيان : ٨٧ / ١ .

(٢) انظر جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٣١ / ٢٠ .

الآية الرابعة قوله سبحانه :
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾
العنكبوت ١٠

وهذا تأكيد لعلمه سبحانه ورد على المنافقين الذين يظنون أنهم يخدعونك إذ كيف
يخادع من كان لا يخفى عليه خافية ، ولا يستر عنه سر ولا علانية (١) ، فهو أعلم
بما في صدورهم منهم بأنفسهم ، حيث أخبر بهذا الفريق الذي حاله كما وصف
لكم فتعرفون بذلك كمال علمه وسعة حكمته . (٢)

الآية الخامسة هي قوله سبحانه :
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾

العنكبوت ٤٢

فهو سبحانه يعلم ما هم عليه من الأعمال ويعلم ما يشركون به من الأنداد وسيجزئهم
وصفهم انه حكيم عليم .

الآية السادسة قوله سبحانه :

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

العنكبوت ٤٥

الآية السابعة قوله سبحانه :
قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

العنكبوت ٥٢

(١) انظر جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٣٢/٢٠

(٢) انظر تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام العنان : ٧١/٦

والآية وردت في سياق مجادلة الرسول للمشركين فكأنه يقول لهم : "فإن وقع في قلوبكم أن شهادته وأنتم لم تسمعوه ولم تروه لا تكفسي دليلا فانه يعلم ما في السموات والأرض ومن جملة معلوماته حالي وحالك ومقالي لكم فلو كنت متقولا عليه مع علمه بذلك وقدرته على عقوبتي لكان قد حاد في علمه وقدرته وحكمته". (١)

فهذه الآيات وغيرها في القرآن كثيرة دالة على اثبات صفة العلم لله عز وجل . وقد دلت سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم على اثبات هذه الصفة ما لا يسدع مجالاً للشك فمن ذلك ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله : لا يعلم ما تفيض الأرحام الا الله ، ولا يعلم ما في غد الا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ، ولا تدري نفس بأى أرض تموت الا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله) . (٢)

وأهل السنة والجماعة متفقون على اثبات العلم لله عز وجل .

قال ابن القيم :^(٣) " قالوا عليم وهو ذو علم يعلم غاية الاسرار والاعلان " .

وقال الدارمي رحمه الله :^(٤) " واعلموا أن الله عز وجل لم يزل عالما بالخلق

-
- (١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ١٠٠/٦ .
(٢) صحيح البخارى : ١٦٥/٨ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا)) ، واللفظ له ، وفي لفظ آخر في كتاب التفسير باب ((وعنده مفاتيح الغيب)) : ١٩٣/٥ ، ٢١٩ ، سند الامام أحمد : ٢٤/٢ - ٥٢ - ٥٨ - ٨٥ ، وكلها عن ابن عمر ، وفي صحيح مسلم جزء من حديث جبريل المشهور : ٣٩/١ - ٤٠ - كتاب الايمان .
(٣) تقدمت ترجمته في ص : ٥٥ والبيت من نونيته .
(٤) ٥ : عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد ، الحافظ الناقد ، ولد قبل المتين بيسير ، سمع أبا اليان ، ويحيى الوحاظي ، وسعيد بن أبي مريم ، ونعيم بن حماد ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين وغيرهم ، وحدث عنه : أبو عمرو الحيرى ، ومحمد بن ابراهيم الصرام ، وموطل بن الحسين ، ومحمد ابن يوسف الهروى وغيرهم ، ت سنة ٢٨٠ هـ . الجرح والتعديل : ١٥٣/٦ ، البداية والنهاية : ٦٩/١١ ، سير أعلام النبلاء : ٣١٩/١٣ .

وأعمالهم قبل أن يخلقهم ولا يزال بهم عالما لم يزد في علمه بكيئونة الخلق خرد لسة واحدة ، ولا أقل منها ولا أكثر ، ولكن خلق الخلق على ما كان في نفسه قبس أن يخلقهم ومن عنده بدأ العلم ^(١) ، وساق على ذلك الأدلة والآيات الكثيرة والأحاديث ، وقصده رحمه الله الرد على القدرية الذين ينكرون علم الله حيث حذر منهم فقال : فاحذروا هؤلاء القوم على أنفسكم وأهلكم وأولادكم أن يفتنوكم أو يكفروا صدوركم بالمغاليط والأضاليل التي تشته على جهالكم . . . الخ ^(٢) .

وقال ابن القيم في معرض إيراد الحجج على أهل التأويل قال : ومن ذلك احتجاجة سبحانه على اثبات علمه بالجزئيات كلها بأحسن دليل وأوضحه وأصحها حيث يقول : **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ وَأَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** (١٣) الملك ١٣

ثم قرر علمه بذلك بقوله : **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** (١٤) الملك ١٤ وهذا من أبلغ التقرير فإن الخالق لا بد أن يعلم مخلوقه والصانع يعلم مصنوعه ، وإذا كنتم مقربين بأنه خالقكم وخالق صدوركم ، وما تضمنته فكيف تخفى عليه وهي خلقه وهذا التقرير ما يصعب على القدرية فهمه فإنه لم يخلق عندهم ما في الصدور فلم يكن في الآية على أصولهم دليل على علمه بهذا ، ولهذا طرد غلاة القوم ذلك ونفوا علمه فأكفرهم السلف قاطبة ^(٣) ، وخصموهم بالعلم كما قال عمر بن عبد العزيز : " من أقر بالعلم فقد خصم " ^(٤) .

قال الدارسي ^(٥) : " فيقال لمن رد ما ذكرنا من كتاب الله وهذه الأخبار ولم يقر للمعلم سابق ، أرأيت الله يعلم أن الساعة آتية ، فان قال لا ، فقد فارق قوله وكفر بمسا

(١) الرد على الجهمية للدارسي : ص ٦٩

(٢) الرد على الجهمية : ص ٧١

(٣) الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله : ٤٩١/٢

(٤) الرد على الجهمية : ص ٧٥

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٠٧٩

أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم وكذب بالبعث ، وأخبرك أنه نفسه لا يؤمن بقيام الساعة ، وإن قال يعلم الله أن الساعة آتية ، فقد أقربك العلم شاء أو أبى .^(١)

والإيمان بهذه الصفة يجعل المؤمن حذرا فلا يعمل إلا ما يرضى ربه ولا يمكن في صدره إلا الإخلاص لربه ، ويكون ظاهره مثل باطنه لا يمانه بأن الله عالما بهما جميعا ، فهو يعلم ما توسوس به الأنفس وأخفى ، وأنه محاسبه على كل ما يعمل ، قال

تعالى :

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

"العنكبوت ٨"

ودلالة العلم على الربوبية أن الله عز وجل ربنا بالنعم التي فيها مصالحنا الدينية والدنيوية ، سواء في ذلك التربية العامة أو الخاصة ، وهذا لا يكون إلا عن علمه سبحانه فعلمه المحيط بكل شيء ، والذي سبق تربيته لنا يوجب ربوبيته وحده لا شريك له في الخلق والرزق والاحياء والاماتة ، وغيرها .

(١) الرد على الجهمية : ٨٢

القدر

من أسماء الله عز وجل الدالة على ربوبيته ((القدير))

وقد ورد مرة واحدة في السورة وهي قوله سبحانه : **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾** قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ العنكبوت ٢٠ .

ومعنى قدیر : قادر (١) ، ولكنه أبلغ في الوصف منه (٢) ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، "والقدير هو الفاعل لما يشاء" على قدر ما تقتضى الحكمة لا زائدا عليه ولا ناقصا عنه ، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى (٣) .

فالقادر : هو من القدرة على الشيء ، يقال : قدر يقدر قدرة فهو قادر ، وقدير ،

كقوله تعالى :

**وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾**

"الأحزاب ٢٧"

(ومنه) المقدر ، وهو تام القدرة الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يحتجز عنه بمنعة وقوة ، ووزنه مفتعل من القدرة إلا أن الاقتدار أبلغ وأعم لأنه يقتضى الإطلاق . قال تعالى :

فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾

"القر ٥٥"

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٦٠/١

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٢٢٤/١

(٣) المفردات في غريب القرآن : ٣٩٤

(٤) انظر شأن الدعاء للخطابي : ٨٥

القدرة

والله سبحانه وصف نفسه بالقدرة " وهى صفة ذاتية قائمة بذاته ^(١) جل وعلا .

فهو قادر على كل شىء لا يعترضه عجز ولا فتور ، ولا يفوته مطلوب .

قال الراغب ^(٢) : " القدرة اذا وصف بها الانسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل

شىء ما ، واذا وصف الله تعالى بها فهى نفى العجز عنه ، ومحال أن يوصف غير الله

بالقدرة المطلقة معنى ، وان أطلق عليه لفظا بل حقه أن يقال قادر على كذا ومتى

قيل هو قادر فعلى سبيل معنى التقييد ، ولهذا لا أحد غير الله يوصف بالقدرة

من وجه الا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه ، والله تعالى هو الذى ينتفى عنه

العجز من كل وجه ^(٣) ، والقرآن كله دال على قدرة الله جل وعلا ، وما ورد فى سورة

العنكبوت من ذلك قوله سبحانه :

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

* العنكبوت ٤ *

فهذا نفى لعجزه سبحانه ممن يتوهم ذلك فيكفر به ويظن أنه يعجز الله وهو من أنعم

مخلوقاته .

(١) انظر الاعتقاد للبيهقى : ١٨٠ .

(٢) هو أبو القاسم حسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصبهاني ، من

أذكياء التكمين ، له مؤلفات كثيرة منها : الذريعة الى مكارم الشريعة ، والمفردات

، وتفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء

والبلغاء ، اختلف فى وفاته ، فقيل نيف وخمسة ، وقيل ٥٠٢ ، وقيل ٤٠٢ ،

وقيل ٤٥٢ هـ . انظر سير أعلام النبلاء : ١٢٠/١٨ ، كشف الظنون : ٣٦/١

، الأعلام : ٢٥٥/٢ .

(٣) المفردات فى غريب القرآن : ٤٩٤ - كتاب القاف -

"فهذا حكم جائز لتضمنه انكار قدرة الله وحكمته" . (١)

ومن ذلك قوله سبحانه :

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ

وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

* العنكبوت ٢٢ *

فالله سبحانه لا يعجزه أحد من أهل سمواته وأرضه بل هو القاهر فوق عباده

، فكل شيء خائف منه فقير اليه وهو الغني عما سواه" . (٢)

كما أن من الآيات الدالة على قدرته سبحانه ما قصه الله علينا من قصص الأولين

وانجاء المؤمنين واهلاكه المعاندين ، فمثلا قوله سبحانه عن ابراهيم :

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ

فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

* العنكبوت ٢٤ *

فانجاءه من النار ((فيها آيات بينات)) أى دلالات واضحة وعلامات ظاهرة

على عظيم قدرة الله وبديع صنعه ، حيث أمرموا تلك النار العظيمة وألقوه فيها ولم

تحرقه ولا أثمرت فيه "ففى ذلك دلالات متعددة على قدرته تعالى : منها تحويل

النار الى برد وسلام ، ومنها عجز المشركين أن يلحقوا بابراهيم ضررا حينما حماه الله

سبحانه ومنها اصرارهم على الكرمع وجود تلك المعجزات ، لذلك خص الله المؤمنين

بالانتفاع بتلك الآيات" . (٣)

كذلك من الأدلة على قدرته سبحانه وتعالى فى السورة نجاه لوط وهلاك قومه

(١) فتح القدير : ١٩٢/٤

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١٥١/٣

(٣) انظر التفسير الوسيط : ٣٠/١١

قال تعالى :

قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٢﴾

* العنكبوت ٣٢ *

ومما دلت على عز وجل به على قدرته سبحانه بيان ضعف مخلوقاته التي تعبد من

دونها ، وأنه لا حيل لها ولا قوة بدونها كما قال :
مَثَلُ الَّذِينَ

أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
أَتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنْ أَوهنَ البُيُوتِ لَبِثتُ الْعَنْكَبُوتِ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

* العنكبوت ٤١ *

فكل ما يعبد من دون الله لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فكيف يملك ذلك لغيره .

والإيمان بقدرته الله عز وجل هو أصل الإيمان بربوبية الله تعالى العامة التامة ،

فانه لا يؤمن بأنه رب كل شيء إلا من آمن أنه قادر على تلك الأشياء . (١)

ولذلك فان مخلوقاته دالة على ربوبيته ، كما أنها دالة على قدرته سبحانه

، قال تعالى :
خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

* العنكبوت *

ففي خلقها دلالة عظيمة على قدرته سبحانه ، كما دلت سبحانه على قدرته بالاعادة

والحشر بعد الخلق لمن نظر وتأمل في مخلوقاته ، قال تعالى : قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النُّشَاءَ الْآخِرَةَ

* العنكبوت ٢٠ *

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ١٤٣ .

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على إثبات قدرة الله عز وجل : لاشك فيه أولاً -
وهي كثيرة جداً ، منها حديث الاستخارة ^(١) ، وماورد عن عثمان بن أبي العاص رضي
الله عنه ، أنه شك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده من -
أسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ضع يدك على الذي تألم من جسديك
وقل : بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) ^(٢) .
وغيرهما كثير .

(١) وفيه إثبات صفة العلم ، والقدرة ، وأشارت إليه لشهرته ، ولمن أراد الوقوف
عليه فليرجع إلى صحيح البخاري : ٥١/٢ ، التهجود باب ماجاء في التطوع
مثنى مثنى : ٢٥ ، وفي الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة : ١٦٢/٧ ،
وفي التوحيد باب قوله تعالى (قل هو القادر) : ١٦٨/٨ ، وسنن
الترمذي أبواب الوتر ، باب صلاة الاستخارة ، وسنن ابن ماجة : ٤٤٠/١ ،
إقامة الصلاة ، صلاة الاستخارة : ١٨٨ ، حديث (١٣٨٣) ، وسنن
أحمد : ٣٤٤/٣ .

(٢) صحيح مسلم : ١٧٢٨/٤ ، كتاب السلام ، باب استحباب وضع يده طمس
موضع الألم مع الدعاء : ٢٤ حديث : ٢٢٠٢ ، واللفظ له .

وانظر سنن أبي داود : ٢١٧/٤ ، كتاب الطب باب كيف الرقى : ١٩ ،
ح : ٣٨٩١ .

وسنن الترمذي : ٤٠٨/٤ ، كتاب الطب باب ٢٩ ، وقال : حديث
حسن صحيح .

وسنن ابن ماجة : ١١٦٤/٢ ، كتاب الطب ، باب : ٣٦ .

وموطأ الامام مالك : ٩٤٣/٢ ، كتاب العين ، باب (٤) .

وسنن الامام أحمد : ٢١٧/٤ ، كل هذه بألفاظ متقاربة ، غالبها عن
عثمان بن أبي العاصي الا واحد ، فعن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك
" الترمذي ، الدعوات : ٥٧٤/٥ ، ح : ١٢٦٠ .

وفي السنن الرواية الثانية عن كعب بن مالك عن أبيه : ٣٩٠/٦ .

قال ابن تيمية : " واتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شئ قدير ، كما نطق بذلك القرآن في مواضع كثيرة جدا " . (١)

وما تقدم من النصوص رد على نفاة القدرة من " المعتزلة " (٢) والامامية (٣) والجهسية (٤)

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ٧/٨ .

(٢) المعتزلة ورأسهم ، عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء الغزال ، سموا بذلك لما احتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصرى رحمه الله سنة ١١٠ ، وكانوا يجلسون معتزلين ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية ، لهم أصول خمسة هي : العدل - والتوحيد - وانفاذ الوعيد - والمنزلة بين المنزلتين - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لبسوا فيها الحق بالباطل .

انظر شرح الطحاوية ص ٥٨٨ ، والملل والنحل للشهرستاني : ٤٣/١ .

(٣) الامامية : هم القائلون بامامة على رضى الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصابه من بعده ، وتخطت ذلك الى الوقعة في كبار الصحابة ، واختلفوا في تعيين الأئمة بعد الحسن والحسين ، وهم فرق متعددة منها : القطيعية ، والكيسانية ، والكرامية .

الملل والنحل للشهرستاني : ١٦٢/١ ، مقالات الاسلاميين : ٨٨/١ .

(٤) هم أصحاب الجهم بن صفوان ، وهم من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمز ، وقتله سلم بن أحوز في آخر ملك بني أمية ، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية ، وزاد عليهم بأشياء ،

الملل والنحل : ٨٦/١ .

أخذ مذهبه من الجعد بن درهم ، جلس أربعين يوما لا يعلو شاكافى ربه ، ويقول بفساد الجنة والنار ، والايان هو المعرفة ، والكفر هو الجهل .

شرح الطحاوية ص : ٥٩١ .

والكلابية^(١) ، الذين قالوا : أنه قادر على كل المقدرات ، يريدون بذلك أنه قادر على كل ما هو مقدوره ، وأما نفس أفعال العباد من الملائكة والجن والانس ، فإن الله لا يقدر عليهما عند القدرة ، وإنما تنازعا هل يقدر على مثلها^(٢) .

وقد رد سلف الأمة على هؤلاء^٣ وبينوا سوء مذهبهم في كتبهم ، من ذلك " خلق أفعال العباد للبخارى " ، وابن تيمية في مؤلفاته ، وكذلك ابن القيم وغيرهم .

والله عز وجل جعل للعبد قدرة خاصة به فإذا قدر على شيء فإنه لا يفعله إلا إذا كان ما يرضى الله عز وجل ، وإلا فإن الذي قدره على فعل ذلك أقدر منه سبحانه وتعالى مصداق ذلك ماورد عن أبي سعود البدرى قال : (كنت أضرب غلاما لى ، فسمعت من خلفى صوتا " اعلم أبا سعود : لله أقدر عليك منك عليه فالتفت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله : هو حـ لوجه الله ، فقال : أما لولم تفعل للفحتك النار أولستك النار)^(٣) .

-
- (١) الكلابية هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب القطان البصرى أحد المتكلمين أيام المأمون ، ت ٢٤٠ هـ ، الفهرست لابن النديم : ٢٥٥ ، لسان الميزان : ٢٩٠/٣ ، الفصل لابن حزم : ١٢٣/٢ ، ٢٠٨/٤ .
- (٢) منهاج السنة النبوية : ٢٩١/٢ ، وانظر جامع الرسائل المجموعة الثانية : ٢٩
- (٣) صحيح مسلم : ١٢٨١/٣ ، كتاب الأيمان ، باب صحبة السالميك (٨) واللفظ له . مسند أحمد : ١٢٠/٤ ، سنن أبي داود : ٣٦١/٥ ، كتاب الأدب باب فى حق المطوك ، سنن الترمذى : ٣٣٥/٤ ، كتاب البر والملسة ، باب النهى عن ضرب الخدم .

المشيئة

وقد أثبت الله عز وجل لنفسه المشيئة في القرآن الكريم ، فقد قال سبحانه في هذه

السورة :

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾

"العنكبوت ٢١"

وقال سبحانه :

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾

"الانسان ٣٠"

فأخبر أنا لا نشاء شيئا الا أن يكون الله قد شاء . (١)

وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان

ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان) . (٢)

وقال الشافعي رضى الله عنه : المشيئة ارادة الله عز وجل ، قال الله عز وجل :

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾

"الانسان ٣٠"

فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه وأن مشيئتهم لا تكون الا أن يشاء . (٣)

(١) الاعتقاد : ٦٨

(٢) الحديث أورده البخارى ترجمة في الباب الثامن من كتاب الايمان : ٢٢٣/٧ .
وفى مسند الامام أحمد : ٣٨٤/٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، كلها عن حذيفة رضى الله عنه
وفى سنن أبي داود : ٢٥٩/٥ ، كتاب الأدب باب ٨٤ حديث : ٤٩٨٠
وفى سنن ابن ماجه : ٦٨٤/٢ كتاب الكفارات باب النهي أن يقال ماشاء الله
وشئت ، ١٣ ، حديث : ٢١١٧ .

وفى سنن الدارمي : ٢٠٥/٢ كتاب الاستغذان : باب ٦٣ ، حديث : ٢٧٠٢ .

(٣) الاعتقاد : ٦٩

* وهو سبحانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، فما شاءه وجب كونه ، وهو يجب

بشيئة الرب وقدرته ، ومالم يشأ امتنع كونه مع قدرته عليه كما قال تعالى :

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ

مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٣﴾ السجدة ١٢٣ *

فكون الشئ واجب الوقوع لكونه قد سبق به القضاء وعلم أنه لا بد من كونه لا يمتنع

أن يكون واقعا بشيئته وقدرته وإرادته ، وان كانت من لوازم ذاته كحياته وعلمه ، فسان

إرادته للمستقبلات هي مسبوقه بإرادته للماضي :

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾

* يس ٨٢ *

وهو انما أراد هذا الثانى بعد أن أراد قبله ما يقتضى إرادته فكان حصول الإرادة

اللاحقة بالإرادة السابقة . (١)

وذكر ابن القيم أن المشيئة هي المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر ، وقال :

وهذه المرتبة دل عليها اجماع الرسل من أولهم الى آخرهم وجميع الكتب المنزلة

من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان ، وليس فى

الوجود موجب ومقتضى الاشيئة الله وحده فما شاء كان ، ومالم يشأ لم يكن

، هذا عموم التوحيد الذى لا يقوم الا به ، والمسلمون من أولهم الى آخرهم

مجمعون على أنه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وخالفهم فى ذلك من ليس منهم

فى هذا الموضوع ، وان كان منهم فى موضع آخر فجوزوا أن يكون فى الوجود مالا يشاء الله

وان يشاء مالا يكون ، وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفى شيئة الله بالكلية ولم يثبت

له سبحانه شيئة واختيارا أو جد بها الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل

من الفلاسفة وأتباعهم والقرآن والسنة ملوآن بتكذيب الطائفتين (٢) ، ثم ساق آيات

كثيرة من القرآن تدل على ذلك .

(١) جامع الرسائل والمسائل لابن تيمية ، المجموعة الثانية : ٣٨ .

(٢) شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : ٤٣ .

السميع

من أسماء الله ((السميع))

وهذا الاسم من أسماء سبحانه وتعالى ، وهو يدل على كماله جل وعلا ، لأن السميع

لا بد له من سمع

مَنْ كَانَ يَرْجُوا

صفة السمع : قال تعالى

لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥٥﴾

العنكبوت ٥

والسميع بمعنى السامع الا أنه أبلغ في الصفة وبناءً فعيل بناءً المبالغة كقولهم عليم من عالم وقدير من قادر ، وهو الذى يسمع السر والنجوى سواءً عنده الجهر ، والخفوت والنطق والسكوت ، وقد يكون السماع بمعنى القبول والاجابة ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم انى أعوذ بك من قول لا يسمع)^(١) ، أى من دعا لا يستجاب ، ومن هذا قول المصطفى : (سمع الله لمن حمده) ، معناه : قبل الله حمداً من حمده .^(٢)

وقد ورد هذا الاسم في السورة مرتين ، هما الآيتين المتقدمتين

(١) أخرجه الترمذى في سننه : ٥١٩/٥ ، وهو بتمامه : (اللهم انى أعوذ بك من قلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع ، أعوذ بك من هو لا الأربع) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . كتاب الدعوات ، باب : ٦٩ ، والنسائى في سننه : ٢٥٥/٨ بلفظ آخر في كتاب الاستعاذة ، وكذلك ابن ماجة في سننه : ٩٢/١ ، مقدمة بـباب الانتفاع بالعلم والعمل ، انظر تخريج احياء علوم الدين : ٨٠٠/٢ ، ٨٠٥ ، حديث رقم ١٠٢٥ - ١٠٢٤ .

(٢) شأن الدعاء : ٥٩ .

وقوله سبحانه :

وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ

رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

* العنكبوت ٦٠ *

(١) فالسميع من له سمع يدرك به السموعات ، والسمع صفة قائمة بذاته .

ففي هاتين الآيتين قرن الله عز وجل السمع بالعلم ، وقد نقد الكلام على صفة العلم ، وأما السمع فهو ثابت في الكتاب والسنة واجماع سلف الأمة ، فمن ذلك ما تقدم من الآيات ، وقوله سبحانه :

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ

وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾

* المجادلة ١ *

(٢) "وأخبر أنه يسمع تحاورهما حين كانت تجادل وتشتكى الى الله ." (٣)

وقد ثبت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (اذا قال الامام : سمع

الله لمن حمده ، فقولوا : ربنا ولك الحمد يسمع الله لكم) . (٣)

"فجعل سمعه لنا جزاً وجواباً للحمد فيكون ذلك بعد الحمد ، والسمع يتضمن مع

سمع القول قبوله واجابته" (٤) والعقل الصريح يدل على ذلك فان المعسودوم

(١) الاعتقاد للبيهقي : ١٦

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية : ١٦/٢

(٣) الحديث أخرجه مسلم : ٣٠٣/١ ، كتاب الصلاة باب التشهد ، وهو جزء من

حديث طويل فيه صفة الصلاة عن أبي موسى الأشعري ، والنسائي ، كتاب الامامة

، باب قوله ربنا ولك الحمد (١٩٦/٢ ، ١٩٧) ، وكتاب التطبيق

باب نوع آخر من التشهد : ٢٤١/٢

(٤) جامع الرسائل : ١٦/٢ ، المجموعة الثانية ١٦ لابن تيمية .

لا يرى ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء فاذا خلق العباد وعملوا وقالوا فاما أنه يرى أعمالهم ويسمع أقوالهم ، واما لا يرى ولا يسمع ، فان نفى ذلك تعطيل لهاتين الصفتين وتكذيب للقرآن ، وهما صفتا كمال لا نقى فيه ، فمن يسمع ويبصر أكمل من لا يسمع ولا يبصر .

وال مخلوق يتمف بأنه يسمع ويبصر فيمتنع اتصاف المخلوق بمصفات الكمال دون الخالق سبحانه وتعالى ، وقد عاب الله تعالى من يعبد من لا يسمع ولا يبصر في غير موضع ، ولأنه حى والحي اذا لم يتمف بالسمع والبصر اتصف بضد ذلك وهو العمى والصمم ، وذلك ممنوع .^(١)

وقد روى أبو موسى رضى الله عنه قال : كما مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكنا اذا علونا كبرنا ، فقال : أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أمم ولا غائباً - تدعون سميعاً بصيراً قريباً ، ثم أتى على وأنا أقول في نفسي : لا حول ولا قوة الا بالله ، فقال لى يا عبد الله بن قيس قل : لا حول ولا قوة الا بالله ، فانها كنز من كنوز الجنة ، أو قال ألا أدلك به .^(٢)

ومن ذلك حديث اطباق الأخشبيين حيث قال ملك الجبال : (ان الله قد سمع قول قومك له) الحديث .^(٣)

(١) جامع الرسائل لابن تيمية : ١٧/٢ .

(٢) صحيح البخارى : ١٦٧/٨ - ١٦٨ ، كتاب التوحيد ، باب : وكان الله سميعاً بصيراً : ٩ ، واللفظ له ، وكتاب السفازي : ٧٥/٥ باب ٣٧ ، غزوت ذات قرد ، والقدر : ٢١٣/٧ باب : ٧ ، لا حول ولا قوة الا بالله ، وصحيح مسلم : ٢٠٧٦/٤ ، كتاب الذكر باب : استحباب خفش الصوت بالذكر : ١٣ .

(٣) جزء من حديث ذكره البخارى في صحيحه كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة : ٨٣/٤ ، وسيأتى ذكره في : .

ومن أسائه تعالى السميع ومعناه الذى لا يعزب عن سمعه سموع وان خفى
فيسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء فأحاط سمعه
بجميع السموعات سرها ووطنها قريبها وبعيدها ، فلا تختلط عليه الأصوات على
اختلاف اللغات على تغنى الحاجات وكأنها لديه صوت واحد . (١)

والله عز وجل كما وصف نفسه أنه سميع فمن كان معبوده غير سميع فهو كافر بالله
السميع البصير ، ومن تدبر خطاب ابراهيم لأبيه وتوبيخه اياه لعبادته من لا يسمع
ولا يبصر ، علم أن الله عز وجل يسمع ويبصر ، قال الله عز وجل : ((لم تعبد
مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا)) أليس من المحال أن يعييه على عبادة
من لا يسمع ولا يبصر ثم يدعو الى عبادة من لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التى هى من
الموتان لا من الحيوان أيضا ، فكيف يكون ربنا الخالق البارى السميع البصير
كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة عز ربنا وجل عن أن يكون أن يكون غير سميع ولا بصير
، وقد اعلمنا أن من لا يسمع ولا يعقل فهو كالأنعام بل أضل سبيلا . (٢) ، فقال :

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

" الفرقان ٤٤ "

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : " الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات ، لقد
جاءت المجادلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا فى ناحية البيت ما أسمع ما
تقول ، فأنزل الله عز وجل :

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾

" المجادلة ١ "

(١) الكواشف الجلية عن معانى الواسطية : ١٥٢

(٢) انظر التوحيد وصفات الرب لابن خزيمة : ١٠٩/١ .

الى آخر الآية " . (١)

وعندما سئل ابن عمر عن بيع الخمر قال : " لا وسمع الله عز وجل لا يحل بيعها ولا ابتياعها " . (٢)

فحلف بسمع الله عز وجل .

وقد بوب البخارى فى صحيحه باب " وكان الله سميعا بصيرا " وساق حديث عائشة فى المجادلة ، وحديث أبى موسى (أرىخوا على أنفسكم) وغيرهما فقال ابن بطلال (٣) غرض البخارى فى هذا الباب الرد على من قال ان معنى ((سميع بصير)) عليم - قال : ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذى يعلم أن السماء خضراء ولا يرها ، والأصم الذى يعلم أن فى الناس أصواتا ولا يسمعها ، ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل فى صفة الكمال من انفرد بأحدهما دون الآخر فصح أن كونه سميعا بصيرا يفيد قدرا زائدا على كونه عليما ، وكونه سميعا بصيرا يتضمن أنه يسمع بسمع وببصر ببصر ، كما تضمن كونه عليما أنه يعلم بعلم ولا يفرق بين اثبات كونه سميعا بصيرا يتضمن أنه ذا سمع وبصر ، قال : وهذا قول أهل السنة قاطبة " . (٤)

(١) ذكره البخارى تعليقا ومختصرا : ١٦٧/٨ ، كتاب التوحيد ، باب وكان الله سميعا بصيرا ، مسند الامام أحمد : ٤٦/٦ ، واللفظ له .
سنن النسائى : ١٦٨/٦ ، كتاب الطلاق باب الظهار .
وسنن ابن ماجة : ٦٧/١ - المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية : ١٣ ، حديث رقم : ٨٨ .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقى ص ٢٣٢

(٣) هو : العلامة أبو الحسن : على بن خلف بن بطلال البكرى يعرف بابن اللجام ، أخذ عن أبى عمر الطلمنكى وابن عفيف وابن المطرف القنازى ويونس بن مغيث ، قال ابن بشكوال : كان من أهل العلم والمعرفة ، شرح صحيح البخارى ، وله كتاب (الاعتصام) ، وكتاب فى الزهد والرقائق ، ت فى صفر سنة ٤٤٩ هـ .

سير أعلام النبلاء : ٤٧/١٨ .

(٤) فتح البارى : ٣٧٣/١٣ .

ومن آمن بسمع الله عز وجل فانه لا يتكلم الا بما يرضى الله جل وعلا لأنه سامع له محاسبه على ما تلفظ به ، كما أن المؤمن يلج على الله في الدعاء ، اذا علم أنه يسمع فان من يسمع يجيب ، كما تقدم أن من معاني السمع الاجابة .

فاذا استشعر المؤمن ذلك فانه ما يكون سببا في سعادته في الدنيا والآخرة لأنه يراقب الله فيما يقول فاذا تخلى عن ذلك فانه يكون سبب هلاكه لأن اللسان منزلة الانسان ، كما قال صلى الله عليه وسلم لمعان: (شكلك أمك ، وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم الا حصائد السنتهم)^(١) الحديث .

وما دلل به سبحانه على ربوبيته في هذه السورة اثبات رحمته ، والرحمة مشتقة من الرحمن فمن أسماه جل وعلا الرحمن الرحيم ، وهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر ، والرحمن يختص بالله سبحانه وتعالى ولا يجوز اطلاقه في غيره ، وهو الذي رحم كافة خلقه بأن خلقهم وأوسع عليهم في رزقهم^(٢) و ((الرحمن)) يجمع كل معاني الرحمة من الرأفة والشفقة والحنان واللطاف والعطف^(٣) .

والله هو الرحمن أي ذو الرحمة الواسعة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم وعتت المؤمن والكافر والمالح والطالح^(٤) .

-
- (١) مسند الامام أحمد : ٢٣٦/٥ ، في مواضع أخر مطولا كما في : ٢٣٠/٥ ، ٢٣٧ ، سنن الترمذى : ١٢/٥ ، كتاب الايمان باب ماجاء في حرمة الصلاة : ٨ ، حديث ٢٦١٦ ، وقال حديث حسن صحيح ، سنن ابن ماجه : ١٣١٤/٢ ، كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة : ١٢ ، حديث : ٣٩٧٣ .
- (٢) شرح أسماء الله الحسنی للتزجاج ص : ٢٨ .
- (٣) كتاب التوحيد لابن منده : ٤٧/٢ ، وانظر جامع البيان عن تأويل القرآن : ٥٧/١ .
- (٤) شأن الدعاء للخطابي : ٣٨ ، وانظر زاد السير : ٩/١ .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل : (أنا الرحمن خلقت الرحم ، وشققت لها من اسمي فمن يصلها أصله ، ومن يقطعها أقطعها فأبته ، أو قال : من يبيتها أبته) .^(١)

قال ابن بطال^(٢) عند قوله تعالى :

وَلَا تُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ
اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

* الأعراف ٥٦ *

قال : الرحمة تنقسم الى صفة ذات وصفة فعل ، وهنا يحتمل أن تكون صفة ذات فيكون معناها ارادة اثابة الطائعين ، ويحتمل أن تكون صفة فعل فيكون معناها أن فضل الله بسون السحاب وانزال المطر قريب من المحسنين فكان ذلك رحمة لهم لكونه بقدرته و ارادته ، ونحو تسمية الجنة رحمة لكونها فعلا من أفعاله حادثا بقدرته^(٣) . أهـ

وقد أثبت الله لنفسه الرحمة في عدة آيات في هذه السورة ، فمنها ما صرح

فيه بلفظ الرحمة كقوله سبحانه :

وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ

مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ ﴿٥١﴾

وقوله سبحانه :

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

يَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتٍ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

* العنكبوت ٥١ *

(١) سند الامام أحمد : ١٩١/١ - ١٩٤ ، وعن أبي هريرة بلفظ قريب من هذا في السند : ٤٩٨/٢ ، سنن أبي داود : ٣٢٢/٢ هن ابن عوف كتاب الزكاة باب في صلة الرحم : ٤٥ حديث : ١٦٩٤ ، وسنن الترمذى : ٣١٥/٤ ، كتاب البر والصلة باب ما جاء في قطيعة الرحم : ٩ حديث : ١٩٠٧ ، وهو عن سليمان بن عيينة عن الزهري قال الترمذى حديث سفيان عن الزهري حديث صحيح وصححه الألبانى . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٣٦/٢ رقم ٥٢٠ ، صحيح الجامع : ١١٥/٤ رقم ٤١٩٠ .

(٢) تقدمت ترجمته في ص : ٩٥

(٣) فتح البارى : ٤٣٥/١٣ .

ومنها ما دل على نفي الرحمة عن من ابتعد عن دين الله وكفر بآياته ، كما قال

تعالى :-

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ

أُولَئِكَ يَسُؤُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

* العنكبوت ٢٣ *

ومنها ما دل على الرحمة ضمنا كقوله :

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

* العنكبوت ١٥ *

وهذا من رحمته بعباده المؤمنين .

وقوله سبحانه :

وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ

رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

* العنكبوت ٦٠ *

قال ابن القيم : * وأما الرحمة فهي التعلق والسبب الذي بين الله وبين عباده ، فالتأليه منهم له ، والربوبية منه لهم ، والرحمة سبب وأصل بينه وبين عباده ، بها أرسل اليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبها هداهم ، وبها أسكنهم دار ثوابهم ، وبها رزقهم وعافاهم ، وأنعم عليهم ، فبينهم وبينه سبب العبودية ، وبينه وبينهم سبب الرحمة * . (١) أهـ . وهذا من تمام ربوبيته جل وعلا .

والايمان برحمة الله عز وجل يديم التضرع والخضوع له والاشفاق من عذابه لأن الرحمة

والعذاب بيده سبحانه كما قال تعالى :

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ

مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾

* العنكبوت ٢١ *

(١) مدارج السالكين : ٤٤/١ .

والمؤمن حقيقة خائف من عذاب الله راجي لشوابه ورحمته محبا له سبحانه
، كما أن من آثار الايمان بها على المجتمع التراحم بينهم ما يبعث المحبة
والألفة وعدم الظلم والتكبر .

وهذه الآية جاءت في معرض دعوة ابراهيم لقومه يبين أن طلب الرزق من الله لا من أحد سواه ، فان الاتكال على غير الله في طلب الرزق أو دفع ضرر أو جلب نفع يعتبر شركا بالله جل وعلا ، لذلك قال : ((فابتغوا عند الله الرزق)) ، وهذا أبلغ في الحصر كقوله سبحانه :-

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
* الفاتحة هـ * (١)

ومن الآيات الدالة على رزقه قوله سبحانه : وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ

رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

* العنكبوت ٦٠ *

فالله عز وجل يثبت رزقه لعباده ، ويدلل عليه بما يشاهدون من مخلوقاته التي لا تملك ضرا ولا نفعا ، كيف الله مهى لها رزقها ، فأنتم من باب أولى فلا يكن طلب الرزق مانعا لكم من القيام بحق الله عز وجل ، وانتهاكم محارمه بطلب الرزق أو غيره .

وقد ذكر أن الغراب اذا فقس عن فراخه البيض خرجوا وهم بيض ، فاذا رآهم أبواهم كذلك نفرا عنهما أياما حتى يسود الريش ، فيظل الفرخ فاتحا فاه يتفقد أبويه ، فيقيض الله تعالى طيرا صفارا كالبرغش ، فيغشاه فيتقوت به تلك الأيام حتى يسود ريشه ، والأبوان يتفقدانه كل وقت ، فكما رأوه أبيض الريش نفرا عنه ، فاذا رأوه قد اسود ريشه عطا عليه بالحنانة والرزق ، ولهذا قال الشاعر :
(٢)

يارازق النعاب في عشيهِ وجابر العظم الكسير المهينِ (٣)

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٠/١

(٢) قيل ان صدر هذا البيت من دعا داود عليه السلام ، انظر المجموع المغيب في غريب القرآن والحديث : ٣١٧/٣ ، وانظر لسان العرب : ٧٦٤/١ ، باب نعب .

(٣) القصة أوردها ابن كثير في تفسير القرآن العظيم : ٦٦٩/٣ - ٦٧٠ .

الرازق والرزاق

من أسماء الله عز وجل ((الرازق والرزاق))

الرازق : هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيها من قوتها^(١).
ومنه الرازق الذي يرزق عباده ، قال تعالى :

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾

* هود ٦ *

فإنه وسع الخلق كلهم رزقه ، ورحمته ، فلم يخص بذلك مؤمنا دون كافر ، ولا ولي
دون عدو ، يسوقه الى الضعيف الذي لا حيل له ، ولا مكتسب فيه ، كما يسوقه الى
الجلد القوى ذي العزة السوي^(٢) .

والرزق فعل من أفعال الله سبحانه وتعالى ، فهو من صفات فعله لأن رازقا
يقتضى مرزوقا ، والله سبحانه وتعالى كان لا مرزوق ، وكل مالم يكن ثم كان فهو
محدث والله سبحانه موصوف بأنه الرزاق ، وصف نفسه بذلك قبل خلق الخلق
بمعنى سيرزق اذا خلق المرزوقين^(٣) .

وقد وردت آيات في السورة تثبت أن الرزق بيد الله جل وعلا ، قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَوثَانًا وَمَخْلُوقَاتٍ أَفْكَاتٍ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ
وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ يُرْسِلِ اللَّهُ إِلَيْهِ رِجَالَهُ بِالْحَقِّ لِيَقُضُوا
أَلْفَاظَهُمْ لِيَفْعَلُوا فِيهِمْ مَا يَشَاءُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

* العنكبوت ١٧ *

(١) الاعتقاد للبيهقي : ص ١٦

(٢) شأن الدعاء للخطابي : ٥٤

(٣) فتح الباري : ٣٦٠/١٣

فالرزق من عند الله عز وجل قدره عنده سبحانه فمن الناس من يكون رزقه رغدا
، ومنه من يكون ضيقا حكمة من الله ، قال تعالى :

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾
* العنكبوت ٦٢ *

فكل سيأتيه ما قدر له من الرزق ، فقد ثبت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم
أنه قال : (ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون عقة مثل ذلك
، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ، ويقال له
اكتب عمله ووزقه وأجله وشقى أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح فان الرجل منكم ليعمسل
حتى يكون بينه وبين الجنة الا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ، ويعمل
حتى ما يكون بينه وبين النار الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة) (١)

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة مكتوبة : (لا اله الا الله وحده
لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع
لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد) (٢)

(١) صحيح البخارى : ٧٨/٤ ، ١٠٣ ، كتاب بدء الخلق باب (٦) ، وكتاب
الأنبياء باب (١) ، و ١٨٨/٨ كتاب التوحيد باب (٢٨) .
صحيح مسلم : ٢٠٣٦/٤ و ٢٠٤٥ ، كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي
: ٢٦٤٣/١ ، وباب ٤ حديث ٢٦٥٥ ، أبى داود وابن ماجه والاسمام
أحمد .

(٢) صحيح البخارى : ٣٠٥/١ ، كتاب الأذان ، باب الذكر بعد الصلاة : ١٥٥ ،
ومواضع أخرى واللفظه ، صحيح مسلم : ٣٤٣/١ ، كتاب الصلاة باب اعتدال
أركان الصلاة وتخفيفها : ٣٨ ، وهو من الدعاء بعد الركوع وفي مواضع أخرى ،
وفي السنن ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، والدارمى ،
والموطأ .

الخالق

ومن أسماء الله الدالة على ربوبيته ((الخالق))

ومن أسماء الله عز وجل : الخالق * وهو المبدع للخلق والمخترم له على غير مثال سابق (١) ، قال سبحانه : يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِ تُوَفَّكُونَ ﴿٢﴾
فاطر ٣ *

وهو من الخلق وأصله التقدير ، المستقيم ، ويطلق على الابداع ، وهو ايجاد الشيء على غير مثال * . (٢)

قال سبحانه :

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٠﴾

* العنكبوت ٢٠ *

والخلق من أكبر الأدلة على ربوبية الله عز وجل ، لذلك اعترف به الكفار ، فقال

سبحانه وتعالى عنهم :

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فإني يُوَفَّكُونَ ﴿٦١﴾

* العنكبوت ٦١ *

وقال تعالى : خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنِّي فِي ذَلِكَ

لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

* العنكبوت ٤٤ *

(١) الاعتقاد للبيهقي : ١٥

(٢) فتح الباري : ٣٩١/١٣

وإذا نظر الانسان الى عجائب المخلوقات ازداد ايمانا وبقينا ، فالنظر الى بديع صنع الله في الاشياء والى اقرب شئ اليك ، وهو نفسك كما قال سبحانه :

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

* الذاريات ٢١ *

وقد أمر الله بالنظر الى مخلوقاته التي تدل على ربوبيته وألوهيته ، قال تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ لَيَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

* العنكبوت ١٩ ، ٢٠ *

والخلق اسم مشترك بين الله وعباده ، قال الله عز وجل إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ أَوثَانًا وَمَخْلُوقَاتٍ إِفْكَاثِ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ

وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

* العنكبوت ١٧ *

فأصل الخلق في الكلام : التقدير يقال خلقت الشئ ، خلقا اذا قدرته ، ولكن الخلق له

في اسم الله تعالى ، هو ابتداء تقدير الشئ ، فالله تعالى خالقها ومنشئها وهو

متممها ومدبرها ،

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا

ءَاخِرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾

* المؤمنون ١٤ *

والخلق فعل من أفعال الله عز وجل قائم بذاته غير المخلوق ، فانه مفعوله ، وقد خلق الخلق بشيئته ، ويبتنع قيامه بغيره ، فدل على أن أفعاله قائمة بذاته مع كونها حاملة بشيئته وقدرته ، وقد ثبت بالأدلة العقلية والسعية أن كل ما سوى الله مخلوق محدث كائن بعد ان لم يكن ^(١) .

وهذا رد على الذين يقولون ان أفعال العباد غير مخلوقة من القدرة وغيرهم الذين ينكرون قدرة الله وعلمه .

وقد رد عليهم سلف الأمة منهم الامام البخارى فى كتابه " خلق أفعال العباد " ، وابن عبد البر ، والامام أحمد فى كتابه " الرد على الجهمية " .

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ٢٢٩/٦ - ٢٩٨ ، ٤٣٦/١٢ .

العزیز

ومن أسماء الله عز وجل ((العزیز))

قال سبحانه :

فَأَمِّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ

إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٦﴾

* العنكبوت ٢٦ *

يقال عزه يعزه ، والله تعالى هو الغالب كل شئ * فهو العزیز الذى ذل لعزته كل عزیز * . (١) ، * وهو الذى يقهر ولا يُقهر * . (٢)

العزیز : * القوى الذى لا يعجزه شئ * أرادہ * (٣) ، أو المنيع الذى لا ينال ولا يغالب ، وقيل ((العزیز)) الذى لا مثل له بيانه ((ليس كمثله شئ *)) .
العزیز : هو الغالب الذى لا يغلب ، والمنيع الذى لا يوصل اليه وقيل : هو القادر القوى ، وقيل هو الذى لا مثل له ، وهو من صفات الذات * (٣)
قال ابن بطال (٤) : العزیز يتضمن العزة ، والعزة يحتمل أن تكون صفة ذات بمعنى القدرة والعظمة ، وأن تكون صفة فعل بمعنى القهر لمخلوقاته والغلبة لهم ، ولذلك صده اضافة اسمه اليها ، قال : ويظهر الفرق بين الحالف بعزة الله التى هى صفة ذاته والحالف بعزة الله التى هى صفة فعله ، بأنه يحدث فى الأولى دون الثانية ، بل هو منهى عن الحلف بها ، كما نهى عن الحلف بحق السماء وحق زيد * . (٥)

(١) تفسير أسماء الله الحسنی للزجاج : ٣٤ .

(٢) المفردات للراغب ص : ٣٣٣

(٣) الطبرى : ٥٥٨/١

(٣) الاعتقاد للبيهقى : ١٥

(٤) تقدمت ترجمته ٩٥

(٥) فتح البارى : ٣٦٩/١٣

وقد تملك العزة على المخلوق فانه عزة على قدره فقط ، فيقال فلان عزيز أى عزيز

فى نفسه ، قال تعالى : قَالَ

مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِي يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْ خَشِيَ اللَّهُ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ
الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ يوسف ٥١ *

ولكن عزة اللعز وجل كم عزة تليق بجلاله وعظمته ، ومن عززه من خلقه فعزته دائمة

باقية وهى العزة الحقيقية ، قال تعالى :

يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ
مِنهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

* المنافقون ٨ *

وقد تناف العزة الى أعدائه كما قال تعالى : ((بل الذين كفروا فى عزة وشقاق))

، فالعزة من التعزز ، وهو فى الحقيقة ذل^(١) ،

(١) انظر المفردات للراغب : ٣٢٣ - بتصرف - .

الحكيم

ومن أسماء الله عز وجل ((الحكيم))

قال سبحانه :

فَعَا مَن لَّهُ لَوُطٌ وَقَالَ

إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٦﴾

* العنكبوت ٢٦ *

وقال سبحانه :

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن

دُونِهِ، مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾

* العنكبوت ٤٢ *

الحكيم : الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل (١) ، فيضع الأشياء في محلها لعلمه وحكمته وعدله (٢) .

وعن ابن عباس : أن الحكيم الذي قد كمل في حكمه ، وقد قيل ان الحكيم بمعنى الحاكم (٣) ، وهو المحكم لخلق الأشياء ، وقد يكون بمعنى المصيب في أفعاله (٤) .
والحكيم : هو المحكم لخلق الأشياء والمعنى ينصرف الى اتقان التدبير فيها وحسن التقدير لها ، ان ليس كل الخليقة موصوفا بوثاقة البنية وشدة الأسر كالبقصة والنملة ، وما أشبههما من نعماف الخلق ، الا أن التدبير فيهما والدلالة بهما على الصانع واثباته ليس بدون الدلالة عليه بخلق السموات والأرض والجبـال وسائر معاطم الخليقة ، وكذلك هذا في قوله عز وجل :

الَّذِي أَحْسَنَ

كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَوَبَدَّ أَخْلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾

* السجدة ٧ *

(١) الطبرى : ٥٥٨/١

(٢) ابن كثير : ٢٧٥/١

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن : ٢٢١/١

(٤) الاعتقاد : ١٧

ولم تقع الإشارة به الى الحسن الراقق في النظرفان هذا المعنى معدوم في القسرد
والخنزير والدب وأشكالها من الحيوان ، وانما ينصرف المعنى فيه الى حسن
التدبير في انشاء كل شئ من خلقه على ما ذهب أن ينشئه عليه وابرازه على الهيئة
التي أراد أن يهيئه عليها كقوله تعالى :

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

* الفرقان ٢ *

وما خلق الله الخلق الا لحكمة كما أخبر بذلك ، قال تعالى :

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

* العنكبوت ٤٤ *

فقوله ((بالحق)) يتضمن حكمته . (٢)

(١) شأن الدعاء للخطابي : ٧٣ .



(٢) انظار مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ٩٥ / ١٧

الفنسى

ومن أسمائه تعالى ((الفنسى))

وقد أخبر الله عن غناه عن خلقه فى هذه السورة بقوله تعالى :

والغنى : هو الذى استغنى عن الخلق ، وقيل : المتمكن من تنفيذ ارادته فى مراداته ، وهذه صفة يستحقها بذاته . (١) ،

والله هو الغنى المستغنى عن الخلق بقدرته ، وعز سلطانه ، والخلق فقراء السى تطوله (٢) ، واحسانه (٣) ، كما قال تعالى : هَآأَنْتُمْ هَآؤَلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ وهو الذى أغنى الخلق بأن جعل لهم أموالا وبنين كما قال تعالى :  سورة النجم (٢٨) 

وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨)

* النجم ٤٨ *

وهو غنى عنهم وعن نصرتهم وتأيدهم لملكه ، فليست به حاجة اليهم وهم اليه فقراء محتاجون . (٤)

(١) الاعتقاد للبيهقى : ١٩ -

(٢) الذى تطوله : أى الى فضله ومنه ، والطول والطائل والطائلة : الفضل ، والقدرة ،

والغنى والسعة والعلو . لسان العرب : ٤١٤/١١ ، المفردات : ٣١٢

(٣) انظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج : ٦٣

(٤) انظر شأن الدعاء : ٩٢

الهداي

من أسماء الله عز وجل ((الهداي))

الهداي : هو الذي هدى خلقه الى معرفته وربوبيته ، وهو الذي هدى عباده المؤمنين الى سراطه المستقيم . (١)

قال تعالى :

وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾

* الفرقان ٣١ *

ومنه الهداية ، قال تعالى :

وَالَّذِينَ
جَاهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

* العنكبوت ٦٩ *

ولم يرد غيرها في السورة عن الهداية ، فالله هو الهداي وقد تطلق على المخلوق

كما قال سبحانه :

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾

* الشورى ٥٢ *

فعلى هذا فالهداية تنقسم الى قسمين هما :

١ - هداية التوفيق والالهام وهي خاصة بالله عز وجل ، وهي الواردة في السورة ،

وهي منتغية عن المخلوق كما قال تعالى : إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ

اللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

* القصص ٥٦ *

٢ - هداية الدلالة والارشاد ، وهذه يشترك فيها المخلوق مع الخالق سبحانه
وتعالى ، قال تعالى :

وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٍ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

* الأعراف ١٥٩ *

والهدى ضد الاضلال وهما بيد الله عز وجل ، قال تعالى : **أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ**

سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنِ اللَّهُ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا

تَذَهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ فاطر

فالهدى والاضلال فعله سبحانه وتعالى وقدره ، فأفضل ما يقدره الله لعبده وأجل

ما يقسمه له الهدى ، وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه هو الاضلال .

أما الاهتداء والضلال فهو فعل العبد وكسبه

ومراتب الهدى أربعة هي :

- ١ - الهدى العام : وهو هداية كل نفس الى مصالح معاشها وما يقيمها .
 - ٢ - الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة الى مصالح العبد في معاده وهذا خاص بالمكلفين .
 - ٣ - الهدى المستلزم للاهتداء ، وهي هداية التوفيق والالهام ، وهي خاصة بالله عز وجل .
 - ٤ - الهداية الى يوم المعاد الى طريق الجنة والنار .^(١)
- وهذا أعم من التقسيم الأول وهو داخل تحته .

(١) انظر شفا العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل ص : ٦٥ .

صفة الملقب

المعجزة صفة من صفات الله عز وجل ، تليق بجلاله وعظمته أثبتها سبحانه في كتابه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فما ورد في السورة قوله تعالى :

وَالَّذِينَ

جَاهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

" العنكبوت ٦٩ "

والله عز وجل مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة ، كما قال سبحانه :
هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ
السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٦٩﴾

ومعجزة الله عز وجل بحسب ما تعلق عليه ، فقد تكون بمعنى الاطلاع كما في

الآية السابقة ، وقد تكون بمعنى العلم والهيمنة والاحاطة كقوله تعالى :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا
هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ
مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

وتكون بمعنى النصرة والتأييد^(١) كما في هذه السورة ، وهو قوله تعالى وَالَّذِينَ

جَاهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

" العنكبوت ٦٩ "

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ١٠٣/٥ - ٤٩٥ وغيرها .

إذا فالمعينة قسمان ، مهتية عامة لجميع الخلق تكون بالعلم والاحتاطة والاطمئنان .
ومعينة خاصة ، وهذه خاصة بالمؤمنين بالنصرة والتأييد كما تبين في الحديث
عن المؤمنين في السورة .
وقد نزلت فرق كثيرة في المظنبة فبعضهم نفاها وبعضهم قال : أنها تقتضى
الحلول والاتحاد ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .
وقد رد عليهم السلف بالنسب الصحيح والعقل الصريح ما يطول ذكره هنا ،
ومن الذين ردوا عليهم الامام أحمد في كتابه " الرد على الجهمية والزنادقة " ، وشيخ
الاسلام في " الفتاوى " . وغيرهما .

البحث الثالث

توحيد الألوهية

هذا التوحيد يدل عليه توحيد الربوبية الذي أقر به الكفار كما تقدم ، والآيات التي في السورة التي تقرر توحيد الربوبية تطلب من العبد الاتيان بلازمه ، وهو هذا

التوحيد ، فقله تعالى : **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ**

يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

هذه الآية وردت في سياق دعوة ابراهيم لقومه تقرر لهم أن الذي بدء الخلق قادر على اعادته فهو أحق بالعبودية والايان به كما أمرهم بالسير والبحث فسي الأرض ليستدلوا بذلك على قدرة الله ، قال تعالى :

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

* العنكبوت . ٢٠ *

كما أن اقرار الكفار واعترافهم بخلق السموات والأرض يوجب عليهم أنه المستحق

للعبادة وحده كما قال عز وجل :

أُولَئِكَ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾

* العنكبوت ٦١ *

أى فأنى يصرفون عن صنع ذلك فيعدلون عن اخلاص العبادة له . (١)

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١١ / ٢١ .

وقوله سبحانه :

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ

مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

* العنكبوت ٦٣ *

" فأكثر هو " لا المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم وما فيهم الضر ، فهم لتجاهلهم أصبحوا في غمرة يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله ينالون بها عند الله زلفة وقربة ، ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون مستوجبون الخلود في النار " . (١)

كما أن الامتنان عليهم بالنعم تجعلهم يشكرون النعم ، ولا يشكرون غيره ، ومن شكره صرف العبادة له وحده دون سواه فافراده في العبادة واجب/ والا فالعبادة حق واجب لله عز وجل سوا في حال السراء أو الضراء ، وشرط في صحة الواجبات الأخرى ، ومن النعم التي امتن الله عليهم بها نعمة الأمن كما قال تعالى :-

أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا وَيُخَطَّفُ

النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾

* العنكبوت ٦٧ *

كذلك من النعم نعمة الانجاء من المهالك كالفرق الذي اذا عاينوه تضرعوا الى ربهم وحده ، واذا أنجاهم ومن عليهم بهذه النعمة كفروا ، قال تعالى :

فَإِذَا رَكِبُوا فِي

الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا

هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾

* العنكبوت ٦٥ *

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٢ / ٢١

كما أن توحيد الأسماء والصفات يدل على هذا التوحيد كما تقدم في ص ٥٨ ،
وجميع القرآن دعوة الى توحيد الله عز وجل شاهد به متضمن له ، لأن القرآن اما
خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهذا هو التوحيد العملى الخبيرى
الاعتقادى ويشمل توحيد الربوبية والأسماء والصفات .

واما دعاة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه أو أمر بأنواع
العبادات ، ونهى عن المخالفات ، فهذا هو توحيد القصد والطلب ، وهو
الألوهية وهو متضمن للنوع الأول فمن أتى بتوحيد الألوهية فقد أتى بالتوحيد كله .
لذلك ذكرت هذه القاعدة فى هذا الباب هنا .

وتوحيد الألوهية يسمى بذلك لأنه مبنى على اخلاص التاله وهو أشد المحبة
لله وحده ، مع الذل التام ، والرجاء التام ، وذلك يستلزم اخلاص العبادة
وتوحيد العبادة لذلك ، وتوحيد الارادة لأنه مبنى على ارادة وجه الله بالأعمال
دون سواه ، وتوحيد القصد لأنه مبنى على اخلاص القصد المستلزم لاخلاص
العبادة لله وحده ، وتوحيد العمل لأنه مبنى على اخلاص العمل لله وحده
، قال تعالى : **يَعْبَادِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَتَّبِعُوهُ يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ
إِنِّ أَنزَلْتَهُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِتَفْهَمُوا بِأَنَّهَا هِيَ الْهُدَىٰ وَالْحَقُّ لَمْ يَكُن لِمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ آلُؤُفٌ عِندَ اللَّهِ**



العنكبوت ٥٦

وفى صحيح البخارى عن شداد بن أوس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (سيد
الاستغفار : اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك
ما استطعت أبوء لك بنعمتك وأبوء بذنبي فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت
أعوذ بك من شر ما صنعت ، اذا قال حين يمسى فمات دخل الجنة ، أو كان من أهل
الجنة ، واذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله) . (١)

(١) صحيح البخارى : ١٥٠/٧ ، كتاب الدعوات باب ما يقول اذا أصبح : ١٦ ، واللفظ
له ، مسند الامام أحمد : ١٢٢/٤ - ١٢٥ ، عن شداد بن أوس : ٣٥٦/٥ عن
بريدة ، وكذلك فى سنن ابن ماجه : ١٢٧٤/٢ ، كتاب الدعاء باب ١٤ ،
ح ٣٨٧٢ ، سنن الترمذى : ٤٦٧/٥ ، كتاب الدعوات باب ١٥ ، سنن النسائى :
٢٧٩/٨ ، كتاب الاستعاذة .

"فقله لا اله الا أنت ، فيه اثبات انفراده بالألوهية ، والالهية تتضمن اترافه
بكمال علمه ، وقدرته ورحمته وحكمته ، ففيها اثبات احسانه الى العباد فـان
(الاله) هو المألوه ، والمألوه هو الذى يستحق أن يعبد وكونه يستحق
أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التى تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب
المخضوع له غاية الخضوع ، والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل " . (١)

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره ، وباطنه ، وظاهره ، فكونه أول الدين
لأن الله حينما أهبط آدم أمره بالعبادة ، وهو أول واجب على المكلف ، وليس أول واجب
على المكلف هو ، النظر ولا القصد الى النظر ولا الشك فى الله كما هو
أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسوله على الله عليه وسلم من معانى الكتاب
والحكمة . (٢)

ودعوة أول الرسل كانت بعد حدوث الشرك فى الأرض حين أرسل الله نوحا

الى قومه فقال تعالى :

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا

إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ

مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾

" المؤمنون ٢٤ "

وتتابع الرسل على ذلك ، ففي سورة العنكبوت يقول تعالى عن ابراهيم :

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ

خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

" العنكبوت ١٦ "

كما حذرهم من مغبة ما يعبد من دون الله عز وجل ، فقال سبحانه :

(١) انظر مجموع الفتاوى : ٢٤٩/١٠

(٢) تيسير العزيز الحميد : ٣٧

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ أَوتُنَّا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ
وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَكْذِبُوا
فَقَدْ كَذَّبَ أُمْرًا مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ ﴿١٨﴾

• العنكبوت ١٧، ١٨ •

وقال سبحانه :

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

• العنكبوت ٢٥ •

وقال الله عن شعيب في نفس السورة :

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾

• العنكبوت ٣٦ •

وهذا التوحيد أول أمر في القرآن ورد به ، قال تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

• البقرة ٢١ •

وذلك بعد الخبر به في قوله :

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

• الفاتحة ٥ •

وكونه أخز الدين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من كان آخر كلامه لا اله الا الله وجبت له الجنة)^(١) الحديث .

وكونه ظاهر الدين وباطنه لأنه لا يقبل عمل من أعمال الدين الا بهأى الا أن يكون لله ، فى الظاهر والمخبر ، والا فانه مردود على صاحبه كما قال تعالى :-

وَمِنَ النَّاسِ

مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

* البقرة ٨ *

ولأجل هذا التوحيد خلق الله الخلق ، كما قال تعالى :

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

* الذاريات ٥٦ *

وجميع الناس مطالبون بهذا التوحيد ، قال تعالى :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدُنَا لَهُ، مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾

* العنكبوت ٤٦ *

فبين الله عز وجل أن الاله واحد سواء لأمة محمد أو لأهل الكتاب .

ويقول صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله

وأن محمدا رسول الله ويطيعوا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصوا منى دماءهم

وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله) .^(٢)

(١) ذكره البخارى تعليقا بلفظ باب فى الجنائز ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله

: ٦٩/٢ ، وفى السند : ٢٤٧/٥ ، واللفظ له عن معاذ . وقريبا منه فى سنن

أبى داود : ٤٨٦/٣ ، كتاب الجنائز ، باب فى التلقين ح ٣١١٦ .

(٢) صحيح البخارى : ١١/١ كتاب الايمان باب ١٧ ، واللفظ له ، صحيح مسلم :

٥٢/١ ، كتاب الايمان باب ٨ ح ٣٤ - ٣٥ ، وأخرجه أبو داود - والترمذى ،

والنسائى والدارسى ، والامام أحمد .

فعم جميع الناس ولم يخس فئة دون غيرها ، فالكل معبد لله عز وجل ، كما قال

تعالى :

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾

* العنكبوت ٦٢ *

، لكن خس الله به الذين آمنوا وناداهم به ، فقال سبحانه :

يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾

* العنكبوت ٥٦ *

أما غيرهم فانهم معبدون مذلولون مقهورون يجرى عليهم القدر كما قال

سبحانه :

إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا ﴿٩٣﴾

* مريم ٩٣ *

وعبودية الكفار هو اعترافهم بالمانع وخضوعهم له ، فهم محتاجون اليه عند

الانطرار * .^(١) كما قال تعالى :

فَإِذَا رَكِبُوا فِي

الْفَلَائِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا

هَمُّ يَشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾

* العنكبوت ٦٥ *

وبهذا التوحيد افترق الناس الى مؤمنين وكفار وسعداء أهل جنة ، وأشقياء

أهل نار .

قال الله سبحانه :

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

* العنكبوت ٧ *

وقال سبحانه :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ

أُولَئِكَ يَلِئْسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

* العنكبوت ٢٣ *

وهذا التوحيد يتضمن جميع أنواع العبادة منها مثلا المحبة والاجلال والتعظيم ، والخشية والانابة - والتوكل . والتوبة - والخوف - والرجاء ، كما أنها تشمل العبادات الظاهرة ، كأركان الاسلام ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والذبح والنذر ، وغير ذلك .
فجميع العبادات لا بد أن تصرف لله ولا تصح الا بشرطين هما - الاخلاص والتابعة بدليل قوله سبحانه في السورة :

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ * العنكبوت ٧ *

وقوله سبحانه :

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ

* العنكبوت ٩ *



وقوله سبحانه :

وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ * العنكبوت ٥٨ *

فوجه الدلالة من الآيات أن الله عزوجل ربط الايمان بالعمل الصالح - والايمان يستلزم الاخلاص لله وحده ، والعمل الصالح يستلزم صلاحه أن يكون موافقا لما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

وما يدل على ذلك أيضا قوله سبحانه :

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ * العنكبوت ٨ *

* العنكبوت ٨ *

ووجه الدلالة من الآية أن الله نهى عن الشرك ، وهذا يدل على وجوب الإخلاص له وحده ، وقوله : ((ماليك به علم)) يدل على المتابعة - فلا بد على المسلم أن تكون عبادته عن علم ، لأن الأصل في العبادات التوفيق إلا ما ورد الشرع به - لأن مبناها على الشرع والاتباع لا على الهوى والابتداع . (١)

قال الفضيل بن عياض : (٢) " ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على سنة رسول الله ، ثم قرأ قوله تعالى : **قُلْ**

إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

" الكهف . ١١٠ "

والتوحيد حق خاسى بالله عز وجل لذاته لأنه المألوه المعبود الذى تأله القلوب ، وترغب اليه وتغزغ اليه عند الشدائد ، ومساواه فهو مفتقر مقهور بالعبودية فكيف يصلح أن يكون الها (٤) ، فلا يجوز أن يشرك مع الله غيره لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، لذلك جعل الله الشرك هو الذنب الذى لا يغفر ، كما قال سبحانه :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا

" النساء . ٤٨ "



(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ١ / ٨٠ .
 (٢) هو ابن سعود بن بشير أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني ، امام قدوة ثبت كتب عن الأعمش وليث وعطاء ، ومجالد وغيرهم ، وحدث عنه : ابن المبارك ، ويحيى القطان ، وابن عيينة ، والشافعي ، والحميدي ، وغيرهم ، أعطى حكمة وورعا ، ت ١٨٧ هـ ، بمكة . التاريخ الكبير : ٧ / ١٢٣ ، سير أعلام النبلاء : ٣٧٢ / ٨ .

(٣) مدارج السالكين : ٢ / ٩٣ ، وانظر الفتاوى : ١ / ٣٣٣ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ١ / ٨٨ .

وقال صلى الله عليه وسلم حينما سئل أى الذنب أعظم ، فقال : (أن تجمع لله ندا وهو خلقك) (١) .

ونهى الله عنه وبين عاقبة أهله ، فمن نهيه عنه فى هذه السورة قوله سبحانه :

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

فَلَا تَطِعُهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فإِنَّبُئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

* العنكبوت ٨ *

ومن بيان عاقبة أهله قوله سبحانه

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ

أُولَئِكَ يَسُؤُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

* العنكبوت ٢٣ *

وقال سبحانه :

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

بِالْبَطْلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

* العنكبوت ٥٢ *

وقال سبحانه :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ

لَمَّا جَاءَهُ ^{بِ}الْحَقِّ لِيَشِيبَ بِهٖ وَهُوَ كَافِرٌ يَصِرْ فِي جَهَنَّمَ مِثْلَ طَائِفَةٍ مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿٦٨﴾

* العنكبوت ٦٨ *

وقد بين الله تفاهة المعبودات من دونه وأنها لا تنفع ولا تضر ، وأن اجتماعهم

(١) جزء من حديث فى صحيح البخارى : ١٤٨/٥ ، كتاب التفسير ، سورة البقرة ، والفرقان : ١٤/٦ ، وكتاب الأدب : ٧٥/٧ باب ٢٠ ، وكتاب الديات : ٣٤/٨ باب ١ ، والحدود : ٢١/٨ باب ٢٠ ، وأخرجه النسائى وأبى داود ، وأحمد وصحيح مسلم : ٩٠/١ كتاب الايمان باب ٣٧ ١٤١ - ١٤٢ ، وسنن الترمذى : ٣٣٦/٥ كتاب التفسير سورة الفرقان باب ٢٦ ح ٣١٨٢ .

عليها لتواد فيما بينهم في هذه الحياة الدنيا ، فقال تعالى عن ابراهيم :

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

* العنكبوت ٢٥ *

فلو أنهم عبدوا ما ينفعهم دنيا و آخرة لكن أولى بهم لأن هذه المعبودات التي يتألفون بسببها لا تغنى عن الله شيئا ، ولا تجلب لهم نفعاً ولا ضرراً ، قال تعالى عن ابراهيم :

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ
وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

* العنكبوت ١٧ *

كما بين الله عز وجل تفاهة المعبودات من دونه بمثل ضربه ليعقله من يعلم ويتدبر

آيات الله ، قال تعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ

اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِن أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾

* العنكبوت ٤١ ، ٤٢ *

فهذا مثل نمره الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتسكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ، ووهنه ، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم ، الا كمن يتسبك

ببيت العنكبوت ، فانه لا يجدى عنه شيئا ، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء . (١)

وقد وضح الله في هذه السورة أن العبادة مملوكة في كل وقت وحين في السرا والضرا ، فالذى ينفع في الضرا وينجى منها قادر على ايقاعك فيها اذا كبرت به في السرا ، قال تعالى :

فَإِذَا رَكِبُوا فِي

الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا

هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾

* العنكبوت ٦٥ *

فهلا كان هذا الدعاء دائما .

وقد ورد أن عكرمة بن أبي جهل رضى الله عنه ذهب فارا من مكة لما فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما ركب البحر ليذهب الى الحبشة اضطربت بهم السفينة ، فقال أهلها ، يا قوم اخلصوا لربكم الدعاء فانه لا ينجى هاهنا الا هو ، فقال عكرمة والله لئن كان لا ينجى في البحر غيره ، فانه لا ينجى في البر أيضا غيره ، اللهم لك على عهد لئن خرجت لأذهبن فلأضعن يدي في يدي محمد فلاجدنه روثا رحيا فكان كذلك . (٢)

وما أن توحيد الألوهية يشمل جميع أنواع العبادة كما تقدم ، فقد ورد في هذه

السورة بعضا منها أمثالا عليها أو بيان لفضلها .

وسأذكرها حسب أهميتها من الدين ولزومها لما بعدها - فمثلا الصلاة لا تصح الا بعد

تصحيح الدعاء لله ولا بد أن يسبق الجهاد دعوة الى دين الاسلام ولا بد للدعوة من صبر وتوكل وهكذا .

(١) تفسير ابن كثير : ٦٥٩/٣

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک : ٢٤١/٣ ، أسد الغابة : ٥٦٨/٣ ، الامامة :

٥٣٩/٤ ، مصنف ابن أبي شيبة : ٤٩١/٤ ، تفسير القرآن العظيم : ٦٧١/٣ .

البحث الرابع
العبادات الواردة في السورة
الرجاء

من العبادات الوارد ذكرها في السورة ((الرجاء)) ، وقد ورد في آيتين هما

قوله تعالى :

مَنْ كَانَ يَرْجُوا

لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

* العنكبوت ٥ *

وقوله سبحانه عن نبيه شعيب :

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ أَعْبُدُوا

اللَّهِ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾

* العنكبوت ٣٦ *

والرجاء : حاد يحدوا القلوب الى بلاء المحبوب وهو الله والدار الآخرة

ويطيب لها السير ، وقيل هو الاستبشار بجود وفنمى الرب تبارك وتعالى

، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه ، وقيل : هو الثقة بجود الرب تعالى * (١)

والرجاء من العبادات القلبية ، وهو من محركات القلوب الى الله عز وجل

التي هي المحبة والخوف والرجاء * (٢)

فالأمر التي لا يقدر عليها الا الله فانها لا ترجى الا منه سبحانه ، طلبا

لشواهبه ، وخوفا من عقابه ، واذا تحقق ذلك من العبد فان الله سيحقق

رجاءه ، ويوفيه عمله كاملا موفورا ، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي

يقول الله تعالى : (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه اذا ذكرني ، فان ذكرني

في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وان ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم ، وان تقرب

الى بشبر ، تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا ، تقربت اليه باعا ، وان أتاني

يمشى أتيته هرولة) . (٣)

(١) مدارج السالكين : ٣٦/٢

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ٩٥/١

(٣) صحيح البخارى : ١٧١/٨ ، كتاب التوحيد باب ١٥ ، وصحيح مسلم :
٢٠٦١/٤ كتاب الذكرباب ١ حديث ٢٦٧٥ ، كما أخرجه الترمذى وابن ماجه والامام
أحمد .

والله سبحانه وح على الرجاء ومدح أهله بدليل الآيتين المتقدمتين وغيرهما

كثير كقوله سبحانه وتعالى مادحا للمؤمنين :

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ

هَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ

اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

* البقرة ٢١٨ *

والرسول صلى الله عليه وسلم مخلصا في رجائه يرجو أعظم ما عند الله وهو رحمة
ويحث على الرجاء في أشد الحالات وهو الكرب ، فقد ثبت عنه صلى الله
عليه وسلم أنه قال دعوات المكروب (اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفسة
عين وأملح لى شأني كله) . (١)

فالراجي يطمع فيما يحبه الله لا فيما يبغضه ، فالمؤمن لا يعلق رجاءه الا بالله
، ولا يخاف من الله أن يظلمه ، فان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس
أنفسهم يظلمون ، بل يخاف أن يجزيه بذنوبه ، وهذا معنى ما روى عن علي
رضي الله عنه أنه قال : " لا يرجو عبد الا ربه ، ولا يخافن الا ذنبه " (٢) ، وفي
الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت ، فقال : (كيف
تجدك ؟ ، فقال : أرجو الله وأخاف ذنوبي ، فقال : ما اجتمعا في قلب عبد في
مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وأمنه ما يخاف) (٣) .

(١) مسند الامام أحمد : ٤٢/٥ ، عن أبي بكر ، جزء من حديث ، والبخاري في
الأدب المفرد ص ١٥١ حديث ٧٢٢ ، سنن أبي داود : ٣٢٥/٥ ، كتاب
الأدب باب ١١٠ حديث ٥٠٩٠ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع : ٤٦/٣
حديث ٣٣٨٢ ، وصحيح الكلم ص ٥٢ حديث ١٠٢ .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة : ٢٨٤/١٣ ، وذكره ابن تيمية في الفتاوى : ٢٥٦/١٠ ،
حلية الأولياء : ٧٦/١ .

(٣) سنن ابن ماجه : ١٤٢٣/٢ ، كتاب الزهد باب ٣١ حديث ٤٢٦١ ، سنن
الترمذي : ٣٠٢/٣ ، كتاب الجناز باب ١ حديث ٩٨٣ ، وقال حديث حسن
غريب وروى مرسلا .

فالرجاء ينبغى أن يتعلق بالله ، ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عطسه
فان تعليق الرجاء بغير الله اشراك ، وان كان الله قد جعل لها أسبابا فالسبب
لا يستقل بنفسه ، بل لابد له من معاون ، ولا بد أن يمنع المعارض المعوق له
، وهو لا يحصل ويبقى الا بمشيئة الله تعالى فمن رجا قوته أو عطسه
أوماله أو حديقته أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله غير ناظر الى الله ، كان فيه
نوع توكل على ذلك السبب ، ومارجا أحد مخلوقا أو توكل عليه الا خاب ظنسه
فيه فانه مشرك (١)

حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَانَ خِزْيًا مِّنَ
السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ

* الحج ٣١ *



* فالرجاء والخوف متلازمان كجناحي الطائر ، اذا استويا استوى الطائر
وتم طيرانه ، واذا نقص أحدهما وقع فيه النقص ، واذا ذهب صار الطائر
في حد الموت . (٢) فالقلب في سيره الى الله عزوجل بمنزلة الطائر ، فالمحبة
رأسه ، والخوف والرجاء جناحاه ، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر
جيد الطيران ، ومتى قطع الرأس مات الطائر ، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة
لكل صائد وكاسر ، ولكن السلف استحباوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على
جناح الرجاء وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء فينبغى للقلب
أن يكون الغالب عليه الخوف فان غلب عليه الرجاء فسد . (٣)

* والله سبحانه قد لطف بعباده فعلم طباعهم البشرية بوضع الأسباب التي يأمنون
بها فيخفف عنهم ثقل الامتحان الذي تعبد لهم به ، ولينصرفوا بذلك بين الرجاء

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ٢٥٦/١٠

(٢) مدارج السالكين : ٣٧/٢

(٣) مدارج السالكين : ٥٥٤/١

والخوف ويستخرج وتُظفَى الصبر والشكر فى طورى السراة والضراة ، والشدة
والرعاة ، ومن وراة ذلك علم الله تعالى . (١)

وقد يظن بعض الناس أن التمنى هو الرعاة ، ولكن هناك فرق كبير بين
الاثنين ، أما الرعاة فإنه دافع للعمل طلبا فى مرضات الله وخوفا من عقابه
، مع بذل الجهد وحسن التوكل .
أما التمنى فإنه يكون مع الكسل ، وعدم الجد ، والاجتهاد والأخذ
بالأسباب ، فتجد صاحبه متماد فى المعاصى مفرط فى جنب الله ، ومع هذا
يرجو رحمة الله ، وهذا هو الغرور ، والتمنى والرعاة الكاذب ، ولهذا أجمع
العارفون على أن الرعاة لا يصلح الا مع العمل (٢) ، وفى الحديث : (الكيس
من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله) .
من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (٣) ، وهذا المثال يوضح الفرق بين التمنى
والرعاة من واقع ما يشاهده الانسان .
فمثلا - رجل يتمنى أولادا وهولم يتزوج ، هل هو كمن سعى فى طلب
الزواج حتى تمكن منه .

ومثال آخر : رجل يرجو عيشا فى موسم الحصاد وهوليس عنده أرض ولم يحاول
، هل هو كمن اشترى أرضا وشقها وزرعها ؟ .

(١) شأن الدعاء للخطابى : ١٠

(٢) مدارج السالكين : ٣٧/٢

(٣) مسند الامام أحمد : ١٢٤/٤ ، سنن ابن ماجة : ١٤٢٣/٢ ، كتاب الزهد ،

باب ٣١ حديث ٤٢٦٠ . سنن الترمذى : ٦٣٨/٤ ، كتاب صفة القيامة

باب ٢٥ ، حديث ٢٤٥٩ ، وقال : هذا حديث حسن ، وانظر تخريج

احياء علوم الدين : ٢٠٦٣/٥ حديث ٣٢٥٩ .

((الدعاء))

من العبادات الواردة في السورة ((الدعاء)) ، والدعاء ينقسم الى قسمين
، دعاء مسألة ، ودعاء عبادة .
فمن الأول قوله سبحانه :

قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

* العنكبوت . ٣ *

أما الثاني فإنه كل عبادة تتقرب بها الى الله عز وجل ، فان لسان حالك يقول
* اللهم اني أسألك بهذا العمل الجنة وأعوذ بك من النار * .
والدعاء عبادة ، والعبادة مبناهما على التوقف والاتباع ، لا على الهوى
والابتداع .

قال صلى الله عليه وسلم : (الدعاء هو العبادة - ثم تلا :

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

* غافر . ٦٠ *

وقد يجتمعان كما في قوله صلى الله عليه وسلم : (دعوة ذي النون اذ دعا وهو
في بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانه اني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها
رجل مسلم في شيء قط الا استجاب الله له) .^(٢)

(١) سنن الترمذى : ٢١١/٥ كتاب التفسير باب ٣ حديث ٢٩٦٩ ، وقال : هذا
حديث حسن صحيح ، رواه منصور ، مسند الامام أحمد : ٢٦٧/٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ،
، وسنن ابن ماجة : ١٢٥٨/٢ كتاب الدعاء باب ١ حديث ٣٨٢٨ ، والبخارى في
المفرد ص ١٥٤ حديث ٧٣٥ ، كما رواه أبو داود ، والنسائي والحاكم ، وابن أبي شيبة
وابن حبان وصححه الألبانى في مشكاة المصابيح : ٦٩٣/٢ وصحيح الجامع : ١٥٠/٣
(٢) سنن الترمذى : ٥٢٩/٥ ، كتاب الدعوات باب ٨٢ حديث : ٣٥٠٥ واللفظ
له ، وسند الامام أحمد : ١٧٠/١ .

فسماه دعوة لأنها تتضمن نوعي الدعاء ، فقله : لا اله الا أنت اعترف بتوحيد
الالهية ، وتوحيد الألوهية يتضمن أحد نوعي الدعاء ، فان الاله هو المستحق
لأن يدعى دعاء عبادة ودعاء مسألة ، وهو الله لا اله الا هو .
وقوله : (انى كنت من الظالمين) اعتراف بالذنب ، وهو يتضمن طلب
المغفرة ، فان الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب كقوله تعالى عن
لوط :

قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾

* العنكبوت ٣٠ *

، وتارة بصيغة الخبر ، اما بوصف حاله ، أو بوصف حال السئول ، أو بوصف
الحالين معا كقول نوح عليه السلام قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي
بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ . ٤٧ *
فهذا ليس بصيغة طلب ، وانما هو اخبار عن الله أنه ان لم يغفر له ويرحمه
خسر . (١)

والله عز وجل يسمع الدعاء ويجيبه كما تقدم (٢) في اسم السميع أن من معانيه
اجابة الدعاء ، فمن وفق للدعاء فهو حري بالاجابة ، لذلك أمر الله عز وجل
به وحث عليه كما قال تعالى :

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

* غافر ٦٠ *

== والمستدرک : ٥٠٥/١ ، ٥٨٣/٢ ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح
الاسناد ولم يخرجاه ، كما أخرجه النسائي والبيهقي في شعب الایمان . وصححه
الألبانی . انظر صحيح الجامع : ١٤٥/٣ حديث ٣٣٢٧٨ .

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ٢٤٣/١٠

(٢) تقدم في ص ٩١ من هذا البحث

وقال صلى الله عليه وسلم : (ليس شئٌ أكرم على الله من الدعاء) (١) .
قال الشاعر : (٢)

الله يغضب ان تركت سـوءـه
وبنى آدم حين يسأل يغضب
قال ابن عقيل (٣) : " قد ندب الله تعالى الى الدعاء وفي ذلك معان أحدها
الوجود ، فان ليس بموجود لا يدعى .
الثاني : الفنى فان الفقير لا يدعى .
الثالث : السمع ، فان الأصم لا يدعى .
الرابع : الكرم ، فان البخيل لا يدعى .
الخامس : الرحمة ، فان القاسى لا يدعى .
السادس : القدرة ، فان العاجز لا يدعى .

ومن يقول بالطبائع يعلم أن النار لا يقال لها : كفى ، ولا النجم يقال له أصلح
مزاجى ، لأن هذا عندهم موثر طبيعا لا اختيارا ، فشرع الدعاء ، وملاة الاستسقاء
ليبين كذب أهل الطبائع " . (٤)

(١) مسند الامام أحمد : ٣٦٢/٢ ، سنن الترمذى : ٤٥٥/١ ، كتاب الدعوات ،
باب ١ ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، سنن ابن ماجة : ١٢٥٨/٢ ،
كتاب الدعاء ، باب ١ ، حديث : ٣٨٢٩ ، وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد
ع ١٥٤ ، حديث ٧٣٣ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک : ٤٩٠/١ ، وقال :
هذا صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وحسنه الألبانى ، انظر صحيح الجامع :
٩١/٥ حديث ٥٢٦٨ .

(٢) لم أفتد عليه وذكره ابن السكيت فى المستطرف : ٥٨/٢ وذاقرا شيخنا عبدالمعز بن يحيى
أنه للمصنف ولم أجد شرح ديوانه فى المطبوع

(٣) شيخ الجنبلة أبو الوفاء على بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادى
الثغرى الحنبلى المتكلم ولد سنة ٤٣١ هـ ، سمع أبا بكر بن شيران ، والجوهري ،
والمقرئ ، والفراء ، وغيرهم ، خالط المعتزلة وتأثر بهم ، له كتاب الفنون ، حدث
عنه السمعانى ، وأبو طاهر السلفى وأبو الفاضل خطيب الموصل وغيرهم ، ت سنة
٥١٣ هـ ، ودفن قريبا من الامام أحمد . سير أعلام النبلاء : ٤٤٣/١٩ ، البداية
والنهاية : ١٨٤/١٢ .

(٤) شرح الطحاوية : ٥١٩ .

فالدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع الأضرار ، يعترف بهذا عامة الخلق حتى الكفار ، قال تعالى عنهم :

فَإِذَا رَكِبُوا فِي

الْفُلْكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّوهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا

هُمْ يَشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾

* العنكبوت ٦٥ *

قال شارح الطحاوية^(١) : " واجابة الله لدعاء العبد مسلما كان أو كافرا ، واعطاه سؤله من جنس رزقه لهم ونصره لهم ، وهو ما توجهه الربوبية للعبد مطلقا ، ثم قد يكون فتنة في حقه ، ومضرة عليه اذا كان كفرة وفسوقه يقتضى ذلك " .^(٢) ، ولكن الكافر لا يدعوره الا عند الاضطراب ومعاينة الهلاك .

وأما المسلم فانه يعلم أنه مضطر الى ربه فقير اليه محتاج الى كرمه وغفوه في كل وقت وحين ، فعليه أن يدعو دعاء رغبة ورهبة ويتوسل اليه بأسمائه وصفاته بحضور قلب وخشوع ، وانكسار ، وبين يدي خالقه ، متذلا متضرعا ، مستقبلا القبلة .^(٣) لحديث عمر رضى الله عنه : (لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين ، فاستقبل القبلة ، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه) .^(٤)

(١) هو العلامة صدر الدين محمد بن علاء الدين على بن محمد بن أبي العز الحنفى الأزرعى الصالحى الدمشقى ، ولد سنة ٧٣١ هـ ، اشتغل بالعلوم وكان ماهرا ، ولى قضاة دمشق سنة ٧٧٩ هـ ثم مصر شهرا فقط ، اعتقل بسبب بيانه لما في قصيدة ابن ابيك من الشرك ، سنة ٧٩٢ هـ ، رحمه الله . الدرر الكامنة : ٨٧/٣ . شذرات الذهب : ٣٢٦/٦ ، ومقدمة شرح الطحاوية للألبانى ص ٨ .

(٢) شرح الطحاوية ص ١٩٥

(٣) انظر الحواب الكافى ص ٣ وما بعدها عن الدعاء عموما ، وكذلك شأن الدعاء للخطابى ص ١٣ .

(٤) جزء من حديث فى صحيح مسلم كتاب الجهاد : ١٣٨٣/٣ باب ١٨ حديث ١٧٦٣ ، وسنن الترمذى : ٢٦٩/٥ ، كتاب التفسير باب ٩ حديث : ٣٠٨١ .

ويتحین أوقات وأحوال الاجابة كالسجود لقوله صلى الله عليه وسلم : (أما الركوع
فعضموا فيه الرب ، وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء ، فقم أن يستجاب لكم) (١)
وكما بين الأذان والاقامة لقوله صلى الله عليه وسلم : (الدعاء لا يرد بين الأذان
والاقامة) . (٢)

والثلث الأخير من الليل لقوله صلى الله عليه وسلم : (ينزل ربنا تبارك وتعالى
كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول : من يدعونى
فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له) . (٣)
وكيوم عرفة ، وعند لقاء العدو ، وغيرها من الأوقات الفاضلة التى يطول
ذكرها مع أدلتها هنا .

وانا اشتمل الدعاء على الاسم الأعظم (٤) من أسماء الله فانه حرى بالاجابة
، فعن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع
رجلا يدعو وهو يقول : اللهم انى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا اله الا أنت
الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، قال : فقال : والذى
نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى اذا دعى به أجاب ، وانما سئل به
أعطى (٥) وغيره من الأحاديث .

-
- (١) جزء من حديث فى صحيح مسلم : ٣٤٨/١ كتاب الصلاة باب ٤١ حديث ٤٧٩ .
سنن أبى داود : ٥٤٥/١ كتاب الصلاة باب ١٥٢ حديث ٨٧٦ ، سنن أحمد :
١٥٥/١ - ٢١٩ ، وسنن الدارمى : ٢٤٦/١ كتاب الصلاة باب ٧٧ حديث ١٣٣١
(٢) سنن الامام أحمد : ١١٩/٣ - ١٥٥ بزيادة (فادعوا) وكذلك ص ٢٢٥ ، وص ٢٥٤ ،
كلها عن أنس بن مالك رضى الله عنه . سنن الترمذى : ٤١٥/١ كتاب الصلاة باب
١٥٨ وقال : حديث حسن صحيح ، وفى ٥٧٦/٥ كتاب الدعوات باب ١٢٩ .
بزيادة قال فماذا نقول يا رسول الله ، قال : سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة
سنن أبى داود : ٣٥٨/١ كتاب الصلاة باب ٣٥ .
(٣) اخرجه البخارى : ١٩٧/٨ كتاب التوحيد باب ٥٣٥ . وسلم : ٢١/١ كتاب صلاة
الساافرين باب ٢٤ كما اخرجه مالك فى الموطأ والامام أحمد فى السنن ، والدارمى
، والترمذى ، وأبو داود .
(٤) تقدم الكلام عليه فى ص : ٦٢
(٥) سنن الترمذى : ٥١٦/٥ كتاب الدعوات باب ٦٤ ، وقال : هذا حديث حسن
غريب ، واللفظ له ، ولفظ قريب من هذا فى : ٥٥٠/٥ كتاب الدعوات باب ١٠٠ -

ومن وفق للدعاء فانه جرى بالاجابة للأدلة المتقدمة ، والاجابة قد تكون عاجلة أو ان الله عز وجل يدخر للداعي من الأجر بقدر دعوته ، أو يصرف عنه من السوء ، أو يعاياه من الدنيا بقدر مسأله .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي) (١) وفي رواية عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من أحد يدعوبدعاء الا أتاه الله ما سأل ، أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع باثم أو قطيعة) (٢) . (رحم)

ففي هذين الحديثين نهى عن الاستعجال في الاجابة واليأس ما عند الله ، لأن ذلك من صفات الكافرين ، قال تعالى :

يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَاَخِيْهِ وَلَا تَأْتَسُوْا
مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكٰفِرُوْنَ ﴿٨٧﴾

" يوسف ٨٧ "

ومن آداب الدعاء : تجنب السجع وتكلف صنعة الكلام ، ولا يجوز الاعتداء في الدعاء كالدعاء بالمحال ، مثل الخلود في الدنيا ، والدعاء بالاثم أو قطيعة الرحم للحديث المتقدم ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل ، قيل : يا رسول الله : ما الاستعجال ، قال : يقول : قد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء) (٣)

== سنن ابن ماجه : ١٢٦٧/٢ كتاب الدعاء باب اسم الله الأعظم : ٩ ، سنن النسائي : ٥٢/٣ كتاب السهو باب الدعاء بعد الذكر ، سنن أبي داود : ١٦٦/٢ كتاب الصلاة باب الدعاء .

(١) صحيح البخارى : ١٥٣/٧ كتاب الدعوات باب ٢٢ ، وصحيح مسلم : ٢٠٩٥/٤ كتاب الذكر والدعاء باب ٢٥ ، وموطأ مالك : ٢١٣/١ كتاب القرآن باب ٨ .
(٢) مسند الامام أحمد : ٣٦٠/٣ ، سنن الترمذى : ٤٦٢/٥ ، كتاب الدعاء باب ٩ ، سنن الترمذى : ١٦٦/٥ كتاب الدعاء باب ١١٦ ونحوه ، والحاكم : ٤٩٣/١ ، وحسنه الألبانى صحيح الجامع : ١٥٦/٥ رقم ٥٥٥٤ ، وتخريج المشكاة : ٦٩٣/٢ رقم ٠٢٢٣٦ :

(٣) صحيح مسلم : ٢٠٩٦/٤ كتاب الذكر باب ٢٤ واللفظ له ، وانظر تعليق ٣ ،

الصفحة السابقة حيث أن الحديث بمعناه .

وسمع عبد الله بن المغفل ابنه يقول : * اللهم انى أسألك القصر الأبييض
عن يمين الجنة اذا دخلتها ، فقال : أى بنى سل الله الجنة ، وعذ به من النار
، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (سيكون قوم يعتدون فى
الدعاء والظهور) .^(١) وروى مثله عن سعد .^(٢)

وبما أن الدعاء من أقوى الأسباب فى حصول المنافع ودرء المضار ، الا أن

أثره قد يتخلف لبعض الأسباب منها :

* بأن يكون الدعاء مما لا يحبه الله لما فيه من العدوان وهذا لضعفه أو لضعف

قلب الداعى ، وعدم اقباله على الله وقت الدعاء ، فيكون بمنزلة القوس الرخو
جدا ، فان السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً .

* أو لحصول مانع من موانع الاجابة كآكل الحرام والظلم وورين الذنوب

على القلوب ، واستيلاء الغفلة والسهو والسهو وغلبيتها عليه .^(٣) فقد ورد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيباً ،
وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال :

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا

تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

* المؤمنون ٥١ *

وقال :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾

* البقرة ١٧٢ *

(١) مسند الامام أحمد : ٤ / ٨٦ ، ٨٧ ، ٥٥ / ٥ بالفاظ متقاربة ، سنن ابن ماجه :

١٢٧١ / ٢ كتاب الدعاء باب ١٢ .

(٢) سنن أبى داود : ٢ / ١٦١ كتاب الصلاة باب الدعاء ، وحسنه الألبانى فى صحيح

الجامع : ٣ / ٢١٨ حديث ٣٥٦٥ .

(٣) الجواب الكافى : ص ٣ .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء : يارب يارب
، وملعمه حرام ومشربه حرام ، وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك (١) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أدعوا الله
وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه) . (٢)

ومن ادعى أن الدعاء لا فائدة فيه بحجة أن الأقدار سابقة والأقضية متقدمة
والدعاء لا يزيد ولا ينقص شيئا ، فهذه الدعوى مردودة لأن الدعاء سبب من
الأسباب التى شرعها الله عزوجل ، كما أنه من الأعمال الصالحة التى أمر بها
العباد ، وهو من قدر الله عزوجل وشرعه الذى أمر به وأحبه ، فهو من
القدر الكونى الشرعى .

فالعبد يرجو به ويطمع بما عنده ، ويخاف من عذابه ، ما يدفعه
ذلك الى العمل ، ومن العمل الدعاء ، ومع الرجاء والخوف ، فليس عنده
يقين تطمأن اليه نفسه ، فيترك العمل ويخلد الى الراحة .

(١) صحيح مسلم : ٧٠٣/٢ كتاب الزكاة باب ١٩ .

سنن الترمذى : ٢٢٠/٥ كتاب التفسير باب ٣ البقرة .

مسند الامام أحمد : ٣٢٨/٢ ، سنن الترمذى : ٢١٠/٢ كتاب
الرقاق باب ٩ .

(٢) سنن الترمذى : ٥١٧/٥ كتاب الدعوات باب ٦٦ ، وقال : هذا حديث غريب

لا نعرفه الا من هذا الوجه ، سمعت عباسا العنبرى يقول : اكتبوا عن

عبدالله بن معاوية الجمحي ، فانه ثقة ، مستدرك الحاكم : ٤٩٣/١ وقال

هذا حديث مستقيم الاسناد ، وانظر صحيح الجامع : ١٢٨/١ حديث

٢٤٣ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة : ١٤٣/٢ ، ونحوه فى مسند

الامام أحمد : ١٧٧/٢ .

ولقد سأل بعض الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أعمالهم وأسبابها ، فقال سراقه بن مالك : يا رسول الله بين لنا ديننا كما كنا خلقنا الآن فيما العمل اليوم ؟ فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل ؟ قال : (لا ، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير) قال : فقيم العمل ؟ ... قال : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ومثله عن جابر بن عبد الله ، وعن عمران بن حصين ، قيل : يا رسول الله ، وعنه أن رجلا من مزينة أتيا رسول الله ، وذكر قريبا من هذا .^(١)

(١) هذه الروايات في صحيح مسلم : ٢٠٤٠/٤ ، ٢٠٤١ ، كتاب القدر باب (١) ، وقريبا منه أخرجه إيهوداود في سننه : ٧٣/٥ ، كتاب السنة باب ١٧ عن رجلين من مزينة ، وروى مختصرا في مسند أحمد : ٦/١ ، عن أبي بكر رضى الله عنه ، وفي : ٦٧/٤ عن ندى اللحية الكلابي واسمه شريح بن عامر ابن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة لـ صحبة .

الصبر والتوكل

وَالَّذِينَ

قال تعالى :

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

* العنكبوت ٥٨ ، ٥٩ *

فأولا : الصبر هو حبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش . (١)

وهذا يدخل فيه الصبر على الطاعة ، والصبر عن المعصية ، والصبر على

البلاء .

وأكملها الصبر على طاعة الله ، لأنها لله وبالله ومع الله ، لأن الصبر إذا كان لله فباعته محبة الله سبحانه والتقرب اليه لا لاظهار قوة النفس ومدح الخلق وغير ذلك ، والصبر بالله أى الاستعانة به ، والصبر مع الله أن يكون على مسراده الدينى ، وأحكامه الدينية يسير بسيرها ، ويتوجه معها فى كل حالاته . (٢)

والصبر من أجل العبادات لله عز وجل ، لأنه يشمل جميع أنواع العبادة ، فكل

عبادة لا بد فيها من الصبر ، لذلك أمر الله بالتواصى به فى قوله سبحانه :

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

* العصر ١-٣ *

وقد ذكره فى كتابه فى تسعين موضعا كما ذكر ذلك الامام أحمد (٣) ، اما أمرا به

أو نهيا عن غمده أو ثناء على أهله أو محبة لهم أو تأييدا ، ومن ذلك قوله سبحانه :

(١) مدارج السالكين : ١٦٢/٢

(٢) " " : ١٦٤/٢

(٣) انظر عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ٧٤ ، ومدارج السالكين : ١٥٨/٢ .

❖ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ
فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده ، فقال : (ما يكون
عندى من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله
ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر) . (١)

وعن علي بن أبي طالب : " ألا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد
ثم رفع صوته فقال : ألا لا ايمان لمن لا صبر له " . (٢)

فالصبر واجب باتفاق المسلمين (٣) على أداء الواجبات وترك المحظورات ،
قال ابن القيم : " فالصبر أول منازل الايمان ودرجاته وأوسطها وآخرها ، فان
صاحب الرضا والشكر لا يعدم الصبر فى مرتبته ، بل الصبر معه وبه يتحقق الرضا
والشكر ولا تصور لهما دونه " . (٤)

والصبر من صفات المؤمنين لذلك وعدهم الله بالأجر العظيم فى جنات النعيم
، ومن أسباب ذلك صبرهم وتوكلهم كما قال سبحانه :

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

" المنكوت ٥٩ "

(١) صحيح البخارى : ١٢٩/٢ كتاب الزكاة باب ٥٠ ، و ١٨٣/٧ كتاب الرقاق باب ٢٠ ،
صحيح مسلم : ٧٢٩/٢ كتاب الزكاة باب ٤٢ ، مسند أحمد : ١٢/٣ ، ٤٧ ، ٩٣ ،
عن أبي سعيد بالفاظ متقاربة ، سنن الترمذى : ٣٧٣/٤ كتاب البر والصلة باب ٧٧
ج ٢٠٢٤ ، كما أخرجه أبو داود والنسائى والدارسى ومالك .
(٢) ذكره ابن القيم فى عدة الصابرين ص ٩٧ ، وانظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :
٠ ٧٦/١

(٣) انظر مدارج السالكين : ١٥٩/٢

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٢١٨ .

كما بين الله قرب فرجه لمن صبر ورجا ما عند الله ، ورجب في ذلك ، فقال

سبحانه :

مَنْ كَانَ يَرْجُوا

لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾

* العنكبوت ٥ *

(١) والصبر بجميع أنواعه له أسباب تعين عليه .

سأقتصر على ما يعين على الصبر على أقدار الله من الفتن والبلايا ، لأنهم

التي ذكرت في السورة ، وأمر المؤمن بالصبر عليها كما قال سبحانه :

الْمَرْءُ إِذَا نَسِيَ النَّاسَ أَنْ يُنْزِلَهُمْ مِنْكُمْ آيَاتٍ فَذَكَرَ اللَّهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْخَالَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ وَأَبَوَّاهُ لَهُمْ وَأَخْلَفَهُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٠﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَنُونَ وَقَدْ وَرَّاهُمْ بِالْبُنْيَانِ إِذْ يَسْتَفْتُونَ ﴿١١﴾

* العنكبوت ١ ، ٢ *

يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾

كما نذم الله الذين لا يصبرون عليها بقوله سبحانه :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

* العنكبوت ١٠ *

والعبد متعبد لله في حال السراء والنزراء ، فعليه أن يحسن صحبة العافية

بالشكر وصحبة البلاء بالصبر^(٢) ، وصحبة الذنب بالتوبة والاستغفار ، كما أن الشكر

لا بد له من صبر ، لذلك قال صلى الله عليه وسلم : (عجباً لأمر المؤمن إن أمره

كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته

نزراء صبر فكان خيراً له) .^(٣)

(١) ان أردت الاستزادة فارجع الى طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٢٧١ وما بعدها

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ١٤٠ .

(٣) صحيح مسلم : ٤ / ٢٢٩٥ كتاب الزهد باب ١٣ واللفظ له ، مسند أحمد : ١٦ / ٦

، سنن الدارمي : ٢ / ٢٢٦ ، كتاب الرقاق باب ٦١ عن صهيب .

وانظر ص ٢٣٠ من هذا البحث .

فحال الضراء احتياجهما الى الصبر شاهرا ، أما السراء فتحتاج الى الصبر على طاعة الله فيها وشكره عليها فالغفلة فيها ادعى لعدم شعور صاحبها بحاجة الحاضرة الى شيء ، وغفلته عن مستقبل أمره ، حيث لا يعلم ما يحدث له بعد ذلك في الدنيا وما سيستل عنه في الآخرة ، وقد آثر عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : " ابتلينا بالضراء فصبرنا ، وابتلينا بالسراء فلم نصبر " . (١)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ : (اللهم انى أعوذ بك من فتنة النار ومن عذاب النار وأعوذ بك من فتنة القبر ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال) . (٢)

لذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر على الفتن والبلايا ، وبين ثواب الصابر المحتسب ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : (مالعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صغيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة) . (٣)

(١) سنن الترمذى : ٦٤٢/٤ كتاب صفة القيامة باب ٣٠ ، وقال : هذا حديث

حسن ، وذكره ابن القيم فى عدة الصابرين ع ٦٤ .

(٢) صحيح البخارى : ١٦١/٧ ، كتاب الدعوات باب ٤٥ ، واللفظ لسه

، ولفظه فى صحيح مسلم : ٢٠٧٨/٤ ، كتاب الذكر باب ١٤ ، كما أخرجه النسائى وابن ماجه .

(٣) صحيح البخارى : ١٧٢/٧ كتاب الرقاق باب ٦ .

سند أحمد : ٤١٧/٢ .

فما يعين على الصبر على أقدار الله :-

- ١ - شهود جزائها وثوابها ، مقابل ذلك تكفيرها للسيئات .
- ٢ - الايمان بقضاء الله وقدره ، ومن العبودية الرضا بما رضى الله لك ، فعدم الصبر يزيد في البلاء .

٣ - علم العبد بتكفيرها للسيئات التي قد تكون سبب البلاء ، كما قال تعالى :

وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا

كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

وقال العباس بن عبدالمطلب "مانزل بلاء الا بذنب ، ولا رفع الا بتوبة " . (١)

فالبلية دواء لذنوبه ، فلا بد من تجرعه ، فبالنظر الى العافية وحسن التأثير

، يصبر على مرارة الدواء ، قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلوهُنَّ

لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ أَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ

مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ

أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

* النساء ١٩ *

وقال الشاعر (٢) :

لعل عتبك محمود عواقبها — وربما صحت الأجسام بالعلل

(١) انظر فتح الباري : ٢/٤٩٧ والأنساب للزبير بن بكار ، سير أعلام النبلاء (التعليق ٢/٩٢)

(٢) لم آقف على اسمه والبيت ذكره ابن القيم في طريق الهجرة تبين ٢٤٧

فان لم يكن هناك ذنوب فهي رفعة للدرجات ، كما قال صلى الله عليه وسلم
: (ان عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله تعالى اذا احب قوما ابتلاهم ، فمن
رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السخط) .^(١)

٤ - وما يعين العبد على الصبر عليها أن يعلم أنها امتحان لصحة ايمانه وصدقه
فالبلية تخرج زيفه وغشه ، وتجعله مؤمنا اذا صبر عليها ، كالذهب اذا فتن
بالنار ، فانه يظهر جيده .

٥ - وكذلك يعلم أن الله يربى عبده على السراء والضراء ، فيستخرج منه العبودية
فى كل حال .^(٢)

ثانيا : التوكل :

ومن العبادات الواردة فى السورة ، التوكل ، قال سبحانه .

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

* العنكبوت ٥٩ *

أى يفوضون أمورهم اليه فى كل اقدام واحجام^(٣) فتوكلهم يقتضى شدة اعتمادهم
على الله ، وحسن ظنهم به أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال ويكملها .
والتوكل هو عمل القلب وعبوديته اعتمادا على الله ، وثقة به والتجاء اليه وتفويضها
اليه ، ورضا بما يقتضيه له لعله بكفايته سبحانه ، وحسن اختياره لعبده اذا فوض
اليه مع قيامه بالأسباب المأمور بها ، واجتهاده فى تحصيلها .

(١) سنن الترمذى : ٦٠١/٤ ، كتاب الزهد باب ٥٦ ، وقال هذا حديث حسن
غريب من هذا الوجه ، سنن ابن ماجة : ١٣٣٨/٢ ، وصحده الألبانى فى
السلسلة : ٢٢٧/١ رقم ١٤٦ ، وصحيح الجامع : ٢١٦/٢ رقم ٢١٠٦ .

(٢) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٢٧٦ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان : ١٠٣/٦ .

وقد قرنه الله بالصبر في هذه السورة " مع أنه دخل فيه لأنه يحتاج اليه في كل فعل وترك أمور به ، ولا يتم الا به " . (١)

" فهما الخير كله الصبر ، وتفويض الأمور الى الله تعالى " . (٢)

والتوكل : اعتماد القلب على غيره ، ولا يتوكل الانسان على غيره الا اذا اعتقد فيه أشياء الشفقة والقوة والهداية ، وهذه بيد الله سبحانه ، واذا ثبت في النفس أنه لا فاعل سواه مع العلم بتمام قدرته ورحمته فليس وراء قدرته قدره ، ولا وراء علمه علم ، ولا وراء رحمته رحمة ، فلا بد من الاتكال عليه وودعه لا محالة ، وعدم الالتفات الى غيره بوجه . . .

فلا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين . (٣)

قال الامام أحمد : " التوكل عمل القلب " ، ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ، ولا هو من باب العلوم والادراكات (٤) ، فاذا أفرد لفظ العبادة دخل فيه التوكل " . فانه من عبادة الله تعالى كقوله تعالى :

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

" الذاريات ٥٦ "

وقال تعالى :

إِنَّمَا النَّجْوَى

مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٧﴾

" المجادلة ١٠ "

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ١٠٣/٦

(٢) البحر المحيط : ١٥٧/٧

(٣) انظر منهاج القاعدين : ٣٣٢

(٤) انظر مدارج السالكين : ١١٩/٢

(٥) جامع الرسائل والمسائل لابن تيمية : ٩١/١

وقال سبحانه : قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَأِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

* المائدة ٢٣ *

فالأيتان دليل على أنه عبادة ومرفها لغير الله شرك .

قال ابن تيمية : " والاعتماد على المخلوق والتوكل عليه يوجب الضرر ، فما علق

أحد رجائه ، وتوكله بغير الله ، إلا خاب فيما تعلق به . (١)

قال تعالى :

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً

لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ

عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾

* مريم ٨١ ، ٨٢ *

فيجب اخلاص التوكل لله جل وعلا .

وهو من أفضل العبادات ، وأعلى مقامات التوحيد ، بل لا يقوم به على الوجه

الأكمل إلا خواص المؤمنين كما في حديث السبعين ألفا .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (عرضت

على الأمم فأخذ النبي يرمعه الأمة والنبي يرمعه النفر ، والنبي يرمعه العشيرة

، والنبي يرمعه الخمسة ، والنبي يرمعه واحد ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت

يا جبريل ، هؤلاء أمي ، قال لا ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير

، قال : هؤلاء أمك ، وهؤلاء سبعون ألفا قد أمهم لأحساب عليهم ، ولا عذاب ،

قلت : ولم ، قال : كانوا لا يكتوبون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم

يتوكلون ، فقام إليه عكاشة بن محصن ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : اللهم

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٢٩/١ .

اجعله منهم ثم قام اليه رجل آخر قال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : سبقك
بها عكاشة (١) .

والتوكل والاعتماد على الله لا ينافي العمل وفعل الأسباب ، لأن الرسول
صلى الله عليه وسلم خير من توكل على الله ، مع أنه لم يترك العمل ، وهذا واضح
من سيرته صلى الله عليه وسلم ، فكان يلبس لامته ودرعه بل ظاهر يوم أحد بين درعين
، واختفى في الغار ثلاثا ، فكان متوكلا في السبب لا على المسبب (٢) .

والله عز وجل يقضى الشئ بحصول سببه ، فكون الشئ مقدر على الانسان
فكذلك سببه مقدر ، فمثلا الولد يحصل بسبب الجماع ، والشبع يحصل بسبب
الأكل ، والحج يحصل بالوصول الى مكة ، فلا بد من سفر ، والجنة تحصل بسبب
الاسلام والعمل الصالح ، والطعام ينضج بايقاد النار تحته .

فلو أن منكروا الأسباب قالوا : اذا كان قضى الله حصول الولد ، والشبع ، والرى ،
والحج ، ونحوها فلا بد أن يصل اليّ تحركت أو سكنت ، وتزوجت أو تركت ، سافرت أو
قعدت ، وان لم يكن قضى ، لى لم يحصل لى أيضا فعلت أو تركت ، فهل يعد هذا
من جملة العقلاء ، وهل البهائم الا ألقه منه ، فان البهيمة تسعى فى السبب
بالهداية العامة (٣) .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (لو أتوكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يـرزق
الطير ، تغدو خماسا ~~وتتروهم~~ بيلانا) (٣) .

فدلل على أنها تغدو وتبحث عن رزقها ولكن بما أن ليس لها عقل تهتدى به قد

(١) صحيح البخارى : ١٩٨ / ٧ كتاب الرقاق باب ٥٠ - واللفظ له .

وبلفظ صحيح مسلم : ١٩٩ / ١ كتاب الايمان باب : ٩٤

(٢) الروح لابن القيم : ٢٥٤ ، وانظر مدارج السالكين : ١٢٤ / ٢ ، وانظر

الفتاوى : ٥٣٠ / ٨

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٨ من المقدمة .

تكفل الله برزقها ، فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ، ويندفع بها المكروه ، كالدعاء ، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل ، ولكن من تمام التوكل عدم الركون الى الأسباب ، وقطع علاقة القلب بها فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها .^(١)

وكون التوكل عبادة لله عز وجل ، هو أن التوحيد لا يتم الا به فهو حقيقة توحيد القلب ، فمتى كان فيه من علائق الشرك فتوكله معلول ناقص ، وطى قسدر تجريد التوحيد تكون صفة التوكل ، فان العبد متى التفت الى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه فنقص توكله يقدر ذلك ، ولذلك ظن بعض الجهلة أن رضى الأسباب حق ، وهذا خطأ لأنه قدح في الشرع ، وانكارها نقص في العقل ، والاعتماد عليها شرك وقدح في التوحيد ، والسلامة من ذلك معرفة طبيعة الأسباب ، والعمل بالمشروع منها ، وعدم الاعتماد عليها ، بل على الله وحسده ، فمن تمام التوكل اعتماد القلب على الله ، واستناده وسكونه اليه ، ومن تمامه حسن الظن بالله ، لأن ذلك يدعو الى التوكل عليه أن لا يتم تصور التوكل على من ساء ظنك به ، ولا التوكل على من لا ترجوه .

ومن تمام التوكل التفويض وهو روجه ولبه وحقيقته ، وهو القاء أمره كلها الى الله وانزالها به طلبا واختيارا لا كرها وانمطرازا ، فانه اذا فعل ذلك وصل الى درجة الرضى بالله وهو ثمرة التوكل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستخارة :
(اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال : فى عاجل أمرى وآجله فأقدره لى ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال : فى عاجل أمرى وآجله فأصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث

(١) مدارج السالكين : ٢ / ١٢٥

كان ثم رضئ به ويسمى حاجته . (١)

فقد اشتمل هذا الدعاء على هذه المعارف الالهية والحقائق الايمانية التي من جملتها التوكل والتفويض قبل وقوع المقدور ، والرضا بعده وهو ثمرة التوكل فانه ان لم يرضى بما قدر له فتفويضه معلول فاسد . (٢)

وكما كان العبد لربه أعرف كان توكله عليه أقوى ، فالتوكل له تعلق بأسماء الله وصفاته ، فمن عرف أنه الله هو الغفار التواب العفو الرؤوف الرحيم ، فانه يتوكل عليه في حصول المغفرة والتوبة والعفو والرأفة والرحمة ، ومن عرف أنه المعزز المذل - الخافئ الرافع فانه يتوكل عليه في حصول المعزة للاسلام والمسلمين والذلة لأعداء الدين ، وهكذا .

وينبغي أن يصرف العبد توكله في الهم العالية كزيادة الايمان والعلم ونصرة الدين وقمع المبتدعين ، ومعالم المسلمين . (٣)

قال ابن تيمية : " فمن ظن أن التوكل من المقامات العامة، ظن أن التوكل لا يطلب به الا خطوط الدنيا ، وهو غلط ، بل التوكل في الأمور الدينية أعظم ، وأيضا التوكل من الأمور الدينية التي لا تتم الواجبات والمستحبات الا بها ، والزاهد فيها زاهد فيما يحبه الله ويأمر به ، ويرضاه ، وأيضا فان التوكل هو محبوب لله مرضى له مأمور به دائما ، وما كان محبوبا لله مرضيا له مأمورا به دائما لا يكفون من فعل المقتصددين دون المقربين . (٤)

(١) صحيح البخارى : ١٦٢/٧ كتاب الدعوات باب ٤٨ واللفظ له ، وبلغته في سنن أبي داود : ١٨٧/٢ كتاب الصلاة باب ٣٦٦ ، سنن الترمذى : ٣٤٥/٢ كتاب الصلاة باب ٣٤٩ ، النسائى : ٨٠/٦ النكاح ، ابن ماجة : ٤٤٠/١ كتاب إقامة الصلاة باب ١٨٨ ، المسند : ٢٤٤/٣ .

(٢) انظر الفتاوى : ٣٧/١٠ ، ومدارج السالكين : ١١٩/٢

(٣) انظر مدارج السالكين : ١١٩/٢

(٤) الفتاوى : ١٠ / ٢٠ - ٢١ .

ومن ثمرات التوكل على الله أن من توكل عليه كفاه وقد بين الله ذلك في القرآن

كما قال سبحانه :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ

اللَّهُ وَمَنْ آتَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾

* الأنفال ٦٤ *

وَيَرْزُقُهُ

وقال سبحانه :

مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ
بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

* الطلاق ٣ *

أى كافيته ، ومن كان الله كافيته وواقبه فلا مطمع فيه لعدوه ، ولا يضره الا أذى

لا يد منه كالحرق والبرد والجوع والعطش

وقال بعض السلف : جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه ، وجعل جزاء التوكل عليه

نفس كفايته ، فلو توكل العبد على الله حق توكله ، وكادته السموات والأرض ومن فيهن

لجعل له مخرجا وكفاه ونصره . (١)

قال ابن عباس : في قوله تعالى

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ آل عمران ١٧٣ *

قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين

قالوا : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

وأن الله عز وجل يكفي من توكل عليه لا يعنى هذا ترك العمل بالأسباب. (٣)

(١) تيسير العزيز الحميد : ٥٠١

(٢) صحيح البخارى : ١٧٢/٥ كتاب التفسير باب ١٣ ، وينحوه في مستدرک الحاكم

: ٢٩٨/٢ كتاب التفسير .

(٣) تقدم في ص ١٤٥ من هذا البحث .

ومن العبادات الواردة في السورة :

قراءة القرآن - الصلاة - والذكر

قد ورد ذكر هذه العبادات في السورة في آية واحدة هي قوله سبحانه :

أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَائِبًا الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

العنكبوت ٤٥ .

فأولها تلاوة القرآن وهو من أفضل العبادات حث الله عليها في كتابه ، وطمس

لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ورتب عليها الأجر الكثير والثواب الجزيل ، لأنها

تدل على صدق المحبة ، لأن من تحبه تطيع أوامره ، وتحب ترديد كلامه ، وقد أمر

الله رسوله بتلاوة كتابه ، والأمر للرسول أمر لأمته ، الا اذا ورد تخصيص أو قرينة

تصرفه عن الأمة . (١) ولم يوجد هنا .

وسا ورد في فضل تلاوة القرآن قوله سبحانه :

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ

وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

يَرْجُونَ تَجْرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾

فاطر ٢٩ .

ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) . (٢)

(١) انظر التمهيد في أصول الفقه : ٢٧٨/١ ، والبرهان للجويني : ٣٦٨/١ ،

وبيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب : ٤٨٨/١ .

(٢) صحيح البخارى : ١٠٨/٦ كتاب فضائل القرآن باب ٢١ ، مسند أبي داود :

١٤٧/٢ كتاب الصلاة باب في ثواب قراءة القرآن : ٣٤٩ عن عثمان ، سنن

الترمذى : ١٧٥/٥ كتاب فضائل القرآن باب ١٥ عن علي رضي الله عنه ،

سنن ابن ماجه : ٧٦/١ ، ٧٧ ، المقدمة باب ١٦ ، سنن الدارمي : ٣١٤/٢

فضائل القرآن ، باب ٢ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (يوتى بقارىء القرآن يوم القيامة فيقال له اقرا وأرق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأ) . (١)

ومأدب القرآن فى غبطة عظيمة لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تحاسدوا فى اشتين رجل أتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار ، يقول لو أتيت مثل ما أتى هذا الفعلت كما يفعل ، ورجل أتاه الله مالا ينفقه فى حقه فيقول لو أتيت مثل ما أتى هذا الفعلت كما يفعل) . (٢)

والأحاديث كثيرة فى فضل قراءة القرآن اذا كانت خالصة لله ، اما ان خلت من ذلك ففيها الوعيد الشديد ، يقول صلى الله عليه وسلم : (يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظرون فى النصل فلا يرى شيئا وينظرون

(١) مسند الامام أحمد : ١٩٢/٢ عن عبدالله بن عمرو ، وفى : ٤٧١/٢ عن أبى هريرة أو أبى سعيد ، سنن أبى داود : ١٥٣/٢ عن عبدالله بن عمرو ، كتاب الصلاة باب استحباب الترتيل فى القراءة ، ٣٥٥ ، سنن الترمذى : ١٧٧/٥ عن عبدالله بن عمرو ، كتاب فضائل القرآن ، باب ١٨ حديث ٢٩١٤ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ولفظ قريب منه فى سنن ابن ماجة : ١٢٤٢/٢ عن أبى سعيد ، كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن : ٥٢ حديث ٣٧٨٠ ، ومسند أحمد : ٤٠/٣ .

(٢) صحيح البخارى : ١٢٩/٨ ، كتاب التمنى باب ٥ واللفظ له ، وفى ٢٠٩/٨ كتاب التوحيد باب ٤٥ ، صحيح مسلم : ٥٥٨/١ ، كتاب صلاة المسافرين ، باب ٤٧ ، حديث : ٢٦٦ ، كما أخرجه الترمذى والدارسى وابن ماجة والامام أحمد .

في القدح فلا يرى شيئاً وينظر في الريش فلا يرى شيئاً ، ويتمارى في الفوق (١) ،
والمقصود أنهم يخرجون من الاسلام كالسهم الذي يضرب به العدو ويخرج ويرجع
الى صاحبه فينظر اليه وانا هولم يصبه الدم لا في نصله ، ولا قدحه ، ولا ريشه ولا فوقه (٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : (ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه
نعمة فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ ، قال : قاتلت فيك حتى استشهدت
، قال : كذبت ، ولكك قاتلت لأن يقال جرى* ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب
على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى
به فعرفه نعمة فعرفها ، قال : فما عملت فيها ، قال : تعلمت العلم وعلمت
وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكك تعلمت العلم لي قال : عالم ، وقرأت
القرآن لي قال : هو قارى* ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي
في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به فعرفه
نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ، قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها
الا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ، ولكك فعلت لي قال : هو جواد ، فقد قيل ،

(١) صحيح البخارى : ١١٥/٦ ، كتاب فضائل القرآن ، باب ٣٦ ، واللفظ له
ومواضع أخرى ، صحيح مسلم : ٧٤٣/٢ ، كتاب الزكاة باب ٤٧ حديث ١٤٧ ،
عن أبي سعيد ، وفي مواضع أخرى بألفاظ متقاربة ، كما أخرجه الامام أحمد
وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارمى ومالك بألفاظ متقاربة .
و يتمارى في الفوق : أى يتشكك في الفوق هل بقى فيها شيء من الدم .
والفوق يذكر ويؤنث وهو موضع الوتر من السهم ، فتح البارى : ٢٩٠/١٢ .

(٢) انظر فتح البارى : ٢٩٤/١٢ .

ثم أمر به فسحب على وجهه ثم التقى في النار . (١)

فلا بد من الاخلاص في كل العبادات حتى القرآن .

ومن تلاوة القرآن العمل به ، فالأمر بالتلاوة اذا أطلق يشمل التلاوة اللفظية

والمعنوية ، وهي العمل به ، كما فسر ذلك ابن عباس في قوله تعالى :

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ

الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾

* البقرة ١٢١ *

قال : (يحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ولا يحرفونه) وقيل يتبعونه حق اتباعه . (٢)

ومن تمام تلاوة القرآن أن يفهم معناه ويعمل به كما درج على ذلك سلف

الامة ، فعن أبي عبد الرحمن السلمي (٣) قال : " حدثنا الذين كانوا يقرؤننا

القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى

الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل

قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا . (٤)

(١) صحيح مسلم : ١٥١٤/٣ كتاب الامارة باب ٤٣ ، سند الامام أحمد : ٣٢٢/٢ ،

سنن النسائي : ٢٣/٦ كتاب الجهاد : من قاتل ليقاتل فلان جرى .

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ٥١٩/١

(٣) هو : عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي من اولاد الصحابة ، ولد في حياصة

الرسول صلى الله عليه وسلم ، مقرئ الكوفة ، سمع من الصحابة منهم عمر ، وعثمان ،

وطى وابن مسعود ، وحدث عن بعضهم ، أخذ عنه القرآن عاصم بن أبي النجود

ويحيى بن وثاب ، ووطى وغيرهم ، وعرض عليه الحسن والحسين رضي الله عنهما

، أقرأ الناس أربعين سنة ، توفي سنة ٧٤ أو ٨٠ هـ . (حلية الأولياء : ١٩١/٤)

، سير أعلام النبلاء : ٢٦٧/٤ .

(٤) أخرجه الطبري بسندين ، الأول عن ابن حميد عن جرير عن عطاء : ٣٦/١ ،

والثاني عن الحسين بن واقد عن الأعشى عن شقيق عن ابن مسعود : ٣٥/١ ، وأخرجه

ابن أبي شيبة في مصنفه : ٤٦٠/١٠ ، وانظر طبقات ابن سعد : ١٧٢/٦ ،

وانظر سير أعلام النبلاء : ٢٦٩/٤ - ٢٧١ .

وطى هذا فتلاوة القرآن تشمل جميع العبادات التي أمر الله بها ، لأن الاتيان بها من العمل بالقرآن ، ومن ذلك الصلاة حيث عطفها عليه ، وهذا من عطف الخاص على العام ، قال الامام أحمد وغيره : " تلاوة الكتاب العمل بطاعة الله كلها ثم خص الصلاة بالذكر " . (١)

وثانيها الصلاة وقد تقدم الكلام عليها وبيان أنها الركن الثاني من أركان الاسلام وذلك فى ص (٢٤) ، ومن المناسب أن أذكر بعض فوائدها هنا كما بينها

الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة بقوله **أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْتَغَاءَ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴿٤٥﴾

" المنكوت ٤٥ "

" فالفحشاء كل ما استعظم واستفحش من المعاصى التى تشتهىها النفوس . والمنكر كل معصية تنكرها العقول والفطر " . (٢)

وإذا كان عند العبد رغبة صادقة فى اجتناب الفحشاء والمنكر ، فإنه يستعين بالصلاة ، قال سبحانه :

وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾

" البقرة ٤٥ "

فوجه كونها تنهى ، أن العبد التزم لأركانها وشروطها وخشوعها يستنير قلبه ويتطهر فوائده ، ويزداد إيمانه ، وتقوى رغبته فى الخير ، وتقل أو تنعدم رغبته فى الشر ، وهذا من أعظم مقاصد الصلاة وشراتها . (٣)

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ١٦٢/٧

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان : ٩١/٦

(٣) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان : ٩١/٦

فعن ابن سعود وابن عباس : * ان في الصلاة منتهى ومزدجرا عن معاصي الله
فمن لم تنبه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا* . (١)

وقوله : * لم يزدد الا بعدا* اذا كان ماترك من الواجبات منها أعظم مما
فعله ، أبعد ترك الواجب الاكثر من الله أكثر ما قره فعل الواجب الأقل* . (٢) يشهد
لذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق
يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعا لا يذكر الله
فيها الا قليلا) . (٣)

وقد قال الله تعالى عنهم :

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى
الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا

قَلِيلًا ﴿١٤٤﴾

* النساء ١٤٢ *

وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : (ان العبد ليصلى الصلاة ما يكتب له منها الا عشرها ، تسعها ، ثمنها
، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها) . (٤)

-
- (١) ذكره ابن تيمية في الفتاوى : ٣٠/٧ ، وجزء الأخير ذكره ابن كثير في التفسير :
٦٦١/٣ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٨/٣ . من قوله من لم تنبه صلاته
(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ٣٠/٧
(٣) صحيح مسلم : ٤٣٤/١ كتاب المساجد باب ٣٤ حديث رقم ١٩٥ عن أنس بن
مالك ، سنن الترمذى : ٣٠١/١ كتاب الصلاة باب ١٢٠ حديث ١٦٠ ، سنن
النسائي : ٢٥٤/١ ، كتاب المواقيت ، موطأ مالك : ٢٢٠/١ كتاب القرآن باب
١٠ حديث ٤٦ ، سنن أبي داود : ٢٨٨/١ ، كتاب الصلاة باب ٥ ، حديث
رقم ٤١٣ .
(٤) سند الامام أحمد : ٣١٩/٤ - ٣٢١ ، سنن أبي داود : ٥٠٣/١ كتاب الصلاة
باب ١٢٨ حديث ٧٩٦ ، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة : ١٩٥/١ بطرق
متعددة ، وصححه الألبانى في صحيح الجامع : ٦٥/٢ ، حديث ١٦٢٢ .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " وهذا وان لم يؤمر باعادة الصلاة عند اكر العلماء
لكن يؤمر بأن يأتي من التطوعات ما يجبر نقص فرضه ، ومعلوم أن من حافظ
على الصلاة بخشوعها الباطن وأعمالها الظاهرة ، وكان يخشى الله الخشيعة
التي أمره بها ، فإنه يأتي بالواجبات ، ولا يأتي كبرية " .^(١) أدهم

قال أبو العالية^(٢) في قوله تعالى : **أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ**

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طِبِّ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

* العنكبوت ٤٥ *

قال : ان الصلاة فيها ثلاث خصال ، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه
الخصال فليست بصلاة ، الا خلاص ، والخشية ، وذكر الله ، فالإخلاص بأمره
بالمعروف ، والخشية تنهاه عن المنكر ، وذكر الله القرآن بأمره وينهاه .^(٣)

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ٣١/٧

(٢) هو : رفيع بن مهران الامام المقرئ الحافظ المفسر ، كان مولى لامرأة من بنى رباح
بن يربوع ، أسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وسمع من عمر ، وطى وأبي ، وأبي
ذر ، وابن مسعود ، وعائشة ، وغيرهم ، وقرأ عليه : أبو عمر بن العلاء ، وشعيب
ابن الحباب ، وآخرون ، كان ابن عباس يرفعه فوق السرير لعله ، مات
سنة ٩٣ هـ .

التاريخ الكبير : ٣٢٦/٣ ، طبقات ابن سعد : ١١٢/٧ ،

حلية الأولياء : ٢١٧/٢ - وغيرها .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٦٦١/٣

ومتى يكون النهى عن الفحشاء وهل هو فى حال الصلاة أم فى خارجها ، قيل
انها تنهى ما دام فيها فانه اذا اشتغل بالصلاة يترك غيرها حتى الدنيا لأنه
منشغل عنها بصلاته ^(١) ، وهذا "صحيح" لكن ليس هو المراد ، لأن هذا ليس
مدحا للصلاة ، لأن غيرها من الأشغال كثيرا ما يكون كذلك كالنوم وغيره .
وقيل انه خبر بمعنى الأمر ، ولينتهى المصلى عن الفحشاء والمنكر ^(٢) .
فاذا لم يحصل ذلك تكون ناقصة لما تقدم عن ابن مسعود ، وابن عباس * من
لم تنبه صلته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعدا ^(٣) .

والصحيح أن الانسان اذا أراها كما ينبغى وتدبر ما يتلو فيها نهته ، وهذا
مقتضى وجوبها ، لأنها سبب للنهى ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان فلانا يصلى بالليل واذا
أصبح سرق ، قال صلى الله عليه وسلم : سئها ما تقول ^(٤) .

والصلاة تشغل كل بدن المصلى فاذا خشع وأخبت لربه وذكر أنه واقف بين
يديه مطلع عليه ، صلحت لذلك نفسه ، وتذلت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت
على جوارحه هيئتها ، ولم يكن يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها
الى أفضل حاله ، فهذا معنى الاخبار ، لأن صلاة المؤمن هكذا ينبغى أن تكون ^(٥) .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٧/١٣

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٩/١٣

(٣) تقدم ذلك فى ص : ١٥٧

(٤) سند الامام أحمد : ٤٤٧/٢ ، وأورد القوطى فى تفسيره : ٣٤٧/١٣
عن أنس .

(٥) انظر أحكام القرآن للقوطى : ٣٤٨/١٣ .

ومن فوائد الصلاة ذكر الله عز وجل ، وهو أعظم الفوائد ، فقله سبحانه :

بيان " لحصول محبوب وهو أكبر من دفع المكروه ، لأن ذكر الله عبادة لله مقصودة لذاتها ، أما اندفاع الشرف فهو مقصود لغيره على سبيل التبع " .^(١)

كما أن فيه بيان لما في الصلاة من المنفعة والمصلحة أي ذكر الله الذي فيها أكبر من كونها ناهية عن الفحشاء والمنكر .

ومن ظنن أن المعنى ولذكر الله أكبر من الصلاة خطأ فان الصلاة أفضل من الذكر المجرد بالنص والاجماع ، فهي ذكر لله على أكمل الوجوه ، فكيف يفضل ذكر الله المطلق على أفضل أنواعه^(٢) ، لأن الصلاة ذكر لله باللفظ والمعنى لأنها امتثال لأمر الله ، ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (عليكم بقيام الليل فانه راب الصالحين قبلكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم) .^(٣)

ولأن الصلاة تقام لأجل الذكر كما قال تعالى :

إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي

* طه ١٤ *

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ١٨٨/١٠

(٢) " " " " " : ١٩٣/٢٠

(٣) أخرجه الجاكم : ٣٠٨/١ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه ، السنن الكبرى للبيهقى : ٥٠٢/٢ ، سنن الترمذى : ٥٥٣/٥ ، كتاب الدعوات باب ١٠٢ حديث ٣٥٤٩ ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع : ٥٠/٤ ، رقم : ٣٩٥٨ ، وحسنه فى ارواء الغليل : ١٩٩/٢ رقم ٤٥٢ ، وانظر تخریج أحاديث احياء علوم الدين : ٨٨٨/٢ ، حديث : ١١٦٩ .

ومعنى ذكر الله أكبر فيعدة أقوال منها :-

١ - ذكر الله لكم بالشواب والثناء عليكم أكبر من ذكركم له فى عباداتكم وصلواتكم ،
قال تعالى :

فَاذْكُرُونِي

أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

* البقرة ١٥٢ *

٢ - وقيل أن ذكركم الله فى صلاتكم وفى قراءة القرآن أفضل من كل شىء ، لأن الله انما خلق الخلق لعبادته وأفضل عبادته تقع منهم الصلاة ، وفيها مسن عبوديات الجوارح كلها ما ليس فى غيرها ، ولهذا قال : ((ولذِكْرُ الله أكبر)) .

٣ - وقيل أن ذكر الله فى الصلاة أفضل من الذكر فى غيرها ، لأنها عبادتان .
٤ - وقيل أن ذكر الله فى الصلاة أكبر من الصلاة لأن المقصود منها إقامة ذكر الله ، أو أنه أكبر ما تنهاك عنه من الفحشاء والمنكر ،
٥ - وقيل ان المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله لأن ذكر الله أعظم ما فيها . (١)

وذكر الله عز وجل فى الصلاة وغيرها اذا كان مع الاخلاص والعلم والاقبال على الله فهو من أفضل الأعمال ، وأحبها الى الله عز وجل ولو أن ما فيه الا قول الرب جل وعلا فى الحديث القدسى لكفى وهو : (أنا عند ظن عبدي بي)

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٩/١٣ ، وانظر تفسير القرآن العظيم :

لابن كثير : ٦٦٢/٣ ، وانظر زاد السير فى علم التفسير :

وأنا معه اذا ذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملاذكرته فى ملاخير منهم ، وان تقرب الى بشير تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيت هرولة . (١)

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ذكر الله) . (٢)

والذاكر لله شبيه بالحقى لما فى قلبه من الحياة لأنه عمل من أجل ما أحبب له بخلاف المعرض ، فانه لم يقم بالواجب الذى كلف به ، لذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحقى والميت) . (٣)

(١) صحيح البخارى : ١٧١/٨ كتاب التوحيد باب ١٥ واللفظ له ، صحيح مسلم : ٢٠٦١/٤ ، كتاب الذكر باب ١ حديث ٢٦٢٥ وباب ٦ - ص ٢٠٦٢ ، حديث ٢١ ، سنن الترمذى : ٥٨١/٥ كتاب الدعوات باب ١٣٢ فى حسن الظن بالله عز وجل ، حديث ٣٦٠٣ ، كما أخرجه ابن ماجة وأحمد (٢) سند أحمد : ١٩٥/٥ عن أبى الدرداء ، وفى : ٢٣٩/٥ عن معاذ ، وفى ٤٤٧/٦ عن أبى الدرداء بالفاظ متقاربة .

موطأ الامام مالك : ٢١١/١ كتاب القرآن باب ٧ حديث ٢٤ عن أبى الدرداء ، وعن فى سنن الترمذى : ٤٥٩/٥ ، كتاب الدعوات باب ٦ حديث ٣٣٧٧ ، وسنن ابن ماجة : ١٢٤٥/٢ كتاب الأدب ، باب فضل الذكر ٥٣ حديث ٣٧٩٠ ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع : ٣٧٠/٢ ، حديث ٢٦٢٦ .

(٣) صحيح البخارى : ١٦٨/٧ كتاب الدعوات باب ٦٦ ، صحيح مسلم : ٥٣٩/١ كتاب صلاة المسافرين باب ٢٩ حديث ٢١١ بلفظ : (مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحقى والميت) .

والنصوص في فضل الذكر كثيرة جدا ، وله من الفوائد والثمار العظيمة ما لا يحصى به عظيم حتى أن ابن القيم رحمه الله ذكر له أكثر من مائة فائدة مستنبطة من أحاديث فضل الذكر والأمر به منها : أنه يرضى الرحمن - ويطرد الشيطان - ويجلب الفرح - ويزيل الهم - ويجلب الرزق ، ويورث المحبة التي هي روح الاسلام .^(١)

(١) انظر فضائل الذكر والدعاء لابن القيم ص ٥٠

(بر الوالدين)

من أنواع العبادة المذكورة في السورة (بر الوالدين) فانه عبادة يتقرب

الى الله عز وجل بها ، قال تعالى :
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

* العنكبوت ٨ *

وقد قرن الله عز وجل طاعته بالاحسان اليهما في غير هذه الآية حيث قال

سبحانه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ إِنَّمَا

يَبْلُغُنَّ عَلَيْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا

أُفٍّ وَلَا لَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

* الاسراء ٢٣ *

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ

ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ

وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن

كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

* النساء ٣٦ *

والآيات في ذلك كثيرة ، والآية التي في سورة العنكبوت وغيرها كما فسرى

لقمان والأحقاد تدل على أهمية هذا الحق ، حيث أنه أتى به من باب الوصية

تأكيدا للاهتمام به .

كما أمر بمصاحبتهما بالمعروف حتى ولو كانا مشركين ، كما يدل على ذلك

سبب نزول الآية الأولى ، فقد نزلت في سعد بن أبي وقاص حينما أسلم قالت له أمه : أليس الله أمرك بالبر ؟ ، والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر ، قال : فكانوا اذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهها ، فنزلت الآية . (١)

فأمر بالاحسان اليهما مع البقاء على دينه والتمسك به ، قال تعالى :

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ

وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَمَامِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ

إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا

وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ

* لقمان ١٤ ، ١٥ *

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

فالأية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال ، ان كانوا

فقيرين والا نه القول والدعاء الى الاسلام يرفق ، وانظر الى تطف ابراهيم

عليه السلام مع أبيه

يَنَابِتٍ

إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا

سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ هَرِيمٍ

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما قالت : * قدمت على أمي

(١) القصة جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند : ١٨١/١ ، والترمذي في سننه

: ٣٤١/٥ كتاب التفسير باب ٣٠ ، ٣١٨٩٥ وقال : هذا حديث حسن

صحيح ، وفي صحيح مسلم : ١٨٧٧/٤ ، ١٨٧٨ ، كتاب فضائل الصحابة

باب ٥ - حديث ١٧٤٨ ، انظر أسباب النزول للواحدى : ٣٩٤ ، وذكرها

ابن كثير في تفسيره : ٦٤٦/٣ - ٧٠٨ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن : ٦٤/١٤

، وانظر الدر المنثور : ١٤١/٥ - ١٤٢٠

وهي مشرقة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : ان أمي قدمت وهي راغبة أفأصل أمي ، قال : نعم صلى أمك . (١)

فالله تعالى أمر عباده بالاحسان الى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده ، فان الوالدين هما سبب وجود الانسان ولهما عليه غاية الاحسان ، فالوالد بالانفاق ، والوالدة بالاشفاق (٢) ، ولهذا قال تعالى :-

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا لَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيرًا ﴿٢٤﴾

* الاسراء ٢٤ *

والله عز وجل نهى عن أقل المكروه وهو أن يوقف لهما وهو ما يظهر بتنفسه المرود من الضجر . (٣)

ومن عظم حقهما أن برهما لا ينقطع أبدا حتى ولو ماتا ، فعن أبي أسيد وكان بدريا ، قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فجا رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله هل بقي من بر والدي من بعد موتها شيء أبرهما به ؟ قال :

(١) صحيح البخارى : ١٤٢/٣ ، كتاب الهبة باب ٢٩ ، واللفظ له ، وكتاب الأدب : ٧١/٧ باب ٨ ، وكتاب الجزية : ٧٠/٤ باب ١٨ ، صحيح مسلم : ٦٩٦/٢ ، كتاب الزكاة باب ١٤ ح ٥٠ ، سند أحمد : ٣٤٤/٦ - ٣٤٧ - ٣٥٥ بالفاظ متضاربة .

(٢) ابن كثير : ٦٤٦/٣

(٣) أحكام القرآن للقرطبي : ١١٩٨/٣ .

نعم ، الصلاة عليهما ^(١) ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما بعدهما ، واكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا رحم لك الا من قبلهما ، فهذا الذي بقى عليك . ^(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : (ان من أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه) ^(٣) .

وبر الوالدين من الأعمال الصالحة التي يتوصل بها الى الله عز وجل مصداق ذلك ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (بينما ثلاثة نفر من كنان قبلكم يشون ان أصحابهم مطرفا ووا الى غار فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض انه والله ياهو ولا ينجيكم الا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه ، فدعوا وكان من دعاء الثاني منهم أنه قال : اللهم ان كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكانت لي غنم وكنت آتيهما في كل ليلة بلين غنم لي ، فأهبطت عنهما ذات ليلة فأتيتهما وقد رقدتا وأهلى وهىالى يتضاغون من الجوع ، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى فكرهت أن أوقظهما من رقدتهما ، وكرهت أن أرجع فيستيقظا لشربهما فلم أزل انتظرهما حتى طلع الفجر ، فقاما وشربا ، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء . . . الحديث) ^(٤) .

(١) أى الدعاء لهما

(٢) مسند الامام أحمد : ٤٩٨/٣ ، سنن أبى داود : ٣٥٢/٥ كتاب الأدب باب

١٢٩ حديث ٥١٤٢ ، سنن ابن ماجه : ١٢٠٨/٢ ، كتاب الأدب باب ٢ ،

حديث : ٣٦٦٤ ، المستدرك : ١٥٤/٤ - ١٥٥ ، وقال الحاكم : هذا

حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

(٣) صحيح مسلم : ١٩٧٩/٤ البر باب فضل صلة أصدقاء الأب واللفظ له ، سنن

أبى داود : ٣٥٢/٥ ، الأدب باب فى بر الوالدين ، سنن الترمذى : ٣١٣/٤

، البر باب ماجاء فى اكرام صديق الوالد ، مسند أحمد : ٨٨/٢ ، ٩١ ،

١١١٠٩٧

(٤) جزء من حديث فى صحيح البخارى : ١٤٧/٤ - ١٤٨ كتاب الأنبياء باب

٥٣ ، وكتاب الحرث والمزارعة : ٦٩/٣ باب ١٣ ، وكتاب الاجارة : ٥١/٣

ومن العبادات في السوره
(الدعوة الى الله)

قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدُنَا لَهُ، مُسْلِمُونَ ﴾ (٤٦)

* العنكبوت ٤٦ *

ففي الآية الأمر بدعوة أهل الكتاب بالحسنى الى الدين الاسلامي ، وقد
تقدم تعريف الدعوة (١) ، وسياتي الكلام على أساليبها (٢) ، وهي وظيفة الرسائل
عليهم السلام ، وقد أمر الله بها وحث عليها في آيات كثيرة منها قوله

سبحانه :

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)

* فصلت ٣٣ *

فهذه الآية من أوضح الآيات في الدلالة على فضل الدعوة وأنها من أهم القربات
، ومن أفضل الطاعات ، وأن أهلها في غاية من الفرح ، قال تعالى :

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا

يَجْمَعُونَ (٥٨)

* يونس ٥٨ *

= باب ١٢ وأخرجه الامام أحمد في المسند : ١١٦/٢ ، وصحيح مسلم :
٢٠٩٩/٤ ، كتاب الذكر ، باب ٢٧ حديث ٢٧٤٣ .

(١) تقدم في ص : ١٤

(٢) يأتي في ص : ٢٧٩

ومن الدلالة على فضلها من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : (ومن دل على خير فله مثل أجر فاطمه) . (١)

وقيام الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الله بنفسه على أكمل وجه ، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وسن ذلك ارساله الكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ، وارساله الدعاة الى الأمصار ، فـــــــ أرسل عليا يوم خيبر ، فعن سهل بن سعد رضى الله عنه أنه : (سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجـــــــلا يفتح الله على يديه ، فقاموا يرمون لذلك أيهم يعطى ففدوا ، وكلهم يرجو أن يعطى فقال : أين على ، فقيل يشتكى عينيه ، فأمر فدعى له ، فبصق في عينيه ، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء ، فقال : نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من خير النعم) (٢) متفق عليه . وأرسل معاذا الى اليمن ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن : انك ستأتى قوما من أهل الكتاب ، فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فان هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليكم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فانهم أطاعوا الله بذلك ، فاياك وكرام أموالهم

(١) صحيح مسلم : ١٥٠٦/٣ كتاب الامارة باب ٣٨ حديث : ١٣٣ ، مسند الامام

أحمد : ١٢٠/٤ ، ٤٧٢/٥ ، ٢٧٣ ، عن ابن مسعود ، مسند أبي داود :

٣٤٦/٥ ، كتاب الأدب باب في الدال على الخير : ١٢٤ ، سنن الترمذى

: ٤١/٥ كتاب العلم باب ماجاء الدال على الخير كفاؤه : ١٤ .

(٢) صحيح البخارى : ٥/٤ كتاب الجهاد باب ١٠٢ وباب ١٤٣ ص ٢٠ و ص ٢٠٧

من كتاب أصحاب النبي باب ٩ ، و ٧٦/٥ كتاب المغازى باب ٣٨ .

صحيح مسلم : ١٨٧٢/٤ كتاب فضائل الصحابة باب ٤ حديث ٣٤ ، مسند

أحمد : ٩٩/١ بلفظ قريب من هذا ، و ص ١٣٣ و ص ١٨٥ .

واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب . (١)

وما وصل الينا هذا الخير وهذا الفضل الا بسببه صلى الله عليه وسلم ، وسبب
دعوته وأمرنا بتبليغه للناس عامة حسب استطاعتنا فجزاه الله عنا خير ما جزى به
نبي عن أمته .

(١) صحيح البخارى : ٦٠٩/٥ كتاب المغازى باب ٦٠ ، و ١٦٤/٨ ، كتاب
التوحيد باب ١ ، صحيح سلم : ٥٠/١ و ٥١ كتاب الايمان باب ٧ حديث
٢٩ - ٣١ ، كما أخرجه أبو داود والترمذى وأحمد والطيالسى وابن ماجه
والدارسى وابن سعد فى الطبقات .

الهجرة

الهجرة في اللغة الترك ، وفي الشرع ترك بلد الكفر الى بلد الاسلام

، قال تعالى عن لوط :

فَأَمِّنْ لَهُ دَلُوطٌ وَقَالَ

إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٦﴾

* العنكبوت ٢٦ *

وقال سبحانه :

يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ

* العنكبوت ٥٦ *

والهجرة قسمان ، هجرة حسية ، وهجرة معنوية ، وكلاهما من العبادات التي يتقرب بهما الى الله ، حيث أن المراد من الهجرة هو اقامة شرع الله ، فالهجرة المعنوية : هي الهجرة بالقلب الى الله ورسوله ، وهذه هي الهجرة الحقيقية وهي الأصل ، والهجرة الحسية تابعة لها . (١)

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) . (٢)

(١) زاد المهاجر الى ربه لابن القيم : ١٢

(٢) صحيح البخارى : ٨/١ - كتاب الايمان باب ٤ - و١٨٦/٧ كتاب الرقاق باب ٢٦ ، سنن النسائي : ١٠٥/٨ كتاب الايمان باب المسلم ، سند أحمد : ١٦٣/٢ - ١٩٢ - ٢٠٩ عن ابن عمر كما أخرجه ابو داود في مواضع أخرى .

ولهذا يقرن الله عز وجل بين الايمان والهجرة في مواضع كثيرة من القرآن لتلازمهما ، واقتضاها أحدهما الآخر ، ومن ذلك قوله سبحانه :

يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا أَرْضِيَّ وَسِعَةً فَأَعْبُدُونِ



" العنكبوت ٥٦ "

والمقصود أن الهجرة الى الله تتضمن هجران ما يكرهه واتيان ما يحبه ويرضاه ، وأصلها الحب والبغض ، فان المهاجر من شيء الى شيء لا بد أن يكون مهاجر اليه أحب ما هاجر منه ، فيؤثر أحب الأمرين اليه على الآخر ، واذا كان نفس العبد وهواه وشيطانه انما يدعوانه الى خلاف ما يحبه ويرضاه ، وقد بلى بهؤلاء الثلاثة ، فلا يزالون يدعون الى غير مرضاة ربه ، وداعي الايمان يدعوه الى مرضاة ربه ، فعليه في كل وقت أن يهاجر الى الله ، ولا ينفك في هجرته الى الممات .

" وهذه الهجرة تقوى وتضعف بحسب داعي المحبة في قلب العبد ، فان كان الداعي أقوى كانت هذه الهجرة أقوى وأتم ، وأكمل ، واذا ضعف الداعي ضعفت الهجرة حتى لا يكاد يشعر بها علما ، ولا يتحرك لها ارادة ، وهذه هي الهجرة الدائمة الواجبة على مدى الأنفاس ^(١)

والهجرة الى الله متضمنة الهجرة الى رسوله صلى الله عليه وسلم باتباع شرعه ، وهذا ما تقدم بيانه في شرطى قبول العمل ، وهذا ما تضمنته شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله ، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (انما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها

(١) زاد المهاجر الى ربه لابن القيم : ١٥ .

فهجرته الى مهاجر اليه . (١)

وأما الهجرة من بلد الكفر الى بلد الاسلام فهذه لا تحصل الا بعد ماتحصل
الهجرة المعنوية ، فان المسلم اذا قام أمر الله في قلبه فانه ان كان محققا
فلا بد أن يبحث عن مكان يقيم فيها أمره الله به والجهر به ، ومن هنا يأتي
تحريم السفر الى بلاد الكفار الا اذا كان يظهر شعائر الدين ، واطهار شعائر
الدين ليس المقصود به اقامة شعائره الظاهرة فقط ، وانما المراد مع ذلك الدعوة
اليه والجهر بذلك .

وقد هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر أنبياء الله عليهم السلام كما قال

الله عز وجل عن لوط : ﴿ فَاَمِنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ

إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٦﴾

* العنكبوت *

وهاجر الصحابة رضوان الله عليهم ، كما قال الله سبحانه وتعالى مادحا لهم :

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ

هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ

اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

* البقرة ٢١٨ *

(١) صحيح البخارى : ٢٠/١ كتاب الايمان باب ٤١ ، واللفظ له ، و١١٩/٣ ،
كتاب العتق باب ٦ ، و١١٨/٦ كتاب النكاح باب ٥ ، و٢٣١/٧ كتاب الايمان
باب ٢٣ ، صحيح مسلم : ١٥١٥/٣ كتاب الامارة باب ٥ ، كما أخرجه
أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، والامام أحمد .

وأمر الله عز وجل بالهجرة فقال سبحانه :

يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ



* العنكبوت ٥٦ *

والهجرة عبادة لله عز وجل للقيام بما أوجبه الله من العبادات واطهار دينه ، فاذا حصل ذلك فلا هجرة ، لذلك كانت واجبة على المسلمين في مكة حينما كانت دار حرب . (١)

فلما فتحت انقطعت الهجرة منها ، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، فإذا استنفرتم فانفروا) . (٢)
أما بلاد الكفر فان الهجرة منها واجبة ، وذلك اذا لم يستطع اظهار شرائع الدين - لذلك قال صلى الله عليه وسلم : (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) . (٣)
ويقول صلى الله عليه وسلم : (لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار) (٤) فالمسلم اذا فتن في دينه فعليه بالهجرة الى بلد يأمن فيه على دينه .

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ٢٨١/١٨

(٢) صحيح البخارى : ٢٠٠/٣ كتاب الجهاد باب (١) وهاب ٢٧ ص ٢١٠ وهاب

١٩٤ ، ٣٨/٤ ، صحيح سلم : ١٤٨٨/٣ كتاب الامارة باب ١٩ . سنن

الترمذى : ١٤٨/٤ كتاب السير باب ٣٣ ماجا في الهجرة ، كما أخرجه الامام

أحمد في السنن ، والنسائى وابن ماجة والدارمى .

(٣) سنن أبى داود : ٧/٣ رقم الحديث ٢٤٧٩ بحقق سند أحمد : ٩٩/٤ عن معاوية

وسنن الدارمى : ١٥٧/٢ ، كتاب السير باب ٧٠ ، السنن الكبرى للبيهقى

: ١٧/٩ ، صححه الألبانى في صحيح الجامع : ١٨٦/٦ حديث ٧٣٤٦ ،

والاروا : ٣٣/٥ رقم ١٢٠٨ ، وسيأتى الكلام عن الهجرة في دعوة المؤمنيين

في السورة .

(٤) سنن النسائى : ١٤٦/٧ كتاب البيعة باب ذكر الاختلاف في انقطاع

الهجرة ، سند أحمد : ١٩٢/١ ، عن ابن السعدى بلفظ لا تنقطع الهجرة

مادام العدو يقاتل ، وفي : ٦٢/٤ ، وفي ٢٧٠/٥ ، ٣٦٣ ، ٣٧٥ ، بالفاظ =

قال البيهقي^(١) بعد أن ساق أحاديث انقطاع الهجرة ، قال : " وكل ذلك يرجع الى انقطاع الهجرة وجوا عن أهل مكة وغيرها من البلاد بعد ما صارت دار أمن وسلام ، فأما دار حرب أسلم فيها من يخاف الفتنة على دينه وله ما يبلغه الى دار السلام فعليه أن يهاجر " .^(٢)

== متقاربه وصححه الألبانى وجعله مقويا للحديث الذى قبله ، انظر الاروا " :

٠ ٣٣/٥

(١) البيهقي هو : الحافظ العلامة الثبت الفقيه أبو بكر أحمد ابن الحسين ابن على بن موسى الخسروجردى الخراسانى ، ولد سنة ٣٨٤ فـسـى شعبان ، وسمع وهو ابن خمس عشرة سنة من أبى الحسن محمد بن الحسين العلوى ، والحاكم ومحمش الفقيه ، وعبدالله بن يوسف الأصبهاني ، وغيرهم . له السنن الكبرى ، والسنن والآثار ، والأسماء والصفات ، والمعتقــــــــــــد ، والبعث ، والترغيب والترهيب وغيرها ، وروى عنه خلق كثير منهم : أبو اسماعيل الأنصارى ، ت ٥٣٦ هـ . (معجم البلدان : ١/٥٣٨) ، (ســـــــــــــــــر أعلام النبلاء : ١٨/١٦٣) .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي : ١٧/٩ .

الجهاد

معنى الجهاد وحقيقته : الاجتهاد في حصول ما يحب الله من الايمان والعمل الصالح ، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان ^(١) أو هو "الدعاء الى الدين الحق" ^(٢) .

وهذا شامل لجميع أنواع الجهاد من جهاد الانسان لنفسه ولغيره وكل ذلك يحتاج الى جهد ومشقة .

وقد أمر الله عز وجل بالجهاد في كتابه وطقى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك ماورد في السورة قوله سبحانه :

وَمَنْ

جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

* العنكبوت ٦ *

وقوله سبحانه :

وَالَّذِينَ

جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

* العنكبوت ٦٩ *

وما أن الجهاد - اما للنفس أو للأعداء ، فقد اختلف العلماء في الجهاد الوارد في السورة ، هل يشملها أو خاص بأحدهما . فقال ابن جرير ^(٣) في الآية الأولى : " ومن يجاهد عدوه من المشركين فانما يجاهد لنفسه ، لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده والهرب من العقاب" ^(٤) .

(١) العبودية لابن تيمية : ٥١ - ٥٢ تحقيق

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٨٠

(٣) هو محمد بن جرير الطبري ، تقدمت ترجمته في ص ٢٣

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٣٠/٢٠ .

ويقول في الآية الثانية : " والذين قاتلوا هو لا المفترين على الله كذبا من كفسار قريش المكذبين بالحق لما جاءهم فينا مبتغين بقتالهم ولو كلفنا ونصرة ديننا " .^(١)

فهو يذهب الى أن الجهاد الوارد في السورة هو قتال الأعداء كما أن بعض العلماء يرى أنه أعم من ذلك .

قال الداراني^(٢) : ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط ، بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين ، وعظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر .^(٣)

قال ابن عطية^(٤) : " فهي - أي الآية - قبل الجهاد العرفي ، وأنا هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته " .^(٥)

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٥/٢١ .

(٢) هو : أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عسكر العنسي الداراني ، ولد سنة ١٤٠ هـ ، روى عن سفيان الثوري ، وأبي الأشهب العطاردى ، وعبد الواحد ابن زيد البصرى وغيره ، روى عنه : أحمد بن أبي الحواري ، وهاشم بن خالد ، وحמיד بن هشام العنسي ، وإبراهيم الحوراني وغيرهم ، ت ٢٢٥ هـ ، لم يروى الا حديثا واحدا بسند وله حكم كثيرة . تاريخ بغداد : ١٠/١٤٨ ، سير أعلام النبلاء : ١٠/١٨٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٤/١٣

(٤) هو : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي الغرناطي المالكي ولد سنة ٤٨٠ هـ ، روى عن أبيه ، والحافظ الغساني ومولى بن الطلاع ، وابن البياز ، وغيرهم ، اماما في الفقه والتفسير ، والعربية ، ذكيا فطنا متدينا من أوعية العلم ، حدث عنه أولاده ، وأبو القاسم ابن حبيش الحافظ ، وأبو محمد بن عبيد الله وغيرهم ، ت سنة ٥٤١ هـ ، سير أعلام النبلاء : ١٩/٥٨٧ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٣٦٤/١٣ .

وقال الحسن البصرى : " ان الرجل ليجاهد وماضرب يوما من الدهر بسيف " . (١)

والذى يترجح لى أن الجهاد الوارد فى الآيتين عام ، مع أن السورة مكية ولم يفرض القتال فى مكة ، كما قال مقاتل (٢) : " ان هذه الآية نزلت قبل فرغى القتال " . (٣)

والجهاد الوارد فى السورة يعم الجهاد ، حسب شروعه فهو فى وقت نزول الآيات خاص بجهاد النفس وصبورها على ماتلاقيه فى سبيل الله كما يدل على ذلك أول السورة لكن هذا لا يمنع جهادها لما يشرع مستقبلا من قتال العدو ، أو غيره من زيادة تكاليف العموم أدلة الجهاد فى القرآن ، ولأن جهاد النفس سبيل الى جهاد الأعداء - يقول صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : (ألا أخبركم بالمؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله ، والمهاجر

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٤/٣ .

(٢) هو : كبير المفسرين أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخى ، يروى عن مجاهد والضحاك وابن يزيد وعطاء وابن سيرين وعمرو بن شعيب وغيرهم .

وعنه سعد بن الصلت ، وبقية ، وعبد الرزاق ، والوليد بن يزيد وعلى ابن الجعد وغيرهم .

قال ابن المبارك : " وأحسن ما أحسن تفسيره لو كان ثقة " ، ت . ١٥٠ هـ ونيف ، طبقات ابن سعد : ٣٧٣/٧ ، سير أعلام النبلاء : ٢٠١/٧ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٤/١٣ .

(١) من هجر الخطايا والذنوب .

قال الجنيد ^(٢) : " والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهديهم سبيل
الخلاص ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر الا من جاهد هذه الأعداء باطننا
، فمن نصر عليها نصر على عدوه ، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه " ^(٣) . أهـ .
وقد علق الله سبحانه الهداية بالجهاد فأكل الناس هداية أعظمهم جهادا
، وأفرض الجهاد جهاد النفس ، وجهاد الهوى ، وجهاد الشيطان ، وجهاد
الدنيا ، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبيل رضاه الموصلة إلى
جنته ، ومن ترك الجهاد فإنه من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد " ^(٤) .

(١) أخرجه الامام أحمد في السند : ٢١/٦ - ٢٢ واللفظه ، وابن ماجه في سننه
: ١٢٩٨/٢ ، كتاب الفتن باب ٢ حديث ٣٩٣٤ ، وفيه المؤمن والمهاجر
فقط ، وفي المستدرک : ١٠/١ - ١١ .

قال العراقي : رواه الطبرانس والحاكم وصحيح من حديث فضالة بن عبيد
، تخريج أحاديث احياء علوم الدين : ١١٤٧/٣ ، وصححه الألباني في سلسلة
الأحاديث الصحيحة : ٨١/٢ .

(٢) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ، ثم البغدادي القواريري
شيخ الصوفية ولد سنة ٢٢٠ هـ ونيف ، تفقه على أبي ثور ، وسمع من السري
السقطي ، والحسن بن عرفة ، والحاتم المحاسبي ، وأبا عمر البغدادي
وأتقن العلم ثم أقبل على شأنه ، وتأله وتعبده ، ونطق بالحكمة
، حدث عنه جعفر الخلدی ، وأبو محمد الجريري ، وأبو بكر الشبلي ، ومحمد
ابن حبيش ، وغيرهم ، تـ ٢٩٨ هـ ، تاريخ بغداد : ٢٤١/٧ ، سير
أعلام النبلاء : ٦٦/١٤ .

(٣) الفوائد لابن القيم : ص ٥٨

(٤) الفوائد لابن القيم : ص ٥٨

والجهاد بجميع أنواعه لا بد فيه من الاخلاص لله جل وعلا ، كما قال سبحانه :

وَالَّذِينَ

جَاهَدُوا فِيْنَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سَبِيلَنَا وَإِنَّا لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

* العنكبوت ٦٩ *

قال ابن عباس : * والذين جاهدوا في طاعتنا * (١)

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء ، فأى ذلك في سبيل الله ، قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله . (٢)

لذا فالجهاد من أعظم العبادات لله جل وعلا ، لترتب عبادات أخرى عليه .

يقول ابن القيم (٣) : * فان عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية اليه سبحانه ، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها : من الموالاتة فيه سبحانه ، والمعاداتة فيه ، والحب فيه والبغض فيه ، وبذل النفس له في محارباته عدوه ، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى ، وإيثار محاب الرب على محاب النفس * . (٤)

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٥/١٣ ، ويحقيق كلام ابن عباس .

(٢) صحيح البخارى : ٤٠/١ ، كتاب العلم باب ٤٥ ، واللفظ في كتاب التوحيد

: ١٨٩/٨ باب ٢٨ ، صحيح مسلم : ١٥١٣/٣ ، كتاب الأمانة باب :

٤٢ - ١٥٠ - ١٥١ .

كما أخرجه الامام أحمد والترمذى وابن ماجه .

(٣) تقدمت ترجمته ص : ١١

(٤) مدارج السالكين : ٢٠٥/٢

والمسلمون اليوم بحاجة الى أن يقوموا بالجهاد بجميع أنواعه لأن فيه عزهم لقوله صلى الله عليه وسلم : (اذا تبايعتم بالعينة^(١) وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم)^(٢).

والمراد من الحديث عدم الركون الى الدنيا ، والاخلاق الى الراحة ، وليس المقصود ترك الأسباب، والشريعة دلت على الجمع بين أسباب المعاش واعلاء كلمة الله لتواتر الأحاديث بذلك ، والمسلمون اليوم يجاهدون ، ولكن غالب جهادهم انحرف عن معناه الصحيح ، اذ لو كان صحيح لظهر النصر وقوى المسلمون لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (لن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة)^(٣).

(١) العينة : هي أن يبيع شيئا من غيره بثمن مؤجل ويسلمه الى المشتري ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد أقل من ذلك القدر ، وسميت بذلك لحصول النقد لصاحب العينة ، وهو المال الحاضر . (نيل الأوطار للشوكاني : ٢٩٨/٦)

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه : ٧٤٠/٣ كتاب البيوع ، باب فى النهى عن العينة : ٣٤٦٢ - ٥٦ ، وصححه ابن القيم فى التهذيب : ١٠٤/٥ ، وأخرجه الدوالبيى فى الكنى : ٦٥/٢ ، من كنيته أبو عبد الرحمن ، وسند عبد الله بن عمر ٢٦ حديث ٢٢ بلفظ قريب من هذا ، والبيهقى فى السنن الكبرى : ٣١٦/٥ ، قال ابن الترمذى فى الحاشية وذكره ابن القطان من وجه صحيح وقال : كل رجاله ثقات ، وأخرجه أحمد فى المسند : ٢٨/٢ ، بلفظ قريب من هذا ، قال أحمد شاكر : اسناده صحيح : ٢٧/٧ حديث ٤٨٢٥ ، وصححه الألبانى فى السلسلة : ١٥/١ حديث ١١ ، وصحيح الجامع : ١٧٥/١ حديث ٤١٦ .

(٣) سنن أبى داود : ٨٢/٣ كتاب الجهاد باب ٨٩ ، وهو جزء من حديث (خير الصحابة أربعة ، وخير السرايا أربعمائة ، وخير الجيوش أربعمائة آلاف ، ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة .

والترمذى : ١٢٥/٤ كتاب السير باب ٧ وحسنه .

فنسمع اليوم الجهاد من أجل الوطن ، ومن أجل الحرية ، والعروبة ، حتى
ألقى اسم الجهاد ، وحول الى ثورة ، وكفاح ، ونضال ، وفداء ، فاستبدل
الاسم الشرعى والمعنى الشرعى لهذا الأمر العظيم فالذين يرفعون هذه الشعارات
لا يلتزمون بشرع الله منهجا وسلوكا ، فبماذا يكون الدفاع عن الوطن والحرية
، انه لا بد أن يكون بما شرع الله - لا بما تهوى النفوس والشهوات ولو خالف
شرع الله فالذين يدافعون عن العروبة وباسم العروبة فإين هم من شرع الله
، فان فى العرب اليهودى ، والنصرانى ، والمشرک .
كما يوجد مسلمون غير عرب فى شتى بقاع الأرضى ، فالى أين ينتمون
اذا تخلق عنهم المسلمون .

= والحاكم فى المستدرك : ٤٤٣/١ ، وقال هذا اسناد صحيح على شرط
الشيخين ولم يخرجاه ، وفى المسند : ٢٩٤/١ ، وفى المنتخب لعبد بن
حميد : ٥٥٦/١ حديث : ٦٥١ ، وفى سنن الدارنى : ١٣٤/٢ ،
كتاب السيرباب : ٤ حديث : ٢٤٤٣ ، وغيرهم .
وصححه الألبانى فى صحيح الجامع : ١٢١/٣ ، وفى سلسلة الأحاديث
الصحيحة : ٧١٩/٢ ح ٩٨٦ .

الفصل الثالث من الباب الأول

بقيّة أركان الإيمان

=====

- المبحث الأول : الإيمان بالملائكة
- المبحث الثاني : الإيمان بالكتب
- المبحث الثالث : الإيمان بالرسول
- المبحث الرابع : الإيمان باليوم الآخر
- المبحث الخامس : الإيمان بالقدر خيره وشره

البحث الأول

الركن الثاني من أركان الايمان : الايمان بالملائكة

وقد وردت الاشارة اليهم في هذه السورة بقوله سبحانه

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا اِبْرٰهِيْمَ بِالْبَشْرٰى قَالُوْا اِنَّا مُهْلِكُوْا

اَهْلَ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ اِنَّ اَهْلَهَا كَانُوْا ظٰلِمِيْنَ ﴿٣١﴾

* العنكبوت ٣١ *

ولم يرد التفصيل في شأنهم ، وانما دل القرآن في غير هذه السورة على

وجوب الايمان بهم في آيات كثيرة ، منها قوله سبحانه :

ءَاْمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا اُنزِلَ

اِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهِ ۗ وَالْمُوْمِنُوْنَ كُلُّ ءَاْمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ۗ

وَرُسُلِهِ ۗ لَا نُفْرِقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْ رُّسُلِهِ ۗ وَقَالُوْا سَمِعْنَا

وَاَطَعْنَا غُفْرٰنَكَ رَبَّنَا وَاِلَيْكَ الْمَصِيْرُ ﴿٢٨٥﴾ البقرة ٢٨٥ *

فلا يتم الايمان بالله الا بالايمان بالملائكة ، قال تعالى

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِیْلَ

وَمِيكَائِلَ فَاتَّخَذَ اللّٰهُ عَدُوًّا لِّلْكَافِرِيْنَ ﴿١٦٨﴾

* البقرة ١٦٨ *

والآية الواردة في السورة تدل على أنهم رسل من رسل الله لا يعصون الله

ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، حيث أرسلهم الله لاهلاك قوم لوط حينما

عصوا أمر الله .

والله عز وجل كفهم بأعمال مختلفة حسب ما يؤمرون به ، لا يفترون

عن عبادة الله كما قال سبحانه :

يُسَبِّحُوْنَ اَلَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُوْنَ ﴿٢٠﴾

* الأنبياء ٢٠ *

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انى
أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون ، أظت السماء وحق لها أن تظط ما فيها
موضع أربع أصابع الا وملك وأضع جبهته ساجدا لله)^(١) الحديث

فالايمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم بأن لله تعالى خلقا أسماها
الملائكة ، خلقهم الله من نور ، ومنهم من أعطاه الله قدرة على التمثل بأنسواع
مختلفة الشكل باذن الله تعالى مناسبة للحال التى يأتون فيها .^(٢)

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف
لكم) .^(٣)

ونحن نوؤمن بهم على سبيل الاجمال كما تقدم وكما فى حديث أبى ذر

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذى : ٥٥٦/٤ كتاب الزهد باب ٩ وقال :
هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجة : ١٤٠٢/٢ كتاب الزهد باب
١٩ ، والحاكم : ٥١٠/٢ ، تفسير سورة ((هل أتى)) ، وقال : هذا
حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ، مسند أحمد : ٥/١٧٣ .
وحسنه الألبانى ، انظر صحيح الجامع : ٣١٤/٢ رقم ٢٤٤٥ ،
وسلسلة الأحاديث الصحيحة : ٤/٢٩٩ رقم ١٧٢٢ .

(٢) انظر منهاج القرآن فى الدعوة الى الايمان : ٢١

(٣) صحيح مسلم : ٢٢٩٤/٤ كتاب الزهد باب ١٠

مسند أحمد : ١٥٣/٦ -

وكما في حديث المعراج وفيه : (فرجع لى البيت المعمور فسألت جبرييل

فقال : هذا البيت المعمور ، يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، اذا
خرجوا لم يعودوا اليه آخر ما عليهم) (١) . الحديث .

والايان بهم على سبيل التفصيل ، فنؤمن بمن أخبرنا الله عنهم كجبرييل

وميكال واسرافيل ، والحفظة ومالك ، وملك الموت ، وملك الجبال
، وغيرهم ما أخبرنا الله عنهم تفصيلا .

(١) هذا جزء من حديث المعراج الطويل كما في صحيح البخارى : ٧٧/٤ - ٧٨ -

، كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة : ٦

صحيح مسلم : ١٤٥/١ ، ١٤٦ كتاب الايمان باب الاسراء برسول الله

صلى الله عليه وسلم وبلغظ آخر فى : ١٤٩/١ - ١٥٠ .

ومسند أحمد : ١٤٩/٣ - ٢٠٧/٤ - ٢٠٩ - ٢١٠ ومختصرافسى

: ١٥٣/٣ .

المبحث الثاني

الركن الثالث الايمان بالكتب

لقد ورد ذكر الكتب بالاشارة الى وجوب الايمان بها أنزل من عند الله ، وهو

قوله سبحانه ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾

* العنكبوت ٤٦ *

ومعلوم أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى (١) ، وهم الموجودون حين

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكتبهم هي التوراة والانجيل .

والايمان بالكتب هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل على رسله كتباً

شتملة على هدى العباد سبينة لهم ما يصلح دينهم ودنياهم موضحة ما عليهم

من واجبات وما لهم من أجور ، وغيرها .

وهذا هو الايمان المجمل بها كما نوه من بها على سبيل التفصيل ، وهو الايمان

بكل كتاب أخبرنا الله عنه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه

وسلم مثل القرآن ، والتوراة ، والانجيل ، والزبور ، وصحف ابراهيم ، وموسى

، فمن أنكر كتب الله المنزلة على رسله وتداب بها لم يعرف الله حق معرفته

يَتَأَيُّهَا

، ولم يقدره حق قدره ، قال تعالى :

الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ

عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ

بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ

* النساء ١٣٦ *

ضَلَّالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾

(١) انظر جامع البيان عن تأويل القرآن : ١/٢١

ومع وجوب الايمان بجميع الكتب الا أننا متعبدون بما فى القرآن الحكيم ولا يوجد كتاب على ظهر الأرض صحيح غير محرف ولا منسوخ تصح نسبه كله الى الخالق تبارك وتعالى غير القرآن الكريم .

يقول ابن القيم : " وما بأيدى النصارى من الدين باطله أضعاف أضعاف حقه ، وحقه منسوخ " . (١)

والله عز وجل أخبر أن القرآن الكريم على جميع الكتب التى سبقته كما قال

سبحانه :

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ

بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا

عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا

ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا

فِي نَبِيِّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

" المائدة ٤٨ "

وكما بين فى السورة ، أن فيه الكفاية ، فقال عز وجل :

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

يَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتٍ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ

" العنكبوت ٥١ "

يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

(١) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ص ١ .

وعن عبد الله بن الحارث الأنصاري رضي الله عنه قال : دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب فيه مواضع من التوراة فقال : هذه أسماءها مع رجل من أهل الكتاب أعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيرا شديدا لم أر مثله قط ، فقال عبد الله بن الحارث لعمر : أما ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا ، فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتكم ، أنا حظكم من النبيين وأنتم حظي من الأمم) . (١)

-
- (١) فضائل القرآن لابن الضريس : ١/٧٦/ب ، ذم الكلام للهروي : ٣/٣٦٤ ،
وينحوه في المسند : ٣/٣٨٧ عن جابر بن عبد الله ، وجامع بيان العلم
وفضله لابن عبد البر : ٢/٤٢ ، ومعناه في سنن الدارمي : ١/١٠١ ،
رقم : ٤٨٣ ، وله شاهد في الجامع لشعب الإيمان للبيهقي : ١/١٣٢ ،
الأحاديث المختارة للمقدسي : ١/٢٤ - ٢٥ .
انظر صحيح الجامع : ٥/٧١ ، ورواه الفليل : ٦/٣٤ .

البحث الثالث

الركن الرابع الايمان بالرسول

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه بعث في كل أمة رسولا منهم ، يدلهم على الخير ، ويحذرهم من الشر ، رحمة بهم .
ونؤمن بهم على سبيل الاجمال والتفصيل ، فالاجمال أن الله بعث في كل أمة رسولا يعلمهم أمر الله سبحانه وتعالى .
وأما التفصيل فنؤمن بمن سى الله لنا منهم ، وقد ذكر الله في القرآن خمسة وعشرون ، منهم على سبيل المثال أولو العزم وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد طيبهم الصلاة والسلام .

والذين ذكرهم الله عز وجل في سورة العنكبوت هم : نوح عليه السلام ، قال

سبحانه : **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾**

• العنكبوت ١٤ •

وابراهيم عليه السلام ، قال سبحانه :

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

• العنكبوت ١٦ •

ولوط عليه السلام ، قال تعالى :

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾

• العنكبوت ٢٨ •

وشعيب عليه السلام ، قال تعالى :

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

* العنكبوت ٣٦ *

﴿٣٦﴾

وخوَّط نبينا صلى الله عليه وسلم في أكثر من آية في السورة فمن ذلك

قوله سبحانه :

أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

* العنكبوت ٤٥ *

وذكر أقوام بعض الرسل الذين عصوهم ، وسيأتي تفصيل ذلك في دعوات

الرسل عليهم السلام .

والإيمان برسولنا صلى الله عليه وسلم يقتضى الإيمان به والعمل بما جاء

به واتباعه ظاهرا وباطنا ، وقد قرن الله شهادته بشهادته ، فهما الركن الأول من

أركان الإسلام كما تقدم .

المبحث الرابع

الركن الخامس الايمان باليوم الآخر

هو الاعتقاد الجازم بأن هناك يوما آخر يجازى فيه الانسان على ما قدم فى الدنيا ، وفى هذا اليوم يكون العرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب ، ففيه حياة غير هذه الحياة ، ينعم فيها الانسان ، أو يعذب ، على حسب أعماله كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، ولقد اهتم القرآن بتقرير هذا اليوم والدعوة الى الايمان به فى كل مناسبة بشتى الأساليب ، حتى لا تكاد تمر على حزب من القرآن الا وفيه حديث عن هذا اليوم ، وقد ربط الله عز وجل بين الايمان به واليوم الآخر فى كثير من الآيات ، فمن ذلك قوله سبحانه فى السورة :

وَالِى مَدِيْنٍ اَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقَوْمُوا عِبُدُوا
اللّٰهَ وَاَرْجُوا الْيَوْمَ الْاٰخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِى الْاَرْضِ مُفْسِدِيْنَ . العنكبوت ٣٦ *

وقرره الله سبحانه وتعالى . وأنه موعد لمن يفتري عليه أنه سيوقف عند حده ،

فى ذلك اليوم ، قال سبحانه :
وَلِيَحْمِلْنَ اَنْقَالَهُمْ وَاَنْقَالًا
مَعَ اَنْقَالِهِمْ وَلِيَسْتَلْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتُرُونَ

* العنكبوت ١٣ *



وهذا اليوم دعت الرسل الى الايمان به ، فهذا ابراهيم عليه السلام يقـرره لقومه ويدعوهم الى الايمان به والتأهب له ، قال سبحانه : اِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن

دُونِ اللّٰهِ اَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ اِفْكَاتٍ الَّذِيْنَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللّٰهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّٰهِ الرِّزْقَ
وَاعْبُدُوهُ وَاَشْكُرُوا لِلّٰهِ عَلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ وَاِنْ تَكْذِبُوا
فَقَدْ كَذَّبْتُمْ اَمْرًا مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ اِلَّا الْبَلٰغُ

* العنكبوت ١٧ ، ١٨ *

الْمِيْنُ ﴿١٨﴾

كما دلهم على استخدام عقولهم في ما حولهم من مخلوقات الله ليستدلوا بها
على اثبات هذا اليوم ، فقال : **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ**

يُعِيدُهُ ١٩ **إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ١٩** **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ**
فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٠ **يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ**

مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ٢١ * العنكبوت ١٩ - ٢١ *

كما بين لهم مغبة من ينكر ذلك اليوم فقرن انكاره والكفر به بالكفر بالله

لأن الذي لا يؤمن بهذا اليوم فهو لا يؤمن بالله ، قال تعالى :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ

أُولَئِكَ يَدْعُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٣

* العنكبوت ٢٣ *

كما بين حالهم في هذا اليوم ، من انكار بعضهم لبعض ، وزوال المسودة
التي كانت بينهم في الدنيا ، وأن ملكهم الى النار التي يجب الايمان بها ، وأن
الايمان بها من لوازم الايمان بهذا اليوم ، فقال سبحانه :

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم

بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ

وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ٢٥ * العنكبوت ٢٥ *

وشعياً طيه السلام يدعو قومه للايمان بهذا اليوم ، فيقول الله تعالى عنه :

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا

اللَّهِ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

* العنكبوت ٣٦ *

كما بين الله عز وجل أن الحياة الحقيقية التي لا كدر فيها ولا انقطاع

هى حياة الآخرة ، فقال سبحانه :

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

* العنكبوت ٦٤ *

والله سبحانه حينما يكرر هذه المعانى وغيرها فى كتابه الكريم انما هو رد على
المكذبين ، وحافزا للمؤمنين على العمل والتقرب الى الله سبحانه وتعالى
، وذلك أن الله سبحانه رد على المنكرين فى السور المكية واستمر فى الحديث
عن اليوم الآخر وأفاض فيه حتى فى السور المدنية بعد أن قام المجتمع المسلم
والدولة المسلمة ، ووجد جيل من الناس يؤمن بالله واليوم الآخر ، فهم
فى حاجة الى التذكير والله هو العليم بخلقهم فلو علم أن مجرد حدوث الايمان
باليوم الآخر يكفى ، لما كرره فى القرآن لتذكيرهم المرة بعد المرة ، فلا بد
من سبب دائم يدعووا للتذكير ، فلا بد من ترسيخ هذه العقيدة حتى تستقيم
الحياة فى هذه الأرض .

لأن ايمان الناس بأنهم سوف يبعثون ويجازون على أعمالهم ، من أعظم
الدوافع على القيام بأعمال الخير ، والبر ، والفضيلة ، والرغبة فى الاحسان ،
والاثارة ، لما يجده الانسان من اليقين ، بأنه سيلاقى ثواب ما يقدمه عند الله .
كما يحمل المسلم على الكف عن اقتراف الشرور ، والآثام ، والكف عن
البنى ، والظلم ، والفساد ، لما يعلم أنه سيلاقى ربه ، وقد أحصى عليه
كل صغيرة ، أو كبيرة من أعماله ، وأنه لن يفلت من قبضته .

فهو من أعظم الأسباب التى يقوم عليها صلاح الناس فى دينهم ، ودنياهم
، لذا ينبغى الاهتمام بشأنه من قبل الدعاة ، وفرسه فى نفوس الناس
حتى تكون المراقبة لله دقيقة ، والشعور بالله دائم ، بأنه لا يخفى عليه شئ
، فيعمل بما يرضى الله ، ويتأهب لهذا اليوم .

وقد كان لهذا أثره فى أول الدولة الاسلامية ، حيث استقام سلوكها أفرادا
وجماعات ، وما انتصرت على أعدائها ، وأحبت الجهاد ، ولقاء الله الا بفضل

هذا الايمان ، ومافتى أعداء الاسلام يكيدون لها بشتى الوسائل ويحاولون ابعاد المسلمين عنها وتشكيكهم في عقائدهم ، وذلك لعلمهم أنها توجب الحماس في نفوسهم .

وكثرة التركيز عليه في القرآن والسنة ، لأن الايمان به غيبى يعتمد على التصديق بما جاء عن الله في كتبه ، أو عن طريق رسله ، فلا يعتمد على العقل وحده في تقريره .

فلا يتوصل الى معرفته والعلم اليقيني بأنه كائن الا بعد رسوخ الايمان بالله تعالى وبرسله ، فالعقول والأفهام مختلفة في ادراك الحقيقة ، بسبب قاصرة عن ادراك كثير من الحقائق ، لذلك لم يكمل القرآن الكريم أمر الايمان بالله ورسله واليوم الآخر على العقل وحده ، لأن العقل كثيرا ما يقف عاجزا عن ادراك بعض المسائل العادية لذلك أقام الله الأدلة النقلية ، والعقلية على وجوده سبحانه وتفرده بصفات الكمال ، وتنزهه عن صفات النقص ، وأن رحمته وعدله وحكمته اقتضت أن يبعث الى خلقه رسلا موثدين بما يشر اليقين نفسى النفس بصدقهم ، لذلك وجب تصديقهم وطاعتهم ، ومتابعتهم ، واخضاع العقل الى التصديق ولولم يدرك الحكمة ، فمن جملة ما أخبروا به الايمان باليوم الآخر . . .

وما يأتى اجمال لما ورد في سورة العنكبوت من آيات عدة تقرّر اليوم الآخر

وتؤكدّه فمن ذلك ماورد في تأكيد لقاء الله سبحانه ، كما قال سبحانه :

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾

* العنكبوت ٥ *

وَوَضَّيْنَا لِلْإِنْسَانِ

وقوله في آية البر :

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

* العنكبوت ٨ *

٢ - وماورد في محاسبة الكفار ، قال سبحانه : وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا

مَعَ أَثْقَالِهِمْ ^طوَلَيْسَتُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ

١١٣

* العنكبوت ١٣ *

٣ - تأكيد الرجوع اليه سبحانه حيث قال : إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن

دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن

دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ

وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ ^طإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

* العنكبوت ١٧ *

٤ - في معرض تأكيد قدرته سبحانه من خلال التفكير في مخلوقاته ، قال سبحانه :

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ

مَن يَشَاءُ ^طوإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾

* العنكبوت ٢٠ ، ٢١ *

٥ - في بيان حال الكفار يوم القيامة وأن المودة بينهم في الدنيا لا تنفع :

وَقَالَ إِنَّمَا أَخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم

بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ

وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

* العنكبوت ٢٥ *

٦ - في بيان قدر ابراهيم عليه السلام كما قال سبحانه : وَوَهَبْنَا

لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ

وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ .

﴿٢٧﴾

٧ - فى بيان طلب ثواب اليوم الآخر والخوف من العذاب ، كما قال شعيب لقومه :

وَالِى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰ قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

* العنكبوت ٣٦ *

٨ - فى بيان أن الحياة الدائمة هى حياة الآخرة كما قال سبحانه :

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

* العنكبوت ٦٤ *

ولما لهذا اليوم من الأهمية العظمى فقد أوضحه الله فى غالب سور القرآن

ورد على شبه المنكرين بما ينبه عقولهم من خلال الواقع الذى يحسونه ، أذكر

منها على سبيل المثال :-

- ١ - الاستدلال على البعث بحصول اليقظة بعد النوم .
- ٢ - ظهور الشئ من نقيضه كظهور النار من الشجر الأخضر .
- ٣ - خلق النباتات المختلفة فى الأرض بعد أن كانت هامدة .
- ٤ - الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم كقوم موسى والمضروب بعضهم من أعضاء البقرة ، وأصحاب الكهف .

وسياتى الرد على المنكرين لهذا اليوم فى دعوة الكفار ..

المبحث الخامس

الركن السادس من أركان الايمان : الايمان بالقدر خيره وشره

وهو الايمان بجميع ما هو كائن ، وما يكون من خير ، وشر ، وحلو ، ومر ، ونفع
وضر ، وقليل ، وكثير ، وكبير ، وصغير ، أنه من قضاء الله وقدره ، واراادته
ومشيئته وأمره . (١)

قال تعالى : **الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا** ﴿٢﴾

“ الفرقان ٢ ”

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات
والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء) . (٢)

وشرة الايمان بالقضاء والقدر وحقيقته هو ما قاله عبادة بن الصامت لابن
رضي الله عنهما “ يابني انك لن تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم أن ما أمرك
لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ” (٣) واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على
أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ” (٤) وروى ذلك عن سلمان
الفارسي . (٥)

(١) تيسير العزيز الحميد : ٦٩٩

(٢) صحيح مسلم : ٢٠٤٤/٤ كتاب القدر باب ٢ واللفظ له . ، وبلغ في الترمذي :
٤٥٨/٤ كتاب القدر باب ١٨ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وسند
أحمد : ١٦٩/٢ .

(٣) . . الى هنا جزء من رواية عند أبي داود في سننه : ٧٦/٥ كتاب السنة باب في
القدر ، وسند أحمد : ٣١٧/٥ ، وسند الطيالسي : ٧٩/٢ حديث ٥٧٧ ،
وبقيته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ص : ١٦٨ .

(٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل ص ٦ ، الشريعة للأجري :

ص ١٨٦-١٨٧ ، ٢١٠ .

(٥) الشريعة للأجري : ٢٠٦ .

وقد قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما : (يا غلام انى أعلمت
كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، واذ سألت فلتسأل الله
واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك
الا بشئ قد كبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك الا بشئ قد
كبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف) . (١)

والكلام فى باب القضاء والقدر نفيا وإثباتا موقوف على الخبر عن أسماء الله وصفاته
وأفعاله وخلقه وأمره . (٢)

فعله وقدرته وإرادته تدل على حكمته ، فهو يقدر الأشياء وفق ما يقتضيه
علمه ، وحكمته ، وإرادته ، وشيئته ، فهو سبحانه كما قال سبحانه عن نفسه :

خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ

* هود ١٠٧ *

١٠٧

وقد ذكر الله عز وجل فى هذه السورة أشياء وقعت وأشياء ستقع ، وهذه من
قدر الله عز وجل ، فما وقع ما قصه الله علينا من حال الأنبياء فى السورة كما حصل
لابراهيم ومع ذلك آمن بقضاء الله واستمر بدعوته .

ومن الذى سيقع ما يحصل من فتنة وابتلاء ، قال تعالى :

الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْ نَأْمَنُكُمْ لَمْ لَا

* العنكبوت ١ - ٢ *

يَفْتَنُونَ

(١) مسند أحمد : ٢٩٣/١ بهذا اللفظ ، ولفظه فى : ٣٠٣/١ - ٣٠٧

سنن الترمذى : ٦٦٧/٤ ، كتاب صفة القيامة باب ٥٩ ، وقال : هذا
حديث حسن صحيح ، ومعناه فى الاستدراك : ٥٤٢/٣ ، وفى مجمع
الزوائد : ١٨٩/٧ عن عبدالله بن جعفر .

(٢) شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والتعليل ص : ٣ .

وسا سيقع الموت فانه مقدر على كل مخلوق كما قال تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾
"العنكبوت ٥٧"

وكذلك ما يحصل من بسط الرزق وتضييقه فهو من قدر الله ، كما قال تعالى :

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿٦٢﴾
"العنكبوت ٦٢"

فان هذه الأشياء التي قدرها الله على بني آدم لا تمنعه من السمع والأخذ بالأسباب ، فهو هنا أمر بالهجرة والجهاد ، والعمل راضيا بما قسمه الله له ، فهو يدفع قدر الله بقدر الله ، فعن أبي خزيمة عن أبيه قال : قلت يا رسول الله ، وقال سفيان مرة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم (أرأيت دوا ننداوى به ، ورقى نسترقى بها ، وتقى نتقيها ، أترد من قدر الله تبارك وتعالى شيئا ، قال انها من قدر الله تبارك وتعالى) . (١)

وهذا ما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكملهم في ذلك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع أنه أمر بالاكفاء بالله مع أنه يعمل بالأسباب كما تقدم في التوكل ، فهو أحسن الناس ايمانا بقضاء الله وقدره ، وغيره من أركان الايمان .

وتقدم أنه يجب الايمان بالقدر خيره وشره ، فهل الشر من قدر الله ؟ ، تصرف الله سبحانه وتعالى في ملكه ، دائريين العدل ، والفضل والحكمة والمصلحة

(١) مسند أحمد : ٤٢١/٣ ، واللفظ له ، وسنن ابن ماجة : ١١٣٧/٢ ، كتاب الطب باب (١) ، سنن الترمذى : ٣٩٩/٤ ، كتاب الطب باب ٢١ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن حكيم بن حزام عند الحاكم : ١٩٩/٤ ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

لا تخرج عن ذلك ، وهذا كله خير ، يحمد عليه الرب ويثنى عليه به ، وان كان
شرا بالنسبة لبعض المخلوقات كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر وأنه ليس
اليه كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يثنى على
ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله : (لبيك وسعديك والخير في يديك
والشر ليس اليك أنا بك واليك تباركت وتعاليت) . (١)

فتبارك وتعالى عن نسبة الشر اليه بل كل مانسب اليه فهو خير
والشر انما صار شرا لانقطاع نسبته وضافته اليه ، فلو أضيف اليه لم يكن شرا ،
يدل على ذلك أسماء الله وصفاته فلا يضاف الشر اليها ولا الى ذاته فانها
منزهة عن كل شر .

فصفاته صفات كمال ، ونعوت جلال ، لا نقص فيها بوجه من الوجوه وأسمائه
كلها حسنى ليس فيها اسم ذم أو عيب ، وأفعاله حكمة ورحمة ومصلحة واحسان
وعدل لا تخرج عن ذلك البتة . (٢)
فلا يخلق شرا محضا ولا يريد .

فالشر في القضاء والقدر هو بالاضافة الى العبد والمفعول ان كان مقدرًا عليه فهو
سبب جهله وظلمه وذنوبه ، لا الى الخالق جل وعلا ، لذلك قال في الدعاء
المتقدم ليس اليك ولم يقل ليس منك ، وذلك أن الله يقدره سبحانه ، ولكن
لحكم عظيمه وحاصل ذلك أن الشر أمر نسبي ، فهو شر بالنسبة لبعض المخلوقات
من جهة أنهم سببه ويستحقونه .

(١) جزء من حديث في صحيح مسلم : ٥٣٥/١ كتاب صلاة المسافرين باب ٢٦
حديث ٢٠١ ، وسنن النسائي : ١٣٠/٢ ، كتاب الافتتاح ، وبنحوه في
المستدرک : ٣٦٣/٢ ، عن حذيفة ويقول محمد صلى الله عليه وسلم
حينما يجمع الناس في المحشر .

(١) شفاء العليل : ١٢٩

(٢) تيسير العزيز الحميد : ٦٩٢ .

أما بالنسبة الى الله فهي خير وحكمة وعدل ، مثال ذلك : القصاص فهو شرر
بالنسبة للمقتضى منه ، ولكنه خير من جهة الله حيث تحفظ به الأنفس .

ولولا الشر لم يصرف الخير
(١) فان الضد لا يعرف الا بضده

وللقدر أربع مراتب لا يؤمن بالقدر الا من آمن بها وهي :

الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها ، قال تعالى :

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ﴿٦٢﴾

* العنكبوت ٦٢ *

المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها :

قوله صلى الله عليه وسلم : (ان الله أول ما خلق القلم قال له اكتب قال رب

وماذا اكتب ، قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) .^(٢)

المرتبة الثالثة : مشيئته لها ، فلا يخرج شيء عن مشيئته ، قال تعالى :

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ

مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ ﴿٤١﴾

* العنكبوت ٢١ *

المرتبة الرابعة : خلقه لها ، قال تعالى :

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

* الصافات ٩٦ *

(١) انظر تيسير العزيز الحميد : ص ٦٩٢

(٢) سنن أبي داود : ٧٦/٥ ، كتاب السنة باب في القدر : ١٧ ، واللفظ له

، ولفظه في سنن الترمذي : ٤٢٤/٥ كتاب التفسير باب ٦٧ ، سنن

الطيالسي : ٧٩/٢ حديث ٥٧٧ ، ولفظه في سنن أحمد : ٣١٧/٥ ، وأول

هذا الحديث عن عبادة بن الصامت في وصيته لابنه كما في ص ١٦٤ .

وقد توافرت الأدلة على وجوب الايمان بهذا الركن كما تقدم ، وعلى هذا
سار سلف الأمة ، قال البغوي (١) : " الايمان بالقدر فرض لازم ، وهو أن يعتقد
أن الله تعالى خالق أعمال العباد خيرا وشرها ، كتبها عليهم في اللوح
المحفوظ قبل أن يخلقهم ، قال تعالى :

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

* الصافات ٩٦ *

فالايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها بقضاء الله وقدره ، واراادته وشيئته غير
أنه يرضى الايمان والطاعة ووعد عليهما الثواب ، ولا يرضى الكفر والمعصية
وأوعد عليهما بالعقاب ، قال الله تعالى :-

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا

وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾

* ابراهيم ٢٨ *

وقال : والقدر سر من أسرار الله تعالى لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا
مرسلا ولا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل ، بل يعتقد أن الله
تعالى خلق الخلق فجعلهم فريقين ، أهل يمين خلقهم للنعيم فضلا ، وأهل
شمال خلقهم للجحيم عدلا . (٢)

قال الله تعالى وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ

لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ

بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّغْنَا أَمْرَهُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾

* الأعراف ١٧٩ *

(١) هو أبو محمد الحسين بن سعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر
، له مؤلفات كثيرة منها : شرح السنة ، ومعالم التنزيل ، والمصابيح ،
والتهديب ، سمع من القاضي الروروذي ، وتفقه عليه كما سمع من أبي الحسن
الشيرازي وأبي عمر الطليحي ، وأبي الحسن الداودي وأبي الحسن الجويني =
(٢) تيسير العزيز الحميد : ٦٨٥

وقد سأل رجل على بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ، قال : طريق مظلم فلا تسلكه ، فأعاد السؤال ، فـقال : بحر عميق لا تلجه ، فأعاد السؤال ، فقال : سر الله خفى عليك فلا تكلفه ^(١) .
والمقصود بهذا أن القدر من أمور الغيب التى لا يحيط بحكمتها وتفصيلها الدقيقة الا الله عز وجل .

وقد أنكر السلف على من تكلموا به ، فهذا ابن عمر رضى الله عنه يقول : لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه فى سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ^(٢)

ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم : (الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) . رواه مسلم . ^(٣)

ولا حجة للكفار بالقدر ، لأن ما قدره الله عليهم غائب عنهم لا يعلمونه قبل وقوعه ، فمن سأل لم فعل الله كذا ، فقد رد حكم الله ، ومن رد حكمه فقد كفر به ، قال تعالى :

لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾

• الأنبياء ٢٣ •

== وغيرهم وحدث عنه منة ، وابو الفتوح الطائى وجماعة ، توفى بمرور الورد سنة

٥١٦ هـ . سير أعلام النبلاء : ٤٣٩/١٩ ، وفيات الأعيان : ١٣٦/٢ - ١٣٧

(١) الشريعة للأجرى : ٢٠٢ - ٢٤٠

(٢) الشريعة للأجرى : ١٨٩

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٣١ من هذا البحث .

وقد تبين من خلال السورة أن الكفار والمنافقين لا يؤمنون بالقدر ، قال

تعالى عنهم : **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾**

* العنكبوت ١٠ *

فإذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جعل فتنة الناس كعذاب الله وفتنة الناس من أقدار الله

فهم يسخطونها سخطا يخرجهم عن إيمانهم ، وقد أمر الله بالصبر على البلاء

والفتنة في أول السورة ، كما قال سبحانه :

الْم ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَن يَتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾

* العنكبوت ١ - ٣ *

الفصل الرابع

المرتبة الثالثة من مراتب الدين

الاحسان

الاحسان هو مصدر ، تقول أحسن يحسن احسانا ، ويتعدى بنفسه وبغيره
تقول أحسنت كذا اذا أتقنته ، وأحسنت الى فلان اذا أوصلت اليه النفع ، والأول
هو المراد لأن المقصود هو اتقان العبادة ، وقد يلحظ الثاني بأن المخلص
مثلا محسن باخلاصه الى نفسه ، واحسان العبادة الاخلاص فيها ، والخشوع
وفراغ البال حال التلبس بها ، ومراقبة المعبود ، وللاحسان حالتان :
فالأولى كما في حديث جبريل أرفعها أن يغلب عليه استحضار عظمة الله ، مشاهدة
الحق بقلبه كأنه يراه بعينه ، وهو قوله (كأنك تراه) أى وهو يراك ، والثانية
أن يستحضر أن الله الحق مطلع عليه ، يرى كل ما يعمل ، وهو قوله (فانسه
يراك) وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته .^(١)

وحديث جبريل من جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم ، قال النووي^(٢) : " لأننا
لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئا

(١) فتح الباري : ١ / ١٢٠

(٢) هو يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحواري الشافعي ، ولد سنة ٦٣١ هـ ،
رحل الى دمشق وحج ومكث بالمدينة شهرا ونصف ، سمع من الرضوى بن
البرهان وشيخ الشيخ عبدالعزيز بن محمد الأنصاري ، وجمال الدين بن
الصيرفي وغيرهم ، وتلمنظى يديه جماعة منهم الخطيب صدر سليمان الجعفري
، وشهاب الدين أحمد بن جعوان وشهاب الدين الأربدي وغيرهم ، من
مؤلفاته : شرح صحيح مسلم ، ورياض الصالحين ، والأربعين ، والأذكار
، وغيرها : ت ٦٧٦ هـ ، تذكرة الحفاظ :

ما يقدر عليه من الخشوع والخشوع وحسن السمات ، واجتماعه بظواهره
وباطنه على الاعتناء بتتبعها على أحسن وجوهها الا أتى به .

ومقصود الكلام الحث على الاخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك
وتعالى في اتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك . (١) أه

والمحسن : من صحح عقد توحيديه وأحسن سياسة نفسه وأقبل على أداء فرائضه
وكفى المسلمين شره . (٢)

وفي حديث جبريل عليه السلام : (ما الاحسان ، قال : أن تعبد الله
كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ، قال : صدقت) . (٣)

فالاحسان شامل لجميع الدين ، فلا بد في الايمان من الاحسان ، بأن
تحسن ايمانك بما أوجب الله عليك الايمان به ، وأن يكون ايماناً حقيقياً
وفق ما شرعه الله ، كما أنه لا بد من الاحسان في الاسلام ، وجميع أمور
العبادة بأدائها بخشوع - وحضور قلب ، واستشعار أنها عبادة لله
وتعظيماً له .

وقد ورد الاحسان في قوله تعالى

وَالَّذِينَ

جَاهِدُوا فِيْنَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سَبِيلَنَا وَإِنَّا لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

* العنكبوت ٦٩ *

(١) النووي على سلم : ١٥٧/١ - ١٥٨

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٤١٥/١

(٣) تقدم تخريجه في ص ١٣٣ من هذا البحث .

فالأحسان نهاية الإخلاص ، وهو إيقاع العمل على أكمل وجوهه في الظاهر والباطن ، فالأحسان يفسر بالإخلاص ، وحيث أنه اشتق من الحسن وهو نهاية الإخلاص الناشئ عن حقيقة الاستحضار ومن حيث الظاهر كمال التابعة فالإخلاص نتيجة الأحسان وثمرته ، فهو أعلى المراتب وأعماها من جهة نفسه ، وأخصها من جهة أصحابها ، ولهذا يقال كل محسن مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمننا محسنا . (١)

لذلك أثنى الله على الأنبياء ، وسلم عليهم وبين أن ذلك جزاء المحسنين فبعد أن سلم على نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وهارون ، وآل ياسين ، يقول في آخر الآيات : ((كذلك نجزي المحسنين)) كما في سورة الصافات .

فالأنبياء عليهم السلام حققوا الإسلام ، والايان وبلغوا أعلى مراتب الدين وهو الأحسان ، كما بين الله جزاء المحسنين ، وأنه معهم ، قال تعالى :

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾

٣ المرسلات ٤٤ *

(١) حاشية الأصول الثلاثة ص : ٦٦

فالله اعنى بالاحسان ، ونوه بعظيم منزلته فى كتابه العزيز ، فقال :

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى الْهَلَكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

"البقرة ١٩٥"

ومين أنه معهم وكفى بذلك فضلا وشرفا :

وَالَّذِينَ

جَاهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

"المنكوت ٦٩"

وقد وعد الله المحسنين بالجزاء العظيم والثواب الجزيل فقال سبحانه :

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾

"الرحمن ٦٠"

وقال سبحانه :

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾

"يونس ٢٦"

فالحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله عزوجل ، (١) ولا يخفى مايبين
هذا الجزاء وذلك العمل الذى هو الاحسان من المناسبة ، فالمحسنون الذين
عبدوا الله كأنهم يرونه جزاهم على ذلك العمل النظر اليه عيانا فى الآخرة ، وعلى
العكس منهم الكفار . (٢)

والاحسان مطلوب فى العبادات ، والمعاملات ، فان أى عبادة شرعها الله
عزوجل فعلى العبد أن يأتى بها على الوجه الذى يرضيه سبحانه .

(١) انظر تفسير القرآن العظيم : ٦٤٢/٢

(٢) ثلاث كلمات فى الاخلاص والاحسان والالتزام بالشريعة : ١٥ .

ففي هذه السورة بين الله أن الذين يعملون الصالحات يجزيهم بأحسن الذي كانوا يعملون ، كما قال سبحانه : **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿٧﴾ العنكبوت ٧ .
ومن العبادات بر الوالدين ، لذلك أوصانا الله بأن نحسن إليهم كما قال

سبحانه :

**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْتُمْ كَرِيمٌ** ﴿٨﴾ العنكبوت ٨

* العنكبوت ٨ *

والاحسان يكون بالبدن - وبالمال - وبالجاه - وبالعلم ، ويكون للنفس ،
وذلك بالاحسان اليها بقصرها على طاعة الله ، ويكون للناس ، وللحيوان ، فعن
شداد بن أوس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله
كذب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتل ، واذا ذبحتم فأحسنوا
الذبح ، وليحد أحدكم شفرته فليح ذبيحته) . (١)

(١) صحيح مسلم : ١٥٤٨/٣ كتاب الصيد باب (١١) واللفظ له ، وسنن أبي داود :
٢٤٤/٣ ، كتاب الأضاحي باب ١٢ ، سنن الترمذى : ٢٣/٤ ، كتاب
الديات باب ١٤ ، سنن ابن ماجة : ١٠٥٨/٢ ، كتاب الذبائح :
باب ٣ ، كما أخرجه النسائي والدارمي وأحمد .

الفتنة والابتلاء

ومن أراد تحقيق أمور الدين جميعها من التوحيد والايان ، والاسلام والاحسان لا بد له من الابتلاء ، والفتنة ، كما قال تعالى :

الْمَرَّةِ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا

يَفْتَنُونَ

* العنكبوت ١ - ٢ *

وجماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب اذا أذبتهما بالنار لتميز الردي من الجيد . (١)

والفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع اليه الانسان من شدة ورخاء وهما

في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمال ، وقد قال فيهما **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ**

الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ

* الأنبياء ٣٥ *

وللفتنة وجوه ، منها : الشرك ، والضلالة ، والنفاق ، والبلاء ، وعذاب

الناس ، والحرق بالنار ، والصد ، والاستنزال ، والمعذرة ، والافتتان ، والاعجاب والقتل ، وقد ورد في القرآن دليل لكل وجه . (٣)

قال ابن القيم : " ولفظ الفتنة في كتاب الله تعالى يراد بها الامتحان الذي لم

يفتنن صاحبه بل خلس من الافتتان ، ويراد بها الامتحان الذي حصل معه

افتتان ، فمن الأول قوله تعالى لموسى **إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَاقُولِ هَلْ أَدُلُّكُمْ**

عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كِي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ

مِنَ الْغَمْرِ وَفَنَّكَ فَنُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ

(١) لسان العرب لابن منظور : ٣١٧/١٣ ، وانظر القاموس المحيط : ٢٥٤/٤

(٢) المفردات للراغب الأصبهاني : ٣٧١

(٣) انظر غريب الحديث للحري : ٩٣٠/٣

ومن الثاني قوله تعالى :

وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ

الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾

• البقرة ١٩٣ •

وقوله تعالى :

وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَتَذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ

• التوبة ٤٩ •

﴿٤٩﴾

ويطلق على ما يتناول الأمرين كقوله تعالى :

الْم (١) أَحْسِبَ النَّاسَ أَن يَتْرَكُوا أَن يَقُولُوا أَمْنَا وَأَهُمْ لَا

يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾

• العنكبوت ١ - ٣ •

وتطلق على أعم من ذلك كقوله تعالى :

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ

فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

• التغابن ١٥ •

قال مقاتل (١) : "أى بلاء وشغل عن الآخرة" (٢) أهـ.

(١) هو : مقاتل بن سليمان البلخي ، يروى عن مجاهد ، والضحاك ، وابن بريدة ،

وعطاء وغيرهم ، وروى عنه : سعد بن الصلت ، وبقية ، وعبدالرزاق ، وشبابة

وغيرهم ، ت سنة نيف وخمسين ومائة هـ ، سير أعلام النبلاء : ٢٠١/٧ ،

طبقات ابن سعد : ٣٧٣/٧ .

(٢) اغاثة اللهفان : ١٥٩/٢ .

والفتنة بحسب اضافتها ، فيقال فتنة المال ، وفتنة الأولاد ، وقد تطلق على أشياء خامة كالنفاق والكفر ، والصد حيث أن أصل الفتنة الاعتبار ، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار الى المكروه ، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيـل اليه كالكفر والاثم والتحريق ، والفضيحة ، والفجور ، وغير ذلك . (١)

لذا فهي بحسب ما يضاف اليها لأن كل شيء فتنة ، فيقال فتنة الحياة ، وفتنة الموت ، وفتنة الشرك ، وفتنة الغفلة ، والابتلاء ، والفتنة من أقـسـدار الله عز وجل التي لا بد من الايمان بها .

وأعظم فتنة هي الكفر كما قال تعالى :

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ

الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١١٣﴾

"البقرة ١١٣"

فعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا : ان الناس صنعوا ، وأنت ابن عمر ، وصاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، فما يمنعك أن تخرج ، فقال : يمنعني أن الله حرم دم أخى ، فقالا : ألم يقل الله : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة ، وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله . (٣)

(١) فتح البارى : ٣/١٣ -

(٢) انظر المفردات للراغب : ٣٧١ ، وانظر فتح البارى : ٣/١٣ .

(٣) صحيح البخارى : ١٥٧/٥ ، التفسير - البقرة - باب ((وقاتلوهم حتى لا تكون

فتنة)) واللفظه ، وفي المسند بنحوه : ٢٠/٢ - ٩٤ .

المبحث الأول : كونها سنة

قد أشار الله سبحانه وتعالى في هذه السورة الى أن الابتلاء سنة كونية

من سننه فهو هذا الخلق ، فقال سبحانه :

الْمَرَّةَ (١) أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِيَّاكُمْ آمِنًا وَهُمْ لَا

يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ (٣)

* العنكبوت ١ - ٣ *

فلا بد من الابتلاء بما يؤذي الناس فلا خلاص لأحد منه .

والابتلاء يكون بالسراء والضراء لقلبه سبحانه : كل نفس ذائقة

الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٤)

* الأنبياء ٣٥ *

فلا بد للمؤمن من الصبر والشكر ، ولا بد من حصول الأثم لكل نفس سواء آمنت

أم كفرت ، لكن المؤمن يحصل له الأثم في الدنيا ابتداءً ، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة (١) ، أما الكافر فقد تنقطع عنه الفتنة في الدنيا ولكنه يصير

الأثم في الآخرة ، كما روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : (مثل المؤمن كمثل خامة الزرع يغى ورقه من حيث أتتها الريح كدأتها

فاذا اعتدلت تكأ بالبلاء ، والفاجر (كالأرزة) صام معتدلة حتى يقصمها الله

إذا شاء) (٣) .

(١) الفوائد لابن القيم : ٢٠٤ - ٢٠١ . وانظر اغائة اللفغان : ١٩٣/٢ .

(٢) الأرز : ضرب من البهر ، وقيل شجر الصنوبر . اللسان : مادة أرز : ٣٠٦/٥ .

(٣) البخارى : ١٩١/٨ كتاب التوحيد باب فى المشيئة والارادة (٣) واللفظه

، صحيح مسلم : ٢١٦٣/٤ ، كتاب صفات المنافقين ، باب مثل المؤمن

باب ١٤ ، كما أخرجه الامام أحمد والدارمي .

والله سبحانه حذر من الدنيا وفتنتها ليدزرها المؤمن العارف بربه . قسار

تعالى :

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

• العنكبوت ٦٤ •

فالجميع يبتلئ فيها ، فمن لم يؤمن فانه يمتحن في الآخرة بالعذاب ويفتن به ، وهي أعظم المحنتين ، هذا ان سلم من امتحانه بعذاب الدنيا ، ومصائبها ، أو عقوباتها التي أوقعها الله بمن لم يتبع رسله ، وعصاهم ، فلا بد من المحنة في هذه الدار ، وفي البرزخ لكل أحد لكن المؤمن أخف محنة وأسهل بلية ، فان الله يدفع عنه بالايان .^(١) قال تعالى : ((ان الله يدفع عن الذين آمنوا)) .

ولكن البلاء يشتد عليه بحسب ايمانه ليعلم صدقه من كذبه ، فان صبر وأجاب

داعى الله فان له عند الله الفوز والنعيم .

وقد سئل الشافعي رحمه الله : " أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلئ ، فقال :

لا يمكن حتى يبتلئ ، فان الله ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين ، فلما صبروا مكثهم ، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة .^(٢) أهـ ، وقد أجمل الله عز وجل الابتلاء وأنه لا بد منه ، بقوله سبحانه :

الْمَرَّةَ (١) أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِيَّاكُمْ آمَنَّا وَهُمْ لَا
يَفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)

• العنكبوت ١ - ٣ •

(١) اغاثة اللفهان : ١٩٢/٢

(٢) الفوائد : ٢٠٣

ثم فصل سبحانه بعض الذين ابتلوا من قبلنا كما سيأتى ، وقد ابتلى نبينا صلى الله عليه وسلم والمؤمنون - من الصحابة ومن كان قبلهم - والكفار - ما يدل على استمرار الفتنة والابتلاء .

فمن سنية الابتلاء أن الله ابتلى أفضل خلقه وهم رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهم أفضل الدعاة الى توحيد سبانه .

فابتلاهم بالمرسل المهم حين يدعونهم الى الحق ، والصبر على أذاهم ، وتحمل المشاق فى تبليغ رسالات ربهم . (١)

فهذا محمد صلوات الله وسلامه عليه بين الله عز وجل فى هذه السورة أنه ابتلى بقوم جحدوا آيات الله مع علمهم بها ، قال تعالى عنهم :

وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ

آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ قَلَّ لِقَائِ الْآيَاتِ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

مُبِينٌ ﴿٥٠﴾

* العنكبوت . ٥٠ *

كما اتهم بالسحر والتعلم من الكهنة حتى أخرج هذا الكتاب ، فالله عز وجل نفى عنه هذه التهمة بقوله سبحانه :

وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

* العنكبوت ٤٨ *

والواقع على سيرته صلى الله عليه وسلم يرى ما حصل له من فتنة وبلاء أشد من هذا كالحصار فى الشعب ، ووفات عمه أبى طالب ، وزوجه خديجة ، وغير ذلك ، ولكنه كان صابرا محتسبا .

كما ابتلى نبي الله نوح بكفر قومه ، واستهزائهم به ، مع طول لبثه فيهم ، قال

تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

* العنكبوت ١٤ *

فهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أى ابتلى النبيون قبلك بالكفار فصبروا^(١).

كما ابتلى نوح بابنه ، وغلظة كبده ، حيث كان ممن أعرض عن دعوته كما هو
مذكور في سورة هود .

كما ابتلى بزوجه حيث خانته كما في سورة الطلاق .

وكذلك ابتلى نبي الله ابراهيم عليه السلام بقومه الذين لم يقبلوا دعوته

وحاولوا الانتقام منه ، ولكن الله أنجاه ، فقال تعالى :

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ

فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

* العنكبوت ٢٤ *

وسا ابتلى به كذلك اعراض أبيه عن الاستجابة لدعوة التوحيد .

ونبي الله لوط ابتلى بقوم لا يعباون بأمر الله مستهزؤن به وبدعوته حيث أتوا ،

أمرًا عظيمًا لم يسبقهم إليه أحد ، قال تعالى عنهم :

أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ

فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا

أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

* العنكبوت ٢٩ *

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٣٣٢/١٣ ، وانظر زاد المسير لابن

الجوزي : ٢٦١/٦ .

وسا نزل عليه من البلاء أنه كان يخاف على نسيوفه من أذى قومه وشرهم ، قال

تعالى :

وَلَمَّا

أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا لَا تَحْخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَكَ

كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾

* العنكبوت ٣٣ *

فمن عظيم ما مر عليه من البلاء أن زوجته وأقرب الناس اليه ، لم تستجيب

لنداء الله .

كما ذكر الله في هذه السورة شعيبا حيث لم يستجبه له قومه ، قال تعالى :

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰ قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي

دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٣٧﴾

* العنكبوت ٣٦ ، ٣٧ *

كما ابتلى نبي الله موسى بأنواع البلايا ورد منها في السورة تجبر فرعون وقارون
وهامان وتسلطهم على عباد الله حتى وصل الحد بفرعون الى أن ادعى الربوبية

، قال تعالى :

وَقَرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ

* العنكبوت ٣٩ *

﴿٣٩﴾

وكما حصل للرسول من بلاء محنة ، امتحن الله المرسل اليهم بهم هل يطيعونهم

وينصرونهم ويصدقونهم أم يكفرون بهم ويردون عليهم ويقاثلونهم ، فأقوام الرسل

الذين لم يستجيبوا لدعوتهم أصيبوا بأعظم بلية وأعظم فتنة ، وهي الكفر الذي

تدوم محنته وتشتد ، وقد قال سبحانه :

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

* العنكبوت ٤ *

أى لا يحسبن الذين لم يدخلوا فى الايمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة ، والامتحان ، فان ورائهم من العقوبة والنكال ما هو أظلم من هذا وأظلم . (١)

وكما ابتلى الأنبياء وأقوامهم الذين لم يستجيبوا لهم كذلك ابتلى أتباع الأنبياء ، فقد ورد عن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ، فقلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعونا ، فقال : (قد كان من قبلكم يوم أخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأشواط الحديد ، مادون لحمه وعظمه فما يصدده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكم تستعجلون) . (٢)

كما أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قوا من الابتلاء والمحن ما الله به عليم حتى أن أول السورة نزل بهم ، فقوله تعالى :

أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا

يَفْتَنُونَ ﴿٢﴾

* العنكبوت ٢ *

قال ابن عباس وغيره : يريد بالناس قوما من المؤمنين كانوا بمكة ، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الاسلام ، كسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٦٤٥/٣

(٢) صحيح البخارى : ٥٦/٨ كتاب الاكراه باب من اختار الضرب والقتل والهوان

على الكفر (١) واللفظ له ، سنن أبى داود : ١٠٨/٣ كتاب الجهاد باب

فى الأسير يكره على الكفر : ١٠٧ ، مسند أحمد : ١٠٩/٥ - ١١١ .

والوليد بن الوليد ، وعمار بن ياسر ، وأبوه وسمية أمه وعدة من بنى مخزوم
(١) وغيرهم .

كما فتن بعض الصحابة بأحبابه وذويه ، وما ذكر الله في هذه السورة

قوله سبحانه :

وَوَضَّيْنَا لِلْإِنْسَانِ

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَاذِّنْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

العنكبوت ٨

فهذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص ، فعن مصعب بن سعد عن أبيه ، أنه
نزلت فيه آيات من القرآن قال : حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدا حتى يكفر
بدينه ، ولا تأكل ولا تشرب ، قالت : زعمت أن الله وذاك بوالديك وأنا أمك
، وأنا أمرك بهذا ، قال : مكثت ثلاثا حتى غشى عليها من الجهد ، فقام ابن لها
يقال له : عمارة ، فسقاها فجعلت تدعوى سعد ، فأنزل الله عز وجل في

القرآن هذه الآية :

وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا

وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَاذِّنْكُمْ

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

لقمان ١٥

وفيها ((وصاحبهما في الدنيا معروفا)) الحديث .

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٣٢٣/١٣

(٢) صحيح مسلم : ١٨٧٧/٤ ، كتاب فضائل الصحابة باب في فضل سعد واللفظ

له ، سند أحمد : ١٨١/١ ، سنن الترمذي : ٣٤١/٥ ، كتاب التفسير

باب ومن سورة العنكبوت .

قال الواحدى : " قال المفسرون ^(١) : نزلت في سعد بن أبي وقاص ، وذاك أنه لما أسلم قالت له أمه حمنة : ياسعد ، بلغني أنك صبوت ، فوالله لا يظلمنسى سقف بيت من الضح ، والريح ، ولا آكل ، ولا أشرب حتى تكفر بمحمد وترجع الى ما كنت عليه .

فأبى سعد ، وصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل بظمسل حتى خشى عليها ، فأتى سعد النبي صلى الله عليه وسلم وشكا ذلك اليه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، والتي في لقمان والأحقاف ^(٢) " أهـ .

وقد ابتلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حصل لهم من فراق الأهل والوطن والمال حينما أمروا بالهجرة ، قال تعالى :

يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا بِأَرْضِيَّكُمْ وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾

" العنكبوت ٥٦ "

ومن سنة الابتلاء والفتنة استمراره في هذه الدنيا كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، ففي هذه السورة دلالة واضحة على استمراره الى يوم المعاد ، قال تعالى :

الْمَرَّةَ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾

" العنكبوت ١-٣ "

(١) انظر تفسير الطبري : ١٣١/٢٠ ، وابن كثير : ٦٤٦/٣ ، والسيوطي في الدر : ١٤١/٥ ، تفسير القرطبي ، أحكام القرآن : ٣٢٨/١٣ .

(٢) أسباب النزول للواحدى : ٣٩٤ .

قال ابن عطية ^(١) : وهذه الآية وان كانت نزلت بهذا السبب أو ما في معناها من الأقوال ، فهي باقية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم موجود حكمها بقيت الدهر ، وذلك أن الفتنة من الله تعالى باقية في شعور المسلمين بالأسر ونكايته العدو وغير ذلك ، وإذا اعتبر أيضا كل موضع ففيه ذلك بالإمراض وأنواع المحن ^(٢) .

وقوله تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

* العنكبوت ١٠ *

فتنكير الناس يدل على أنهم ليسوا معينين بمكان أو زمن وإنما يشمل كل من فعل ذلك في كل زمان ومكان ، * وان كانت الآية نزلت في المنافقين أو فسي أناس معينين * ^(٣) ، فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ^(٤)

وسا يدل على استمرار الابتلاء من الله للناس أمره لهم بأن يتعظوا بما حصل لمن قبلهم كما في قوله تعالى عن سفينة نوح :

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

* العنكبوت ١٥ *

وقوله في قصة ابراهيم :

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ

فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

* العنكبوت ٢٤ *

(١) تقدمت ترجمته في ص ١٧٧ من هذا البحث .

(٢) أحكام القرآن للقرطبي : ٣٢٤/١٣ .

(٣) انظر أحكام القرآن للقرطبي : ٣٣١/١٣ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ٣٦٤/١٥ ، ١٤٨/١٦ ، الاتقان في علوم

القرآن : ٨٥/١ .

كذلك قوله تعالى في قصة لوط :

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

* العنكبوت ٣٥ *

وكذلك قوله سبحانه :

وَتِلْكَ

الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

* العنكبوت ٤٣ *

ففي هذه الآيات إشارة الى استمرار البلاء والفتنة وأن الانسان لابد أن يبتلى ويمتحن ، فان كان من العارفين بالله وصبر وثبت على ايمانه ، فانه سيحصل له من الفوز والفلاح ما حصل للمؤمنين قبله الذين قص الله علينا قصصهم ، وان أعرض ، ولم يتعظ ، ولم يعتبر كما أمر فنهايته للهلاك ، والفتنة العظيمة التي لا فتنة بعدها ، وهي عذاب الله كما قال تعالى :

يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا

فَإِنَّكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

* الذاريات ١٣ ، ١٤ *

وقد نبه صلى الله عليه وسلم على فتن عامة تكون في آخر الزمان في أحاديث كثيرة لذلك بوب غالب العلماء في كتبهم بابا خاصا بها سموه (أبواب الفتن) وذلك كالبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وغيرهم ، ساقوا فيها ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ما يقع من الفتن .

والانسان يشاهد الفتن دائما لا تنقطع عنه ولكنها تختلف حسب شدتها وضعفها ، فمثلا الأمراض والمجاعات والحوايج ، وفقد الأحبة حتى الشوكه يشاكيها ، فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها الا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها) . (١)

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه : ٣/٧ المرض باب أشد الناس بلائاً الأنبياء واللفظه ، صحيح مسلم : ١٩٩١/٤ ، البرباب ثواب المؤمن =

وكل ما اتصل بالانسان من أهله ، وولده ، ووالديه ، وأصحابه ، وعشيرته ، وقومه ، ومن يتعامل معهم ، كل هؤلاء فتنة ، فهل يقوم بواجبه نحوهم ، من جلب خيرا أو دفع شر ، وهل يكف يده عن حقهم ، وبصره عما شئوا به ويسأل الله من فضله ^(١) ، ويكف لسانه عن غيبتهم وبهتهم .

فقد ورد عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل الحسن والحسين رضی الله عنهما ، طيما قسيما أحمران يعثران ويقومان ، فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر ثم قال : (صدق الله

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ

فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ^(١٥)

التغابن ١٥

رأيت هذين فلم أصبر) ، ثم أخذ في الخطبة . ^(٢)

وقد ورد عن حذيفة قال : كنا جلوسا عند عمر بن الخطاب رضی الله عنه ، فقال : أيكم يحفظ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة ، قلت : أنا كما قاله ، قال : انك عليه أو عليها لجرى ، قلت : فتنة الرجل في أهله ، وماله ، وولده ، وجاره ، يكرها الصلاة والصوم ، والصدقة والأمر والنهي ، قال : ليس هذا أريد ، ولكن الفتنة التي توج كعوج البحر ، قال : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، ان بينك وبينها بابا مغلقا ، قال : أيكسر أم يفتح ، قال : يكسر ، قال : اذا لا يخلق أبدا ، قلنا : أكان عمر يعلم السبب ، قال : نعم كما أن دون الغد الليلة ، اني حدثته بحدیث ليس بالأغاليظ

= فيها بصييه من مرض ، سنن الترمذی : ٢٨٨/٣ الجنائز باب ماجاء في شواب المريضي ، ونحوه في الموطأ : ٩٤١/٢ العين باب ماجاء في أجر المريضي ، مسند أحمد : ٤٤١/١

(١) انظر : اغاثة اللهفان : ١٦٠/٢

(٢) سنن أبي داود : ٦٦٣/١ كتاب الصلاة باب الامام يقطع الخطب لأمر يحدث ، واللفظه ، سنن النسائي : ١٠٨/٣ ، كتاب الجمعة باب نزول الامام عن المنبر ، و١٩٣/٣ كتاب العيدين باب نزول الامام ، مسند أحمد : ٣٥٤/٥

فهبنا أن نسأل حذيفة ، فأمرنا سرورا ، فسأله فقال الباب عمر* . (١)

ففى هذا الحديث عمر لم ينكر على حذيفة وقوع الفتن الصغيرة ، وحذيفة أجابه الى سؤاله بالنسبة للفتن الكبيرة .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : " لا يقولن أحدكم اللهم انى أعوذ بك من الفتنة ، فانه ليس منكم أحد الا وهو مشتمل على فتنة لأن الله تعالى يقول :

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ

عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

* الأنفال ٢٨ *

فأيكم استعان فليستعذ بالله من مضلات الفتن* . (٢)

والله عز وجل يقول :

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا
الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

* الفرقان ٢٠ *

— مستدرك الحاكم : ١٨٩/٤ - ١٩٠ ، كتاب اللباس ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه* .

(١) صحيح البخارى : ١٣٣/١ كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلاة كفاة واللفظه فى : ١١٩/٢ كتاب الزكاة باب ٢٣ الصدقة تكفر الخطيئة ، ٢٢٦/٢ الصوم ، باب الصوم كفاة وينحوه فى صحيح مسلم : ١٢٨/١ كتاب الايمان باب بيان أن الاسلام بدأ غربيا ، وكتاب القتن : ٢٢١٨/٤ باب فى الفتنة (٧) ، سنن أحمد : ٣٨٦/٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٥ ، ولفظه فى سنن الترمذى : ٥٢٤/٤ كتاب الفتن باب ٧١ ، سنن ابن ماجة : ١٣٠٥/٢ كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن : ١٩٦ .

(٢) اغاثة اللهفان : ١٦٠/٢ ، ومن قوله ليس منكم أحد الى آخر الأثر ، أخرجه ابن جرير بسنده الى ابن مسعود فى تفسير قوله تعالى : ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)) (٢٦ الأنفال) ، ٢١٨/٩ ، وذكره ابن كثير فى نفس الموضوع : ٤٧١/٢ .

وهذا عام في جميع الخلق ، امتحن بعضهم ببعض ، كما تقدم امتحان الرسل بأقوامهم والعكس .

كما امتحن العلماء بالجهال هل يعلمونهم وينصحونهم ، ويصبرون على ذلك والعكس هل يطيع الجاهل العلماء ويهتدون بهم .

وامتحن الملوك بالرعية ، والعكس ، كما امتحن الفقراء بالأغنياء والعكس ، وكما امتحن الأقوياء بالضعفاء ، والسادة بالأتباع ، والمالك بملوكه ، والرجل بامرأته ، والرجال بالنساء ، والمؤمنين بالكفار ، والآمرون بالمعروف بمن يأمرونهم ، وطى العكس من هؤلاء جميعا ، فانهم فتنوا بأضدادهم (١) ، فمن صبر على الفتنة كانت رحمة في حقه ، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها ، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها . (٢)

(١) اغاثة اللهفان : ١٦١/٢

(٢) اغاثة اللهفان : ١٦٢/٢

البحث الثاني : الحكمة من الفتنة والابتلاء

ومادام أن الله سبحانه جعل الابتلاء سنة في هذا الكون على جميع الخلق
برهم وفاجرهم ، فأفعاله كلها حكمة ، فلا تكون إلا عن علم وحكمة ، منها ما
مانعنا ومنها ما تقصر عقولنا وأفهامنا عنه وحسبنا أن نقول :

ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ لَأَنْفِرَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ البقرة ٢٨٥

والابتلاء والفتن من أفعال الله عز وجل ، وتقديراته ، التي كلها حكمة
ورحمة ، بخلاف ما اذا كانت من العبد كما تقدم في باب القضاء والقدر .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " وليست البلياء والمصائب تأتي من طاعة الله
ورسوله كما يظن بعض الجهال فان هذه جزاء أصحابها خيري الدنيا والآخرة : (١)

ولكن قد تصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم لا بما أطاعوا
فيه الله ورسوله ، كما لحقهم يوم أحد بسبب ذنوبهم ، لا بسبب طاعتهم الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك ما ابتلوا به من السراء والضراء ، والزلازل ،
ليس هو بسبب نفاقهم وطاعتهم لكن امتحنوا به ليتخلصوا ما فيهم من الشر
وفتنوا به كما يفتن الذهب بالنار ليميز خبيثه من طيبه ، والنفوس فيها شر والامتحان
يحص المؤمن من ذلك الشر الذي في نفسه " . (٢)

(١) أي من ابتلى بسبب طاعته لله ، وصبر فانه يجزي بخيري الدنيا والآخرة وليس
المراد أن المصائب بسبب الذنوب فقط .

انظر كلام شيخ الاسلام في ص : ٢١١ .

(٢) الحسنة والسيئة لابن تيمية : ٤٤

لذلك كان من حكمة الابتلاء التمحيص ، وهو كما قال الراغب (١) : " أصل المحص تخليص الشيء ما فيه عيب " .

قال تعالى :

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾

* آل عمران ١٤١ *

وقال سبحانه
ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً
مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ
الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ
قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ
فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ * آل عمران ١٥٤ *

فالتمحيص هنا كالتزكية والتطهير ونحو ذلك من الألفاظ ، ويقال في الدعاء " اللهم
محص عنا ذنوبنا " ، أي أزل ما طلق بنا من الذنوب . (٢)

فالموءمن يحص حتى يصدق ، ويبتلى ، ويختبر حتى يخلص بالبلاء السذى
نزل به ، وكيف صبره ويقينه . (٣)

"والله يحص المؤمنين بما يكره عنهم من ذنوبهم ، ان كانت لهم ذنوب والا رفع لهم
في درجاتهم بحسب ما أصيخوا به " . (٤)

(١) هو: أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الاصبهاني ، كان ذكيا من المتكلمين
كانت وفاته قريبا من سنة ٤٥٢ هـ ، من مؤلفاته (الفردات) والذريعة الى مكارم
الشريعة (وتفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين) ، ومحاضرات الأدباء . سير
أعلام النبلاء : ١٢٠/١٨ ، الأعلام : ٢٥٥/٢ .

(٢) الفردات للراغب : ٤٦٤

(٣) انظر جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٠٧/٤

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم : ٦١٢/١

فهو تنقية لهم من الذنوب وأفات النفوس كما أنه تخلص لهم من المنافقين وتمييزهم عنهم فيحصل لهم تحيضان : تحييص من نفوسهم وتحييص من كان يظهر أنهم من المسلمين ^(١) ، وهذا ما سأوضحه في حكمة التمييز بين المؤمنين والكفار ، فالتحييص للمؤمنين يكون :

١ - بتكفير السيئات .

٢ - أو برفعه الدرجات .

٣ - أو بالتعويض من الله .

أولا : فتكفير السيئات :

قد أخبر الله سبحانه أنه يريد تحييص المؤمنين أي تخلصهم من ذنوبهم بالتمتع والرجوع إليه ، واستغفاره من الذنوب التي أدب بها عليهم العدو ^(٢) . وقد بين الله سبحانه وتعالى تكفيره لسيئات المؤمنين في كتابه وطى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى :

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

* العنكبوت ٧ *

وقد بين الله سبحانه أن لابد للمؤمن من الابتلاء كما تقدم . قال ابن القيم : " ان ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الدواء التمسى لوبقيت فيه أهلكه ، أو أنقصت ثوابه ، وأنزلت درجته فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدوية ويستعد به لتمام الأجر ، وطو المنزلة ، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه ^(٣) ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (عجا لأمر المؤمن ان أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد الا للمؤمن ، ان أصابته

(١) زاد المعاد : ٢٢٣/٣

(٢) اغائة اللهفان : ١٩١/٢

(٣) اغائة اللهفان : ٨٨/٢

سرا^(١) شكر ، فكان خيرا له ، وان أصابته ضرا^(٢) صبر فكان خيرا له .

فهذا الخير العظيم ليس الا للمؤمن لأنه هو الذي يشكر ويصبر ، فبذلك تكفر سيئاته كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة منها : ما روتنه عائشة رضی الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من مصيبة تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها) .^(٣)

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضی الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها عن خطاياها) .^(٤)

وعن سعد بن أبي وقاص رضی الله عنه عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قلت : يا رسول الله أي الناس أشد بلاءا؟ قال : الأنبياء ، ثم الصالحون ثم الأمثل ، فالأهمل من الناس يبتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان في دينه صلابة زيد في بلائه ، وان كان في دينه رقة خفف عنه ، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشى على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة) .^(٥)

(١) صحيح مسلم : ٢٢٩٥/٤ كتاب الزهد باب المؤمن أمره كله خير ١٣ واللفظ له ، سند أحمد : ٢٢٢٢/٤ - ٢٢٢٣ - ١٥/٦ - ١٦ . مجمع الزوائد للهيثمى : ٢٠٩/٧ ، وقال : رواه أحمد بأسانيد ورجالها كلها رجال الصحيح ، السنن الكبرى للبيهقي : ٣٧٦/٣ .

(٢) البخاري : ٢/٧ كتاب المرضى باب ماجاء في كفاة المرضى ، صحيح مسلم : ١٩٩٢/٤ كتاب البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ، كما أخرجه الترمذي ، ومالك ، وأحمد .

(٣) صحيح البخاري : ٢/٧ كتاب المرضى باب ماجاء في كفاة المرضى واللفظ له ، صحيح مسلم : ١٩٩٢/٤ - كتاب البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه .

(٤) سند أحمد : ١٧٢/١ بهذا اللفظ : ١٧٢/١ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، سنن الترمذي : ٦٠١/٤ كتاب الزهد باب ٥٦ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

سنن ابن ماجه : ١٣٣٤/٢ كتاب الفتن باب الصبر على البلاء : ٢٣ ، السنن الكبرى للبيهقي : ٣٧٢/٣ ، الاستدرك : ٤١/١ ، المنتخب لعبد بن حميد : ١٨٠/١ ، سنن الدارمي : ٢٢٨/٢ باب في أشد الناس بلاءا .

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن المصائب والفتن التي تصيب المؤمن —
أنها من الله ، حيث لا يقع في الكون كائن بغير مشيئته الحكيمه ، ومن ذلك أن الله
أعد للمؤمن فيها خيرا عظيما سوا بتكفير السيئات أو برفعة الدرجات ، ان صبر
واحتساب ، والا فيكون فتنة لغيره .

لذلك أورد بعض العلماء مسائل على هذه الأحاديث ، وأمثالها :

أولا : هل التكفير للصغائر أم للصغائر والكبائر ؟

ثانيا : هل المصائب تكفر الخطايا فقط أم أنها تكفير للخطايا وترفع الدرجات . ؟

ثالثا : هل تكفير الخطايا أرفع الدرجات يحصل بمجرد المصيبة أم لابد من

الصبر عليها ؟

السؤال الأولي : هل التكفير خاص بالصغائر أم للصغائر والكبائر ؟

قال ابن حجر عند إيراد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من يرد الله
به خيرا يصب منه)^(١) ، وما قبله من الأحاديث السابقة^(٢) ، وفي هذه الأحاديث
بشارة عظيمة لكل مؤمن ، لأن الآدمي لا ينفك غالبا من ألم بسبب مرض أو هم
أو نحو ذلك ما ذكره ، وأن الأمراض والأوجاع والآلام - بدنية كانت أو قلبية - تكفر
ذنوب من تقع له ، وسيأتي في الباب الذي بعده من حديث ابن سعد (ما من
مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطايا)^(٣) ، وظاهره تعميم جسيم

(١) صحيح البخارى : ٣/٧ كتاب المرضى باب ما جاء في كتاب المرضى (١) ،
سند أحمد : ٢٣٧/٢ ، الموطأ : ٩٤١/٢ كتاب العين باب ما جاء في
أجر المريض (٣)

(٢) التي تقدمت في ص : ٢٣٠

(٣) جزء من حديث في صحيح البخارى : ٣/٧ كتاب المرضى باب شدة المرض ،
واللفظه ، صحيح مسلم ١٩٩١/٤ ، كتاب البر ، باب ثواب المؤمن فيما
يصيبه (١٤) ، سند أحمد : ٧٠/٤ بمعناه .

الذنوب لكن الجمهور خصوا ذلك بالصغائر ، للحديث

(الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان كفارات لما بينهما من ما اجتنبت الكبائر) (١)

فحملوا المطلقات الواردة في التكفير على هذا المقيد ، ويحتمل أن يكون معنى الأحاديث التي ظاهرها التعميم أن المذكورات صالحة لتكفير الذنوب ، فيكفر الله بها ماشاء من الذنوب ، ويكون كثرة التكفير وقتها باعتبار شدة البلاء وخفته (٢) أهـ .

والذي يظهر أن المصائب مكفرات للصغائر والكبائر لعموم الأحاديث المتقدمة ، وأما هذا الحديث فهو خاص بالأعمال المذكورة ، ولا وجه لدخول عموم التكفير بالنسبة للمصائب بهذا الا بدليل ، لذلك قال بعض العلماء أن المصائب مع تكفيرها السيئات ترفع الدرجات.

السؤال الثانية : هل المصائب مكفرات أو شيئات؟

قال النووي (٣) رحمه الله تعالى بعد سياقه للأحاديث المتقدمة في ص : ٢٣

" وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمسلمين فانه كلما ينفك الواحد منهم ساعة من شئ من هذه الأمور ، وفيه تكفير الخطايا بالأمراض والأسقام ومصائب الدنيا وهمومها ، وان قلت مشقتها ، وفيه رفع الدرجات بهذه الأمور ، وزياد الحسنات وهذا هو الصحيح الذي عليه جماهير العلماء ، وحكى القاضي عياض (٤)

(١) صحيح مسلم : ٢٠٩/١ كتاب الطهارة باب الصلوات الخمس . . . (٥) واللفظ له ، سنن الترمذى : ٤١٨/١ كتاب الصلاة باب ماجاء في فضل الصلوات الخمس (١٦٠) ، سنن ابن ماجه : ١٩٦/١ كتاب الطهارة باب تحت كل شعيرة جنابة ، سند أحمد : ٣٥٩/٢ ، ٤٠٠ ، ٤١٤ ، ٤٨٤ .

(٢) فتح البارى : ١٠٨/١٠

(٣) تقدمت ترجمته في ص ٢٤٦ من هذا البحث .

(٤) هو : عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسى ثم البستي المالكي المشهور ، ولد سنة ٤٧٦ هـ ، روى عن القاضي القاضى بن أبي سكرة الصدفى وعن أبي بحر بن العاص ، ومحمد بن حميد وغيرهم استبحر من العلوم وجمع وألف كثيرا منها (الشفا) و(ترتيب المدارك وتقريب المسالك)

عن بعضهم أنها تكفر الخطايا فقط ، ولا ترفع درجة ولا تكتب حسنة ، قال : وروى نحوه عن ابن مسعود وقال أيضا : والوجع لا يكتب به أجر لكن تكفر به الخطايا فقط * .

واعتمد على الأحاديث التي فيها تكفير الخطايا ولم تبلغه الأحاديث التي ذكرها سلم المصراحة برفع الدرجات وكتب الحسنات. (١) أهـ

وقال النبي (٢) رحمه الله : " احتجبت طائفة من العلماء الى أنه يثاب على كل صيبة بقوله تعالى مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ، ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ التوبة ١٢٠ " .

ثم ساق حديث أبي سعيد المتقدم في ص ٢٣٠ وقال : " وروى الحاكم في المستدرک أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المصاب من حرم الثواب ... (٤) وفي صحيح البخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم) . (٥)

رجال (كتاب العقيدة) ، وكتاب (شرح حديث أم زرع) ، وغيرها ، ٥٤٤ هـ
سهر أعلام النبلاء : ٢١٢/٢٠ ، وفيات الأعيان : ٤٨٣/٣ .
(١) صحيح سلم بشرح النووي : ١٢٨/١٦

(٢) هو : محمد بن محمد بن محمد بن محمود الصالح الحنبلي (شمس الدين أبو عبد الله) محدث وفقيه ، له كتب منها : (منهاج السالكين) و (عمدة البصراء) و (السالكين) ، و (تسلية أهل المصائب) و (جزء في الطاعون وأحكامه) توفي ٧٨٥ هـ .
شذرات الذهب : ٢٣٦/٦ ، معجم المؤلفين : ٢٩٥/١١ ، الأعلام : ٤١/٧

(٣) تسلية أهل المصائب : ٢٢٠

(٤) ذكره المنبجى ولم أجده في المستدرک .

(٥) صحيح البخارى : ٧٢/٢ كتاب الجنائز باب فضل من مات له ولد (٦) واللفظ له

ونحوه في صحيح مسلم : ٢٠٢٨/٤ كتاب البر باب فضل من يموت له ولد (٤٧) ،

سنن الترمذى : ٣٦٤/٣ كتاب الجنائز باب ماجاء في ثواب من قدم ولدا .

من نعم قال : ^{شيب}احتظرت بحظارا من النار. (١)

قال بعض السلف : فقد الثواب على المصيبة أعظم من المصيبة ، فانه قد ورد أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المصاب من حرم الثواب) . (٢)

احتجت الطائفة الأخرى من العلماء من أطلق القول بأن المصائب لا يثاب

عليها ، وانا يثاب على الصبر عليها بقوله تعالى : **قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ**

ءَامَنُوا أَنْقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ

وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

* الزمر . ١٠ *

قال ابن عبد السلام ^(٣) في (قواعد) : الثواب انما يكون على فعل العبد

لا على فعل الله فيه ، قال تعالى :

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ

هُمْ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

* البقرة ١٥٦ - ١٥٧ *

فما حصل لهم من صلاة الله عليهم ورحمته لهم وهدايته اياهم بقولهم : (انا لله

وانا اليه راجعون) فالاسترجاع هو سبب في حصول ما ذكر. (٤)

(١) صحيح مسلم : ٢٠٣٠/٤ ، كتاب البر باب فضل من يموت له ولد (٤٧)

، سند أحمد : ٠٤١٩/٢ -

(٢) تقدم ص ٢٣٣ من هذا البحث .

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب السلمي

الدمشقي الشافعي ، ولد سنة ٥٧٨ هـ تفقه على ابن عساكر ، له مؤلفات عديدة

، ناسكا عابدا ، تولى قضاء مصر القديمة ، ت ٦٦٠ هـ . النجوم الزاهرة :

٢٠٨/٧ ، الاعلام : ٢١/٤

(٤) انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام : ١٢٦/١ .

ثم ساق كلام النووي المتقدم في ص ٢٣٢ وقال : " ويؤيد ذلك قول عائشة رضي الله عنها : (ما رأيت رجلا أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(١) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (اني لأوعك مثل رجلين منكم)^(٢) ، وانك لتوعك وعكا شديدا^(٣) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (أشد الناس بلاه الأنبياء) ، ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل)^(٤) .

قال جماعة من العلماء : والحكمة في كون الأنبياء أشد بلاه ثم الأمثل فالأمثل ، أنهم مخصوصون بكمال الصبر وصحة الاحتساب والأنبياء معصومون من الخطايا ولهم الثواب والله أعلم .

وفي حديث المرأة التي كانت تصرع^(٥) دليل على أن الصرع يثاب عليه أكمل ثواب ، وفي صحيح مسلم ، قالت امرأة : يا رسول الله ، دفنت ثلاثة ، قال : « دفنتك ثلاثا »

(١) مسند أحمد : ١٧٣/٦ ، سنن الترمذي : ٦٠١/٤ ، كتاب الزهد باب ما جاء في الصبر (٥٦) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري : ٣/٧ كتاب العرض باب أشد الناس بلاه الأنبياء (٣) ، وباب وضع اليد على المريض (١٣) ، وباب قول المريض انسى وجع (١٦) ص ٠٨ ، صحيح مسلم : ١٩٩١/٤ كتاب البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه (١٤) كما أخرجه أحمد والدارمي .
(٣) جزء من الحديث الذي قبله .

(٤) جزء من حديث تقدم تخريجه في ص : ٢٣٠ .
(٥) وحديثها عن عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عياش ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلت بلى ، قال هذه المرأة السوداء أمت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : اني أصرع ، وانى أنكشف ، فأدع الله لي ، قال : ان شئت صبرت ، ولك الجنة وان شئت دعوت الله أن يعافيك ، فقالت : أصبر ، فقالت اني أتكشف فأدع الله أن لا أتكشف فدعا لها) ، صحيح البخاري : ٤/٧ ، كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح (٦) ، صحيح مسلم (٤/٤) ١٩٩٤ ، كتاب البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه (١٤) ، مسند أحمد : ٣٤٦/١ .

الصَّيَالِيَّ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

وكذلك حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : (يقول الله عز وجل لملك الموت : يا ملك الموت قبضت ولد
عدي قبضت قرّة عينية ، وشرة فؤاده ٢ ، قال : نعم ، قال : فما قال : قال
حمدك واسترجع ، قال : ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد)^(١) فحمده
واسترجاه هو سبب بناء البيت له في الجنة وتسمية البيت كافية^(٢) . . . أهـ

وقد تقدم نقل القاضي عياض^(٣) رحمه الله في ص ٢٢٢

ولشيخ الاسلام ابن تيمية تفضيل في السألة ، فبعد أن ذكر ما أصيب به الرسول
والمؤمنون من المصائب بسبب اختيارهم طاعة الله فقال : (وان كان صاحب المصائب
يثاب على صبره ، ورضاه ، وتكفر عنه الذنوب بمصائبه ، فان هذا^(٤) أصيب وأذى
باختياره طاعة الله ، يثاب على نفس المصائب ، ويكتب له بها عمل صالح ، قال
تعالى :-

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ

مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ

عَن نَفْسِهِ ذَٰلِكُمْ بَأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ

وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ

الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِن عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم

بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾

"التوبة ١٢٠"

(١) سند أحمد : ٤١٥/٤ ، سنن الترمذي : ٣٣٢/٣ ، كتاب الجنائز باب فضل

المصيبة اذا احتسب (٣٦) وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٢) تسليمة أهل المصائب : ٢٢٢

(٣) تقدم في ص ٢٠٧

(٤) هذا اشارة الى ذكر متقدم وهو المؤمن الذي اختار الأذى بسبب طاعته لله .

بخلاف المصائب التي تجرى بلا اختيار العبد كالمرض ، وموت العزيز عليه ، وأخذ
للصوص ماله ، فان تلك انما يثاب على الصبر عليها لا على نفس ، ما يحدث من
المصيبة ، وما يتولد عنها ، والذين يؤذون على الايمان وطاعة الله ورسوله
ويحدث لهم بسبب ذلك حرج أو مرض ، أو حبس ، أو فراق وطن ، وذهاب
مال ، وأهل ، أو ضرب أو شتم أو نقص رياسة ، ومال ، وهم في ذلك على طريقه
الأنبياء ، وأتباعهم المهاجرين الأولين ، فهو لا يثابون على ما يؤذون به
، ويكتب لهم به عمل صالح ، كما يثاب المجاهد على ما يصيبه من الجوع
والعطش والتعب ، وعلى غيظة الكفار ، وان كانت هذه الآثار ليست عملا فعلية ،
ويقوم به ، لكنها متسببة عن فعله الاختياري ، وهي التي يقال لها متولدة^(١) . أه

فتبين من كلام شيخ الاسلام أن المصائب مكبرات ، وشيات ، وان كانت بسبب
طاعة الله فانه يثاب عليها وعلى ما يتولد منها وهذا ما دللت عليه النصوص ، فقد تقدم
جملة من الأدلة على تكفير السيئات ، أما الأدلة العامة على رفع الدرجات
فمنها :

عن عائشة رضی الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما يصيب
المؤمن من شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة) .^(٢)

وفى لفظ : (ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه الا كتب الله
له بها حسنة أو حطت عنه بها خطيئة) .^(٣)

وعن أنس رضی الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان عظم الجزاء
مع عظم البلاء ، وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا
ومن سخط فله السخط) .^(٤)

(١) أمراض القلوب وشفائها : ٢٠

(٢) صحيح مسلم : ١٩٩١/٤ كتاب البرية ثواب المؤمن فيما يصيبه (١٤) واللفظ له .

(٣) صحيح مسلم : ١٩٩٢/٤ كتاب البرية ثواب المؤمن فيما يصيبه (١٤) وفى بعض

روايات الحديث خصه سند أحمد : ٤٣/٦ ، ١٧٣ ، ١٧٥٠ ، ٢٥٥ - ٢٧٨ -
بألفاظ مختلفة .

(٤) سنن الترمذى : ٦٠١/٤ كتاب الزهد باب ما جاء فى الصبر على البلاء ، وقال : —

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من يسرد الله به خيرا يصب منه . (١)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يقسول الله تعالى : مالمعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة) . (٢)

ومع هذا الأجر العظيم الذى دلت عليه الأحاديث ، فانها تدل كذلك على التعويض من الله سواء فى الدنيا أو الآخرة .

لدلالة الأحاديث المتقدمة والآيات الواردة فى السورة منها قوله سبحانه :

مَنْ كَانَ يَرْجُوا

لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ . العنكبوت ٥ .

وقوله سبحانه تعالى :

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ . العنكبوت ٧ .

فهذه الآية كما تقدم فى تكفير السيئات أن المؤمن لا بد له من ابتلاء حتى عطسه ابتلاء من الله هل بصرويعمله باحتساب ، أم لا ، فان كان عطسه أشغله عن لذة من لذات الدنيا فان العوض من الله خير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قال : (اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصرعوضته منهما الجنة) ، يريد عينيه . (٣)

هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . سنن ابن ماجة : ١٣٣٨/٢ ، كتاب الفتن باب الصبر على البلاء (٢٣) ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع : ٢١٦/١ رقم ٢١٠٦ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة : ٢٢٧/١ رقم ١٤٦ .

(١) تقدم تخريجه فى ص ٢٣١

(٢) صحيح البخارى : ١٧٢/٧ كتاب الرقاق باب العمل الذى يبتغى به وجه الله تعالى ، سند أحمد : ٤١٧/٢ .

(٣) صحيح البخارى : ٤/٧ كتاب الرضى باب فضل من ذهب بصره واللفظ لسه

، سند أحمد : ١٤٤/٣ ، سنن الترمذى : ٦٠٣/٤ كتاب الزهد باب ماجاء فى زهاب البصر (٥٧) .

والمستبعض لسير المرسلين وأتباعهم وما أميئوا به من أذى يرى أن العاقبة كانت لهم ، سواء في العاجل أو الآجل .

فهذا ابراهيم عليه السلام لما صبر على بلاء قومه عوضه الله بذرية بارئة مطيعة

كما قال سبحانه :
وَوَهَبْنَا

لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ
وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ

٢٧

* العنكبوت ٢٧ *

ولما ترك المهاجرين ديارهم لله وأوطانهم التي هي أحب شئ إليهم حيث

أمرهم الله حيث قال :

يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعُوا لِي
يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعُوا لِي
يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعُوا لِي

* العنكبوت ٥٦ *

أعاضهم الله أن فتح عليهم الدنيا وملكهم شرق الأرض وغربها ، يقول الله

عز وجل :

فَإِذَا بَلَغْنَا أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ
وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢٤﴾ وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ
بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢٥﴾

* الطلاق ٢ ، ٣٠ *

وكما ترك يوسف الصديق امرأة العزيز لله واختار السجن على الفاحشة عوضه الله أن مكه في الأرض محبباً منها حيث يشاء .
وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الجاهد في الله يهديه الله سبيله ومعلوم أن المجاهد

لله - لا بد أن يترك كثيراً من الطغيات والشهوات ، ويقبل على الله فعوضه الله

أن هداه سبيله ، وكان معه معية خاصة .

قال تعالى :

وَالَّذِينَ

جَاهِدُوا فِيْنَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سَبِيلَنَا وَإِنَّا لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

* العنكبوت ٦٩ *

وقد عزا الله المؤمنين حين اختاروا الأُم المنقطع على الأُم العظيم المستمر

بقوله :

مَنْ كَانَ يَرْجُوا

لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾

* العنكبوت ٥ *

فضرب لمدة هذا الأُم أجلا لا بد أن يأتي وهو يوم لقاءه ، فيلتذ العبد أعظم اللذة بما تحمل من الأُم من أجله ، وفي مرضاته ، وتكون لذته وسروره وابتهاجه بقدر ما تحمل من الأُم في الله ولله ، وأكد هذا العزاء والتسليه برجا لقاءه ، ليحمل العبد اشتياقه الى لقاء ربه ، ووليه ، طي تحمل شقة الأُم العاجل

كما عزاهم تعالى بعزاء آخر ، وهو أن جهادهم فيه انما هو لأنفسهم وشترته عائدة عليهم ، وأنه غنى عن العالمين ثم أخبر أنه يدخلهم بجهادهم وإيمانهم في زمرة الصالحين (١) ، كما قال سبحانه :

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿١﴾

* العنكبوت ١ *

ثالثا : هل التكفير حاصل بمجرد المصيبة أم لا بد من الصبر؟

الناس بالنسبة لأقدار الله أربعة أقسام :

الأول : من يرضى عن ربه فيها والمزيد من حبه والشوق اليه ، وهذا نشأ من شاهدتهم للطف الله فيهم ، وبره واحسانه العاجل والآجل .

(١) زاد المعاد : ١٦/٣ .

الثاني : من يشكر الله عز وجل على المصائب كما يشكره على النعم ، وهذا فوق الرضا
الا أنها غالبا ما يكون على النعم فهو في فتنة السراء أظهر .

الثالث : من يصبر على أقدار الله وهم المقتصدون ، ولا يتحقق الرضا والشكر الا
بالصبر .

الرابع : الجزع والتسخط والتشكي ، واستبطاء الفرج واليأس ، من الروح ، والجزع
الذي يفوت الأجر .^(١)

وعلى هذا التقسيم فلا بد للمصاب أن يكون من الصابرين فما فوق ، أم من
الساخطين ، وقد ذكر ابن حجر أن الأجر حاصل بمجرد المصيبة فقال : عند
سياقه للحديث الأول حديث عائشة - وفي هذا الحديث تعقب على الشيخ عز الدين
ابن عبدالسلام^(٢) حيث قال : ظن بعض الجهلة أن المصاب مأجور ، وهو خطأ
صريح فان الثواب والعقاب انما هو على الكسب ، والمصائب ليست منها ، بل
الأجر على الصبر والرضا^(٣) أهـ

ووجه التعقب أن الأحاديث الصحيحة صريحة في ثبوت الأجر بمجرد حصول
المصيبة ، وأما الصبر والرضا فقد زائد يمكن أن يثاب عليهما ، زيادة على
ثواب المصيبة ، قال القرافي^(٤) : المصائب كفارات جزما سواء اقترن بها الرضا
أم لا ، لكن ان اقترن بها الرضا عظم التكفير والا قل ، كذا قال : والتحقيق
أن المصيبة كفارة لذنب يوازئها ، وبالرضا يوجر على ذلك ، فان لم يكن
للمصاب ذنب عوض عن ذلك من الثواب بما يوازئها^(٥) . أهـ

(١) انظر طريق الهجرتين : ٢١٨ .

(٢) تقدمت ترجمته في ص : ٢٣٥ .

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام : ١٢٢/١ .

(٤) هو أحمد بن ادريس بن عبدالرحمن أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي
المالكي ، له مصنفات كثيرة في الفقه والأصول منها أنوار البروق في أنواع الفروق ،
والأحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام وتصرف القاضي والامام ، والذخيرة ، والواقيت
في أحكام الواقيت ، ت ٦٨٤ هـ ، الديباج المذهب : ٢٣٦/١ ، وشجرة النور

: ١٨٨ ، والاعلام : ٩٤/١ .

(٥) فتح الباري : ١٠٥/١٠ ، وانظر ١٠٩ .

والذى يظهر لى بعد هذا النقل أن الأجر لا يحصل الا مع الصبر لأنه لا يسد
للانسان أن يصبر أو يسخط ، ولا أعرف مرتبة بينهما ، الا أن الصبر
اما أن يكون لله ومع الله فانه يؤجر على ذلك ، للآيات والأحاديث التى تحت
على الصبر وتأمر به ، واما أن يكون لغير ذلك من غاياته فى الدنيا ، أو يجبر على
الصبر كصبر البهائم ، ويسلى نفسه كصبر الكفار ، فان هذا لا أجر له .

قال ابن القيم بعد أن تكلم على الصبر فقال : " المراتب أربعة :

احداها : مرتبة الكمال ، وهى مرتبة أولى العزائم ، وهى الصبر لله
وبالله ، فيكون فى صبره مبتغيا وجه الله ، صابرا به ، متبرئا من حوله
، وقوته ، فهذا أقوى المراتب وأرفعها وأفضلها .

الثانية : أن لا يكون فيه لا هذا ولا هذا ، فهو أخس المراتب ، وأردأ الخلق
، وهو جد يربكل خذلان ، ويكل حرمان .

الثالثة : مرتبة من فيه صبر بالله ، وهو مستعين متوكل على حوله وقوته
، متبرى من حوله هو وقوته ، ولكن صبره ليس لله ، ان ليس صبره
فيما هو مراد الله الدينى منه ، فهذا ينال مطلوبه ، ويظفر به ولكن لا عاقبة
له ، وربما كانت عاقبته شر العواقب .

الرابع : من فيه صبر لله لكنه ضعيف النصيب من الصبر به ، والتوكل عليه
، والثقة به ، والاعتماد عليه ، فهذا له عاقبة حميدة ، ولكنه ضعيف
عاجز " أهـ . (١)

وان حصل مع الصبر على المصائب رضى ، وشكر ، فانه أعظم للأجر ، فالرضا
بالقضاء الكونى القدرى الجارى على خلاف مراد العبد ، ومحبه ما لا يلائمه ،
ولا يدخل تحت اختياره مستحب ، وهو من مقامات أهل الايمان ، بخلاف الرضى

(١) مدارج السالكين : ١٧٧/٢

بالقدر الجارى عليه باختياره ، ما يكرهه الله ويسخطه ، وينهى عنه كالظلم
والفسوق والعصيان ، فان هذا حرام يعاقب عليه وهو مخالفة لله تعالى . (١)

كذلك الشكر حيث أن الله أمر به ، وأثنى على أهله ، ونهى عن ضده ، من

ذلك قوله تعالى عن ابراهيم في دعوة قومه :

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ
وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

* العنكبوت ١٧ *

، وقال سبحانه :

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ
وَ قُدُورٍ رَّاسِيَتٍ ۗ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشُّكْرُ ﴿١٢﴾

* سبأ ١٢ *

الآن الغالب في الشكر أن يكون على السراء وهي من الفتن العامة التي ينفس
للمسلم أن يشكر الله عليها ، وليست من المصائب النازلة المقصودة في هذا
الموضوع .

فتبين أنه لا أجر بدون الصبر ، فما فوقه ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

* المصائب التي تجرى بلا اختيار العبد كالمرض ، وموت العزيز عليه ، وأخذ

ماله ، فان تلك انما يثاب على الصبر عليها ، لا على نفس ما يحدث مسن

المصيبة ، وما يتولد عنها . أه (٢)

(١) انظر مدارج السالكين : ٢٠٢/٢

(٢) امراض القلوب وشفائها : ٢١ .

وأما ان حصل ضد الصبر وهو الجزع والتسخط والتشكى فان هذا لا يؤجر به بل قد يحصل له الاثم لقوله صلى الله عليه وسلم : (ان الله اذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضى له الرضى ومن سخط فله السخط)^(١) .

وعن أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (برى) من الضالقة والحالقة والشاقة^(٢) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (ليس مننا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)^(٣) .

من حكم الابتلاء التمييز بين المؤمنين والكفار كما تقدمت الإشارة الى ذلك عند التحيص .^(٤)

فالتمييز ، من مزت الشيء أميزه ميّزا ، عزلته وفرزته ، وكذلك ميزته تمييزا ، فأناز ، وأناز ، وتميز ، واستماز كنه بمعنى ، يقال استماز القوم ، اذا تميز بعضهم من بعض ، وفلان يكاد يتميز من الغيظ أى ينقطع .^(٥)

(١) تقدم تخريجه فى ص :

(٢) صحيح البخارى : ٨٣/٢ كتاب الجنائز باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة

(٣٨) ، صحيح مسلم : ١٠٠/١ ، كتاب الايمان باب تحريم ضرب الخدود

(٤٤) ، والضالقة هى التى ترفع صوتها عند المصيبة ، والحالقة تحلق شعرها

والشاقة تشق ثوبها . النووى على مسلم : ١١٠/٢ .

(٣) صحيح البخارى : ٨٣/٢ كتاب الجنائز باب ليس منا من ضرب الخدود (٣٩)

، صحيح مسلم : ٩٩/١ ، كتاب الايمان باب تحريم ضرب الخدود (٤٤) ،

ودعوى الجاهلية : هى النياحة وندبه الميت والدعاء بالويل ، وشبهه

النووى على مسلم : ١١٠/٢

(٤) فى ص : ٢٢٨ من هذا البحث .

(٥) الصحاح للجوهري : ٨٩٧/٣ .

هذا معنى التمييز في اللغة ، فالمراد هنا تمييز المؤمن من الكافر وقد ثبت

ذلك من قوله تعالى :

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾

* العنكبوت ٣ *

قال الطبري رحمه الله تعالى : ((فليعلمن الله الذين صدقوا)) منهم فسي قولهم آمنا ((وليعلمن الكاذبين)) منهم في قولهم ذلك ، والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار ، وفي حال الاختبار ، وبعد الاختبار ، ولكن معنى ذلك : * وليظهرن الله الصادق منهم في قوله آمنا بالله من كذب الكاذب منهم باهتلاك آياه بعدوه ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه^(١) أهـ .

والله عز وجل بين في هذه السورة * عن تمام حكته ، وأن حكته ، لا تقتضي أن كل من قال انه مؤمن وأدعى لنفسه الايمان أن يبقوا في حالة ، يسلمون فيها من الفتن والمحن ، ولا يعرض لهم ، ما يشوش عليهم ايمانهم وفروجه فانهم لو كان الأمر كذلك ، لم يتميز الصادق من الكاذب ، والمحقق من السبطل ، ولكن سنته تعالى في الأولين ، وفي هذه الأمة أن يبتليهم بالسرا ، والضراء ، والعسر ، والبسر ، والمنشط ، والمكره ، والغنى ، والفقر ، وادالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان ، وبجاهدة الأعداء بالقسول والعمل ونحو ذلك من الفتن التي ترجع كلها الى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة ، والشهوات المعارضة للارادة .

فمن كان عند ورود الشبهات ، يثبت ايمانه ولا يتزلزل ويدفعها بما معه من الحق ، وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية الى المعاصي والذنوب أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله ، يعمل بمقتضى الايمان ، ويجاهد شهوته

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٠ / ١٢٩

دل ذلك على صدق إيمانه وصحته ومن كان عند ورود الشبهات توتر في قلبه
، شكاً ، ورهباً ، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي ، أو تصدقه عن
الواجبات ، دل ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه * (١) ، فعلى هذا
الابتلاء تخلص الخير من الشر ، وتمييزه ، سواء في الدنيا أو الآخرة كما قال
تعالى :

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ
فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾

* الأنفال ٢٧ *

وكما قال صلى الله عليه وسلم (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأى
قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء
حتى تصير على قلبين أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخرة
أسود مرياداً (٢) كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه (٣)

و على هذا فهل يمكن تمييز الخبيث من الطيب ، بدون ابتلاء ؟

انه لا بد للتمييز من ابتلاء ، فما يصيب المؤمن في هذه الدار من اذلة عدوه
عليه وأذاه له في بعض الأحيان : أمر لازم لا بد منه وهو كالحرق الشديد ، والبرد
الشديد ، والأمراض والهموم ، والغموم ، فهذا أمر لازم للطبيعة ، والنشأة
الانسانية في هذه الدار حتى الأطفال والبهائم ، لما اقتضته حكمة
أحكم الحاكمين ، فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر ، والنفع من الضر

(١) تيسير الكريم الرحمن : ٦٦/٦

(٢) المرياد هوشدة البياض في سواد ، (أو شبه البياض) والكوز مجخياً أى منكوساً

: صحيح مسلم : ١٣٠/١ .

(٣) صحيح مسلم : ١٢٨/١ ، كتاب الايمان باب بيان أن الاسلام بدأغريباً : ٦٥

واللفظ له ، سند أحمد : ٣٨٦/٥ ، ٤٠٥ .

واللذة عن الألم لكان ذلك عالما غير هذا ، ونشأة أخرى غير هذه النشأة " . (١)

إذا لا بد من الابتلاء ، فلو كان المؤمنون دائما منصورين قاهرين
غالبين لدخل معهم من ليس قصده الدين ، ومتابعة الرسول فانه انما ينضاف
الى من له الغلبة والعزة ، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائما لم يدخلكل
معهم أحد ، فاقضت الحكمة الالهية أن كانت لهم الدولة تارة ، وطبهم
تارة ، فيتميز بذلك بين من يريد الله ورسوله ومن ليس له مراد الا الدنيا
والجاء " . (٢)

وقد مرت حوادث على الأمة الاسلامية تميز فيها الصادق من المنافق ، ومن
أبرزها ما حصل في غزوة أحد ، حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه الى أحد ، قال ابن اسحاق : (٣) " حتى اذا كانوا بالشوط (٤) بين المدينة
وأحد انخزل عنه عبدالله بن أبي بن سلول بثلاث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني

(١) اغائة اللهفان : ١٨٩/٢

(٢) انظر : اغائة اللهفان : ١٩٠/٢

(٣) هو : محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار - العلامة الحافظ الاخباري ، صاحب
السيرة ، ولد سنة ثمانين هـ ، ورأى أنس بن مالك ، وسعيد بن المسيب
، وهو أول من دون العلم بالمدينة ، وكان في العلم بحرا عجاجا ، ت سنة
١٥١ هـ ، روى له سلم في التابعات ، واستشهد به البخاري ، وأخرج
أرباب السنن له ، طبقات ابن سعد : ٣٢١/٧ ، سير أعلام النبلاء : ٣٣/٧ ،
التاريخ الكبير : ٤٠/١ ، معجم البلدان : ٣٧٢/٣ .

(٤) اسم حائط يعنى بستانا في المدينة بينها وبين أحد . معجم البلدان : ٣٧٢/٣

ماندرى علام تغزل أنفسنا هاهنا أيها الناس ، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل
النفاق والريب^(١) . أهـ

وقد ذكر ابن القيم من الحكم في غزوة أحد فقال : " ومنها أن يتميز المؤمن
الصادق من المنافق الكاذب ، فان المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم
يوم بدر ، وطار لهم الصيت ، ودخل معهم في الاسلام ظاهرا من ليس
معهم فيه باطنا ، فاختضت حكمة الله عز وجل أن سبب لعباده محنـــــة
ميزت بين المؤمن والمنافق ، فأطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغـــــزوة
وتكلموا بما كانوا يكتمونه ، وظهرت مخباتهم ، وعاد تلويحهم تصريحـــــا
، وانقسم الناس الى كافر ، ومؤمن ، ومنافق ، انقساما ظاهرا^(٢) . أهـ

وكما في قصة الأقرع والأعمى والأبرص التي ميز الله فيها بين الغنى الشاكر - والكافر
- وقد ميز الله بين المؤمنين والمنافقين في هذه السورة حيث بين أن المنافقين
لا يتحملون أى أذى يصيبهم في ادعائهم الايمان ، فهم لا يصبرون ويعبدون أى
أذى كأنه هو عذاب الله الذى بين سبحانه أنه شديد ، قال تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ

فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ

إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

* العنكبوت ١٠ *

فالناس في الابتلاء ينقسمون الى قسمين :-

الأول : اذا ابتلى الله عبده بشي من أنواع البلايا والمحن فان رده ذلك

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ٦٨/٣ ، وانظر المغازي للواقدي : ٢١٩/١

(٢) زاد المعاد : ٢١٩/٣

الابتلاء والمحن الى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه فهو علامة سعادتته و ارادة
الخيره ، فمن حكمة الابتلاء بالنسبة للمؤمنين :

" تكميل العبودية لله في السراء والضراء ، وفي حال العافية والبهلا
، وفي حال ادالتهم والادالة عليهم ، فله سبحانه طي العباد في كلسا
الحالين عبودية بمقتضى تلك الحال ، لا تحصل الا بها ، ولا يستقيم
القلب بدونها ، كما لا تستقيم الأهدان الا بالحر والبرد ، والجوع والعطش
، والتعب والنصب ، وأضدادها ، فتلك المحن والبلايا شرط في حصول
الكمال الانساني والاستقامة المطلوبة منه ، ووجود الملزوم بدون لازمه متنع " (١)

ومن العبودية أن يشكو العبد الى ربه ، ويتضرع اليه ، ويدعوه فالله
يحب ذلك من العبد ، فهو سبحانه يرى عباده اذا نزل بهم ما يختبرهم
به من المصائب وغيرها ، ويعلم خائفة أعينهم ، وما تخفى صدورهم فيثيب
كل عبد على قصده ونيته ، وقد ذم الله تعالى من لم يتضرع اليه ، ولم يستكن له

وقت البلاء ، كما قال تعالى :
وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِربِّهِمْ

وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾

" المؤمنون ٧٦ "

فالله عزوجل " يذيق عبده ألم الحجاب عنه والبعث وزوال ذلك الأنس والقرب
ليمتحن عبده ، فان أقام طي الرضا بهذه الحال ولم يحب نفسه تطالبه بحالهها
الأول مع الله ، بل اطمأنت ، وسكنت الى غيره طم أنه لا يصلح فوضعه
في مرتبته التي تليق به ، وان استغاث به استغاثة الملهم ، وتعلق تعلق
المكروب ، ودعا دعاء المضطر ، وطم أنه قد فاتته حياته حقا فهو يهتسف
بربه ، أن يرد عليه حياته ، ويعيد عليه مالا حياة له بدونه ، طم أنه موضع

(١) اغانة اللمهان : ١٩٠/٢

(٢) تسلية أهل المصائب : ٢١٧-٢١٨ .

لما أهل له فرد عليه أحوج ما هو إليه فعمّمت به فرحته وكمّلت به لذته ، وتمت
به نعمته ، واتصل به سروره ، وطم حينئذ مقداره فعرض عليه بالنواجذ
، وثنى عليه الخناصر ، وكان حاله كحال ذلك الفاقد لراحته التي عليها
طعامه ، وشرابه في الأرض المهلكة ، إذ وجدها بعد معاينة الهلاك^(١) ، فما
أعظم موقع ذلك الوجدان عنده ، ولله أسرار وحكم ومنهيات وتعريفات
لا تنالها عقول البشر^(١) .

القسم الثاني : إذا ابتلى الإنسان ولم يردده ذلك البلاء إلى الله " بل شرد قلبه
عنه وردّه إلى الخلق ، وأنساه ذكره ، والضراعة إليه ، والتذلل بيمن
يديه ، والتوبة والرجوع إليه فهو علامة شقاوته ، وإرادة الشربه فهذا إذا أطلع
عنه البلاء رده إلى حكم طبيعته ، وسلطان شهوته ، ومرحه وفرحه ، فجاءت
طبيعته عند القدرة بأنواع من الأشر والبطر ، والاعراض عن شكر النعم
عليه بالسرا ، كما أعرض عن ذكره ، والتضرع إليه في الضراء ، فبلىة هذا وهال
عليه وعقوبة ، ونقص في حقه^(٢) .

ويرد على هذا مسألة هل المصائب في الدنيا للمؤمنين فقط ؟ .

وأقول إنها ليست خاصة بالمؤمنين ، فما يرى فيه الكافر والفاجر ، والمنافق
من العز والنصر ، والجاه ، فهو دون ما يحصل للمؤمنين بكثير بل باطن
ذلك ذل وكسر ، وهوان ، وإن كان في الظاهر بخلافه .

قال الحسن^(٣) رحمه الله : " أما والله لئن تدققت بهم المماليج ، ووطئت
الرجال أعقابهم إن ذل المعصية لفي قلوبهم ، ولقد أبى الله أن يعصيه عبده
إلا أذله^(٤) . "

(١) مفتاح دار السعادة : ٢٩٦/١

(٢) طريق الهجرتين : ٩٦٤ (٣) الحسن البصري

(٣) حلية الأولياء : ١٤٩/٢ .

(٢) انظر النووي على مسلم : ٩٣/١٨ .

(٣) تقدم في باب التوكل - والقضاء والقدر ص : ١٤٥ من هذا البحث .

فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه دخل بعد رجوعه من الطائف بجوار الطعم بن عدى الهجرية من أذى قريش حتى يبلغ رسالة ربه ^(١) ، وكان صلى الله عليه وسلم يخرج إلى القبائل أيام الموسم ويدعوهم إلى الإسلام ويقول : (ألا رجل يحطنسى إلى قومه ، فان قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي) ^(٢) .

كذلك هجرته صلى الله عليه وسلم وهجرة أصحابه الأولى إلى الحبشة ، والثانية إلى المدينة تدل دلالة واضحة على أنه لا يجوز للمسلم أن يستدعى البلاء على نفسه حيث لم يستمر الرسول صلى الله عليه وسلم في مواجهة القوم كما أنه كان يحمى نفسه من الأعداء في المعارك ، وينهى الصحابة من تعرضهم للبلاء وإيجابهم على أنفسهم ما لم يوجب الله عليهم فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا ينبغي للمسلم أن يذل نفسه قالوا : وكيف يذل نفسه قال : يتعرض من البلاء لما لا يطيق ^(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمره : (يا عبد الرحمن لا تسأل

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٠/٤٥/٤

(٢) سنن الترمذى : ١٨٤/٥ ، كتاب فضائل القرآن باب ٢٤ ، سنن أبي داود : ١٠٣/٥ ، كتاب السنة باب في القرآن : ٢٢ ، سنن ابن ماجه : ٧٣/١ ، المقدمة باب في ما أنكرت الجهمية (١٣) ، حديث (٢٠١) ، سند أحمد : ٣٩٠/٣ ، سنن الدارمي : ٣١٧/٢ ، كتاب فضائل القرآن ، باب القرآن كلام الله .

(٣) سند أحمد : ٤٠٥/٥ ، سنن الترمذى : ٥٢٣/٤ ، كتاب الفتن باب ٦٧ ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، سنن ابن ماجه : ١٣٣٢/٢ ، كتاب الفتن باب قوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم)) ، المعجم الكبير للطبرانى عن حذيفة ، وصححه الألبانى في صحيح الجامع : ٢٥٣/٦ رقم ٧٦٧٤ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة : ١٧٢/٢ رقم ٦١٣ .

الامارة فانك ان أعطيتها عن مسألة وكنت اليها ، وان أعطيتها من غير مسألة
أعنت عليها ، واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك
وأنت الذي هو خير (١) ، ويقول صلى الله عليه وسلم عن الطاعون : (اذا سمعتم
بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها) (٢)
وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تتنوا لقاء العدو وأسألوا الله العاقبة
ولكن اذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) (٣)
وتعود صلى الله عليه وسلم من فتنة الغنى ، والفقر ، والدنيا ، والنار ، وغير ذلك
، قال العلماء : أراد صلى الله عليه وسلم مشروعية ذلك لأتمته . (٤)

يقول ابن تيمية بعد ماساق هذه الأحاديث : " وأمثال ذلك ما يقتضى
أن الانسان لا ينفى له أن يسمع فيما يوجب عليه أشياء ويحرم عليه أشياء
فيبخل بالوفاء ، كما يفعل كثير ممن يعاهد الله عهدا على أمور وغالب
هو لا يتلون بنقض العهد ، ويقتضى أن الانسان اذا ابتلى فعليه أن يصبر
، ويثبت ، ولا ينكل حتى يكون من الرجال الموقنين القائمين بالواجبات
ولا بد في جميع ذلك من الصبر (٥) " اهـ ، وهذا لا يسقط الواجب على المسلم

-
- (١) صحيح البخارى : ١٠٦/٨ كتاب الأحكام باب من لم يسأل الامارة أعانه الله
، وفي الكفارات ، والأيمان ، والنذور . صحيح مسلم : ١٢٧٣/٣ كتاب الأيمان
باب نذب من حلف يميناً (٣) ، والامارة باب النهى عن طلب الامارة (٣)
كما أخرجه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وأحمد : ٦٢/٥ ، ٦٣ .
(٢) صحيح البخارى : ٢١/٧ كتاب الضب باب ما يذكر في الطاعون واللفظ له .
صحيح مسلم : ١٧٣٧/٤ كتاب السلام باب الطاعون والطير .
(٣) صحيح البخارى : ٢٤/٤ كتاب الجهاد باب لا تتنوا لقاء العدو صحيح مسلم
: ١٣٦٣/٣ ، كتاب الجهاد باب كراهة تمنى لقاء العدو (٦) ،
سنن أبي داود ، كتاب الجهاد : ٩٥/٣ باب في كراهية لقاء العدو
(٤) فتح البارى : ٤٤/١٣ ، مسند أحمد : ١٨٢/١ - ١٩٤ ، ٢٠١/٥ ، ٢٠٨ .
(٥) التحفة العرفية في أعمال القلوب لابن تيمية ص ٤٦ ، وانظر الزهد والسور
والعبادة للمؤلف ص ١٨ .

بل عليه أن يؤدى ما أوجبه الله عليه حسب استطاعته فان ابتلى صبر واحتساب
، ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكم منكراً فليغيره
بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان^(١))
فاذا تعين على المسلم واجب فعليه أن يسلك السبل التي تعينه على
الواجب ولا يلقي بنفسه فى التهلكة ، ولا يترك الواجب لشيء دونه فيكون كمن قال
الله تعالى فيه :

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَتَذُنُّ لِي وَلَا نَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾

" التوبة ٤٩ "

وقوله تعالى :

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾

" العنكبوت ٣ "

فالفتنة قسمت الناس الى صادق وكاذب ومؤمن ومنافق ، وطيب وخبيث
فمن صبر عليها كانت رحمة فى حقه ، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها ،
ومن لم يصبر عليها وقع فى فتنة أشد منها ، لأنه وقع بالمعصية وفر من الواجب
الى ما يميل له طبعه وهواه كما قال تعالى :

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَتَذُنُّ لِي وَلَا نَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾

" التوبة ٤٩ "

(١) صحيح مسلم : ٦٩/١ كتاب الايمان باب بيان كون النهى عن المنكر من الايمان
، سنن النسائى : ١١١/٨ كتاب الايمان باب تفاضل أهل الايمان ،
سنن أبى داود : ٦٢٢/١ ، كتاب الصلاة باب خطبة يوم العيد : ٢٤٨ ،
سند أحمد : ٢٠/٣ ، سنن ابن ماجة : ٤٠٦/١ ، كتاب اقامة الصلاة باب
ما جاء فى صلاة العيدين .

يقوله الجد بن قيس لما نذبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك يقول : ائذن لى فى القعود ، ولا تفتنى بتعريضى لبنات بنى الأصفر ، فانى لا أصبر عنهن

، قال تعالى

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُنْذِن لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾

* التوبة ٤٩ *

أى وقعوا فى فتنة النفاق وفروا اليها من فتنة بنات الأصفر (١) ، فالفتنة التى فر منها - بزعمه - هى فتنة محبة النساء وعدم صبره عنهن ، والفتنة التى وقع فيها هى فتنة الشرك والكفر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة . (١)

يقول ابن تيمية : ولما كان فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله من الابتلاء والمحن ما يتعرض به المرء للفتنة ، صار نفسى الناس من يتحمل لترك ماوجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة . (٢) ويقول : " نفسى اعراضه عن الجهاد الواجب ونكوله عنه وضعف ايمانه ، وسررض قلبه الذى زين له ترك الجهاد فتنة عظيمة قد سقط فيها ، فكيف يطلب التخلص من فتنة صغيرة لم تصبه ، هو قوعه فى فتنة عظيمة قد أصابته " ، والله تعالى يقول :

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ

لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ

أَنْتَهُوَ أَقَاتِلَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ ﴿٣٩﴾

* الأنفال ٣٩ *

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن : ١٤٨/١٠ ، أسباب النزول للواحدي :

٢٨٤ ، زاد المعاد : ١٦٩/٣ ، زاد المعاد : ١٦٩/٣ .

(٢) الاستقامة : ٢٨٢/٢

فمن ترك القتال الذي أمر الله به لثلا تكون فتنة ، فهو في الفتنة سقسط
بما وقع فيه من ريب قلبه ومرض فؤاده ، وترك ما أمره الله به من الجهاد ،
فتدبر هذا فان هذا مقام خطر^(١) أهـ

فالله عز وجل أمر المسلم أن يقوم بالواجب وأن خوفه من الفتن لا يعفيه منه
كما قال تعالى : **الْمَرْءُ أَحْسِبُ النَّاسُ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا وَهُمْ لَا
يَفْتَنُونَ**^(٢)

* العنكبوت ١ - ٢ *

وبين سبحانه أن من قام بالواجب أمانه الله عليه كما قال سبحانه :
وَالَّذِينَ

جَاهِدُوا فِيْنَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سَبِيلَنَا وَإِنَّا لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ^(٣)

* العنكبوت ٦٩ *

فعلى المسلم أن يسلك سبيل الدعوة الى الله بالطرق التي بينها الله
وإذا حصل له ضرر فعليه أن يدفعه بكل وسيلة مشروعة كما تقسدم من سيورة
المصطفى صلى الله عليه وسلم^(٤) ، وعليه أن يصبر ويحتسب فانه أعظم
لأجره ..

(١) الاستقامة : ٢٨٩/٢

(٢) في ص ٢١٦ من هذا البحث .

المبحث الرابع : أنواع الفتن الواردة في السورة

للفتن صور وأنواع عدة كما تقدم في تعريفها ، وأنها بحسب ما يضاف اليها
، وقد بين الله عز وجل في هذه السورة عدة أنواع للفتنة وهي بمجملها تنقسم
الى قسمين :

الأول : الشبهات .

الثاني : الشهوات .

وقد تجتمع الفتنتان كما في الدجال الذي هو أعظم فتنة حذرنا الرسول
صلى الله عليه وسلم منها .

فالأولى هي المعارضة للعقيدة التي لا يسلم منها الا من عرف الله ورسوله
وهي تأتي من ضعف البصيرة ، وقلة العلم ، وخاصة اذا اقترن بذلك
فساد القصد وحصول الهوى ، وهي تؤدي الى الكفر والنفاق والبعد
، وهذا هو الضلال الذي من اتباع الفتن والشبهات ، وما ورد منها
في السورة :-

١ - شبهة ايذاء الناس بترك ما أوجبه الله .

٢ - شبهة عبادة الأصنام وتزيين الشيطان

٣ - شبهة الخوف من الموت وفوات الرزق ، بترك ما أوجبه الله .

١ - فتنة الشبهات

ومن أنواع الفتن الواردة في السورة فتنة الناس وهي من فتن الشبهات ، فالناس يؤذون ، ويؤذون ، وتختلف درجاتهم في هذا الايذاء ، والله سبحانه ذكر صنفا من الناس لا يتحطون أى أذى في سبيل الله فهو لا يؤذيهم ليس بصادق ، وذلك لضعف ايمانهم ، فاذا أذى أحدهم بضرب أو أخذ مال أو تعبير ليرتد عن دينه ولمراجع الباطل ^(١) ، ويظن أن ما حصل له من هذا الأذى مثل عذاب الله ، وشتان ، فان هذا يجزع من عذاب الناس وأذاهم ولا يصبر عليه فيطيعهم ^(٢) كطاعة الخائف من الله .

وايذاء الكفار للمؤمنين من أنواع الابتلاء والفتن .

فالمنافقون الذين يقولون آمنا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، اذا حصل للمسلمين من الكفار أذى وهم معهم جعلوا فتنة الناس ، أذاهم . مع ضعفها وانقطاعها - كعذاب الله الأليم الدائم ^(٣) .

فمن في قلبه مرض اشتبه عليه الأمر فظن أن العذابين سواء فأثر الراحة ، فالناس يفتن بعضهم بعضا عن الايمان ويصرف بعضهم بعضا عن الحق ، ويردى بعضهم بعضا في الباطل ، اما بالقوة والغلبة أو بالاغواء والاغراء والأمانى ، ولكن المؤمنين لا يضيرهم ذلك ، بل يزداد ايمانهم ويقينهم مهما كان الايذاء وكانت درجاته ، واليك صورا رائعة من صبرهم .

قال تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ

فَننُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمَّا تَوَبَّوْا فَلَهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَهُمْ

عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٦٦﴾ البروج

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام العنان : ٧٠/٦

(٢) انظر تفسير البغوى : ٤٦٢/٣

(٣) انظر أضواء البيان : ٤٦٢/٦

فعند هذه الآية يذكر المفسرون أصحاب الأخدود وما حصل لهم من أذى وفتنة
، فعن صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كان
ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر فلما كبر قال للملك : اني قد كبرت
فابعت الي غلاما أطمه السحر ، فبعت اليه غلاما يعلمه ، فكان في طريقه
، اذا سلك ، راهب ، فقعد اليه وسمع كلامه ، فأعجبه ، فكان اذا أتى
الساحر مر بالراهب وقعد اليه ، فاذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك الي
الراهب فقال : اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي ، واذا خشيت
أهلك فقل حبسني الساحر ، فبينما هو كذلك اذا أتى على دابة عظيمة
قد حبست الناس ، فقال : اليوم أطم الساحر أفضل أم الراهب أفضل
، فأخذ حجرا فقال : اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر
فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ، ومضى الناس ، فأتى الراهب
فأخبره ، فقال له الراهب : أي بنى أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ
من أمرك ما أرى ، وانك ستبتلى ، فان ابتليت فلا تدل علي ، وكان الغلام
يمري^(١) الأكمة والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع جلس للملك
كان قد عسى ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما هاهنا لك أجمع ، ان أنت
شفيتني ، فقال : اني لا أشفي أحدا ، انما يشفي الله تعالى ، فان أنت
آمنت بالله دعوت الله فشفاك ، فأمن بالله فشفاه الله ، فأتى الملك
فجلس اليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ ، قال :
ربي ، قال : ولك رب غيره ؟ ، قال : ربي وربك الله ، فأخذه فلبس
بزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجي^(٢) بالغلام ، فقال له الملك : أي بنى
قد بلغ من سحرك ماتبري^(٣) الأكمة والأبرص ، وتفعل ، وتفعل ، فقال : اني
لا أشفي أحدا ، انما يشفي الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب

(١) الأكمة : الذي خلق أعشى . النووي على مسلم : ١٣٠/١٨ .

فجىء بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدعى بالمنشار ، فوضع المنشار في مفرق رأسه ، فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جىء بجليس الملك ، فقيل له ارجع عن دينك ، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه ، فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جىء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل فاذا بلغت ذروته ، فإن رجع عن دينه ، والا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل ، فسقطوا ، وجاء يشى إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ، قال : كهانيهم الله ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحطوه في قرقورة^(١) ، فتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه ، والا فاخذفوه ، فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فانكأأت بهم السفينة ، وفرقوا ، وجاء يشى إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ، قال : كهانيهم الله ، فقال الملك : انك لست بقاتلى حتى تفعل ما أمرك به ، قال : وما هو ؟ قال : تجصع الناس في صعيد واحد ، وتملبنى على جذع ، ثم خذ سهما من كنانتي ، ثم ضع السهم في كبد القوس ، ثم قل : باسم الله ، رب الغلام ، ثم ارمني ، فانك اذا فعلت ذلك قتلتنى ، فجمع الناس في صعيد واحد ، وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهما من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : باسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوق السهم في صدغه ، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، فأتى الملك فقيل له : رأيت ما كنت تحذر ، قد والله نزل بك حذرک ، قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخذت ، وأضرم النيران ،

(١) قرقورة : بضم القاف السفينة الصغيرة ، وقيل الكبيرة ، وهو اختيار القاضى عياض

وقال : من لم يرجع عن دينه فأحموه ^(١) فيها أوقيل له اقتحم ، ففعلوا ، حتى
جاءت امرأة ومعها صبي لها فتعاضت أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا امه
اصبرى فانك على الحق * . ^(٢)

وقد أوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم
حتى تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا الى المدينة .

ومن ماورد في السورة من فتنة الشبهات :

شبهة عبادة الأصنام - وتزيين الشيطان

فعباد الأصنام : ظنوا أن هذه الأصنام تقربهم الى الله كما قال الله تعالى

أَلَا

عنهم :

لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ

كَفَّارٌ ﴿٢﴾

* الزمر ٣ *

فهم يقولون فشجع لنا فهم يخاطبون الأصنام ويقولون : انا نخاطب أصحابها ،

وهذا ما لم يشره الله ^(٣)

فأصل الشركين صنفان : قوم نوح ، وقوم ابراهيم .

فشبهة قوم نوح تعظيم الصالحين ، والعكوف على قبورهم حتى وصل الأمر بهم

الى الشرك .

(١) فأحموه وفي رواية فأقحموه ، ومعناه أى اطرحوه فيها كرها ، وأحموه من قولهم

حسيت الحديدية وغيرها اذا أدخلتها النار لتحمى ، النووى على مسلم : ١٨ / ١٣٣

(٢) صحيح مسلم : ٤ / ٢٢٩٩ كتاب الزهد باب قصة أصحاب الأخدود واللفظ له . مسند

أحمد : ١٧ / ٦ ، جامع البيان عن تأويل القرآن : ٣٠ / ١٣٣ حيث أورد هـ

الطبرى بسنده .

(٣) انظر فتاوى ابن تيمية : ١٥٨ / ١

وشبهة قوم ابراهيم في الكواكب والشمس والقمر ما زينته لهم الشياطين ^(١) وما يعتقدون فيها من المودة بينهم ، كما قال تعالى عنهم :

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

* العنكبوت ٢٥ *

كما أن الشياطين يزينون كل سوء ومنكر فهم يعينون عباد الأصنام ويتزينون لهم في صور صالحة تشبها وتلبسا طيبهم فيقول أحدهم أنا ابراهيم أنا السبيح ، أنا محمد ، أنا الخضر ، وقد يقول بعضهم عن بعض : هذا هو النبي أو هذا هو الخضر ، ويكون أولئك كلهم جنا يشهد بعضهم لبعض . ^(٢)

وفتنة الشيطان من أعظم الفتن وخاصة إذا هم الانسان بالخير أو دخل بسببه فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقته ، فقعد له بطريق الاسلام ، فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آباءك ، وآباء آبائك) ^{قال} : فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر وتذر أرضك وساءك ، وانما مثل المهاجر كالفارس في الطول ^{قال} / فعصاه فهاجر ، ^{قال} ثم قعد له بطريق الجهاد ^{فقال له} ، فوجهند النفس والمال ، فقال : فتقاتل فتقتل فتتخج المرأة ويقسم المال ^{قال} : فعصاه فجاهد ^(٣) .

(١) انظر فتاوى ابن تيمية : ١٥٦/١

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ١٥٧/١

(٣) سنن الامام أحمد : ٤٨٣/٣ ، ^{واللفظ له} سنن النسائي : ٢١/٦ ، الجهاد

، مصنف ابن أبي شيبة : ٢٩٣/٥ ، صحيح ابن حبان (الترتيب) : ٥٧/٧ ، السير - باب ايجاب الجنة للمهاجر والغزى ، انظر صحيح الجامع :

لذلك حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منه وبين أن من عصاه فقد نجسها
وفاز بالجنة ، وهذا ما يدل عليه بقية الحديث حيث قال : فمن فعل ذلك ^{منهم} أفسد
كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو قتل كان حقا على الله عز وجل أن يدخله
الجنة ، وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، أو وقته دابته كان حقا
على الله أن يدخله الجنة . (١)

وشبهات الشيطان التي يلقيها في القلوب كثيرة ، لذلك أمرنا بالاستعانة
منه كثيرا وخاصة عند قراءة القرآن لأنه من أهم أعمال الخير ، وفيه فلاحنا
ونجاحنا .

وقد بين الله لنا في هذه السورة أناسا وقعوا في فتنة الشيطان لـ

أغراهم فهلكوا ، قال تعالى :

وَعَادُوا ثَمُودًا وَقَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ مِنْ مَسَكِينِهِمْ^ط وَزَيْتٍ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٨﴾

* العنكبوت ٣٨ *

فحسن لهم الشيطان كرههم بالله وتكذيبهم رسله ، وفردهم بتزيينه لهم
ما زين لهم من الكفر والصد عن سبيل الله التي هي الايمان به ورسله . (٢) مع ما لهم من
العقول وما لديهم من دلائل الهدى ولكن الشيطان بقوة فتنته جاءهم من باب غرورهم
بأنفسهم واعجابهم بما يأتون من الأعمال وما هو فيه من مال ومتاع ، فضيع عليهم الفرص
مع ما يملكون من التبصر (٣) كما وصفهم الله بذلك في آخر الآية فقال :

وَعَادُوا ثَمُودًا وَقَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ مِنْ مَسَكِينِهِمْ^ط وَزَيْتٍ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٨﴾

* العنكبوت ٣٨ *

(١) اكمال للحديث الذي قبله .

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٥٠/٢٠

(٣) انظر في ظلال القرآن : ٢٢٣٥/٥

ومن الشبهات التي تعترض الانسان شبهة الخوف من الموت وشبهة الخوف من الرزق ، فالانسان لا يجوز له أن يترك ما أمره الله به خوفا من أن يأتيه الموت - أو ينقطع رزقه ، فان الموت لا بد حاصل - وكذلك الرزق ، لذلك ذكرهما الله بعد الأمر بالهجرة ، وهون عليهم أمرهما لئلا يكونا سببا في التأخر عن أمر الله ، فقال تعالى :

يَعْبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾

* العنكبوت ٥٧ *

سواء من هاجر أو جلس ، والأجل محدد ، كما قال تعالى :

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ

فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾

* الأعراف ٣٤ *

وكذلك الرزق المقسوم سيأتي الانسان / وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون طقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمُّه بأربع كلمات ، ويقال له : اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أم سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فان الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة الا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة) . (١)

(١) صحيح البخارى : ٧٨/٤ كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ، وكتاب القدر :

٢١٠/٧ ، باب (١) ، وكتاب التوحيد : ١٨٨/٨ باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، واللفظه ، صحيح مسلم : ٢٠٣٦/٤ ، كتاب القدر باب كيفية الخلق الادمي (١) ، كما أخرجه أحمد ، والترمذي ، وأبو داود ، وابن ماجه .

ولما كانت مفارقة الأوطان عزيزة على النفس كريمة لديها بين الله سبحانه أن المكروه واقع لا محالة أن لم يكن بالهجرة فهو حاصل بالموت ، فأولى أن يكون في سبيل الله ، كما أن الرزق حاصل وأسباب البحث عنه متوفرة في جميع بلاد الله الواسعة فلا يكون طلبه في بقعة معينة سببا في ترك أمر الله بالهجرة .

فالله حقر أمر الدنيا عموما ، لئلا ينظر المؤمن الى عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه ، أن يموت أو يجوع أو نحو هذا ^(١) ، فالموت حاصل والرزق جارى فالبدار الى طاعة الله ، والهجرة اليه ، فان الله لما أمر بالهجرة ذكر بعدها الموت ثم ذكر الرزق ، وان البهائم على ضعفها وعدم تفكيرها قد تكفل الله برزقها ، فكيف بابن آدم الذي أعطاه الله أسباب المعاش وهيئته لعناداته قال تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾

* العنكبوت ٥٧ *

وبعد أن حث على العمل ، والصبر ، ذكر الرزق ، فقال سبحانه :

وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ

رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ * العنكبوت ٦٠ *

فالرزق للجميع يستوى في ذلك - الحرص - والمتوكل - والراغب - والقانع - والحيول - والعاجز - حتى لا يفتر الجلد انه مرزوق بجلده ولا يتصور العاجز أنه ممنوع بعجزه . ^(٢)

(١) انظر أحكام القرآن للقرطبي : ٣٥٨/١٣

(٢) " " " " : ٣٦٠/١٣

ومن فتن الشبهات التي عمت في هذا الزمن وانخدع بها كثير من الناس الفتنسة
بالكفار ، وفتنتهم بنا نحن المسلمين :

فالمسلمون يدعون الاسلام ، ويأتون بما يبرأ منه الاسلام ، ويعتقدون أن ذلك
من صميمه ، وكما يوجد في كثير من بلاد المسلمين من الجهل والفقر والذل ،
فتن الكفار أن هذا هو الاسلام ، فنفروا منه ، وسخروا به ، فكان ذلك
فتنة عظيمة لهم وحجابا كبيرا .

الا من نظر منهم نظر عظم وانصاف ، فانه يعرف أن هذا ليس هو الاسلام .
والكفار يراهم المسلمون في عز ، وسيادة ، وتقدم علمي ، وعمراني ، فينظرون
الى تلك الناحية فيندفعون في تقليدهم في كل شيء حتى معائبهم ، وفاسدهم
، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لتتبعن سنن من كان قبلكم شيئا
بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه ، قلنا : يا رسول الله
اليهود والنصارى ، قال : فمن) .^(١)

فصار المسلمون يزدرون أعز عزيز لديهم ، الا من رحم الله ، ونظر بعين
العلم وعرف أن كل ما عندهم من علم هو عندنا وفي ديننا وتاريخنا وما عندهم
من شرفه وشرف على حقيقته .

فكانوا فتنة للمسلمين الذين تهتمهم المظاهر فتسلبهم ادراكهم فلا يفرقوا بين
اللب والقشور .^(٢)

(١) صحيح البخاري : ١٤٤/٤ ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل
، وكتاب الاعتصام : ١٥١/٨ ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن
من كان قبلكم ، واللفظ له في الأول . صحيح مسلم : ٢٠٥٤/٤ ، كتاب
العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى .

(٢) انظر مجالس الذكر والتأنيس لابن باديس : ٦٧ ، دار الفكر - الطبعة الثانية .

فتنة اتباع التشابه

تقدم في الكلام عن التوحيد ماورد في هذه السورة من أسماء الله وصفاته ، وأنه يجب الايمان بها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشييل ، ولكن هناك من انصرف عن هذا الطريق واتبع ماتشابه ، كما قال تعالى :
هو

الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ
وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ءَكُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾

آل عمران ٧ *

وسبب نزول هذه الآية أن وفدا من نصارى نجران تخاصوا النبي صلى الله

عليه وسلم فقالوا : ألسنت تزعم أنه كلمة الله وروح منه (١) ، قال : بلى ، قالوا :

فحسبنا ما أنزل الله عز وجل : فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ

بِالَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ سَمَاءٍ أَنْزَلَ : ثم ان الله جل ثناؤه أنزل : إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ
ءَادَمَ (٢) الآية ، وقيل غير ذلك .

وقال آخرون : بل عنى الله عز وجل بذلك كل مبتدع في دينه بدعة مخالفة لما

ابتعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم يتأوله من بعض آي القرآن المحتطمة

التأويلات ، وان كان الله قد أحكم بيان ذلك ، اما في كتابه أو على لسان

رسوله . (٣)

(١) يقصدون عيسى بن مريم ، انظر أسباب النزول ص : ١٢٨

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٧٧/٣ ، وانظر أسباب النزول للواحدى : ١٢٨

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٧٧/٣ .

وهذا ما يدل عليه عموم الآية ، وان كانت نزلت بسبب خاص ، فأهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، هم كما قال مجاهد^(١) أهل البدع ، والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ، ومشتبه في العقل ، كما قال فيهم الاسم أحمد : " هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب يحتجون بالتشابه من الكلام ، ويضللون الناس بما يشبهون عليهم " . أه^(٢)

قال ابن تيمية : " والتشابه الموجود في القرآن تشابه نسي ، فقد يتشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره " أه^(٣) ، يؤيد هذا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها ألا وان لكل طك حمى ألا ان حمى الله محارمه ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) . أه^(٤)

ومن قال من السلف أن التشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله ، فقد أصاب أيضا ومراده بالتأويل ما استأثر الله بعلمه مثل وقت الساعة ، ومجيء أشراتها ، ومثل كيفية نفسه وما أعدده في الجنة لأولياءه " . أه^(٥)

(١) هو : مجاهد بن جبر شيخ القراء والمفسرين أبو الحجاج المكي ، الأسود مولى بنى مخزوم ، روى عن ابن عباس ، وعرض عليه القرآن ثلاثين مرة ، كما روى عن أبي هريرة وعائشة وسعد بن أبي وقاص وغيرهم ، وكان ثقة له غرائب ، ت ١٠٠ هـ ، سير أعلام النبلاء : ٤٤٩/٤ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ١٤٢/١٣

(٣) " " " " : ١٤٤/١٣

(٤) صحيح البخارى : ١٩/١ كتاب الايمان باب فضل من استبرأ لدينه واللفظ له ،

صحيح مسلم : ١٢١٩/٣ كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات .

كما أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى ، وابن ماجه ، والدارمى ، وأحمد :

٢٦٩/٤ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ١٤٤/١٣ .

أما الذين في قلوبهم زيغ يدعون المحكم الذي لا اشتباه فيه مثل :

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

" البقرة ١٦٣ "

إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾

" طه ١٤ "

وغير هذه الآيات ، ويتبعون المشابهة ابتغاء الفتنة ليفتنوا به الناس

إذا وضعوه على غير مواضعه وابتغاء تأويله وهو الحقيقة التي أخبر عنها . (١)

فمن الفتنة بالمشابهة ما أحدثه أهل الكلام في أسماء الله وصفاته حيث أولسوا

وحرفوا الكلم عن مواضعه ، فما أنكروا السمع ، فقالوا : انه لم يجز خبير

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يسمع بسمع ويبصر ببصر (٢) ، وقد

تقدم اثبات السمع له . (٣)

كما أنكروا العلم والقدرة ، وقد تقدم الكلام عليها .

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ٢٧٧/١٣ .

(٢) رد الامام الدارمي على بشر المريسي : ٤٦

(٣) تقدم في ص : ٩١ من هذا البحث .

٢ - فتن الشهوات

فتن الشهوات هي المعارضة للإرادة وقد تجر فتنة الشهوة الى شبهة ، فالشبهوات هي الغنى واتباع الهوى ، فالانسان اذا تمادى مع نفسه وأطلق لها العنان في كل ما تشتهيه فان ذلك سيجره الى تلبية الهوى حتى في الأمور الاعتقادية أو الأحكام الشرعية ما يجعله بينى أحكاما توافق هوى نفسه وشهوته ، فيقع في الشبهات .

ومن فتن الشهوات :

فتنة الأهل والأحباب

الانسان يخشى على أهله وأحبابه أن يصيبهم الضرر بسببه ، وهو لا يملك الدفاع عنهم ، وهم ينازعونه ما هو فيه من أمر الدين ليتنازل من أجلهم باسم الحب والقربة وصلة الرحم . ولكن هل يستجيب لهم أم لا ؟ ، ان هذا يتوقف على قوة ايمانه وضعفه ؟ ، فهذا سعد بن أبي وقاص كما تقدم حاولت أمة أن تفتنه عن دينه ، ولكنه أعرض عنها مع ما كانت تكن له من الرعاية والحب فكان في رغد من العيش يلبس أحسن الثياب يتقلب في النعمة والثراء ولكن لما دخل الايمان في قلبه لم يعبأ بشيء من ذلك ، فهو يقول : (لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالنا طعام الا ورق الشجر حتى يضع أحدنا كما تضع الشاة) . (١)

والله عز وجل يقول :

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ

فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

* التغابن ١٥ *

(١) الحلية لأبي نعيم : ١٢/١ ، سند الطيالسي : ٢٩/١ .

ويقول سبحانه :

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاؤُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ

عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

* الأنفال ٢٨ *

وعداوتهم قد تكون بالحاربة وال مبارزة كما حصل لبعض الصحابة مع أهلهم
في بدر ، فهذه العداوة لأجل العقيدة والدين ، وقد تكون العداوة والفتنة
ليست ظاهرة كذلك وإنما هي سبب لغفلته وتثاقفه عن أمر الله من الجهاد وغيره
وعن أبي بريدة قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا إذ جاء
الحسن والحسين عليهما السلام عليهما قيصان أحمران ، يشيان ، ويعثران ،
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحطبهما ، ووضعهما بين يديه
، ثم قال : صدق الله :

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاؤُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ

عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

* الأنفال ٢٨ *

فنظرت الى هذين الصبيين يشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حدبشسي
ورفعتهما . (١)

والانسان بطبعه يحب الجاه والأموال والأولاد والرياسة فهذه من الأسباب
التي قد يفتتن بها الانسان وهي من متاع الحياة الدنيا الزائل ، لذلك
حذرنا الله من الدنيا عموماً فقال سبحانه :

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ

لَهِيَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

* العنكبوت ٦٤ *

ومن فتن الشهوات الواردة في السورة فتنة الجاه وحب التعالي كما امتنع بعض
كفار قريش عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحودهم لرسالته مع اعترافهم بها
بقرارة أنفسهم كما قال تعالى :

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۗ وَالَّذِينَ أُنِيتَهُمُ الْكِتَابَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۗ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا

إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾

* العنكبوت ٤٧ *

والجحود لا يكون الا بعد المعرفة . (١)

وكان من أسباب ذلك خوفهم من نزول جاههم وسلطانهم ، فقد ورد أن
أبا جهل بن هشام حين جاءه الأخنس وقال له يا أبا الحكم : مارأيك فيما سمعت
من محمد ؟ ، فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ،
أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاوزت بنا
على الركب وكنا كهرسي رهان ، قالوا : مني نبي يأتيه الوحي من السماء ،
فمتى تدرك مثل هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق . (٢)

وكذلك فرعون الذي ورد في السورة حبه للتعالي والعدوان أصاه عن اتباع
موسى فهذه الفتنة أوقعت في فتنة أشد ووقع في فتنة الشبهة حتى وصل به
الأمر أنه ادعى الربوبية حيث قال تعالى عنه :

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾

* النازعات ٢٤ *

قال تعالى :

وَقَرَّبُوا قُرُونًا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ

* العنكبوت ٣٩ *

﴿٣٩﴾

(١) انظر تفسير الطبري : ٤/٢١

(٢) سيرة ابن هشام : ١/٣٣٧ ، وأوردت القصة كاملة في ص : ٤٤٨

ومن فتن الشهوات كذلك فتنة قوم لوط كما قال تعالى عنهم :

أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا
أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ

العنكبوت ٣٨ - ٢٩



ومن فتن الشهوات كذلك حب الوطن والركون الى الراحة والدعة والخوف على
الأموال ، لذلك حذرنا الله عز وجل من هذه أن تكون سببا في تركنا لأمر الله

، قال تعالى : يَعْبادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ أَرْضِي وَإِسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ

كُلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ

العنكبوت ٥٦ - ٥٧

وجماع ذلك كله في حب الدنيا وزهرتها كما قال صلى الله عليه وسلم : (ان هذه
الدنيا حلوة خضرة ، وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا
واتقوا النساء) (١)

(١) سند أحمد : ١٩/٣ وهو جزء من خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم

ص ٢٨ ، سنن الترمذى : ٤/٨٣ كتاب الفتن باب ماجاء ما أخبر

النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بما هو كائن يوم القيامة (٢٦) ،

ابن ماجه : ١٣٢٥/٢ - كتاب الفتن - باب فتنة النساء .

والله عز وجل لما أمر المؤمنين بترك الأوطان والاعتماد على الله في طلب الرزق وعدم الخوف من الموت حذر من الدنيا وبين أنها كظل زائل مهما طال ، قال تعالى :

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

* العنكبوت ٦٤ *

وسا يكون من فتن الشهوات فتنة الاغراء من قبل الكفار ، فهم يغترون بما عندهم من أموال ومن جاء وغير ذلك كما حدث للرسول صلى الله عليه وسلم حينما بدأ بالدعوة ، فقد ورد أن عتبة بن ربيعة قال للرسول صلى الله عليه عليه وسلم : " يا ابن أخي ، انك منا حيث علمت من السطه في العشييرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت بمن مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد اسمع ، قال يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا " (١) . . . الى آخر ما عرض عليه ولكن الرسول لم تفره تلك العروض واستمر على دعوته .

ومن اغراء الكفار كما كانوا يغترون المسلمين قال الله تعالى عنهم :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾

* العنكبوت ١٢ *

(١) سيرة ابن هشام : ٣١٣/١ .

وهذا اغراء معنوى يتحمل ما يكون على من ترك هذا الدين وهذه شبهة
قد تعترض من قصر عمله وارادته فيصدقها وينخرط معهم في غيهم وضلالهم .

ومن اغرائهم ما حدث للنفر الذين خلفوا حين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقد جاء الى كعب بن مالك كتابا من ملك غسان ، قال كعب : فاذا فيه أما بعد فانه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ، ولا مضية ، فالحق بنا نواسيك ، فقلت لما قرأتها ، وهذه أيضا من البلاء فتمت بها التنوير فسجرت بها .^(١) الحديث

وفتنة الشهوات اذا تمادى بها الانسان قد تقوده الى فتنة الشبهات فيهلك ، وقد تجتمع الفتنتان كما في أشد فتنة حذرنا منها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي فتنة المسيح الدجال كما قال صلى الله عليه وسلم : (ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال)^(٢) والمراد أكبر فتنة وأعظم شوكة .^(٣)

فان أمره قد يشبهه على من في قلبه مرض فيظن أن مامعه من القوة تخوله بأن يكون هو الرب فيكفر بالله ، ولذلك حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من شبهات الله فقال : (من سمع بالدجال فاليأ منه ، فان الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فلا يزال به لما معه من الشبه حتى يتبعه) .^(٤)

-
- (١) جزء من حديث طويل في صحيح البخارى : ١٣٣/٥ كتاب المغازى باب حديث كعب بن مالك (٧٩) ، واللفظه ، صحيح مسلم : ٢١٢٥/٤ كتاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك ، سند أحمد : ٤٥٨/٣ ، ٣٨٩/٦ .
- (٢) صحيح مسلم : ٢٢٦٧/٤ كتاب الفتن باب في بقية من أحاديث الدجال واللفظه ، سند أحمد : ٢١/٤ ، مصنف ابن أبي شيبة : ١٣٣/١٥ .
- (٣) النووى على مسلم : ٨٧/١٨ .
- (٤) سند أحمد : ٤٣١/٤ ، سنن أبي داود : ٤٩٥/٤ كتاب الملاحم باب خروج الدجال ، مستدرک الحاكم : ٥٣١/٤ ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وصححه الألبانى في صحيح الجامع : ٣٠٣/٥ رقم ٦١٧٧ .

كما أن مامعه من ملاذ الدنيا وما يتبعه منها شهوة يفتن بها الانسان فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لانا أعلم بعامع الدجال منه معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماءً أبيض والآخر رأى العين نهاراً تأجج فاما أدركن أحد فليأت النهر الذى يراه نارا وليغمض ثم يطأطأ رأسه فيشرب منه فانه ماء بارد ، وان الدجال مسح العين عليها ظفرة^(١) عظيمة مكتوب بين عينيه كافر يقروه كل مؤمن كاتب وغير كاتب) .^(٢) ،

ومن شدة فتنته أن الأنبياء كانوا يخوفون قومهم منه فعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال ، فقال : (انى لأنذركموه ، ما من نبى الا وقد أنذره قومه ، لقد أنذره نوح قومه ، ولكن أقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلموا^(٣) أنه أعور ، وأن الله تبارك ليس بأعور) .^(٤)

حتى أن الصحابة حينما خوفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظنوا به قد خرج ، فعن النواس بن سميان رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة ، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال : ما شأنكم ؟ ، قلنا : يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال : غير الدجال أخوفنى عليكم ، ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وان يخرج ولست فيكم فأمرؤا حجيجه نفسه والله خليفتى على كل مسلم

(١) أى جليدة تغشى العين تبيت تلقاء المآقى ، وقد تمتد الى السواد فتغشاه

، لسان العرب : ٥١٩/٤ ، مادة ظفر ، معجم مقاييس اللغة : ٤٦٦/٣ .

(٢) صحيح مسلم : ٢٢٤٩/٤ كتاب الفتن باب ذكر الدجال ، واللفظ له ، ورواه البخارى

مختصراً : ١٠٣/٨ كتاب الفتن باب ذكر الدجال ، المسند : ٣٨٦/٥ ، ٤٠٥ ،

سنن أبى داود : ٤٩٤/٤ ، الملاحم باب خروج الدجال .

(٣) تعلموا بمعنى اطموا ، النووى على مسلم : ٥٦/١٨ .

(٤) صحيح مسلم : ٢٢٤٥/٤ كتاب الفتن ، باب ذكر ابن الصياد واللفظ له ،

صحيح البخارى : ١٧٢/٨ كتاب التوحيد باب قوله تعالى ((ولتصنع على عيني)) =

انه شاب ققط ^(١) عينه طافية أنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه
منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خله بين الشام والعراق فعات ^(٢)
بيننا وعات شمالا ، ياهااد الله فاثبتوا ، قلنا : يا رسول الله ومالبشسه
فى الأرض ، قال : أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهـر ، ويوم كجمعة ، وسائر
أيامه كأيامكم ، قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة ، أتكفينا فيه صلاة
يوم ؟ ، قال : لا ، أقدروا له قدره ، قلنا : يا رسول الله ، وما اسرعه
فى الأرض ، قال : كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون
به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتظـر ، والأرض فتنبـت ، فتمـر
عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا ^(٣) وأسبغه ضرعا ، وأمده خواصـر ،
ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم فيصبحوا محلين ليس
بأيديهم من أموالهم شىء ، ويمر بالخرية فيقول لها : أخرجى كنوزك فتتبعه
كنوزها كيغاسيب ^(٤) النحل ثم يدعورجلا مثلثا شباها فيضربه بالسيف فيقطع
جزلتين رميه الغرض ^(٥) ثم يدعو فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك

== سنن أبى داود : ٤٩٤/٤ ، كتاب الملاحم باب خروج الدجال ،
سند أحمد : ١٩٥/١ ، ١٣٥/٢ .

(١) ققط : بفتح القاف والطاء أى شديد جمودة الشعر مباعد للجمودة المحبوبة
، النووى على مسلم : ٦٥/١٨ .

(٢) العين الفساد ، أو أشد الفساد والاسراع فيه ، النووى على مسلم :
٦٥/١٨ .

(٣) ذرا هى : الآجال والأسنة ذروة .

(٤) هى ذكور النحل وعبر به عنها لأنه اذا طار الذكر تبعته جماعته .

(٥) أى يجعل بين القطعتين مقدار رمية الغرض .

اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بيــــن
مهرودتين ^(١) واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر ، واذ ارفعه
تحد منه جمان ^(٢) كاللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي
حيث ينتهي طرفه فيطلبه بهاب لد فيقتله ^(٣) الحديث . .

وقد ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة في التحذير منه
نسأل الله أن يعصمنا من فتنته .

وما يتعرض له الانسان من المصائب والآلام والأحزان من فقد مال ، أو وليد
أو جاه أو نحو ذلك ، فانها ليست داخلية في النوعين أي الشبهات والشهوات
فانها بالنسبة للمؤمن الذي يصبر عليها أجر وغنيمة ، أما ما تحدثه من جزع وتسخيط
فان هذا مرض بالقلب قد يدخل معه شبهة تصده عن دين الله كتسخيط القدر
وانكاره .

أو أنها تدعوه الى شهوة ، ما حرم الله عز وجل كالسرقة واغتصاب
حقوق الغير اذا فقد ماله .

(١) مهرودتين : أي ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران ، وقيل شقتان والشقعة
نصف الملاعة .

(٢) جمان حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار والمراد المــــا
ينحدر منه وصف بذلك لصفاته . النووي على سلم : ٦٢/١٨ .

(٣) جزء من حديث في صحيح سلم : ٢٢٥٠/٤ كتاب الفتن باب ذكر الدجال ،
واللفظ له ، سنن الترمذى : ٥١٠/٤ كتاب الفتن باب ماجاء في فتنة
الدجال ، سنن ابن ماجة : ١٣٥٦/٢ كتاب الفتن باب فتنة الدجال ،
سند أحمد : ١٨١/٤ ، سنن أبي داود : ٤٩٦/٤ ، كتاب الملاحم
باب خروج الدجال .

الباب الثاني

أسباب الدعوة

وينقسم الى أربعة فصول :

- الفصل الأول : الحكمة .
- الفصل الثاني : الموعظة الحسنة .
- الفصل الثالث : الجدل
- الفصل الرابع : موانع قبول الدعوة .

الباب الثاني

أساليب الدعوة في السورة

قد وجه الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم الى أسلوب

الدعوة الذي ينبغي أن يتبع فقال سبحانه : **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ**

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ

هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

* النحل ١٢٥ *

قال ابن تيمية : * فهذه الطرق الثلاثة هي النافعة في العلم والعمل ^(١) * أهـ .

والقرآن قد اشتمل على هذه الأساليب الثلاثة .

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ٤٢/٢ .

الفصل الأول

الحكمة

والحكمة هي : معرفة الحق والعمل به ، فالقلوب التي لها فهم وقصد تدعى بالحكمة ، فيبين لها الحق علما وعملا فتقبله وتعمل به ^(١) ، فالذي يكون راغبا في الخير مقبلا عليه لكن قد يجهله ويخفى عليه ، فهذا يكفسي في حقه مجرد الدعوة مثل أن يقال له : هذا ما أمر الله به ورسوله فافعله ، أو هذا ما نهى عنه فاجتنبه ^(٢) .

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز : " والمراد بها الأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق والداخضة للباطل " .

فالحكمة كلمة عظيمة معناها الدعوة الى الله بالعلم والبصيرة ، والأدلة الواضحة المقنعة الكاشفة للحق والسبينة له " .

وهي كلمة مشتركة تطلق على معاني كثيرة منها النبوة، والعلم ، والفضيلة في الدين ، والعقل ، والورع ، وغيرها (وفي الأصل هي الأمر الذي يمنع عن السفه ^(٣) ، فأولى بذلك الآيات القرآنية والسنة النبوية حيث

سماها الله حكمة قال تعالى :

رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا

مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٩﴾

* البقرة ١٢٩ *

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام : ١٦٤/١٩ .

(٢) انظر من مقال للشيخ محمد بن عثيمين في مجلة كلمتي الشريعة وأصول الدين

بالقسم عدد ٢ سنة ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ عن ١٠٧ السنة الثانية .

(٣) انظر لسان العرب : ١٤٤/١٢ حكم

قال ابن جرير عن الحكمة : " انها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها الا

ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها ^(١) بمعنى السنة ^(٢) أهد .

لأنهما يحجزان كل من له عقل عن السفة ، كما أن الحكمة تكون في اتيان
الأمر ، واحكامها بأن تنزل الأمور منازلها ، وتوضع في مواضعها ، ومن
الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبدائة بالأهم فالأهم ، وبالأقرب الى
الأذهان والفهم وما يكون قبوله أتم وبالرفق واللين ^(٣) .

وليس من الحكمة أن تتعجل الأمور ويراد من الناس أن ينقلبوا بين عشية
وضحاها من حالهم الى الحال التي كان عليها الصحابة ، فمن أراد ذلك
فهو بعيد عن الحكمة ، والقرآن كله حكمة ، فالآيات التي خاطب الله
بها المؤمنين أمرا ونهيا بدون ترغيب أو ترهيب هي من الحكمة ، ومن الحكمة
اعطاء كل ذي حق حقه ، ومن ذلك الأمر ببر الوالدين واعطائهما حقهما
بشرط أن لا يؤثر ذلك على دين الانسان وعقيدته ، قال سبحانه :

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فإِنَّبَيْتَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

* العنكبوت ٨ *

كما أن في الآية ترغيبا وترهيبا ، وقد تقدم سبب نزول الآية ، وفيها أمر
بالاحسان للوالدين ونهي عن طاعتهم في الشرك بدون بيان ثواب أو عقاب .
كما أن من الحكمة البدائة بالأهم لذلك بدأ الرسل في دعوتهم الى توحيد
الله فهو أهم شيء ، كما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن : ٥٥٧/١

(٢) انظر الدعوة الى الله وأخلاق الدعوة : ص ٢٣ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٢٥٤/٤ .

سنة يدعو الى التوحيد ، وهذا من الحكمة حيث لم يستعجل الأمور ويطلب من الناس أن يغيروا ما هم عليه بين عشية وضحاها ، كما أن الشرع نزل عليهم متدرجا حتى استقر في نفوس الناس (١) .

وبما أن من الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل مثال ذلك من السورة ماورد عن ابراهيم الخليل في دعوته لقومه بقوله سبحانه :

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

* العنكبوت ٢٥ *

كما سيأتى في صفات الداعية ص : ٢٤٠

وبما أن من الحكمة الرفق واللين فانظر الى حكمة المصطفى صلى الله عليه وسلم في الدعوة ، كيف رفق بالأعرابي الجاهل .

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه أعرابي ، فقام يهول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزرموه . دعوه) (٢) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزرموه . دعوه) (٣) ، فتركه حتى بال ، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له : (ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ، ولا القذر ، انما هي لذكر الله عزوجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن) .

(١) سيأتى أمثلة لحكمته صلى الله عليه وسلم في الدعوة في دعوته ص :

(٢) كلمة زجر وهو اسم مبنى على السكون ، وأصلها ما هذا ، ثم حذف تخفيفا

، النووى على مسلم : ١٩٣/٣ .

(٣) لا تقطعوا عليه بوله - لسان العرب : ٢٦٣/١٢ ، مادة زرم .

أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (فأمر رجلا من القوم
، فجاء بدلو من ماء^(١) فشنه عليه^(٢)) .

وعن معاوية بن الحكم السلمي قال : بينما أنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الصلاة إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله ، فحدقني
القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه^(٣) ، مالكم تنظرون الي ، قال : فضرب
القوم بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يسكتوني لكى سكت ، فلما انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاني بأبي وأمي هو ما ضربني ، ولا كهرنسي^(٤)
ولا سبني ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، قال : (ان صلاتنا
هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح ، والتكبير ،
وتلاوة القرآن^(٥)) . الحديث . .

(١) أى صبه عليه .

(٢) صحيح مسلم : ٢٣٢/١ ، الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره واللفظ لـ ،
صحيح البخارى : ٦١/١ ، الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد ،
سنن أبي داود : ٢٦٤/١ ، الطهارة باب الأرض يصبها البول ، كما أخرجه
النسائي ، والترمذى ، وابن ماجه ، انظر ص : ٣٧ من هذا البحث .
(٣) الشكل : هو فقدان المرأة ولدها ، وامرأة شكى وشاكل . النووى على مسلم :
٢٠/٥ ، وامياه مضاف الى شكل ، وكلاهما مندوب كما قال والأمير المؤمنين ،
وأصله أى زيدت عليه الألف لمد الصوت ، وأردفت بها السكت الثابتة في الوقف
المحذوفة في الأصل . شرح السيوطى للنسائي : ١٦/٣ .

(٤) ما كهرنى : أى ما انتهرنى وقيل الكهر : استقبالك الانسان بالعبوس ، معالم

السنن ، شرح السيوطى للنسائي : ١٧/٣ .

(٥) صحيح مسلم : ٣٨١/١ ساجد باب تحريم الكلام في الصلاة ، أحمد :

٤٤٧/٥ - ٤٤٨ ، سنن أبي داود : ٥٧٠/١ الصلاة باب تسميت العاطس

في الصلاة ، سنن الدارمى : ٢٩٢/١ الصلاة باب النهى عن الكلام فى

الصلاة ، سنن النسائي : ١٦/٣ السهو - الكلام فى الصلاة .

وبما أن القرآن كه حكمة ومن ذلك الزواجر والترغيب والترهيب حيث تستعمل في وقتها المناسب لذلك أوردها الله سبحانه وتعالى في كتابه وطقى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهي الموعظة الحسنة التي أمر الله بها .

كما قد تجتمع الحكمة مع الموعظة الحسنة في مثل الأمثال والقصص كما سيأتى بيان ذلك .

الفصل الثاني

الموعظة الحسنة

وينقسم الى أربعة مباحث :

المبحث الأول : الترغيب .

المبحث الثاني : الترهيب

المبحث الثالث : أسلوب لفت الأنظار

المبحث الرابع : الجمع بين الحكمة والموعظة الحسنة .

الفصل الثاني : الموعظة الحسنة

وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها ، قيل وهي الحجج الاقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة^(١) . وهي الدعوة بالترغيب والترهيب .

ومن الترغيب بيان ما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها وما تشتمل عليه النواهي من المضار وتعدادها ، واما بذكر اكرام من قام بدين الله واهانة من لم يقم به ، واما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل ، وما أعد الله للعاصين من العقاب العاجل والآجل^(٢) .

وهذا الأسلوب يستعمل مع من يعترف بالحق لكن له أهواء تصده عن اتباعه ، قال

تعالى :

يَعْظِيكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

* النور ١٧ *

أو يكون عنده فتور وكسل عن الخير ، أو اقبال ورغبة في الشر ، وقد حبل الله الانسان على حب الخير وكراهة الشر ، ولكن تختلف النفوس بمعرفة الخير والشر ، لذلك أرسل الله الرسل ليدلوا الناس على الخير ، ويحذروهم من الشر ، فالانسان يرجو الخير ، ويخاف الشر ، وما أن ما عند الله من ثواب وعقاب من الأمور الغيبية التي لا تدرك حقيقتها العقول ، وقصد تغفل عنها لأنها غير محسوسة ومشاهدة لذلك فالله سبحانه وتعالى هو العالم بمسارب النفوس وما حبلت عليه ، رغب الناس في الخير ، وحذروهم من الشر

(١) فتح القدير : ٢٠٣/٣

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٢٥٤/٤ .

بكتبه التي أنزل على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ، ومنه : الوعيد ،
والوعيد ، فالوعد غالبا ما يستعمل في الخير ، وهو من الله متحقق الوقوع
، ومن العباد مرجو الوقوع ، أما الوعيد فهو تخويف بسوء المجازاة فـسـى
المستقبل تحذيرا من الوقوع في المخالفات ^(١) ، فأسلوب الترغيب والترهيب
في الدعوة يزيد في رجاء المؤمن بما عند الله وخوفه من عقابه ويقوم الحجة
على الكافر والمعاند .

وسورة العنكبوت مكية والدعوة في بداية أمرها في مكة لم تتقوى بعد وكان
من أهم عوامل الجذب لها آيات القرآن الحكيم التي لها تأثير على النفوس
حينما كان على الله عليه وسلم يتلوها متعبدا لله بها وداعيا الناس الى دين الله
من خلالها ، فكان سحر بيانها ينفذ الى القلوب ، حتى من عارض الدعوة
، ووقف في طريقها ^(٢) ، فكان في تلك الآيات ما يرغب في ما عند الله وما يهرب
من عقاب من عصاه .

والله سبحانه وتعالى جمع في هذه السورة بين الترغيب والترهيب في قوله

تعالى

يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ

مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ ﴿٢١﴾

* العنكبوت ٢١ *

وفي الغالب أن الرحمة والعذاب اذا اجتمعا تقدم الرحمة الا في بعض
الآيات ، ففي هذه الآية قدم العذاب ، لأنه في سياق قصة ابراهيم مع قومه
الذين عاندوا فناسب أن يبدأ بالعذاب ترهيبا للكفار وزجرا لهم عن الكفر
وعصيان الرسل . ^(٣)

(١) انظر الفوائد المشوق الى علوم القرآن : ٢٠١

(٢) كما تقدم انظر ص ٢٥٢ ، أو كما سيأتي في ص : ٤٤٨ حيث كان
الكفار يستمعون للقرآن فيعجبهم .

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي : ٦٥/٤ .

كما جمع بينهما في التحذير من الدنيا ، والترغيب في الآخرة ، قال

تعالى :-

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِىَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

* العنكبوت ٦٤ *

كما ورد كل واحد منهما على انفراد .

وجمع بينهما في الاحسان الى الوالدين ، والنهي عن الشرك في قوله

تعالى :-

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

* العنكبوت ٨ *

فقوله ((الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون)) ترغيبا للمؤمن ان يعمل

وان عمله لا يضيع عند الله ، فهو مجازيه عليه لان الرجوع اليه ، كما ان فيه

ترهيب من باب علم الانسان ان مرجعه الى الله فيجتنب ما يسيخط الله

لان مرجعه اليه وسيعاقبه عليه ، وهو للترغيب اقرب لان اول الآية امر

والامر يرغبه فيه .

البحث الأول : الترغيب

الترغيب ورد على ضربين : الأول الترغيب بما يحصل في الدنيا ، الثاني :
الترغيب بما يحصل في الآخرة .

فمن الأول : الترغيب في اتباع الأنبياء وأن ذلك تحصل به النجاة في
الدنيا كما حصل لنوح ومن آمن معه ، قال تعالى :

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ

* العنكبوت ١٥ *

١٥

وكذلك ما حصل من نجاة ابراهيم من النار ، قال تعالى :-

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ

فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

٢٤

* العنكبوت ٢٤ *

وَوَهَبْنَا

وقوله سبحانه :

لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ
وَأَيُّنَّا أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ

* العنكبوت ٢٧ *

٢٧

هذا ما حصل لنبي الله ابراهيم ، والله عز وجل وعد المؤمنين عموماً بالجزء

العاجل ، كما قال سبحانه : وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ

وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي

شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

٥٥

النور

ومن الترغيب في الجزاء بالدنيا لمن سار على الطريق المستقيم ما حصل للوط ومن آمن معه من النجاة كما قال تعالى :

وَلَمَّا

أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَكَ

كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾

* العنكبوت ٣٣ *

ثانيا : الترغيب بالجزاء في الآخرة

وكما رغب الله في عبادته وسلوك طريقه المستقيم بجزاء في الدنيا فإنه لا يساوى شيئا بالنسبة لما عند الله من النعيم المقيم لأن الآخرة هي الحياة الباقية ، فيبقى نعيمها اوشقاؤها .

فمن الترغيب فيما عند الله بالدار الآخرة : الترغيب بالايمان والعمل الصالح في ثلاث آيات ، وهذا يدل على فضل الايمان وأنه لا ايمان الا بالعمل الصالح

- قال تعالى

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

* العنكبوت ٧ *

* فالذين آمنوا بالله ورسوله ، فصح ايمانهم عند ابتلاء الله اياهم وفتنتهم لهم ، ولم يرتدوا عن دينهم بأذى المشركين لهم ، وعملوا الصالحات التي أمروا بها يكره الله عنهم ماسلف من شركهم وغيره ، ويشيهم على صالحات أعمالهم في اسلامهم أحسن ما كانوا يعملون في حال شركهم مع تكفيرنا سيئات أعمالهم * . (١)

(١) انظر جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٣٠/٢٠ .

وكذلك قوله سبحانه :

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿١﴾

* العنكبوت ٩ *

فدخولهم في الصالحين يترتب عليه دخولهم الجنة لأن مال الصالحين الى الجنة ، وهذا نعمة عظيمة ومنة كبرى وترغيب أيما ترغيب لمن أراد أن يكون مع الصالحين ، فما عليه الا أن يعمل عملهم ويحبهم كما قال صلى الله عليه وسلم : (المرء مع من أحب) . (١)

أما الآية الثالثة ، ففيها ترغيب للايمان والصبر على تكليفه ، وهذا الجزاء الذى رغب الله فيه عباده الى الاقبال اليه والعمل بطاعته هو جنته التى من أوصافها أنها تجرى من تحتها الأنهار ، وأياماً أنهار ، انها أنهار مختلفة الأصناف من ماء وخمر ، وفضل ، ولبن يصرفونها ويجرونها حيث شاءوا ، وكما قال فيها صلى الله عليه وسلم : (قال الله : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) . (٢)

وسيزة هذا النعيم أنه مستمر دائم غير منقطع وغير زائل كما قال سبحانه :

وَالَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرًا عَمِلُوا ﴿٥٨﴾ * العنكبوت ٥٨ *

أى نعم الجزاء وجزاهم على ما قدموه من طاعة الله عز وجل .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه : ١١٢/٧ كتاب الأدب باب علامة حب الله عز وجل ، صحيح مسلم : ٢٠٣٤/٤ كتاب البر باب المرء مع من أحب . كما أخرجه الترمذى : ٥٩٥/٤ ، والامام أحمد فى المسند .

(٢) صحيح البخارى : ١٩٧/٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ((يريدون أن يبذلوا كلام الله)) (٣٥) ، وكتاب بدء الخلق : ٨٦/٤ باب ماجاء فى صفة الجنة ، وكتاب التفسير واللفظ له ، صحيح مسلم : ٢١٧٥/٤ كتاب الجنة كما أخرجه الترمذى وابن ماجه وأحمد .

وعن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام وتابع الصلاة والصيام وقال بالليل والناس نيام) .^(١)

وكما رغب الله عز وجل فى الايمان والأعمال الصالحة على العموم رغب كذلك فى أعمال وعبادات مخصوصة وما ورد فى السورة من ذلك الترغيب فى قراءة القرآن واقامة الصلاة وذكر الله ، قال تعالى ،

أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

* العنكبوت ٤٥ *

وقراءة القرآن من الذكر كما أن الصلاة من الذكر ، فذكر الله أكبر من كل شىء ، كما أن ذكره للعبد أكبر من ذكر العبد له كما قال تعالى فى الحديث القدسى (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرنى فاذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، واذا ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منهم)^(٢) الحديث . .

قال تعالى :

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

* البقرة ١٥٢ *

(١) سند أحمد : ١٥٦/١ ، ١٧٣/٢ ، ٣٤٣/٥ ، سند مختلف ، سنن الترمذى : ٣٥٤/٤ كتاب البر باب ماجاء فى قول المعروف ، وقال : " هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الرحمن بن اسحاق ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه الا أن سند أحمد : ٣٤٣/٥ ليس فيه عبد الرحمن ، وقد حسنه الألبانى فى صحيح الجامع : ٢٢٠/٢ رقم ٢١١٩ .

(٢) جزء من حديث تقدم فى ص : ١٦٧٤-١٢٢٧

فهذا ترغيب في ذكر الله عز وجل الخالق الباري القادر الذي هو غنى عما سواه اذا عبده أقبل عليه وذكره فانه يجازيه بأحسن الجزاء بأن يذكره ، و الفرق بين الذكرين فان الأول ذكر حاجة وشعبد والثاني ذكر من وكرم وتفضل .
كما رغب الله سبحانه عباده بالهجرة اليه ليعبدوه وهم براحة واطمئنان لا يخشون أحدا غير الله ، قال تعالى :

يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي بِأَرْضِيَّ وَاسِعَةٌ فَأَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

* العنكبوت ٥٦ *

وهذا الترغيب في شئ محسوس مشاهد لهم ، وهو سعة أرض الله ، وامكان البحث عن الرزق فيها ، كذلك ماتقدم من الايمان والعمل الصالح فان الهجرة من الأعمال الصالحة ، وسببها الايمان ، وقد تقدم فضل ذلك كما طمأنهم الله عز وجل على ما يخافون ، وهو الموت أو البحث عن الرزق وبين لهم أن هذا حاصل لا محالة فلا يكون عائقا عن تنفيذ ما أمر الله به ، قال تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾

* العنكبوت ٥٧ *

وكأئن من دابة لا تحمل
كما قال سبحانه :

رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

* العنكبوت ٦٠ *

كذلك من العبادات التي رغب الله عز وجل فيها الجهاد في سبيله ، قال

تعالى : وَالَّذِينَ

جَاهِدُوا فِيْنَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

* العنكبوت ٦٩ *

فالجهد في سبيل الله عز وجل سواء كان جهادا حسيا وهو قتال الأعداء أو غير ذلك من جهاد النفس والهوى والشيطان فإنه من أفضل الأعمال ، لذلك كان جزاء صاحبه أن يكون مدلولاً على الطريق الذي يوصل إلى جنات الله وهو الصراط المستقيم ، كما أن من زيادة الترغيب في هذا الأمر العظيم معية الله لمن قام به ، وهذه المعية تليق بجلال الله وعظمته ، ومقتضاها التأيد والنصرة . (١)

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٥/٢١ .

البحث الثاني : الترهيب

وكما أن الترغيب على ضربين فكذلك الترهيب فمنه ما يكون في الدنيا - ومنه ما يكون في الآخرة .

فمن الأول : الترهيب من عصيان الأنبياء ، فان فيه الهلاك والعقوبة العاجلة كما حصل لقوم نوح حين عصوه عاقبهم الله بالغرق ، قال تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ

إِلَّا خَيْرِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

* العنكبوت ١٤ *

أى انشقت عليهم السماء ونبتت الأرض حتى غرهم الماء فهلكوا عن آخرهم ومصيرهم بعد الهلاك الى عذاب الله لأنهم تعدوا أمر الله وظلموا أنفسهم بتكذيبهم لرسول الله .

ومن الترهيب في عصيان الأنبياء ما نزل بقوم لوط من العذاب في الدنيا

، قال تعالى :

إِنَّا مَنَزَلْنَاهُ عَلَىٰ أَهْلِ

هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٤﴾

* العنكبوت ٢٤ *

والرجز هو العذاب ، ومن زيادة الترهيب عن أفعالهم الشنيعة عبر بما حصل

لهم من العذاب بالرجز وهذا أبلغ في الزجر .

فان ما حصل لهم (أن جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الأرض ثم

رفعها الى عنان السماء ، ثم قلبها عليهم ، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل

منضود مسومه عند ريك وماهى من الظالمين ببعيد وجعل الله مكانها بحبيسة

خبیثة منتنة ، وجعلهم عبرة الى يوم التناد ، وهم من أشد الناس عذابا يوم التناد (١) .

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٢/٣ .

ومن شدة الترهيب من فعلهم أن الله جعل ما حصل لهم آية بيينة ليعتبر من يعتبر
يعتبر ويتعظ من يتعظ .

ومن الترهيب ما حصل لقوم شعيب فان ما حصل لهم فيه تحذير لكل عاقل
من أن يسلك مسلكهم من العبث في الأرض والسعي بالفساد والبغى على الناس
بنقص المكيال والميزان ، وقطع الطريق مع الكفر بالله ورسوله . (١)

قال تعالى :

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي

دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٣٧﴾

* العنكبوت ٣٧ *

فكان من عقاب الله لهم أن أهلكهم برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم وصيحة
أخرجت القلوب من حناجرها ، وعذاب يوم الظلة الذي أزهد الأرواح من
مستقرها ، انه كان عذاب يوم عظيم . (٢)

ثم ذكر بعدهم ما حصل لعاد وثمود ما شاهدوا ما فعل بديارهم من الخراب
والدمار ، فعاد قوم هود يسكنون الأحقاف ، وثمود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر
قريبا من وادي القرى .

قال ياقوت : (٣) " وادي القرى ، والحجر والجناب منازل قضاة ثم جهينة ، وعذرة

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٨/٣

(٢) " " " : ٦٥٨/٣

(٣) هو : الأديب الأوحى شهاب الدين الرومي مولى عسكر الحموي ، السفر ،
النحوي ، الاخبارى ، المؤرخ ، تكلم في بعض الصحابة ، فأهين وهرب السى
حلب وابتلى بالتتار فنجا برقبته ، فقيرا ، وقاسى شدائد ، له مؤلفات منها
(الأدباء والشعراء ، والدول ، والأنساب ، والمبدع والمآل) ، وكان شاعرا ،

ولى ، وهى بين الشام ، والمدينة ، يربها حاج الشام وهى كانت قديما منازل
نود ، وعاد ، وسها أهلكهم الله ، وآثارها الى الآن باقية (١) . أه
وهذا معروف للعرب يعمون عليه فى رحلاتهم ، ففى مساكنهم عبرة لمن اعتبر
وترهيب عما فعلوا .

ثم أتبع ذكرهم بذكر فرعون وقارون وهامان حين عصوا موسى فأخبرنا الله
عن هؤلاء الأُمّ المكذبة للرسول ، كيف أبادهم ، وتنوع فى عذابهم ، وأخذهم
بالانتقام فكانت عقوبة كل بما يناسبه ، قال تعالى :

وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ مِنْ مَّسْكَانِهِمْ^ط وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَلَهُمْ فَوَضَّعَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٨﴾
وَقُرُونًا وَفِرْعَوْنَ^ط وَهَمَانَ^ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِينَ
﴿٢٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ^ط فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

* العنكبوت ٣٨ - ٤٠ *

فالذين أرسل عليهم الحاصب قال ابن جرير : " هم قوم لوط " (٢) .

وقال ابن كثير : " هم قوم عاد " ، وذلك أنهم قالوا من أشد منا قوة ؟

(١) معجم البلدان : ٣٣٨/٤

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٥٠/٢٠

فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد ، غاتية شديدة الهبوب جـدا ،
تحمل عليهم حصباء الأرض فتلقيها عليهم ، وتقتلعهم من الأرض فتترفع الرجـل
منهم من الأرض الى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتشده فيبقى بدنا بلا
رأس ، كأنهم أعجاز نخل منقعر^(١) .

((ومنهم من أخذته الصيحة)) وهم ثمود ، وقيل قوم شعيب ، والله عز وجل
أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه أهلكهم بالصيحة في كتابه في غير
هذا الموضع ، ولم يخص أحدهما فكلاهما أخذتهم الصيحة .^(٢)

وكل قوم منهم قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة ، ولم يؤمنوا بل استمروا
على طغيانهم وكفرهم .

((ومنهم من خسفنا به الأرض)) وهو قارون الذي طغى وبنى وعصى الرب الأعلى
ومشى في الأرض مرفحا ، وفرح ، ومرح ، وتاه بنفسه ، واعتقد أنه أفضل من غيره
واختال في مشيته فخسف الله به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم
القيامة .^(٣)

((ومنهم من أغرقنا)) وهو فرعون وقومه ، وقيل قوم نوح ، والله سبحانه
لم يخص بذلك احدى الأمتين دون الأخرى .

والله عز وجل لم يهلك هؤلاء الأمم بذنوب غيرهم فيظلمهم باهلاكه اياهم
بغير استحقاق بل انما أهلكهم بذنوبهم وكفرهم بربهم وجحودهم نعمه عليهم
مع تتابع احسانه عليهم وكثرة اياديه عندهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بتصرفهم
في نعم ربهم وتقليبهم في آياته وعبادتهم غيره ، ومعصيتهم من أنعم عليهم .^(٤)

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٨/٣

(٢) جامع البيان : ١٥٠/٢٠

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٦٥٩/٣

(٤) جامع البيان : ١٥٢/٢٠

هذا ما حصل للقوم الذين كذبوا رسل الله أن عاجلهم الله بالعقوبة في الدنيا فأهلكهم ، وقضى على شوكتهم ، ولكن بعد ذلك ماصيرهم ، لقد حذر الله من فعلهم ببيان مصيرهم وأنه الى عذاب الله الأليم .

الترهيب من العذاب في الآخرة

وكما حذر الله من الكفر ببيان ما حصل لمن سلكه من عذاب في الحياة الدنيا كذلك حذر من الكفر ببيان حال أهله في الآخرة ، ومن الترهيب في ذلك قوله سبحانه :

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

* العنكبوت ٤ *

فالسَّيِّئَاتِ هي الشرك وعبادة الله ومعه غيره (١) ، فهذا الحساب وهذا الظن سيء حيث أنهم حكموا على ربهم بالنقص من ظنهم أنهم يعجزونه ، والله قادر على كل شيء ، فهذا فيه تهديد ووعد لمن ظن هذا الظن .

لذلك بين الله عز وجل عدم عجزه مهما كانوا في أي مكان كانوا ، قال تعالى :

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

* العنكبوت ٢٢ *

ومن الترهيب لمن دعا الى الكفر قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾
وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّ لَنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

* العنكبوت ١٢ ، ١٣ *

فمن ادعى أنه يحمل ذنب غيره فانه لن يحمله ولكن له من الاثم مثله اذا كان هو المتسبب دون أن ينقص من اثم متبوعه شيئا ، ثم يوم القيامة يحاسب الحساب الشديد عما افترى وادعى أنه قادر عليه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (أتدرون من المغلس ، قالوا : المغلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : ان المغلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته ، قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار) .^(١)

هذا بالنسبة للمسلم ، فما بالك بالكافر الذى لا حسنات له ، ويدعوا الى

كفره ، وقد قال تعالى : **وَقَدْ مَنَّاَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ مَنَّا بِهٖمْ لِيَكْفُرُوا وَلِيكْتُمِبُوا** .

هَبَاءٌ مَّنشُورًا ﴿٢٣﴾

* الفرقان ٢٣ *

ومن الترهيب الوارد فى السورة ما توعد الله به الذين حادوا عن الصراط المستقيم

من العذاب المقيم فى الآخرة ، قال تعالى : **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ**

وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْسِبُونَ . **وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٢٣﴾

* العنكبوت ٢٣ *

(١) صحيح مسلم : ١٩٩٧/٤ - كتاب البر باب تحريم الظلم واللفظ له .

سنن الترمذى : ٦١٣/٤ كتاب القيامة ، باب ماجاء فى شأن الحساب والقصاص .

سند أحمد : ٣٠٣/٢ ، ٣٣٤ ، ٣٧٢ .

والآية معترضة في قصة ابراهيم ، لأن كل ما ذكره الله من قصص الأنبياء
أما هو تذكير من تعالي وسوطة ، فذكر بهذه الآية الذين يبتدئ بذكرهم
قبل الاعتراض بالخبر وهو قوله ((فما كان جواب قومه)) وتحذير منه لهم
أن يحل بهم ما حل بأولئك (١) ، فان كدار قريش كذبوا محمداً ^{صلى الله عليه وسلم} فالله
حذرهم ما وقع لقوم ابراهيم وغيره من الأنبياء ، والعذاب الأليم هو
الموجع الشديد .

وقد توعد الله من كفر وحذر من الكفر لاسيما اذا كان الكافر معاندا مستهزئا
متكبرا عن الحق ، يصد عنه ، ويدافع ، والله تعالى بين حال قريش في
عنادهم واستكبارهم وما أعد لهم ولعن فعل مثل فعلهم ، قال تعالى :

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ

وَلِيَأْيِنِّيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾

* العنكبوت ٥٣ *

فالله عز وجل يخبر عن جهل المكذبين للرسول وما جاء به أنهم يقولون

استعجالا للعذاب وزيادة تكذيب :

(٢)

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾

* الطك ٢٥ *

وقالوا كذلك تهكما منهم وسخرية :

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا

هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ

أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾

* الأنفال ٣٢ *

(١) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٤٠/٢٠ .

والله عز وجل قد ضرب لهم أجلا لم يأتي بعد كما قال تعالى :

لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

" الأنعام ٦٧ "

ولولا ذلك لأخذناهم بجهلهم ولكن كلامهم أسرع لبلائهم وعقوبتهم ومع هذا الأجل المضروب لهم فانهم لا يعلمون متى يقع فهو سييقتهم وهم غير محتاطين له عالمين بوقوعه ، لأنهم ما قالوا ذلك الا انكارا منهم ، وقد وقع عليهم كما أخبر الله تعالى ، لما قدموا بدرا ، بطرين فآخرين ظانين أنهم قادرون على مقصودهم ، فأزلهم الله وقتل كبارهم واستوعب جملة أشرارهم ولم يبق فيهم بيت الا أصابته تلك المصيبة .

فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا ، ونزل بهم وهم لا يشعرون ، هذا وان لم ينزل عليهم العذاب الدنيوي (١) فاذا قيل أن الأجل المسمى هو الموت ، أو النفخة الثانية ، أو القيامة (٢) ، فان هذه لا بد حاصلة لكل انسان فمن كفر وكذب فموعه هناك ، فأمامه العذاب الأخرى الذى لا يخلص منه أحد من المكذبين سواء عوجل بعذاب الدنيا أو أمهل .

ومن شدة الترهيب أن الله كرر استعجالهم العذاب ، قال تعالى :

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾

" العنكبوت ٥٤ "

وهذا التكرار يفيد تأكيدا في الوعيد ، على تماديهم في غيهم ، وتهكما بهم ، وتعجبا من أمرهم ولكن لا محيص لهم عن جهنم ، ولا معدل ولا منصرف ، فقد

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ١٠١/٦

(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير : ٢٨٠/٦

أحاطت بهم من كل جانب كما أحاطت بهم ذنوبهم ، وسيئاتهم ، وكفرهم .
ومن شدة الترهيب والتخويف من الكفر ، وصف حالهم في العذاب ، وأنهم
كما انغمسوا في الكفر والذنوب وعصتهم ، بين أن أعمالهم وكفرهم تنقلب
عليهم عذابا يشلهم من كل جانب ، قال تعالى :

يَوْمَ يَغْشَىٰ السَّمَاءَ سَٰحَابٌ مِّنْ ذُرِّ عَذَابٍ مُّثْقَلَةٍ
ذُوقُوا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

* العنكبوت ٥٥ *

والغشيان في العادة يكون من أعلى الى أسفل وعبر عنه بالجميع هنا

للمقارنة ^(١) ، قال تعالى :

لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

* الأعراف ٤١ *

، وقال سبحانه :

لَهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّن النَّارِ

وَمَن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يُعْبَادُونَ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾

* الزمر ١٦ *

فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم ، وهذا أبلغ في العذاب الحسى

، ومن شدة الترهيب أن الله عز وجل جمع بين العذاب الحسى والمعنوى

فختم الآية به حيث قال :

وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

* العنكبوت ٥٥ *

فهذا تهديد وتقرير وتوبيخ ، وهذا عذاب معنوى على النفوس ^(٢) لقوله تعالى :

أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

* الطور ١٦ *

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٧/١٣

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٦٦٨/٣

ومن الترهيب من أعمال الكفار الخبيثة وأساليبهم المتعددة للصد عن دين الله

قوله تعالى : **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ**

لَمَّا جَاءَهُ^{٦٨} الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مِثْوَىٰ لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾

* العنكبوت ٦٨ *

بين الله عزوجل أنه لا أقبح ولا أشنع من هذا الفعل ، وهو أن يكفر ويضل

وينسب كفره وضلاله لله ، قال تعالى عنهم :

وَإِذَا فَعَلُوا

فَاحْشَاءَ قَالُوا أَوْجَدْنَا عَلَىٰ آبَاءِنَا وَاللَّهُ أَمْرًا نَاهِيًا قُلُوبَنَا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ

لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ^{٢٨} اتَّقُوا لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

* الأعراف ٢٨ *

مع ما يدعون له من الشريك والولد^(١) ، ومن الظلم من يقول أن الله أوحى إلى ولم يوحى

إليه شيء ، ومن قال سأُنزل مثلما أنزل الله فهذا مفترى على الله .^(٢)

ومع ذلك ينكر الحجج الواضحة التي جاءت كالقرآن والرسول ، وما هو

واضح له من التوحيد ، ويكذب بها .

فمن يفعل هذا ما هو جزاءه ، ان جزاءه الاستقرار في النار فجا به على

صيفة الاستفهام ، وهو استفهام تقرير أي أنه يحشر فيها مع من كذب ، فهى

دارهم وقرارهم إلى الأبد ، يؤخذ بها منهم الحق ويجزون بها ، فمن لم يؤدى

الحق في هذه الدنيا ، ومن الحق الايمان بالغيب الذى وعد به الله فسيؤخذ

منه الحق بها معاينة ، وشاهدة يوم القيامة .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٤ / ١٣

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦٧٢ / ٣

فهل بعد ترهيب الله من ترهيب ، وهل بعد ترغيبه من ترغيب ، فهذا
أبلغ موعظة لمن أراد لنفسه النجاة فما ساقه الله الا تحذيرا لأوليائه وقيام الحجة
على أعدائه ، ان العاقل الناصح لنفسه ما عليه الا أن يسلك ما أمره الله به
لينجوا بنفسه ما تقدم من الوعيد الشديد ، ويفوز بالوعد الصادق من
سبحانه لأوليائه المتقين .

متى يستعمل الداعية الترغيب والترهيب

باستعراض ماورد في السورة من الترغيب والترهيب يلاحظ أن الترغيب
يستعمل في ارادة الخير ولأهل الخير ، والترهيب يحذرفيه عن الشر
وأهل الشر ، فعلى الداعية اذا وجد انسانا مقبلا على الخير وعنده حب لله
، رغبة فيه ، وبين له محاسنه بخلاف ما اذا ما وجد انسانا ظالما لنفسه غارقا
في شهواته فانه يحذره من عذاب الله وأليم عقابه ، وربما اذا وجده قد أيسس
من رحمة الله يفتح له أبواب الخير ويرجيه بما عند الله ، فهذا الأسلوب
يستعمل حسب الأحوال والظروف ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث يقول : (ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأسك عنده
تسعا وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر
بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل
الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار) .^(١)

(١) صحيح البخارى : ١٨٣/٧ ، كتاب الرقاق باب الرجاء مع الخوف ، واللفظ
له .

صحيح مسلم : ٢١٠٩/٤ كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى .

سند أحمد : ٣٣٤/٢ ، ٣٩٧ - ٤٨٤ .

فنبى الله ابراهيم استعمل الترهيب مع قومه حينما رآهم قد تمادوا بالكفر والضلال ، فقال تعالى عنه :

وَإِنْ تَكْذِبُوا

فَقَدْ كَذَّبَ أُمُورًا مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ

الْمَبِينُ ﴿١٨﴾

* العنكبوت ١٨ *

وقال تعالى :

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

* العنكبوت ٢٥ *

فبين لهم عاقبة أمرهم أنها الخسارة والدمار ، وأن الأوثان التي اجتمعوا بسببها ستوردهم النار ، وسيكونون أعداء فيها ، كما قال تعالى :

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾

* الزخرف ٦٧ *

، وقد استعمل معهم قبل ذلك أسلوب الترغيب طامعا فيهم أن يقبلوا على الله وحده لا على أحد غيره ، قال تعالى :

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ
وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

* العنكبوت ١٦ ، ١٧ *

فابراهيم أمر قومه باخلاص العباداة لله وحده ، وتوحيده في الشكر ، فانه وحده
المشكور على النعم ، لا صدق لها غيره ، فاذا فعلوا ذلك بين لهم العاقبة
ورغبهم بما يحصل لهم من الخير العميم في الدنيا والآخرة ، وما يندفع عنهم
من الشرور في الدنيا والآخرة .^(١)

وخطابه عليه السلام لهم : ((يا قوم اعبدوا الله)) ، يشعر بعطفه
عليهم وشفقته بهم ، راغبا لهم الخير كارها لهم الشر .
وكذلك بقية الأنبياء عليهم السلام ، وخاتمهم نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فدعوته لأنته ترغيب وترهيب ، فكان من ترغيبه قوله صلى الله
عليه وسلم لكفار قريش قوله لهم : (انى انا أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم
بها العرب ، وتؤدى اليهم بها العجم الجزية)^(٢) الحديث . .

ومن ترهيبه صلى الله عليه وسلم أنه قام حين أنزل الله عز وجل ((وأنذر
عشيرتك الأقربين)) قال : (يا معشر قريش (أو كلمة نحوها) اشترؤا أنفسكم
لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبدمناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس
ابن عبدالمطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك
من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم سليني ماشئت
من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا) .^(٣)

(١) انظر ابن كثير : ٦٥٠/٣ .

(٢) جزء من حديث في سنن أحمد : ٢٢٢٧/١ ، ٣٦٢ .

وسنن الترمذى : ٣٦٦/٥ كتاب التفسير باب سورة (ص) .

(٣) صحيح البخارى : ١٩٠/٣ ، كتاب الوصايا باب هل يدخل النساء والولد

في الأتارب (١) ، واللفظه .

وفى كتاب التفسير : ١٦/٦ باب ولا تخزننى يوم يبعثون .

صحيح مسلم : ١٩٢/١ ، كتاب الايمان باب قوله تعالى : ((وأنذر

عشيرتك الأقربين)) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس انى نذير لكم بين يدي عذاب شديد) (١)

وفى هذا اليوم ترى الناس يموجون فى هذه الحياة الدنيا وزهرتها يطيرون خلف كل ناعق ، فمنهم من يدعى أنه يطلب الحضارة والتقدم ، ومنهم من هو غارق فى بحر الرذيلة ، ومنهم من هو معرض عن الله بالكيفية ، ومنهم من هو تائه حيران ، فما أوجههم الى هذا الأسلوب ، وترقيق قلوبهم ليقبلوا على الله ويسألوا عن دينه ، وما يراود منهم فى هذه الحياة .

(١) فى صحيح البخارى : (١٧/٦) ، كتاب التفسير باب سورة الشعراء (٢٦) ، سورة سبأ (٣٤) ، ص ٢٩ وتبت ١١١ ص ٩٤ .

جزء من حديث فى صحيح مسلم (١٩٣/١) الايمان باب ((وأنسى عشيرتك الأقربين)) .

سنن الترمذى : ٤٥١/٥ ، كتاب التفسير باب من سورة تبت .

سند أحمد : ٢٨١/١ - ٣٠٧ .

البحث الثالث : أسلوب لفت الأنظار

وقد تقدم أن الموعظة الحسنة هي : " الحجج الاقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة " ، وهذا من الموعظة الحسنة .^(١)

وما ورد من ذلك في السورة أسلوب لفت الأنظار بما يعرفه العقلاء من أشياء مشاهدة معلومة لهم ليزداد بها المؤمن ايمانا وتكون حجة على المعاند والمكابر .

وفي هذه السورة نبه الله العقول وحشها على تدبر ما خلقت له وما سيجزى عليها

، ومن ذلك ما جاء بصيغة التنبيه ثم الاستفهام ، قال تعالى :

الْم ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَاءَامَنَا وَهُمْ لَا

يَفْتَنُونَ ۝

* العنكبوت ١ ، ٢ *

فبدء السورة بأ (لم) والله أعلم بمراده به والله أنزلها لحكمة قد لا تبلغها

عقولنا وأفهامنا^(٢) ، فان لم يكن لها معنى معروف لدينا ، فان لها مغزى مقصودا

، ومن الحكمة في البدء بها بيانا لاعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته

بمثلها ، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها^(٣) . يوهي بد

ذلك أن السور التي تذكر فيها الحروف المقطعة يأتي بعدها ذكر للقرآن غالبا .

(١) انظر ص : ٢٨٥ من هذا البحث .

(٢) فتح القدير : ٣٢/١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٦٠/١ .

والاستفهام لنفى هذا الظن وتقرير الابتلاء والفتنة ، والله سبحانه جعل الكون كله معرضا لآيات الايمان ودلائله كصفحة مفتوحة للحواس والقلوب تبحث فيها عن آيات الله وترى دلائل وجوده ووحدانيته ، وصدق وعده ووعيده ، والناس يشاهدون هذا الكون العظيم ، وما فيه من عجائب قدرة الله ، فى الأرض والسما ، والأنفس وغيرها ، ولكنها تفقد جدتها فى النفوس بطول الألفة ، ويضعف تأثيرها فى القلوب بطول التكرار ، فالله سبحانه يذكر القلوب بتلك الروعة والى تلك الآيات الباهرة بتوجيه موحى للشاهد ، والظواهر فى القلوب والضائر ، ويشير تطلعهم وانتباههم الى أسرارها ، وآثارها ، ويجعل منها دلائله ، وبراهينه ، التى تراها الأبنصار وتتأثر بها المشاعر (١)

قال تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

* العنكبوت ١٩ *

فالعاقل يتفكر فى خلق الله فيرى قدرته فى النبتة النامية وفى البيضة والجنين ، وفى كل ما لم يكن ثم يكون ، ما لم تملك قدرة البشر مجتمعين ومنفرديين أن يخلقوه أو يدعوا أنهم خالقوه . (٢)

ثم أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالنظر والتأمل فى مخلوقاته لتزيد فى ايمانهم ولا يستدلوا بها على ما يراد منهم .

وقد ويخ الله الذين لم يستفيدوا من هذا النظر كما حكاه عن قوم ابراهيم

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

* العنكبوت ١٩ *

(١) انظر فى ظلال القرآن : ٢٧٢٩/٥ .

(٢) " " " " : ٢٧٢٩/٥ .

قال أبو عبيد (١) : " لذكر الأمم كأنه قال أولم ير الأمم كيف * أه
وقرئت (تروا) فالخطاب لقريش ليس من قول ابراهيم
وقيل المعنى : " أولم يروا كيف بيدي * الله الشارفتحيا ثم تغنى ثم يعيدها
أبدا ، وكذلك الانسان وسائر الحيوان . . . أى فاذا رأيتم قدرته على الابداء
والايجاد فهو القادر على الاعادة * . (٢)

وهذه الآية حجة على من أنكر المعاد كما سيأتى بيانه فى دعوة الكفار . (٣)

فالله عز وجل أرشد الى الاعتبار بما فى الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق
الله الأشياء السموات وما فيها من الكواكب النخيرة الثوابت والسيارات ، والأرضين وما فيها
من مهاد وجبال وأودية وبرارى وقفار ، وأشجار وأنهار * . (٤)
وأمر سبحانه وتعالى بالنظر الى شىء قريب يحس ويدرك ، وهو الأرض وما فيها
من الخلائق على كرتهم ، وتفاوت هيئاتهم ، واختلاف ألسنتهم وألوانهم
وطبائعهم وأمر بالنظر الى مساكن القرون الماضية وديارهم وآثارهم كيف أهلكهم
لنعلم بذلك كمال قدرة الله ، ومن كمال قدرته تحقق ما وعد الله به نفسى
الآخرة عياناً أيضاً .

(١) هو : القاسم بن سلام بن عبدالله ، ولد سنة ١٥٧ هـ ، وقرأ القرآن على أبى
الحسن الكسائى ، وغيره ، صنف كتباً كثيرة منها : الأمـوال ،
والغريب ، وفضائل القرآن ، والطهور ، والمواعظ ، كان ثقة
دينا ، ورعا ، كبير الشأن ، ت سنة ٢٢٤ هـ بمكة .
سير أعلام النبلاء : ٤٩٠ / ١٠ .

(٢) انظر أحكام القرآن للقرطبى : ٣٣٦ / ١٣ .

(٣) سيأتى فى ص : ٤٣٧ من هذا البحث .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٦٥١ / ٣ .

والانسان اذا نظرفى هذه المخلوقات يجد فيها من الحكم مالا يحصيه الا الله

عز وجل ، فمثلا هذه الأرض التى أمرنا بالسير فيها .

قال ابن القيم عن الأرض : " جعل الله منها السهل والوعر والجبال والرمال لينتفع بكل ذلك فى وجهه ، ويحصل منه ما خلق له ، وكانت الأرض بهذه المثابة لزم من ذلك أن صارت كالأم التى تحمل فى بطنها أنواع الأولاد من كل صنف ، ثم تخرج الى الناس والحيوان من ذلك ما أذن لها فيه ربها أن تخرجه اما بعلمهم واما بدونه ، ثم يرد اليها ما خرج منها ، وجعلها سبحانه ككثبانها ، فالأحياى ما داموا على ظهرها فاذا ماتوا استودعتهم فى بطنها فكانت ككثبانها لهم تضمهم على ظهرها أحياى ، وفى بطنها أمواتا ، فاذا كان يوم الوقت المعلوم وقد أثقلها الحمل وحان وقت الولادة ، ودنو المخاض أوحى اليها ربها وفاطرها أن تضع حملها وتخرج أثقالها فتخرج الناس من بطنها الى ظهرها ، وتقول رب هذا ما استودعتنى وتخرج كنوزها باذنه تعالى ، ثم تحدث أخبارها وتشهد على بنيتها بما عملوا على ظهرها من خير وشر " . (١) أهـ

ومن الدعوة الى أعمال النظر واستعمال العقل فيما خلق له ، أن نبى الله ابراهيم أمر قومه أن يعمنوا النظر فى الأوثان التى يعبدونها هل تستحق العبادة أم لا ، فهو حينما أرسل اليهم وجدهم فى غاية الضلال ، فدعاهم الى عبادة الواحد القهار ، وبين لهم أن هذه المعبودات لا تغنى عنكم من الله شيئا ، فقال تعالى :

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

" العنكبوت ٢٥ "

ولما لم يفعلوا ذلك عمد الى تكسير أصنامهم الا الكبير منها ليبين لهم
أنها لا تدفع عن نفسها ولا تملك ضرا ولا نفعا .

فبين نبي الله ابراهيم تفاهة هذه المعبودات وأنها لا تستحق العبادة ووجههم
الى من يستحق العبادة ، ومن بيده النفع والضر ، والرزق ، فقال جل
وعلا عنه :

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ أَوتُنَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ
وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

* العنكبوت ١٧ *

فطلب الرزق أمر بهم النفوس وبمس حاجتها فوجههم نبينهم الى طلبه من
موجده وهو الله ، بقوله ((فابتغوا عند الله الرزق)) .

ونبي الله لوط نبه قومه الى ماركب الله فيهم من الشهوة وأنها لم تخلق
عبثا فيجب صرفها فيما أمروا به ، قال تعالى : **وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ
الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾** إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أُتِينَا
بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾

* العنكبوت ٢٩ *

فهو في دعوته وجه العقل الى التفكير في هذه الشهوة ، وانها لم تخلق
عبثا ، لذا يجب وضعها في موضعها الذي خلقت له لتكثير نسل الأمة ،
فان الأمة اذا كرت قويت .

وقد أمرنا الله سبحانه بالنظر والتفكر فيما حصل للأمم السابقة ، قال تعالى :
**وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِتِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٨﴾**

* العنكبوت ٣١ *

"فقد ظهر من مساكن عاد وشمود بالحجر والأحقاف آيات بينات يتعظ
بها ويتفكر فيها الناس" (١)

فان ما حصل لهم فيه عبرة لمن اعتبر .

ومن لفت الأنظار في هذه السورة التنبيه على الموت وأنه لا بد واقع ، فعلمى
الانسان أن يستعد له كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم : (أكثروا ذكر هـادم
الذات) يعنى الموت . (٢)

فالبدار الى طاعة الله ، والهجرة اليه ، بالقلب والقلب ، قال تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾

"العنكبوت ٥٧"

فالموت لا بد أن يمر على كل أحد ، قال الشاعر (٣) :

الموت لا والد يبقى ولا ولدا ولا صغيرا ولا شيخا ولا أحدا
كان النبي فلم يخلد لأتاه لو خلد الله حيا قبله خلدا
للموت فينا سهام غير مخطيئة من فاته اليوم سهم لم يفته غدا (٤)

فلا أحد ينكر الموت وهو يمر على الجميع فهل اعتبروا واتعظوا ونظروا في حالهم
عند المات وتذكروا في هذا الأمر العظيم .

فغالب الناس في غفلة حتى يأتيهم الموت فيفيقون ولكن قد فات الأوان ، قال
الشاعر :

(١) انظر فتح القدير : ٢٠٢/٤

(٢) سنن الترمذى : ٥٥٣/٤ كتلب الزهد باب ماجاء في ذكر الموت (٤) وقال : هذا
حديث حسن غريب ، المستدرک : ٣٢١/٤ ، الرقاق ، وقال : هذا حديث
صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ، سنن النسائي : ٤/٤ كتاب الجنائز باب
كثرة ذكر الموت ، سنن ابن ماجة : ١٤٢٢/٢ كتاب الزهد باب ذكر الموت . انظر
ارواء الغليل : ١٤٥/٣ .

(٣) هو ابو العتاهية : اسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي ، مولا هم ، الكوفي
نزىل بغداد ، شاعر كان يحب الخلاعة والمجون ثم تنسك بآخر حياته ، وقال في الزهد
والمواعظ فأجاد ، ت ٢١٣ هـ . سير أعلام النبلاء : ١٩٥/١ .

(٤) ابو العتاهية أشعاره وأخباره ص ١١١ .

الموت في كل حين ينشد الكفنا
لا تركزن الى الدنيا وزهرتها
أين الأحبة والجيران مافعلوا
سقاها الموت كأسا غير صافية
ونحن في غفلة كما يراد بنا
وان توشحت من أثوابها الحسننا
أين الذين هم كانوا لها سكننا
صيرهم تحت أطباق الثرى رهنا^(١)

ومن توجيه القرآن للنظر والتفكر ، النظر في البهائم كيف تحصل على قوتها وهي لا تدخر شيئا ، قال تعالى :

وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ

رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ العنكبوت .

والله سبحانه ذكره هذه الآية بعد الصبر والتوكل أي أن ما يعين عليهما هو النظر في حال الدواب التي لا تطيق حمل رزقها لضعفها ولا تدخره ، وانما يرزقها الله من فضله ويرزقكم فكيف لا تتكلمون على الله مع قوتكم وقدرتكم على أسباب العيش كتوكلها على الله مع ضعفها وعجزها^(٢) ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لو أنكم تولكتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو وخصما وتروح بطانا) .^(٣)

وهذا لا يعني ترك العمل كما تقدم في التوكل .^(٤)

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٨/١٣

(٢) انظر فتح القدير : ٢١١/٤ .

(٣) سنن الترمذي : ٥٧٣/٤ ، الزهد باب في التوكل على الله ، وقال : " هذا

حديث حسن صحيح " ، المسند لأحمد : ١/٣٠-٥٢ ، المستدرک : ٣١٨/٤ ،

سنن ابن ماجه : ١٣٩٤/٢ ، كتاب الزهد باب التوكل واليقين .

(٤) تقدم في ص ١٤٨ من هذا البحث .

والنظر الصحيح يدل على توحيد الله سبحانه ، وأنه يستحق للعبادة وحده ،
فالله عز وجل عاتب الذين لم يؤمنوا مع اعترافهم بخلق الله للسماوات والأرض كما
قال سبحانه :

وَلَيْن

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُوَفِّكُونَ ﴿٦١﴾

العنكبوت ٦١

فلا اعتراف بأن الله خالق هذه الأكوان ومجرى هذه الأفلاك إلا يدعى
الى التأمل والتفكر فى خلقها ودقة احكامها وماهى الحكمة منها ألا تدل على
خالق قادر ، خالق حكيم ، عالم أنها صالحة لهذا الخلق وسخرة له ، فما على
العاقل الا أن يسأل عن هذا الذى خلقها ، أليس يستحق وحده أن يعبد
دون سواه ، مع ما بينه الله لنا فى كتبه وعلى لسان رسله عليهم السلام .

فلاستفهام فى آخر الآية ((فأنى يوففكون)) للانكار والاستبعاد وهذا يحمل
المخاطب الى توجيه كل اهتمامه لما يلقى اليه ليتمكن من فهمه ثم الاجابة عنه^(١).

والاستفهام فى أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج الى تفكير يقع به هذا الجواب
فى موقعه ، وكرر هذا السؤال عن أشياء ينتفعون بها ويحسونها ومحتاجون اليها
، فلو عندهم عقل رشد لا عقل ادراك فقط لآمنوا ، قال تعالى

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ

مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا

لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

العنكبوت ٦٣

(١) انظر أسلوب الدعوة القرآنية : ١٧٢ .

"فحمد الله على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته" (١) ولكن لا يعقلون
هذه الحجج ولا يتدبرونها ، فالحمد لله على اقرارهم بذلك ، وهذا من الزامهم
الحجة كما سيأتى فى الجدل .

(١) احكام القرآن للقرطبي : ٣٦١/١٣

المبحث الرابع : الجمع بين الحكمة والموعظة

وقد يجمع بين أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، وذلك في الأمثال والقصص ، فأولا الأمثال :

الأمثال : جمع مثل : " وأصل المثل الانتصاب ، والمثل المصور على مثال غيره ، يقال مثل الشيء أي انتصب ، وتصور ، ومنه الحديث (من أحسب أن يمثل له الرجال فليتبوا مقعده من النار) . (١)

والمثل عبارة عن قوله في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبيِّن أحدهما الآخر ويصوره . (٢)

والمثال مقابلة شيء بشيء هو نظيره ، أو وضع شيء ما ليحتذى به فيمما يفعل ، ومنه ما حصل للأنبياء وأقوامهم ، فقد قص الله علينا من أخبارهم لنحتذى بمن أطاع الرسل فنجوا مثلهم ، قال تعالى عن نوح :

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

* العنكبوت ١٥ *

ونترك سبيل من عصى حتى لا نهلك مثلما هلكوا ، قال تعالى عن قوم لوط ولَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾

(١) سنن أبي داود : ٣٩٨/٥ ، الأدب باب في قيام الرجل للرجل ، المسند : ٩٣/٤ ، ١٠٠ ، شكل الآثار للطحاوي : ٤٠/٢ ، سنن الترمذي : ٩٠/٥ ، أدب ماجاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، الأدب المفرد : ٢١٠ رقم ١٠٠٦ ، الكنى للدولابي : ٩٥/١ ، المنتخب لعبد بن حميد : ٣٨٠/١ رقم ٤١٣ .

(٢) المفردات في غريب القرآن : ٤٦٢ ، .

وضرب الأمثال أسلوب من أساليب الدعوة الإسلامية كيف لا وهي : "تقرب المعقول من المحسوس ، وأحد المحسوسين من الآخر" . (١)

فتكون ماثلة بخاطر الانسان أى شاخص ينأس به ويتعض ويخشى ويرجو" . (٢)

وهي تجمع بين أسلوبى الحكمة والموعظة الحسنة ، كما أنها لافتة للانتباه ، وقد

وَتِلْكَ

قال تعالى :

الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

* العنكبوت ٤٣ *

فما يفهمها ويتدبرها على ما ضربت له وتتعلق في قلبه (الا العالمون) وهم أهل العلم الحقيقي الذى وصل العلم الى قلوبهم (٣) ، وهذا تمييز لها عن غيرها وبيان أن لها أثرا عميقا في النفوس ، وأنه ينبغي للانسان أن يصفى لها ليكون ممن مدح الله عز وجل بكونه من أهل العلم ، فعن عمرو بن مرة (٣) قال : " ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها الا أحزنتنى ، لأننى سمعت الله تعالى يقول :

وَتِلْكَ

الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ أه (٤)

* العنكبوت ٤٣ *

(١) أعلام الموقعين : ١٥٠/١

(٢) انظر تيسير الكريم المنان فى تفسير كلام الرحمن : ٨٩/٦

(٣) هو : عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق بن الحارث بن سلمة بن كعب بن وائل أرسل عن ابن عباس وغيره ، ورد عن سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير وغيرهما ، كان ثقة ، مؤمنا ، ت سنة ١١٦ هـ . سير أعلام النبلاء : ١٩٦/٥

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٦٦٠/٣ ، الدر المنثور : ١٤٥/٥ .

فهكذا كان دأب السلف حرصهم على الخير وحزنهم على فواته ، فإهل العلم يعرفون قيمة الأمثال لاعتناء الله بها وحث عباده على تعقلها وتدبرها فيبدلون جهدهم في معرفتها لأنها تستعمل في الأمور الكبار والمطالب العلية والمسائل الجليلة ، ولهذا كثيرا ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها (١) فهي من هذا الباب من الحكمة ، والله عز وجل اعتنى بضرب الأمثال في كتابه الكريم ، وكذلك اعتنى بها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وماذا لك إلا لما لها من الفوائد العظيمة ، كما أن فيها ترغيبا وترهيبا ، وزجرا ، وهذا من الموعظة الحسنة .

فوائد الأمثال

ولما للأمثال من هذه المكانة الرفيعة حاول العلماء استخراج ما فيها من الفوائد ، واستخلاص ما فيها من الحكم ، وخاصة ما نحن بصدد ها وهي أمثال القرآن الكريم ، فضرب الله الأمثال في القرآن تذكيرا ووعظا ، فما اشتمل منها على تفاوت فسي ثواب أو على احباط عمل أو على مدح أو ذم ، أو نحوه ، فانه يدل على الاحكام ، وهي تغيد أمور كثيرة منها : التذكير ، والوعظ ، والحث ، والزجر ، والاعتبار ، والتقريب ، وتقريب المراد للعقل ، وتمويهه بصورة المحسوس . (٢)

كما أن في الأمثال " تبيكت للخضم الألد وقع لسورة الجامع العصى " . (٣)

وأمثال القرآن " وعد الله عز وجل بها وأوعد وحرم وأحل ، ورجى وخوف وقرع بها المشركين وجعلها موعظة وتذكيرا ، ودلل بها على قدرته مشاهدة وعيانا ، وعاجلا وآجلا " . (٤)

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٨٩/٦

(٢) الاتقان في علوم القرآن : ٣٩/٤

(٣) انظر الكشاف للزمخشري : ٣٧/١ .

(٤) امثال الحديث للرامهرمزي ، ص ٥٠ . عبد العلي الأعظمي : ٥٠ .

ومن هذه النقول عن العلماء " وبالنظر الى ماورد في القرآن الكريم من الأمثال *
يتبين أن من أهم أغراض الأمثال ماياتى :-

١ - أنها تبرز المعقول في صورة المحسوس فيقبله العقل ، ومثال ذلك المشمل
الوارد في السورة قال تعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ

أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
أَتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

* العنكبوت ٤١ *

فاتخاذ الولي شي معقول فاذا كان غير الله فهو تافه ، وشبهه الله تفاهته بشي
محسوس وهو بيت العنكبوت الذي لا يقى حر ولا برد .
ومن أغراض الأمثال :

٢ - أنها تضرب للترغيب في عمل الخير كما قال تعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ
لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾

* البقرة ٢٦١ *

٣ - كما تضرب للترهيب والتنفير من أعمال المنكر ، كما قال تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَحْسَبُوا بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا يَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

* الحجرات ١٢ *

٤ - ومن أغراض الأمثال المدح لمن فعل شيئا يستحق المدح عليه كما قال تعالى
في شأن الصحابة :

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرْتَبُهُمْ رُكْعًا يَسْجُدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ
فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سَوْقِهِ، يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

* الفتح ٢٩ *

٥ - كما تضرب الأمثال للذم والتحقير كالمثل الوارد في السورة :

مَثَلُ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنْ أَوهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

* العنكبوت ٤١ *

أقسام الأمثال

للأمثال الواردة في القرآن الكريم قسمان كما قال السيوطي :

١ - ظاهر مصحح به .

٢ - وكان لا ذكر للمثل فيه .

فمن الأول المثل الوارد في السورة .

وأما الثاني وهي الكامنة فقد سئل الحسين بن فضل ^(١) عن عدة أمثلة

سائرة من أمثال العرب والعجم وأنه يخرجها من القرآن ، فسئل عن خير الأمور

(١) هو : ابن عمير العلامة الفسر اللغوي المحدث النيسابوري ، ولد قبل ١٨٠ هـ

، وكان فصيح اللسان ، سمع يزيد بن هارون ، واسماعيل بن ابان وغيرهما

وحدث عنه محمد بن عبد الله بن المبارك ، ت ٢٨٢ هـ . (سير أعلام

النبلاء : ٤١٤/١٣)

أوسطها قال نعم في أربعة مواضع ، منها قوله تعالى : ^(١) **قَالُوا**

**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۗ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ
وَلَا بِكُرْعَوَانٌ بَيْنَ يَدَيْكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴿٦٨﴾**

" البقرة ٦٨ "

وبعض العلماء يرى أنها ثلاثة أقسام هي :-

- ١ - الأمثال المصرحة وهو القسم الأول عند السيوطي .
- ٢ - الأمثال الكامنة .
- ٣ - الأمثال المرسلة .

وهذان القسمان هما القسم الأول عند السيوطي ، فان الأمثال الكامنة التي
لا ذكر للمثل فيها هي تأتي مرسلة ، والأمثال المرسلة وهي تجمل أرسلت
إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه الا أنها آيات جارية مجرى الأمثال ^(٢) من
ذلك قوله تعالى :

الْكُنْ حَصْحَصَ

الْحَقُّ أَنَا رُودْتُهُ دَعَنَ نَفْسِهِ ۗ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾

" يوسف ٥١ "

وذكر السيوطي في كتابه جملة من هذا النوع من آيات الكتاب العزيز ، وقال

ان هذا النوع البديعي المسمى بإرسال المثل ^(٣) .

والمثل الوارد في السورة من القسم الأول فقد صرح بذكر المثل والمثل به

ووجه التمثيل .

(١) انظر الاتقان في علوم القرآن : ٤١/٤

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن : ٢٨٦

(٣) انظر الاتقان في علوم القرآن : ٤٣/٤ .

وقد بين الله في هذا المثل حقارة ما عبد من دون الله وأنه لا يساوى عند الله شيئا .

شرح المثل الوارد في السورة :

بعد ما تحدث الله تعالى عن الفتنة والابتلاء ، وأنه لا بد منها لكل أحد بين سبحانه أن الذين لا يصبرون على الفتنة ويلوذون بينة ويسرة يبحثون عمن ينقذهم وفي الحقيقة لا منقذ لهم الا الله ، كما قال صلى الله عليه وسلم في الدعاء المأثور : (لا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك) .^(١)

فمن وصلت به الفتنة الى الاعتماد على غير الله وأودت به الى الشرك الذي هو أكبر فتنة فان اعتماده هذا لا يضمن ولا يغني عن جوع ، فهو كمثل بيت العنكبوت الذي لا يقى في حر ولا برد ، وهو عرضة للزوال بأدنى ريح .

والعنكبوت : " دويبة معروفة تنسج لنفسها في الهواء بيتا رقيقا ضعيفا لا يغني عنها شيئا " .^(٢)

والمعنى أن حال هؤلاء المشركين الذين اتخذوا من دون الله تعالى أصناما يعبدونها ويرجون نفعها وشفاعتها .

كحال العنكبوت في اتخاذها بيتا ضعيفا مهلهلا لا ينفعها لا في حر ولا في قر ، ولا يدفع عنها شيئا من الأذى .

والمقصود من المثل تجهيل المشركين وتقريرهم حيث عبدوا من دون الله

(١) جزء من دعاء يقال عند النوم ، صحيح البخاري : ٦٧/١ ، كتاب الوضوء باب فضل من بات على وضوء ، والدعوات : ١٤٧/٧ ، باب اذا بات طاهرا ، والتوحيد : ١٩٦/٨ باب قول الله تعالى ((أنزله بعلمه)) صحيح مسلم : ٢٠٨٢/٤ الذكر باب ما يقول عند النوم وأخرجه أحمد وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والدارمي .

(٢) انظر لسان العرب : ٦٣٢/١ عنكب .

تعالى آلهة هي في ضعفها ووهنها تشبه بيت العنكبوت ، وأنهم لو كانوا
من ذوى العلم لما عيدوا تلك الآلهة * (١)

فمن اتخذ من دون الله وليا يتمززه ويتكبره ويستنصر لم يحصل له بـ
الاخذ مقصوده . وهذا من أحسن الأمثال ، وأدلىها على بطلان الشرك
وخسارة صاحبه . (٢)

والكفار يعلمون بيت العنكبوت ووهنه ، فالله بين حالهم بحال ما يعلمونسه
من الضعف والوهن ولكنهم لا يعلمون ضعف آلهتهم فاستهجنوا هذا الشـ
وأشباهه في القرآن كالذى فيه النحلة والذباب ، واستخفوا بذلك وحقـ
، وقالوا : هذا ليس من كلام حكيم ، وذلك لفرط جهلهم و حماقتهم (٣) فبين
الله عز وجل أن عقولهم لم يستخدموها فيما خلقت له ، ولذلك بين أن ما يعقل
هذه الأمثال الا أهل العلم والبصيرة ، قال تعالى : **وَتِلْكَ**

الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

* العنكبوت ٤٣ *

ثانيا : القصص :

وما جمع فيه بين الحكمة والموعظة الحسنة القصص ، فما يرفيها من دعوة الأنبياء
والمصلحين لأقوامهم بالحسنى والرفق واللين والتلطف فى القول كل هذا من الحكمة
وماتشتمل عليه من نجاة للمؤمنين ، وهلاك للعصاة والملحدين ، وهذا ترغيب
وترهيب من باب الموعظة الحسنة ، والله سبحانه وتعالى اعتنى بالقصص فى
كتابه الكريم ، كما اعتنى بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما ذلك الا لأهميتها

(١) انظر التفسير الوسيط : ٤٥ / ٢٠

(٢) انظر أعلام الموقعين : ١٥٤ / ١

وانظر تفسير كلام المنان : ٨٧ / ٦

(٣) انظر الكشاف : ١٩١ / ٣

وقد يشكل على بعض الناس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو : (الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر) .^(١)

ولكن يزول هذا الاشكال اذا علم أن المؤمن على ما هو فيه بالدنيا من العسرة والنصر بالنسبة الى ما يلاقه عند الله في الجنة من النعيم المقيم كأنه كان في سجن ، أما الكافر لما هو فيه في هذه الدنيا على أى حال كان بالنسبة لما أعد الله له من الجحيم والنكال العظيم فكأنه في جنة .^(٢)

البحث الثالث

هل للمسلم أن يستدعى البلاء على نفسه

تقدم في حكمة الابتلاء والفتن أن فيها أجرا عظيما وتكفير للسيئات ، فهـل للمسلم أن يستدعى البلاء على نفسه طلبا لهذا الفضل العظيم ، أو يترك ما أوجبه الله عليه خوفا من الفتنة ؟

وهذا يرجع الى الحكمة في الأمور والعمل لكل وقت بما يناسبه فالمتبع لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم " وهو أكمل المؤمنين ايمانا وأقوى توكلا ، وأعظم داعية ، يرى أنه لا يستدعى البلاء على نفسه ، ولا يترك ما أوجبه الله عليه ، وإنما جمع بين التوكل والعمل بالأسباب كما تقدم " .^(٣)

فقام بالدعوة الى الله خير قيام حسب مقتضى الظروف والأحوال المقرونة بحكمة الله ، وأمره ، وشرعه .

(١) صحيح مسلم : ٢٢٧٢/٤ كتاب الزهد حديث (١) ، سنن الترمذى : ٥٦٢/٤ كتاب الزهد باب ماجاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، سنن ابن ماجه : ١٣٧٨/٢ ، كتاب الزهد باب الهم بالدنيا (٣) ، مسند أحمد : ٣٢٣/٢ - ٣٨٩ .

(٢) انظر النووي على مسلم : ٩٣/١٨ .

(٣) تقدم في باب التوكل - والقضاء والقدر ص : ١٤٥ من هذا البحث .

وتأثيرها لذلك استنيط العلماء بعض فوائدها ، فمن ذلك :-

١ - بيان المهمة من خلق الانسان ، وما هو الواجب عليه وهو اخلاص العباداة لله وحده ، انظر الى قوله سبحانه :

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

* العنكبوت ١٦ *

وانظر الى تعميم ذلك في جميع دعوات الرسل عليهم السلام ، قال

سبحانه :
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

* الأنبياء ٢٥ *

٢ - تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت قلبه وقلوب المؤمنين من أمته
الداعين الى هديه صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

* العنكبوت ١٤ *

وهذا تفصيل لقوله سبحانه في أول السورة :

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾

* العنكبوت ٣ *

يقول ابن كثير رحمه الله عن قصة نوح ^{عليه السلام} : هذا تسليية من الله تعالى لعبده

ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يخبره عن نوح عليه السلام ، أنه مكث في قومه هذه
المدة يدعوهم الى الله تعالى ليلا ونهارا ، وسرا وجهارا ، ومع هذا ما زادهم
ذلك الا فرارا عن الحق واعراضا عنه ، وتكذيبا له ، وما آمن معه الا قليل ،

ولهذا قال تعالى : **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ**
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

" العنكبوت ١٤ "

أى بعد هذه المدة الطويلة مانع فيهم البلاغ والانداز ، فأنت يا محمد لاتأسف على من كبريك من قومك ، ولا تحزن عليهم فان الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، وييده الأمر واليه ترجع الأمور . (١) أهـ . قال تعالى : **وَكَلَّا نَقْصُ**

عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ أَهْلَ بَيْتِنَا وَمَا لَنَا بِبَيْتِنَا مِنْ حَكِيمٍ
إِلَّا الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾

" هود ١٢٠ "

٣ - ومن فوائد القصص : بيان صدق السابقين من الأنبياء وتخليد ذكركم - نفسى صبرهم على الدعوة الى الله ونجاتهم واتباعهم فى الدنيا والآخرة .
٤ - اظهار صدق الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يخبر عن الماضين بما هو صدق وحق مع أنه لم يتعلم على يد أحد قبله من أهل الكتاب وغيرهم ، وبذلك لا يحصل مقارعة أهل الكتاب والمعاندين بالحجة فيما كنموه من البيئات والهدى (٢) ويتبين من ذلك كذلك اظهار صدق ما جاء به من الوحي المنزل ، كما قال تعالى :

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾

" العنكبوت ٤٧ "

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٦٤٨/٣

(٢) انظر مباحث فى علوم القرآن : ٣٠٧ بتصرف .

الكررتها كما نرى

٥ - لفت انتباه السامعين وشد أذهانهم ، وذلك بحبهم الى معرفة النتيجة فتعمل اليها نفوسهم ، وتذهب عنهم السآمة والملل ، فيتمكن الداعية بذلك أن يصل الى أعماق القلوب .

٦ - بيان موقف المكذبين المعاندين من اعراض وتبجح عن الحق في كل الدعوة وبيان ما لهم أنه الخسارة والهلاك واليوار .

وفي هذه السورة ورد ذكر بعض الأنبياء والاشارة الى قصصهم بايجاز كما عرض في غير هذه السورة بعرض آخر وليس هذا تكرر .

يقول ابن تيمية عند ذكر قصة موسى : " وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر ، كما يسمى الله ورسوله بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر ، وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل : أسماء النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل : محمد ، وأحمد ، والهاشر ، والعاقب ، والمعقبي ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر ، وان كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة .

وكذلك القرآن وكذلك أسماء الرب تعالى

وكذلك في الجملة التامة ، يعبر عن القصة بجمل تدل على معاني فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معانٍ أخرى ، وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاها متعددة ، ففي كل جملة من الجمل معنى ليس في الجمل الأخرى (١) أهـ

فمن حكمة التكرار في القصة القرآنية :

١ - أنها تدل على بلاغة القرآن في أعلى مراتبها ، حيث يبرز المعنى الواحد في صور مختلفة فالقارىء لا يمل من القصة فانه كلما قرأها وكررها في موضع آخر

تجدد في نفسه معاني لا تحصل له يقرأ فيها في المواضع الأخرى .

٢ - الدلالة على قوة الإعجاز في القرآن حيث يرد المعنى الواحد في صور

متعددة مع عجز العرب عن الاتيان بها وهم أهل الفصاحة .

٣ - التكرار يدل على الاهتمام بها وتأكيد لها خاصة أن قصص القرآن عبرة للنفس

الانسانية حيث يدور حول الصراع بين الحق والباطل .

٤ - اختلاف المقامات والأحوال التي تساق لأجلها القصة فتختلف من موضع

لآخر حسب الغاية التي تساق من أجلها . (١)

وقصص القرآن فيها معاني بليغة وعظات وعبر تكفي عن القصص والحكايات

الاسرائيلية المختلفة ، وقد حصل في العهد الاسلامي قصص بعيدة عن الواقع

والخيال ، وكان لها شأن على غير ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

وصحابه .

أخرج ابن أبي شيبة (٢) في المصنف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لم يقم في

زمان أبي بكر ولا عمر وإنما كان القصص زمن الفتنة " . (٣)

كما أخرج عن نافع أنه قال : " لم يكن قاص في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

ولا زمن أبي بكر ولا زمن عمر ولا في زمن عثمان " . (٤)

(١) انظر مباحث في علوم القرآن ص ٣٠٨

(٢) هو عبد الله بن محمد بن القاسم بن أبي شيبة ابراهيم بن عثمان بن خواستى ، صاحب

المؤلفات (المسند ، والمصنف ، والتفسير) من أقران : أحمد ، واسحاق ، والمدين

في السنن والمولد والحفظ ، سمع منه عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهما .

حدث عنه أبو داود وابن ماجه وهو صدوق ثقة ، ت ٢٣٥ هـ ، سير أعلام النبلاء

١٢٢/١١ : .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة : ٥٥٨/٨ رقم (٦٢٤١) .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة : ٥٦١/٨ رقم (٦٢٥٣) .

وانظر سنن ابن ماجه : ١٢٣٥/٢ ، الأدب باب القصص (٤٠) حديث :

٠ (٣٧٥٤)

ومن هذين النصين تبين لى أنه لم يكن للقصى مجلس خاص ودرس خاص فى الصدر الأول ، والا فقد حصل من الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتى بالقصى فى معرض حديثه أحيانا اما مبهمه الأسماء أو معلنة ، مثال ذلك ما قصه صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأخدود .^(١)

وكقصة النفر الثلاثة الذين أوامهم الفار .^(٢)

وما قصه صلى الله عليه وسلم من خبر الدجال كما تقدم فى الفتن .^(٣)

وكما حصل للرسول صلى الله عليه وسلم من أحداث ، وهى قصص واقعية تقوى ايمان المؤمن كقصة شق الصدر والاسراء والمعراج^(٤) ، والهجرة .

وهذه القصص التى حصلت للرسول صلى الله عليه وسلم تكون من الحكمة فى دعوة المؤمنين ببيان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنها تورث فى النفوس محبته واتباع نهجه والسير على طريقته ، فيما شرع ، فالقصص المنهى عنه هو ما اشتمل على الكذب ، والوهم الذى لا حقيقة له ، كالاسرائيليات التى تؤخذ للحرفة والسدالة وتغليب باطل على حق .

ما تقدم من الحكمة والموعظة الحسنة كله فى فى دعوة المؤمنين الذين يقبلون الحق أو أناس خالى الذهن ليس عندهم شبه واعتراضات ، أما اذا كان المدعوون غير مؤمنين ويدعون أنهم على حق اما لتعلقهم بعلم سابق ، أو لجهلهم باعتمادهم على الشرف والجاه والفنى فان هؤلاء ينتقل معهم الى أسلوب آخر وهو الجدل .

(١) تقدمت فى ص : ٢٥٩

(٢) تقدمت فى ص : ٢٦٢

(٣) تقدم فى ص : ٢٥٧

(٤) انظر القصة كاملة فى صحيح البخارى : ٩١/١ الصلاة باب كيف فرضت الصلاة ، الحج : ١٦٧/٢ باب ماجاء فى زمزم ، وكتاب الأنبياء : ١٠٦/٤ باب ذكر ادريس .

صحيح مسلم : ١٤٨/١ ، الايمان باب الاسراء ، مسند أحمد : ١٤٣/٥ .

أسلوب الجدل

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بالجدال بالتي هي أحسن حيث قال سبحانه:

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلْهَانَا وَإِلْهَكُمْ وَحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾
* العنكبوت ٤٦ *

والجدال بالتي هي أحسن الطريق التي تكون أدعى الى الاستجابة عقلا
ونقلا ، وذلك بالاحتجاج بالأدلة التي يعتقدتها الخصم فان ذلك أقرب
الى حصول المقصود لأن المقصود منها هداية الخلق الى الحق لا المغالبة
والمشامة . (١)

* والجدال يكون بايراد المقدمات البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجردها
لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بانكار الباطل ، فانه يشترط في الجدل
أن يسلم الخصم المقدمات وان لم تكن بيينة معروفة فاذا كانت بيينة معروفة كانت
برهانية وهذا من أحسن الجدل . (٢)

وما أن أهل الكتاب يدعون أن عندهم علم وأنهم على دين سابق لذلك
أمر الله سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن حتى يتبين لهم الحق وتتضح
الحجج فان قبلوا والا انتقل معهم الى الجلال .

قال ابن كثير رحمه الله في قوله سبحانه ((الا الذين ظلموا)) * أى حادوا عن
وجه الحق وعموا عن واضح الحجة وعاندوا وكابروا فحينئذ ينتقل من الجسدال

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٢٥٥ / ٤

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ١٦٤ / ١٩ - ١٦٥

الى الجلال ويقاتلون بما يمنعون ويردعهم " . أه (١)

وهذه الحال غالباً ما تكون من ذوى السلطة لا من الأفراد حتى لا تحدث
الفوضى والضرر والفساد . الكبير وفى دعوة أهل الكتاب بيان نماذج لجدالهم . (٢)

وما أن الجدال اذا كان بغير حق وبغير دليل فانه مذموم كما قال سبحانه :

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ

نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ

فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾

" غافر ه "

وهذا من الجدال المذموم ، الا أن الخصم اذا أورد الحجج الباطلة فانه

يرد عليه ويجادل بحجج واضحة ، فاما أن يقتنع أو تقوم عليه الحجة .

وما ورد فى السورة من ذلك قوله سبحانه :

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ

فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ

إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

" العنكبوت ١٠ "

فرد الله عليهم مقولتهم هذه بما يحصل منهم حين الأذى ، فقال سبحانه :

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ

فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ

إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٦٢/٣

(٢) راجع ص : ٤٧٧ من هذا البحث .

فادعاهم الايمان باطل لعدم صبرهم على ماياتيهم في سبيله ، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى عن الكفار وما يدعون اليه :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾

* العنكبوت ١٢ *

وقد رد الله عليهم أن هذا القول مجرد ادعاء ومخاصمة ، وانكار للجـزء الذي يحصل للكفار وأتباعهم لأن الله أثبت في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فبين كذبهم هنا بقوله سبحانه :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾

* العنكبوت ١٢ *

ومن جدال الكفار الوارد في السورة جدالهم في انكارهم الرسالة والقرآن حيث رد الله عليهم انكارهم بما هو معلوم لديهم ، وفي قرارة أنفسهم من أن الرسول كان أمياً لا يقرأ ، ولا يكتب ، ولم يكن له علاقة بأحد في أول حياته ليقال أنه علمه فقال سبحانه :

وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ
وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

* العنكبوت ٤٨ *

فقوله سبحانه : ((وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)) ولسو

كنت كذلك لكان هناك مجال لأن يشك شك ، ويدعى مدعى

ثم أوضح الله دلالة هذا القرآن بأنه آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم

كما قال سبحانه :

بَلْ هُوَ

ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ
بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾

* العنكبوت ٤٩ *

ولكن المعاند يستمر في جداله ويورد الشبهة التي يحاول بها الغلبة

والانتصار لمذهبه الفاسد ، فطلبوا الآيات **تَحْتًا** قال تعالى عنهم :

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ

ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ **عَلَى** قَلِيلٍ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

مُبِينٌ ﴿٥٠﴾

* العنكبوت . ٥٠ *

أى لم تكفهم هذه الآيات الواضحات فبين الله عز وجل أن هذا ليس من خصوصيات

الرسول فالرسول ما عليه الا البلاغ والانداز ، أما انزال الآيات فهو من خصوصيات

الله سبحانه وتعالى ينزلها كيف يشاء ، ومتى شاء ، **عَلَى** قَلِيلٍ

كما رد الله عز وجل عليهم بأنه أنزل أعظم آية وهي هذا القرآن العظيم الذى

أعجزهم أن يأتوا بمثله مع ما أوتوا من فصاحة وبلاغة ، أليس يكفى هذا

آية قال تعالى :

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

يَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتٍ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَاذِكْرَى لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

* العنكبوت ٥١ *

فاذا كان هذا لا يكفيهم فان الله سبحانه يعلم كل ما في هذا الكون كما يعلم ما في نفوس هؤلاء ، وماتكته صدورهم ، كما يعلم نهايتهم نها الخسارة والبيوار، قال

تعالى :
قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

* العنكبوت ٥٢ *

ثم تنتقل المجادلة مع هؤلاء المعاندين الى الزامهم بما يترتب على اعترافهم بقدره الله - فهم اعترفوا بأنه خالق ، مسخر ، منزل المطر ، معى الأرض ، فهذا الاعتراف يلزمهم بأن يصرفوا التوحيد لله لا لأحد غيره ، قال تعالى :

وَلَيْنَ

سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾

* العنكبوت ٦١ *

ثم الآية الأخرى :

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ

مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

* العنكبوت ٦٣ *

ثم ينتقل الى جدال من نوع آخر وهو الجدال بهذه النعم التي أنعم الله بها على هؤلاء المعاندين من نعمة الأمن التي لم تحصل لأحد غيرهم ، ونعم

الانجاء من البحر عند الدعاء ، قال تعالى :

فَإِذَا رَكِبُوا فِي

الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا

هُمْ يَشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾

* العنكبوت ٦٥ *

فكان جزاءً أن كانت مجادلتهم بالتهديد هذه العرة لأنهم عرفوا الحق فلما آمنوا
أعرضوا عنه ، قال تعالى :

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

* العنكبوت ٦٦ *

وبعد أن ذكرهم بهذه النعمة وجادلهم بالقيام بحقها ذكرهم بنعمة الأمن فقال :

أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف

الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴿٦٧﴾

* العنكبوت ٦٧ *

لذلك جاء التهديد :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ

لَمَّا جَاءَهُ آيَاتُ الْبَيِّنَاتِ لِيَكْفُرَ بِهَا وَلِيُنْتَفِئَ لَهَا تَوْبَةً وَإِنَّا لَكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾

* العنكبوت ٦٨ *

ومن الجدل الوارد في السورة جدال الأنبياء لأقوامهم ، فقد ورد عن ابراهيم

أنه جادل قومه فقال الله عنه :

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ

خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن

دُونِ اللَّهِ أَوثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن

دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ

وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَكْذِبُوا

فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ

الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم

يعيده إن ذلك على الله يسير ﴿١٩﴾

* العنكبوت ١٦ - ١٩ *

كما جادل عن لوط حينما رأى ملائكة العذاب وهذا من رأفته ورحمته
كما وصفه الله عز وجل ، فقال :

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾

* هود ٧٥ *

فقال للملائكة :

قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٢﴾

* العنكبوت ٣٢ *

كذلك لوط جادل قومه في سبيل دعوتهم الى الله وامتنال أوامره فقال الله

سبحانه وتعالى عنه :

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ

مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾

* العنكبوت ٢٨ *

ولكن قومه جادلوه بالمكابرة والمعاندة ، حيث قال :

أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا

أَنْ قَالُوا أَأُتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾

* العنكبوت ٢٩ *

وباستعراض ماورد في السورة تبين لى أنه لا تعارض بين الأمر بالجدل والنهى

عنه حيث أن الجدل ينقسم الى قسمين : جدل مدوح أو هو ايراد الأدلة والبراهين

القاطعة لاقامة الحجة على المعاند ولقصد اظهار الحق .

ثانيا : جدل مذموم ، وهو ماكان بغير أدلة وبراهين أو كان بأدلة وبراهين ولكن المقصود

منه الغلبة ، والافحام والمرء بدون فائدة ، كما يأتي في دعوة المؤمنين . (١)

(١) يأتي في ص : ٤٠٢ من هذا البحث .

الفصل الرابع

موانع قبول الدعوة

خاتمة لأساليب الدعوة :

باستعراض أساليب الدعوة الواردة في السورة من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، تبين أن الله سبحانه وتعالى دعى الخلق الى توحيده والايان به بشتى الوسائل والأساليب التى تتناسب مع عقولهم وادراكاتهم .

ومن استجاب ودعى الى ماوجده من هذا الخير فهو من أحسن الناس وأفضلهم عند الله عز وجل ، كما قال سبحانه :

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ

إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

* فصلت ٣٣ *

لذلك من يقومون بالدعوة الى الله لا بد أن يتصفوا بصفات تؤهلهم للقيام بهذا الأمر العظيم ، كما سيأتى .

وقد استمرت الدعوة ، ففي كل زمان يهيب الله من يقوم بها ويدعوا الى دينه ، ويبين للناس أمور دينهم .

ومع أن العقل هو محل الادراك الذى يدرك به الانسان به مايراد منه ويتذكر ويتعظ ويستفيد من الدعوة لذلك أمر الله بالمحافظة عليه وصيانته ، فحرم الخمر وكما يذهب العقل . وكما أمر باستعماله فى ماخلق له ، من عبادة الله وتوحيده ، لذلك نفى العقل عن الذين لا يتدبرون ولا يتعظون بآيات الله ، قال تعالى :

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ

بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

* البقرة ١٧١ *

فنفى عنهم العقل ، مع أنهم يحمون الديار والذمار ، ويجلبون العيش لأهلهم^١ وأولادهم في هذه الحياة الدنيا ولكن هذا لا يغنى عنهم من الله شيئاً إذا لم يخلصوا العبادة لله ، ولم يستخدموا العقل فيما خلق له ، وأسباب هذا الاعراض أن العقل له موانع تمنعه من قبول الحق والاستنارة به ، فما ورد في

السورة من ذلك تزيين الشيطان كما قال سبحانه :

وَعَادَاوَتْهُمُ أُوقَادٌ تَبَيَّنَ

لَكُمْ مِنْ مَسَكِينِهِمْ^٢ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

* العنكبوت ٣٨ *

فلما لم يحرسوا عقولهم بالعلم النافع والعمل الصالح لعب الشيطان

بها وزين لهم الباطل .

ومن الموانع حب التعالي والتكبر والافساد في الأرض كما حصل لفرعون

وقارون وهامان ، قال تعالى :

وَقَرُونُ وَفِرْعَوْنُ وَهَمَانُ^٣ وَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى

بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾

* العنكبوت ٣٩ *

وكذلك من الموانع حب الشرف والجاه كما حصل لكفار قريش^(١) ، وكذلك الحسد

كما حصل لليهود كما في قصة حمي بن أخطب وأخيه .^(٢)

ومن موانع العقل كذلك حب الشهوة والغرق فيها حتى تؤدي بصاحبها

أن يضعها في غير موضعها ، كما حصل لقوم لوط ، قال تعالى :

أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ

فِي نَادِيكُمْ^٤ الْمُنْكَرَ^٥ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا

أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤١﴾

* العنكبوت ٤١ *

(١) تقدم دليل على ذلك ص : ٢٧٢٢

(٢) تقدم مثال ذلك في ص :

فاتيانهم الرجال هو لأجل الشهوة ، وهي التي منعتهم من قبول الحق

، قال تعالى :

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ

شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

• الأعراف ٨١ •

ومن الشهوة حب التمتع بالدنيا ، قال تعالى :

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

• العنكبوت ٦٦ •

فعلى الداعية أن يواجه هذه الموانع ويعالجها ويصبر على أهلها ، ولا ينتظر

النتائج فان هذا بيد الله سبحانه كما فعل الأنبياء والدعاة قبله .

الباب الثالث

الدعاة في السورة

وينقسم

الى مقدمة وستة فصول :

المقدمة	: أهم صفات الدعاة .
الفصل الأول	: نوح عليه السلام
الفصل الثاني	: ابراهيم عليه السلام
الفصل الثالث	: لوط عليه السلام
الفصل الرابع	: شعيب عليه السلام
الفصل الخامس	: محمد صلى الله عليه وسلم
الفصل السادس	: ما أجمل ذكره من الأنبياء في السورة .

الباب الثالث

الدعاة في السورة

الدعوة أمر جسيم وفضلها عند الله عظيم لا يقوم بها الا الاكفاء من الخلق ، لذلك
اختار الله لها أفضل الخلق وهم الرسل ، كما قال تعالى : وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِحَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

* الأنعام ١٢٤ *

وقال سبحانه :

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾

* الحج ٧٥ *

* والاصطفا هو : الانتقاء والاختيار . (١)

ومن أهم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الداعية :

أولا : الاخلاص لله عز وجل ، وقد تقدم الكلام عليه وأنه مطلوب في كل عبادة لله
عز وجل .

ثانيا : المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فعلى الداعي أن يعتقد أنه وارث لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم في نشر سنته وهديه راجيا ما عند الله وهذا أحفز للدعوة

والاستمرار فيها ، قال تعالى :

قُلْ هَذِهِ

سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ

* يوسف ١٠٨ *

اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

(١) انظر لسان العرب : ٤٦٣/١٤ صفا .

ولا تتحقق التابعة الا بالعلم . .

ثالثا : العلم بشريعة الله التي يدعو اليها ، والعلم بأحوال من يدعوهم ، فقد

قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام : **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن**

دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن

دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ

وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَهِ تَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾

* العنكبوت ١٧ *

فابراهيم يعلم عن قومه كذبهم وخلقهم الافك ، كما يعلم تفاهة المعبودات من دون

الله ، ومن قبل ذلك كله يعلم أن المستحق للعبادة هو الله وحده دون سواه .

وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم معاندا الى اليمن وأعلمه بحال القوم

الذين سيقدم عليهم ، وأنهم أهل كتاب وأعلمه كيف يدعوهم ، فقال له : (انك

ستأتى قوما من أهل الكتاب ، فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله

الا الله وأن محمدا رسول الله ، فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله

قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم

أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فان هم

أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين

الله حجاب) . (١)

(١) صحيح البخارى : ١٠٩/٥ كتاب المغازى باب بعث أبى موسى ومعاندا الى

اليمن ، واللفظ له . والتوحيد : ١٦٤/٨ باب ماجاء فى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الى التوحيد .

صحيح مسلم : ٥٠/١ - ٥١ الايمان باب الدعاء الى الشهادتين

، سنن أبى داود : ٢٤٢/٢ ، الزكاة ، والترمذى : زكاة وغيرهم .

رابعاً : الصبر ، فهو من أهم صفات الداعية الى الله عز وجل فقد مكث نوح نسي
قومه ألف سنة الا خمسين عاماً ، قال تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

* العنكبوت ١٤ *

وجميع الرسل صبروا على أذى قومهم وتحملوا كل ما يصيبهم في سبيل الدعوة
لذلك لا بد مع الصبر من الحلم واللين والرفق لكي يعاود الدعوة ، ويستمر مع
المدعوين ولا يبأس من حالهم ، فهذا ابراهيم عليه السلام بعدما خرج من النار
سالما لم يترك قومه ولم يقل لا فائدة منهم ، بل استمر على دعوته لهم ، قال
تعالى عنه : **وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ**

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَرْمِيهِمُ الْقِيَمَةُ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ

* العنكبوت ٢٥ *

وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

خامساً : الحكمة ، وقد تقدم انها أسلوب من أساليب الدعوة ، لذلك لا بد للداعية
أن يكون حكيماً يستعمل الأساليب المناسبة للحال والمقام ، فالناس يختلفون
في الفهم والعلم ولين الجانب وغلظة ، فعلى الداعية أن يستعمل مع كل
شخص ما يناسبه ويكون أدهى لقبوله وانقياده .

ومن الحكمة التدرج في الدعوة ، وقبول ما عند المدعو من الحق والتدرج معه

شيئاً فشيئاً حتى ننتشله من الباطل برفق .

ومن الحكمة التفريق بين الجاهل والمعاند .

ولينظر الى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته ، فعن أنس بن مالك

رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

از جاء أعرابي ، فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم : مه مه ^(١) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزرموه . دعوه)

(١) كلمة زجر وهي اسم مبنى على السكون وأصلها ما هذا ، ثم حذف تخفيفاً .

فتركوه حتى بال ، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له : (ان هذه الساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ، ولا القذر ، انما هي لذكر الله عز وجل ، والصلاة وقراءة القرآن)^(١) الحديث.

وفى رواية لأحمد : ثم يقول الأعرابي بعد أن فقه (فقام النبي صلى الله عليه وسلم الى - بأبي هو وأمي - فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب)^(٢).

وكذلك ماورد عن معاوية بن الحكم رضى الله عنه قال : بينما أنا أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل امياه^(٣) ، ما شأنكم تنظرون السى ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم ، يصمتوننى ، لكنى سكت فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبى هو وأمي ، مارأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ما كهرنى ، ولا ضربنى ، ولا شتمنى ، قال : (ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، انما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)^(٤).

قال النووى^(٥) : " فيه بيان ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظيم الخلق ، الذى شهد الله تعالى له به ، ورفقه بالجاهل ، ورأفته بأمتة ، وشفقته عليهم وفيه التخلق بخلق صلى الله عليه وسلم فى الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللفظ به وتقريب الصواب الى فهمه .^(٥)

(١) صحيح مسلم : ٢٣٧/١ الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات. واللفظ له . سند أحمد : ١٩١/٣ ، سنن ابن ماجة : ١٧٦/١ الطهارة باب الأرض يصيبها البول ، عن أبي هريرة ، كما رواه مختصرا البخارى ، والنسائى ، والدارسى ، وأبو داود ، والترمذى ، وأحمد .

(٢) سند أحمد : ٥٠٣/٢

(٣) تقدم شرح غريبه وتخريجه ص : ٢٨٣

(٤) تقدمت ترجمته ص : ٢٠٦

(٥) النووى على مسلم : ٢٠/٥ .

والأمثلة كثيرة . . .

سادسا : القدوة ، فعلى الداعي أن يكون قدوة في فعله في خلقه في كل شئ ، يدعو اليه لأن عامة الناس يقتدون به ويظنون أن أى فعل يفعله أنه مأمور به وأن أى شئ يتركه يظنونه منهى عنه ، فتهاون الداعي بطاعة الله ليس كتهاون غيره لأنه قدوة للناس ، فتى رأوه متهاونا صاروا مثله أو أشد ، لذلك قد يكون الشئ المستحب واجبا في حق الداعي ، اذا توقف ظهور السنة على فعله اياه . (١)

وقد قال تعالى عن شعيب :

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

* هود ٨٨ *

وقال سبحانه :

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

* البقرة ٤٤ *

وكما ورد من اقتداء الصحابة بالرسول صلى الله عليه وسلم واتباعهم لسنة ، وما ورد في ذلك ما كان في صلح الحديبية ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قضية الكتاب ، قال لأصحابه : (قوموا فانحروا ثم احلقوا) قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة يا نبي الله

(١) مقال للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، في مجلة كليتي الشريعة وأصول الدين

بالقصيم ، عدد ٢ سنة ٢ ، عام ١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ ص : ١١٦ .

أحب ذلك ، أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعوا
حالك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ، ودعا حلقه
فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم
يقتل بعضا (١) .

هذه أهم صفات الداعية التي ينبغي أن يتحلى بها حتى ينجح في دعوتها
ويغوز بما عند الله عز وجل .

وانظر الى ماورد عن بعض الدعاة في هذه السورة ، فقد ورد ذكر عدد من
الأنبياء عليهم السلام وهم الدعاة القدوة في هذه السورة وذكر حالهم من
أقوامهم باجمال الا ابراهيم عليه السلام ، فقد ورد عنه بعض التفصيل ، والأنبياء
هم خيرة الدعاة الى الله حيث بلغوا ما أنزل اليهم من ربهم ونصحوا الأمم فهم
قدوة لنا نستنير بدعوتهم ونسير على منهجهم ، وكانت دعوتهم متفقة جميعا على
توحيد الله واخلاص العبادة له دون سواه ، كما قال جل وعلا :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

* الأنبياء ٢٥ *

ولكن يختلف أسلوب دعوتهم حسب طبيعة أقوامهم وما يتطلبه واقعهم فلننظر
الى السورة وماورد فيها من هذه الأساليب النبوية المباركة .

(١) جزء من حديث صلح الحديبية الطويل ، انظر تمامه في صحيح البخارى :

١٨٢/٣ ، كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ، مسند أحمد :

٣٢٦/٤ - ٣٣١ .

الفصل الأول

نوح عليه السلام

ذكر الله عز وجل قصته في هذه السورة باجمال وإيجاز وتبين منها موقفه

مع قومه وليثه فيهم وموقف قومه منه ، قال تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾
فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

* العنكبوت ١٤-١٥ *

وتبين لي من قصة نوح عليه السلام عدة فوائد منها :

١ - أن نوحا عليه السلام رسول من عند الله لم يكن مفتريا ولا كاذبا وأنه أول رسول الى أهل الأرض بعد أن عبدت الأصنام وانتشر الشرك في الأرض ، قال تعالى :

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾

* الأعراف ٥٩ *

فأمره قومه باخلاص العبادة لله وحده يدل على أنهم أشركوا معه غيره .

قال ابن كثير : " ان الفساد لما انتشر في الأرض وعم البلاد بعبادة الأصنام

فيها ، بعث الله عبده ورسوله نوحا عليه السلام يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه ، فكان أول رسول بعثه الله الى أهل الأرض " (١) كما ثبت في الصحيحين من حديث الشفاعة (فيأتون نوحا فيقولون

(١) قصص الأنبياء : ١١٦/١

يانوح أنت أول الرسل الى أهل الأرض (١) الحديث .

٢ - الفائدة الثانية في قوله سبحانه :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

* العنكبوت ١٤ *

وهذا يدل على طول المصابرة في سبيل الدعوة الى الله عز وجل ، لأن القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح عليه السلام من أمته ، وما كابدته من طول المصابرة .

والصبر من أهم صفات الدعوة الى الله ، فقصة نوح حثا لهم على الصبر ، فان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أممهم من فنون المكارة وصبروا عليها ، فهم قدوة للدعاة الى الله عز وجل ، وما أحوج

الدعاة الى الصبر .

ولقد كان نوح ^{عليه السلام} مثلاً أعلى في الصبر ، والحرص على جلب الخير لقومه ، فليعتبر بذلك الدعاة الذين يغلب على نفوسهم اليأس ، ولولم يكن لنوح من الآيات الخلقية سوى هذه الآية لكفته دليلاً على تأييده من ربه وصدقه في دعوته . (٢)

٣ - ومن الفوائد أن نوحاً استعمل جميع أساليب الدعوة مع قومه ، حيث أن الله لم يهلكهم الا بعد ماتبين لهم الحق ، وقد أنزل الله سورة في القرآن باسم نوح تبين دعوته لقومه في الليل والنهار والسر والجمهور .

قال ابن كثير : " فذكر أنه دعاهم الى الله بأنواع الدعوة في الليل والنهار والسر والجمهور ، بالترغيب تارة والترهيب أخرى " . (٣)

(١) هذا جزء من حديث الشفاعة وهو بتمامه في صحيح البخاري : ٢٢٦/٥ التفسير سورة الاسراء باب ذرية من حملنا مع نوح ، سنن الترمذي : ٦٢٢/٤ صفحة القيامة ، باب ماجاء في الشفاعة ، ابن ماجه : ١٤٤٢/٢ زهد باب ذكر الشفاعة .

(٢) انظر دعوة الرسل الى الله للعدوى - المقدمة (ن) .

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير : (١/١١٨) .

وقال تعالى عنه :

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَعَٰئِنِّي رَحْمَةً
مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾

* هود ٢٨ *

قال ابن كثير : * وهذا تطف في الخطاب معهم وترفق بهم في الدعوة السي
الحق * . (١)

وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى :

إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

* العنكبوت ١٤ *

أى ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به الا القليل منهم * . (٢)

وهم أصحاب السفينة الذين قال الله عنهم :

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

* العنكبوت ١٥ *

وهم الناس الذين آمنوا به وغيرهم ممن أمر أن يحمل منهم :

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾

* هود ٤٠ *

لذلك ذكر ابن كثير عن جمهور المفسرين أن ارتفاع السفينة ثلاثين ذراعاً ،
وكانت ثلاث طبقات كل واحدة عشرة أذرع ، فالسفلى للدواب والوحوش ، والوسطى
للناس ، والعليا للطيور ، وكان بابها في عرضها ، ولها غطاء من فوقها مطبق
عليها * . (٣)

(١) انظر قصص الأنبياء : ١١٩/١

(٢) " " " : ١٢١/١

(٣) انظر قصص الأنبياء لابن كثير : ١٢٦/١

وكان نوح دعا على قومه ففرقوا الا من آمن لا ينافي صبره عليه السلام
فانه لما استقرأ حالهم بطول لبثه فيهم وأتاه الخبر من الله بقوله سبحانه :

وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

* هود ٣٦ *

٤ - كما نستنتج من الآيات أن أصحاب السفينة كانوا قلة بالنسبة لقوم نوح ، لقوله

تعالى :
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤٤﴾

* العنكبوت ١٤ *

فقوله فأخذهم يدل على أنه الغالب من قومه هم الذين كذبوه ، وقد نص

الله على ذلك في سورة هود :

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾

* هود ٤٠ *

ويؤخذ من ذلك نجاة المؤمنين من الهلاك ورحمة الله بهم ، ونصره لهم

سهما طال الزمن ، وتطاول العهد اذا استمروا على ما هم عليه ، وقد دلل

القرآن على ذلك بآيات وقصص كثيرة ، قال تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ وَأَوَّكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

* الروم ٤٧ *

٥ - ومن الفوائد المهمة في الآيات الموجزة : هلاك من حاد عن الصراط المستقيم

بقوله تعالى : **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ**
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

* العنكبوت ١٤ *

والطوفان هو الماء الذي أرسل عليهم . (١)

ولم يهلكهم الله الا حينما استمروا على ظلمهم ((وهم ظالمون)) .

أما من ظلم ثم تاب فان الله يتوب عليهم ورحمته وسعت كل شيء ، فما أرسل

الرسول وأنزل الكتب الا لأجل أن يعود الناس الى ربهم ويفيئوا الى رشدهم

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة .

وأهم النتائج التي تؤخذ من هذه القصة الموجزة :

١ - ثبوت رسالة نوح عليه السلام .

٢ - صبره في سبيل الدعوة الى الله عز وجل وتحمله أذى قومه .

٣ - جهل قومه وتكبرهم حيث لم يستجيبوا لدعوته المباركة .

٤ - هلاكهم وقطع دابرهم .

٥ - نجاة المؤمنين بالله عز وجل سوا في الدنيا أو الآخرة .

٦ - الاعتبار والاتعاظ بما حصل لهؤلاء والبعد عن سبيل النجاة لمن أرادها .

(١) جامع البيان للطبري : ١٣٦/٢٠ .

الفصل الثاني

ومن الدعاء في سورة إبراهيم عليه السلام

لقد تحدث الله في سورة العنكبوت عن الفتنة والابتلاء^(١) ونزلت في وقت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) والمؤمنون يلاقون أشد البلاء ، وقد بين الله فيهما أن الذين من قبلنا فتنوا فكان منهم خليله إبراهيم عليه السلام الذي نحن بصدده ، فكان هذا من التفصيل المجمل في قوله :

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ

* العنكبوت ٣ *

وكان خليل الرحمن من الصادقين حقا مع شدة ما ابتلى به من عدم استجابة قومه له حتى أقرب الناس اليه وهو أبوه وما أصابه من الأذى في جناب الله حتى ألقى في النار عليه السلام ، وفارق أهله ووطنه ، وترك أهله في أرض قهر لا ماء ولا شجر ، كل ذلك جرى لنبي الله إبراهيم ، صابرا محتسبا ، وهذا من التسليية للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم وثبتت أقدامهم على الحق ، واستمرارهم في الدعوة اليه .

وفي هذه السورة ذكر الله عز وجل دعوته قومه الى توحيد الله وما فعل به قومه ، وما جازاه الله به من أجر في الدنيا وثواب في الآخرة .

وبداية دعوته الى التوحيد تدل على أن قومه كانوا أهل شرك ففي غير هذه السورة جادل قومه عن الكواكب وأنها لا تستحق العبادة ، وفي هذه السورة جادل قومه عن فساد عبادة الأصنام وأنها لا تنفع ولا تضر ولا تقسى من الله شيئا

قال ابن كثير : " والظاهر أن مواعظته هذه في الكواكب لأهل حران ، فانهم كانوا يعبدونها ..

وأما أهل بابل فكانوا يعبدون الأصنام وهم الذين ناظرهم في عبادتها وكسرها عليهم ، وأهانها وهين بطلانها .^(١)

(١) قصص الأنبياء : ١٩٨/١

كما قال تعالى :

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

* العنكبوت ٢٥ *

فأول ما بد به بقومه هو الدعوة الى توحيد الله واخلاء الدين له ونبذ الشرك ورفضه ، وسلك خليل الله أقرب الطرق في المناظرة والمحااجة لاقامة حجة الله ودحض الشرك وباطله وشبهه .

فهو بين أحقية الله في العبادة ، وأنه هو المعبود المألوه وحده .

ولكن القوم على سخافة عقولهم وانحرافها عن الصراط المستقيم ظنوا أن هذه المعبودات خيرا لهم من غيرها ، لذلك تنزل معهم ابراهيم الى مستوى عقولهم ليبين لهم أن عبادة الله خير لهم ، ولا يعنى أن في معبوداتهم خيرا أو أن هناك مقارنة بل لا خير فيها البتة .

ومن المسالك التي سلكها ابراهيم عليه السلام في الدعوة الى توحيد الله بيان تفاهة ما يعبد من دونه وحقارته ، وأنه لا ينفع ولا يضر ، فقال تعالى :

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ
وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

* العنكبوت ١٧ *

وذكر ابراهيم قومه بأقرب شئ الى نفوسهم ونبيهم عليه وهو (الرزق) وأن هذه المعبودات التافهة لا تستطيع أن تملك وتجلب لكم ما به قوام حياتكم ، فما فائدتها ، وما جدواها ، فما لكم سبيل الا أن تطلبوا الرزق من الله وحده لا من أحد غيره ، وحقه عليكم تجاه هذه النعمة العظيمة أن تعبدوه وتشكروا له ، فالمرجع

اليه ، وسيسألكم عن هذه النعمة ، فما جوابكم ، وأنتم قد عبدتم غيره ، وإبراهيم عليه السلام مع حثه قومه باخلاص العباداة لله وجههم أنه لا بد مع العباداة من اقتران التقوى ، فان العباداة قد تكون لله ، ولكن اذا صاحبها خلوص من التقوى فلا يمنع ذلك من انتهاك الحرام اذا خلا به ، والتطاول على الناس وظلمهم بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (أتدرون من المفلس ، قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : ان المفلس من أتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته ، قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) . (١)

فما عمل هذه الأعمال مع أنه يصلى ويصوم الا لعدم التقوى في قلبه .

وفي ثنايا قصة ابراهيم بين الله تكذيب الأمم وجادلهم بالبعث فقال تعالى :

وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَسْأَوْنَ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

* العنكبوت ١٨-٢٣ *

(١) تقدم تخريجه في ص : ٢٩٩ من هذا البحث .

واختلف المفسرون رحمهم الله هل هي من محاجة ابراهيم لقومه أو أنه خطاب
لكفار قريش على لسان محمد صلى الله عليه وسلم .
فقال قتادة : ^(١) وابن جرير : أنه من كلام محمد ، واعتراض في قصة ابراهيم .
وقال ابن كثير : والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام ابراهيم الخليل
عليه السلام يحتج عليهم لاثبات المعاد ، ^(٢) وعلى كل الحالين فان ما ورد من تكذيب
الإيم فان كان من كلام ابراهيم ، فقد كذب قبله قوم شعيب وصالح ونوح وكفى بقوم
نوح امه .

أما بالنسبة للدعوة للايمان بالبعث فهذا ما اتفقت عليه جميع
الشرائع فسواء كان من كلام ابراهيم لقومه فنحن مطالبون بالايمان به والاعتبار
والاعتنا ، أو كان من كلام محمد فانه دعوة للايمان بالله وباليوم الآخر
واجمال لمن كذب من الأمم باليوم الآخر بما فصل في غير هذا الخوض .
والقصص ما ذكر في القرآن الا للعتبة والعبارة كما تقدم ، مع أن الرسول صلى الله
عليه وسلم دعى قومه الى الايمان بهذا الركن من أركان الايمان وهو الايمان
باليوم الآخر .

ولكن بعد هذا الحوار وانقطاع الحجة لجأ القوم الى القوة والمكابرة ودفن الحق
بالباطل ، قال تعالى :

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنْجَيْنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

* العنكبوت ٢٤ *

لقد ضاقوا بابراهيم نزعاً حينما دعاهم الى الله وبين لهم أن الهتهم لا تدفع
عن نفسها ضراً ولا تجلب لها نفعاً حينما كسرها .

(١) هو : قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسي البصري ، روى عن أنس بن
مالك وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وغيرهم ، صدوق ، حافظ ، عادل
مفسر ، محدث ، ضرير ، أمه ، ولد سنة ٦٠ هـ وتوفي سنة ١١٢ هـ . سير أعلام النبلاء

: ٢٦٩/٥

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٠/٣

قال تعالى : **وَتَأْتِيهِمْ آيَاتُ رَبِّهِمْ كَذَاتِ الْبُيُوتِ فَاصْبِرْ لَهُمْ صَبْرًا مِمَّنْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ قَوْمًا يَلْقَوْنَ فِيهَا كِسْفَ الْمَاءِ فَاصْبِرْ لَهُمْ صَبْرًا مِمَّنْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ قَوْمًا يَلْقَوْنَ فِيهَا كِسْفَ الْمَاءِ** ﴿٥٧﴾

فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِذْ أَكْبَرُوا لَهُمْ لَعْنًا كَيْدًا يُرْجَعُونَ ﴿٥٨﴾

• الأنبياء ٥٧، ٥٨ •

وهذا دليل على تغاهة تلك المعبودات ،

قال ابن كثير : " وهذا فيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يعقلون وهو ما حـسـلـ
بآلهم التي كانوا يعبدونها . فلو كانت آلهة لدفعت عن نفسها من أرادها بسوء ،
لكمهم قالوا من جهلهم وقلة عقلمهم وكثرة ضلالهم وخبالهم :

(١) **قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذِهِ أَهْتِنَا إِنَّهُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴿٥٩﴾

• الأنبياء ٥٩ •

فأخذتهم العزة بالاثم وتأمروا على صاحب هذه الدعوة المباركة ، فأجمعوا
أمرهم على احراقه وهذا من أعظم البلاء ، ولكن قوة التوكل والاعتناد على الله
جعلت ابراهيم يتقبل هذا البلاء بصدور حجب .

قال ابن كثير : " وذلك أنهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة
وحوطوا حولها ثم أضرموا فيها النار فارتفع لها لهب الى عنان السماء ، ولم
توقد نار قط أعظم منها ثم عمدوا الى ابراهيم فكثفوه وألقوه في كفة المنجنيق ثم
قذفوه فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاما ، وخرج منها سالما بعد ما مكث
فيها أياما " .

ولهذا وأمثاله جعله الله للناس اماما فانه بذل نفسه للرحمن وجسده للنيران
، وسخا بولده للقربان ، وجعل ماله للضيغان ، ولهذا اجتمع على محبته
جميع أهل الأديان (٢) . أهـ .

(١) قصص الأنبياء : ٢٠٢/١

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٢/٣

فمن قوة توكله واعتماده على الله أنه في حالة تقييدية يقول : (لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك) .^(١)

وقد ورد أنه قال (حسبنا الله ونعم الوكيل) كما قال ابن عباس رضي الله عنه : " حسبنا الله ونعم الوكيل - قالها ابراهيم حين ألقى في النار ، وقالها محمد حينما قيل له :

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخَشَوْهُمْ
فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل^(٢)

" آل عمران ١٧٣ "

فابراهيم لم يسه أذى من النار ، قال ابن عباس وأبو العالية^(٣) : لولا أن الله قال : ((وسلاما على ابراهيم)) لأذى ابراهيم بردها^(٤) .

وفي نجاته من النار آيات لقوم يؤمنون ، كما قال سبحانه :

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ^(٢٤)

" العنكبوت ٢٤ "

فنجاة ابراهيم فيها من الآيات أن الله خالق الأسباب وقادر على سلبها فهو الذي جعل النار مادة للاحراق ، ومقدرته سبحانه سلبها ذلك .

(١) قصص الأنبياء : ٢٠٥ / ١

(٢) صحيح البخاري : ١٧٢ / ٥ التفسير آل عمران باب أن الناس قد جمعوا لكم .

(٣) هو : رفيع بن مهران الرياحي البصري ، حافظ ، مفسر ، مقري ، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب ، وأسلم في خلافة الصديق ، ودخل عليه وسمع من عمرو بن عبد الله وعائشة وغيرهم ، وقرأ على ابن عباس وعمر ، وأبي ، وزيد ، سنة ٩٣ هـ . سير أعلام النبلاء : ٢٠٧ / ٤ .

(٤) قصص الأنبياء : ٢٠٦ / ١ .

قال الشوكاني : " أى دلالات واضحة وعلامات ظاهرة على عظيم قدرة الله
وبديع صنعه ، حيث أضرموا تلك النار العظيمة وألقوه فيها ولم تحرقهم
ولا أثرت فيه أثرا ، بل صارت الى حالة مخالفة لما هو شأن عنصرها من الحرارة
والاحراق ، وانما خص المؤمنين لأنهم الذين يعتبرون بآيات الله سبحانه ، وأما
من عداهم فهم عن ذلك غافلون " . (١)

فالآيات لا تلك هداية ، وانما هى أسباب ، فمن طبع الله على قلبه

فلا تغديه الآيات شيئا ، قال تعالى : قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا تَغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾

" يونس ١٠١ "

وابراهيم عليه السلام لما أظهره الله عز وجل ونصره واتضح التوحيد على يديه
لكل من كان له قلب ، أراد أن يقرر حقيقة ويعذر الى الله عز وجل من قومه
، فاستمر على دعوته لهم ،

قال ابن سعدى ^(٢) بعد ذكر الآيات : " أى لم يزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام
يدعو قومه وهم يستمرون على عنادهم " . ^(٣)

(١) فتح القدير : ١٩٨/٤

(٢) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدى الناصرى التميمى الحنبلى
ولد فى عنيزة ، حفظ القرآن وهو فى الرابعة عشر ، جلس للتدريس وعمره
ثلاثا وعشرين سنة ، له مؤلفات كثيرة منها : التفسير ، وحاشية على الفقه
، الدرة المختصرة فى محاسن الاسلام ، والقواعد الحسان لتفسير القرآن ،
ت : سنة ١٣٧٦ هـ بعنيزة . مشاهير علماء نجد : ٣٩٤ .

(٣) تفسير الكرىم الرحمن فى تفسير كلام المنان : ٨٠/٦ .

قال تعالى : وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

* العنكبوت ٢٥ *

فبين في هذه الحقائق أن هذه المعبودات من دون الله لم يكن عندهم
دليل عليها ، ولا حجة لهم فيها ، وإنما هي لأجل المودة والصداقة بينكم
في هذه الحياة الدنيا ، على قراءة نصب (مودة) ، أما على قراءة رفعها
فمعناه إنما اتخذكم هذا لتحصل لكم المودة في الدنيا فقط .
ولكن هذه المودة سرعان ما تزول لزوال هذه الدنيا ، فلم تكن مبنية على
أساس قوى ، وهو الحب في الله عز وجل كما قال تعالى :

الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾

* الزخرف ٦٧ *

وكما قال صلى الله عليه وسلم : (من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله
، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان) . (١)

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه ما سواه
، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره
أن يقذف في النار . (٢)

(١) سنن أبي داود : ٦٠/٥ السنة باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه ، واللفظ
له . مسند أحمد : ٤٣٨/٣ - ٤٤٠ ، سنن الترمذي : ٦٧٠/٤ صفة القيامة بسبب
٦٠ ، وقال : " هذا حديث حسن " .

(٢) صحيح البخارى : ٩/١ كتاب الايمان باب حلاوة الايمان واللفظ له .
مسلم : ٦٦/١ الايمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الايمان بالترمذي
: ١٥/٥ الايمان باب ١٠ ، وابن ماجه ، وأحمد ، وابن كثير : ٦٥٢/٣ .

ولكن هو لا القوم ليسوا من هذا الطراز ان مودتهم مبنية على شفا جـرف

قال تعالى : **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ رَبِّهِ فَإِنَّهُ ذُو عَرْشٍ عَظِيمٍ**
أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾

* التوبة ١٠٩ *

لذلك يوم القيامة تنقلب المودة بينهم بغضا وشنآنا ، وينكرون بعضا ويتجاهدون

ما كان بينهم* ، ويلعن الأتباع المتبوعين وبالعكس ، قال تعالى

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

* العنكبوت ٢٥ *

ان مالكم ومرجعكم الى الله في يوم القيامة ، فيجازيكم على صنيعكم بالنار ولا أحد
ينصركم في ذلك الموقف فأين المودة بينكم وأين أصنامكم التي اجتمعتم عليها
وصرفتم عقولكم وأبدانكم في خدمتها .

وقوم ابراهيم عليه السلام لم يذكر الله عز وجل أنه أهلكهم بعذاب بل ذكر
اعتزاله اياهم وهجرته من بين أظهرهم " فأما ما يذكر في الاسرائيليات أن الله تعالى
فتح على قومه باب البعوض فشرب دماءهم وأكل لحومهم وأتلفهم عن آخرهم
فهذا التوقف الجزم به على الدليل الشرعي ولم يوجد ، فلو كان الله استأصلهم
بالعذاب لذكره كما ذكر اهلاك الأمم المكذبة " (١)

" وقد يكون سبب ذلك أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم
وأحلمهم وأجلهم فلم يدع على قومه ، ولم يكن الله ليجرى عليهم بسببه عذابا

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٢/٣

عاما ، وسا يوئيد ذلك أنه راجع الملائكة من اهلاك قوم لوط وجادلهم ، ودانسع
عنهم وهم ليسوا قومه . (١)

قال تعالى :

فَلَمَّا ذَهَبَ

عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾

* هود ٧٤ *

قال ابن جرير : (٢) "فجادل ابراهيم الملائكة في قوم لوط أن يتركوا" . (٣)

وقال ابن كثير عند هذه الآية : "وذلك أنه كان يرجو أن يجيئوا أو ينيبوا ويسلموا

ويقلعوا ويرجعوا ، ولهذا قال تعالى :

(٤)

* هود ٧٥ *

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾

ومع أن قوم ابراهيم لم يأتيهم عذاب يستأصلهم في الدنيا إلا أن الله توعدهم

بالخسران على لسان خليفه عليه السلام ، قال تعالى :

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

* الأنبياء ٧٠ *

وقال سبحانه وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم

بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ

وَمَا لَكُم مِّن تَصْرِيحٍ ﴿٢٥﴾

* العنكبوت ٢٥ *

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

(٢) تقدمت ترجمته في ص : ٦٦٤

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٤٧/٢٠

(٤) قصص الأنبياء : ١ / ٢٧٥ .

وبعد هذا الجانب الهام من حياة ابراهيم في دعوته الى الله ، وصبره وتحمله
لم يؤمن به الا لوط وزوجه سارة ، وقد ذكر ابن كثير عن السدى ^(١) أنه قال :
"انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام ، فلقى ابراهيم سارة - وهي ابنة ملك حران-
وقد طعنت على قومها في دينهم ، فتزوجها على أن لا يغيرها" رواه ابن جرير
وهو غريب ثم قال : ثم المشهور أن ابراهيم عليه السلام لما هاجر من بابل
خرج بسارة مهاجرا من بلاده. ^(٢)

ولوط كان مؤمنا موحدا ولكن لما رأى المعجزة الكبرى آمن لابراهيم وصدق
برسالته ، لذلك قال تعالى ((فأمن له)) .

قال أبو السعود ^(٣) في تفسيره : ((فأمن له لوط)) صدقه في جميع مقالاته
لا في نبوته ، وما دعى اليه من التوحيد فقط ، فإنه كان منزها عن الكفر وما قيل انه
آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغى أن يحمل على ما ذكرنا أو على أن يراد
بالايمان الرتبة العالية منها ، وهي التي لا يرتقى اليها الا هم الأفراد الكمل
ولوط هو ابن أخيه عليه السلام ^(٤) . أهـ

(١) السدى هو : اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الامام المفسر أبو محمد الحجازي
ثم الكوفي بالأعور السدى ، أحد موالى قريش ، ثقة ، حدث عن أنس بن مالك
، وابن عباس ، وغيرهما ، وقيل رأى أبا هريرة ، والحسن بن علي ، ت سنة
١٢٧ هـ . سير أعلام النبلاء : ٢٦٤/٥ .

(٢) قصص الأنبياء : ٢١٣/١ .

(٣) أبو السعود هو : محمد بن محمد بن مصطفى العمادى ، المولى ، مفسر ،
شاعر ، ولد بالقسطنطينية ، وتولى فيها القضاء ، والافتاء ، من كتبه : التفسير
، وتحفة الطلاب ، ورسالة في المسح على الخفين ، وقصة هاروت
وماروت ، ت ٩٨٢ هـ .

شذرات الذهب : ٣٩٨/٨ ، الاعلام : ٥٩/٧ .

(٤) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم : ٣٧/٧ .

وانظر روح المعاني : ١٥٢/٢٠ .

وقد آمن مع لوط زوجة ابراهيم سارة ، وكما ورد في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات منهمن في ذات الله عز وجل ، قوله : انى سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وقال بينا هو ذات يوم وسارة ان أتى على جبار من الجبابرة فقيل له : ان هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل اليه فسأله عنها ، فقال : من هذه ؟ قال : أختى ، فأتى سارة ، قال : ياسارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك ، وان هذا سألتنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى ^(١) . الحديث ..

وليس بين الآية ((فأمن له لوط)) وهذا الحديث تعارض قد يفهم من قوله " وأنه ليس اليوم مسلم غيرى وغيرك ، و لوط مؤمن بابراهيم ، وكان المراد من هذا - والله أعلم - أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الاسلام غيرى وغيرك ، فان لوطا عليه السلام آمن به من قومه وهاجر معه الى بلاد الشام " . ^(٢)

هجرته عليه السلام :

قال تعالى : ((فأمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم))
يحتمل عود الضمير على لوط لأنه أقرب المذكورين ، ويحتمل عوده الى ابراهيم ، قاله ابن عباس والضحاك ^(٣) وهو التكى عنه بقوله ((فأمن له لوط)) أى من قومه ^(٤) .

(١) الحديث بتمامه في صحيح البخارى : ١١٢/٤ الأنبياء باب قول الله تعالى :
واتخذ الله ابراهيم خليلا ((واللفظ له ، صحيح مسلم : ١٨٤٠/٤ الفضائل بساب
من فضائل ابراهيم ، أبو داود : ٦٥٩/٢ ، الطلاق باب فى الرجل يقول
لامرأته يا أختى ، مسند أحمد : ٤٠٣/٢ - ٤٠٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٣/٣

(٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالى أبو محمد وقيل أبو القاسم صاحب التفسير ، من
أوعية العلم صدوق فى نفسه ، حدث عن ابن عباس وأبى سعيد الخدرى وابن عمر
وأنس وغيرهم ، ت سنة ١٠٢ هـ . سير أعلام النبلاء : ٥٩٨/٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٦٥٣/٣ .

وقد قال غالب المفسرين كقواده وابن جرير الطبري : "أنهما هاجرا جميعا" .
وعلى كلا الحالين فقد هاجر ابراهيم قيل من كوثى وهى من سواد الكوفة
الى الشام - وكانت معه امراته سارة - ولوط .^(١)
والدليل على هجرته ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لتكونسن
هجرة بعد هجرة الى مهاجر أبيكم ابراهيم صلى الله عليه وسلم حتى لا يبقى نفسى
الأرض الا شرار أهلها وتلفظهم أرضوهم وتقذروهم روح الرحمن)^(٢) . الحديث

ولكن لماذا هاجر ابراهيم ؟

انه لما آسى من قومه ومن عدم استجابتهم لداعى الله اختار الرحيل عنهم
لأن المقام بينهم يقتضى أن يكون راضى عن فعلتهم ، أو أن اقامته تكون هوانا
ومذلة عليه ، لذلك اختار الرحيل - فقال : ((انى مهاجر الى ربى))
أى أن سبب هجرتى هو لأجل الله لا لأجل أحد سواه ، حيث أمرنى ربى
وحيث أتمكن من عبادته عز وجل ، فهجر مكان السوء وتركه ، ومطلوب من المؤمن
إذا لم يستطع انكار السوء أن يهجره .
وقد عدد القرطبى^(٣) أنواع الهجرة ، وقال : " ان هجرة ابراهيم خوف الايذاء
فى بدنه "أهـ ولا أظنه كذلك لأنه لم يهاجر عنهم حينما هموا باحراقه عليه السلام .

(١) معالم التنزيل للبيهقي : ٤٦٥/٣ ، وانظر البحر المحيط : ١٤٩/٧

(٢) سند أحمد : ٨٤/٢ واللفظ له ، ١٩٩٩ ، ٢٠٩ ، سنن أبى داود : ٩/٣

الجهاد باب فى سكنى الشام ، المستدرک : ٤٨٦/٤ ، مجمع الزوائد : ٢٥١/٥
(٣) هو : محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى الأندلسى صالح
متعبد من كبار المفسرين من كتبه (قمع الحرى بالزهد والقناعة) ، والأسنى
فى شرح أسماء الله الحسنى ، والتذكار فى أفضل الأذكار ، كان ورعا طارحا
للتكلف يمشى بثوب واحد ، وعلى رأسه طاقية ، ت٦٧١ . الاعلام : ٣٢٢/٥ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٠/٥ .

فالذى يظهر لى أن هجرته كانت لأجل اظهار عبادة الله عز وجل ، وقد بين عليه السلام أن هذه الهجرة بأمر الله ، قال ابن كثير : ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم ابتغاء اظهار الدين والتمكن من ذلك ، ولهذا قال :

فَعَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ

إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)

* العنكبوت ٢٦ *

فابراهيم مؤمن بالله وبأسمائه وصفاته فقرن هجرته بغزة الله وحكمته ، فالله عزيز قادر على منعكم عنى كما أنه قادر على هدايتكم ، ولكن حكمته اقتضت أن لا تهتدوا ، فله الأمر من قبل ومن بعد . وهذه الهجرة التى سنّها ابراهيم بأمر الله بقيت فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم حينما بعث فهاجر هو وصحابته .

فعن أسماء بنت أبى بكر قالت : هاجر عثمان الى الحبشة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (انه أول من هاجر بعد ابراهيم ولوط) . (٢)

وتقدم الكلام على الهجرة وأنها عبادة من العبادات .

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٣/٣

(٢) الدر المنثور : ١٤٤/٥ ، تاريخ مدينة دمشق ، القسم الأول السيرة

ص ١٢٥ ، وانظر عثمان ص : ١٦ ، ٢٢ .

وذكره الاصبهاني فى سيرة السلف : ٣٧/ب ، والطبراني فى

الكبير : ٩٠/١ .

وفى مجمع الزوائد : ٨١/٩ . مسند أبى يعلى .

ومعد ما بين الله عز وجل دعوة ابراهيم لقومه وأذاهم له وصبره عليهم وحلمهم
عنهم ، ومفارقة وطنه لأجل أمر الله ، وعبادته جزاء الله بأحسن الجزاء
عاجلا وآجلا ، قال تعالى :
وَوَهَبْنَا

لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ
وَأَيَّتَنَّهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

* العنكبوت ٢٧ *

وهذه سنة الله في خلقه أن يجزي المحسن على احسانه ، اما في الدنيا
أو في الآخرة وهو الغالب ، وابراهيم عليه السلام جمع الله له بين الآيتين .
قال ابن كثير : " لما فارق قومه أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولد
له ولد صالح نبي في حياة جده " . (١)

وقال السدي (٢) : " ان المقصود بأجره في الدنيا هو الولد الصالح " . (٣)

وذكر اسحاق وعقبة ولم يذكر اسماعيل لشهرة أمره وعلو قدره ، وهما المقصودان
في البشرى بقوله تعالى : ((ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى)) ، وقد دل على
ذلك قوله تعالى :

وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ

فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

* هود ٧١ *

فيعقوب ولد لاسحاق . (٤)

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٥/٣ .

(٢) تقدمت ترجمته في ص : ٣٦١ .

(٣) معالم التنزيل للبغوي : ٤٦٥/٣ .

(٤) انظر ابن كثير : ٦٥٥/٣ ، وانظر فتح القدير : ٢٠١/٤ .

وقوله : ((وجعلنا في ذريته النبوة)) هو نسله اسحاق ويعقوب وأنبياء بنسبى اسرائيل واسماعيل وخاتمهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم .
وقد يرد سؤال على هذا ، وهو أن لوطا عليه السلام أرسل وهو ليس من ذرية ابراهيم ، قيل ان المراد : النبوة من بعده أى ليس فى زمنه أو أن هذا هو الغالب أن النبوة تكون فى ذريته ، أولأن لوط آمن بابراهيم وصدق ، فأصرة الدين أقوى من آصرة النسب . والثانى هو الراجع عندى .
* والمقصود بالكتاب جنس الكتاب فيدخل فيه التوراة والزبور والانجيل والقرآن * .^(١)

قال ابن كثير : * هذه خلعة سنوية عظيمة مع اتخاذ الله اياه خليلا ، وجعله للناس اماما ، أن جعل فى ذريته النبوة والكتاب .
فلم يوجد نبي بعد ابراهيم عليه السلام الا وهو من سلالة .^(٢)

وقال تعالى عما آتاه الله لخليله عليه السلام : ((وآتيناه أجره فى الدنيا وان فى الآخرة لمن الصالحين)) أى جمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة ، فكان له فى الدنيا الرزق الواسع الهنيء ، والمنزل الرحيب ، والمورد العذب ، والزوجة الحسنة ، الصالحة ، والشأن الجميل ، والذكر الحسن ، وكل أحد يحبه ويتولاه ، كما قال ابن عباس ، ومجاهد^(٣) وقادة وغيرهم مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه^(٥) ، قال تعالى :

وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى
* النجم ٣٧ *

(١) انظر البحر المحيط : ١٤٩/٧ ، والكشاف : ١٨٩/٣

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٥/٣

(٣) تقدمت ترجمته ص : ٢٦٨

(٤) تقدمت ترجمته ص : ٣٥٤

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٥/٣

ومما تقدم عن السدى أنه أجره في الدنيا الأولاد .
وأخبره الله تعالى باستمرار النبوة فيهم ، وذلك ما تقر به عينه ويزداد به
سروره .

وأخبر بفلاحه في الآخرة بقوله سبحانه : ((وانه في الآخرة من الصالحين)) أى
الكاظمين في الصلاح المستحقين لتوفير الأجرة وكثرة العطاء من الرب سبحانه
وتعالى .^(١)

وذكر الله عز وجل لنا ذلك حثا على الاقتداء بإبراهيم في الصبر على الدين
الحق .^(٢)

(١) انظر فتح القدير : ١٩٩/٣

(٢) أحكام القرآن للقرطبي : ٣٤٠/١٣

الفصل الثالث

لوط عليه السلام

تقدم في قصة ابراهيم أنه لم يؤمن به من قومه الا لوطا ، وهو ابن أخته^(١) .
وذكر ابن كثير أنه ابن أخيه ، وهاجر معه من كوثى وهي من سواد الكوفة السى
الشام^(٢) .

ثم ان لوطا عليه السلام نزع بما له من الأموال الجزيلة بأمر الخليل له في ذلك
الى أرض الغور المعروف (بغور زغر) فنزل بمدينة سدوم ، وهي أم تلك البلاد
في ذلك الزمان ، وكان أهلها أشرارا كفارا^(٣) .

وقد بين الله في هذه السورة دعوته باختصار وصبره عليها ، وتبين فيها صبر
نبيه على البلاء والفتنة ، كما أن قومه على العكس من ذلك .

ومعلوم أن كل نبي يبدأ دعوته بالتوحيد لله عز وجل والبراءة من الشرك ،
الا أن لوطا في هذه السورة بدأ دعوته بالنهي عن الفاحشة ولم يذكر الله عز وجل
أنه دعا قومه الى التوحيد ، فما السرفى ذلك ؟ .

أقول : قد بين الله سبحانه في غير هذه السورة أنه قام بهذا الواجب ، قال

تعالى :

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾

الشعراء ١٦١

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٣٣٩/١٣

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٤٢/٢٠

(٣) انظر قصص الأنبياء : ٢١٩/١

وصدق الله حيث يقول :

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن
حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾

* النحل ٣٦ *

ولكن لوطا عليه السلام ركز على النهى عن الفاحشة التى انتشرت بين قومه
، لأنها ما انتشرت هذه الشناعة الا لعدم ايمانهم بالله وحكمته الذى جعل
للحرف مكانا ، فكما أن للصلاح درجات كذلك للفساد درجات ، فأولهم
أن يلم بالرديلة ، وهو يشعر بقبحها ويلوم نفسه عليها ، وبعدها : أن يعاود
اليها المرة بعد المرة مستخفيا ، يليها : " أن يصر عليها حتى يزول شعوره
بقبحها ، والرابعة : " أن يجهر بها ويكون قدوة سيئة " وأحطها : " أن يفاخر
بها أهلها ويحتقر من يتنزهون عنها ، وهذه هى التى وصل اليها قوم لوط
، ولا يصل اليها من يؤمن بالله واليوم الآخر ^(١) حيث أن الله وصف الذين
تقبل توبتهم بقوله :

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾

* النساء ١٧ *

فدل هذا على أنهم لا يؤمنون بالله ، وأنهم يعبدون أهوائهم وشهوات نفوسهم
لاستحلالهم ما حرم الله .

(١) انظر دعوة الرسل الى الله تعالى ، محمد أحمد العدوى : ص ٦٦ .

وقال في البحر المحيط : " ولم يأت في قصة لوط أنه دعا قومه الى عبادة الله كما جاء في قصة ابراهيم وقصة شعيب لأن لوطا كان من قوم ابراهيم وفي زمانه سبقه ابراهيم الى الدعاء لعبادة الله وتوحيده واشتهر أمره بذلك عند الخلق ، فذكر لوط ما اختى به من المنع عن الفحشاء وغيرها ، وأما ابراهيم وشعيب فجاء بعد انقراض من كان يعبد الله ، فلذلك دعوا الى عبادة الله " . (١)

أقول : ولا يعنى ذلك أنه لم يدعو الى التوحيد ، فقد تقدم أنه دعا الى التوحيد ، ولكن بما أنه آمن بابراهيم وصدقه فهو بلا شك سيدعوا الى ما يدعو اليه ولكنه اختى بالنهى عن الفاحشة التى انتشرت في قومه دون غيرهم ، لأنهم عبدوها وشرعوها دينا من عند أنفسهم من دون الله ، ولما كانت عقيدة التوحيد واضحة لديهم ذكرهم بها وأمرهم أنه يتجهوا اليها وينجوا بأنفسهم ولن ينجوا حتى يتركوا شهوات أنفسهم وأهوائهم التى أعمت قلوبهم كما قال تعالى عنهم :

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

* الحجر ٧٢ *

وهذه الفاحشة خطر عظيم على الأمة فهي سبب لانقراض النوع الانساني وتقليل نسل الأمة وزوال الأخلاق وفساد المجتمع ، وانتشار الأوبئة والأمراض الفتاك ، هذا وهى مجرد كونها فاحشة فكيف اذا صاحبها استحلال وتكذيب رسل الله ومخالفة دليل الفطرة ، والمسلم لا ينظر الى ما نشر وينشر ما ينتج منه هذا الداء العضال من أمراض خبيثة ، ولكن حسبه أنه مخالفة صريحة لأمر الله وترك الحرث الذى شرعه الله وتعرض لعقاب الله وأليم عذابه ، كما قال تعالى حينما ذكر ما حل بقوم لوط ، قال سبحانه : مَسْؤِمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ

وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

* هود ٨٣ *

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) . (١)

وما ذلك الا لشناعة هذا العمل ، وانتشار هذا الوباء علنا بين أفراد الأمة يدل على انسلاخ الايمان من قلوبهم ، قال صلى الله عليه وسلم : (ان ما أدرك الناس من كلام النبوة اذا لم تستح فاصنع ما شئت) . (٢)

كما أنه أمر منافى للأخلاق وطبائع النفوس ، هم صاحبه قضاء شهوته ولذته ولا يستل عن النتائج الدنيوية والأخروية منهما فيه دون حياء أو خجل ، وهذا واضح من قصة قوم لوط حيث كانوا يقطعون السبيل لأجلها ويعتدون على ضيوف نبيهم ليقتضوا شهوتهم ، وقوم لوط مع فعلهم هذا قد جمعوا منكرات عظيمة كما قال تعالى

عَنهُمُ أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ

فهم جمعوا مع الفاحشة سبق اليها ، فمن عمرو بن دينار (٣) : " ما نزل على نبي حتى كان قوم لوط (٤) أه مع قطعهم السبيل باتيانهم من يمر على ديارهم حتى

(١) سنن أبي داود : ٦٠٧/٤ حدود باب فيمن عمل عمل قوم لوط .

سنن الترمذي : ٥٧/٤ حدود باب ماجاء في حد اللوطي .

سنن ابن ماجه : ٨٥٦/٢ باب من عمل عمل قوم لوط .

سنن الدارقطني : ١٢٤/٣ الحدود ، الحاكم : ٣٥٥/٤ ، وقال : صحيح الاسناد

ولم يخرجاه ، وينحوه في مسند أحمد : ٣٠٠/١ .

(٢) صحيح البخاري : ١٥٢/٤ ، الأنبياء : ٥٤ ، واللفظ له . سنن أبي داود :

١٤٨/٥ الأدب باب في الحياء ، ابن ماجه : ١٤٠٠/٢ ، الزهد باب الحياء ،

مسند أحمد : ١٢١/٤ ، ١٢٢ ، ٢٧٣ .

(٣) عمرو بن دينار الجمحي مولاهم المكي الأشرف ولد سنة ٥٤ هـ ، وسمع من ابن عباس

وجابر بن عبد الله وابن عمر ، وأنس بن مالك ، وغيرهم ، حافظ ، مقدم ، مجتهد ،

ت سنة ١٢٦ هـ . سير أعلام النبلاء : ٣٠٠/٥ .

(٤) جامع البيان للطبري : ١٤٤/٢٠ .

ولما وقفهم نبي الله لوط على هذه القبائح والفضائح ودعاهم الى الاستقامة لم يكن ردهم الا الجاج والتكذيب والعناد - لتمكن هذا المرض من سويداء قلوبهم .

ولكن لوطا كان صابرا في دعوتهم مشفقا عليهم مكررا النهي لهم والوعيد عليهم يدل على ذلك ردودهم عليه المختلفة فكان من جوابهم كما ذكر الله في الأعراف ، أن قالوا :

وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرِيَّتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهَرُونَ ﴿٨٤﴾

* الأعراف ٨٣ *

وقوله سبحانه عنهم في النمل :

فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْأَمْ نَجِّنَاهُمْ

* النمل ٥٦ *

كذلك ردهم عليه في هذه السورة وتكذيبهم لوعيد الله حيث انه كان يقول لهم ان الله يعذب على هذه الفعلة وهم يقولون انه لا يعذب ولا يصدقون بعذاب الله أصلا
فأجابهم ماورد في قوله تعالى

، فلما ألح عليهم قالوا :

أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بَعْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾

* العنكبوت ٢٩ *

وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم ولهذا استنصر عليهم نبي الله (١) لما علم منهم ما علم من عدم استجابتهم له وخبث طويتهم وتغلغل الشر فيهم

والرسول لا يدعوا على قومه الا اذا يأس منهم ومن استجابتهم وأن عدمهم خير من وجودهم كما قال نوح :

إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾

* نوح ٢٧ *

ولجؤ لوط الى ربه بالدعاء والتضرع يقطع دابر الفساد يدل على توكل لوط على ربه واعتماده عليه وعبوديته له لعله أنه لا ناصر الا الله سبحانه وتعالى مهما تعددت الأسباب فمسيبها هو الله سبحانه وتعالى ، فقال تعالى عنه :

قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾

* العنكبوت ٣٠ *

فلما سمع الله سبحانه دعائه استجاب لدعوته وأجابه الى طلبه .

وعندما جاء الهلاك وصلت الفتنة للغريقين ذراها ، فريق الصابرين المخلصين وهم لوط ومن معه ، وفريق الفجرة المعاندين وهم قومه .
ولما جاءت بوادر القضاء على الفساد وقطع دابره لم يكن لوط يعلم بها لأول وهلة فاستمر بدعوة قومه ودفاعه عن ظنهم من البشر وهم أضيافه وكانوا في مجيئهم فتنة للغريقين ، وذلك بأن كان هؤلاء الأضياف ملائكة قيل هم : جبريل وميكائيل واسرافيل ^(١) ، فأتوا أولا لابراهيم وبشروه وأخبروه بمهمتهم كما تقدم في دعوة ابراهيم ع ٣٦٠ ، ثم أتوا الى لوط على هيئة شباب حسان ^(٢) ، فاغترلهم هذه البلية العظيمة لما يعلم من افتتان قومه بالفاحشة فحاف على ضيوفه ،

(١) قصص الأنبياء لابن كثير : ٢٧٦/١

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٧/٣

لم يتركوا خميوف لوط كما كانوا يأتون المنكر في مجالسهم ، والمنكر قيل أنه الظراط ، وقيل اتيان الفاحشة في مجالسهم ، وقيل الخذف بمن مريبهم لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سألته أم هانئ^(١) عن هذه الآية ، قال : (كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم) .

قال ابن كثير : " وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق ويخونون الرفيق ويأتون في ناديهم - وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسمرهم - المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه حتى قيل أنهم كانوا يتظارطون في مجالسهم ولا يستحون من مجالسهم ، وربما وقع منهم الفعلة العظيمة في المحافل ولا يستنكفون " .^(٢)

وروى عن ابن عباس أنه قال : " ان قوم لوط كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة ، منها أنهم يتظالمون فيما بينهم ويشتم بعضهم بعضا ، ويتظارطون في مجالسهم ويخذفون ويلعبون بالنرد ، والشطرنج ، ويلبسون المصبغات^(٣) ويتناقرون بالديكة ويتناطحون بالكباش ويطرفون^(٤) بالحناء وتتشبه الرجال بلباس النساء ، والنساء بلباس الرجال ، ويضربون المكوس على كل عابر ، ومع هذا كله كانوا يشركون بالله ، وهم أول من ظهر على أيديهم اللوطية والسحاق " .^(٥)

(١) انظر جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٤٥ / ٢٠ .

(٢) قصص الأنبياء : ٢٧٤ / ١ .

(٣) أي الثياب المصبوغة بالصبيغ أو العصفر ، وغير ذلك . لسان العرب : ٤٣٧ / ٨ . صبغ .

(٤) أي يصبغون أطراف أصابعهم بالحناء ، يقال : طرفت الجارية بنانها اذا خضت أطراف أصابعها بالحناء ، لسان العرب : ٢١٧ / ٩ طرف .

(٥) أحكام القرآن للقرطبي : ٣٤٢ / ١٣ .

قال تعالى: **وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا** أى اغتم بأمرهم ان هو أضاعهم خاف عليهم من قومه ، وان لم يضيفهم خشى عليهم منهم ولم يعلم بأمرهم فى الساعة الراهنة : (١)

قال ابن كثير : وذكر قتادة أنهم وردوا عليه وهو فى أرض له يعمل فيها فتضيفوه فاستحيا منهم ، وانطلق أماسهم وجعل يعرض لهم فى الكلام لعلهم ينصرفون عن هذه القرية وينزلون فى غيرها ، فقال لهم فيما قال : " واللله يا هؤلاء ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء " ، ثم مشى قليلا ، ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرره أربع مرات قال : وكانوا قد أمروا أن لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك .

قال السدى (٢) : " خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوها نصيف النهار ، فلما بلغوا سدوم لقوا ابنة لوط تستقى من الماء لأهلها ، وكانت لى ابنتان : ارسم الكبرى (ريثا) ، والصغرى (زغرتا) ، فقالوا لها : يا جاريلة ، هل من منزل ؟ ، فقالت لهم : نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ، فرقت عليهم من قومها فأتت أباهما فقالت : يا ابتاه أرادك فتيان على باب المدينة مارأيت وجوه قوم قط هى أحسن منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم ، وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا فقالوا : خل عنا فالتصفت الرجال .

فجاء بهم فلم يعلم أحد الا أهل البيت ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها ، فقالت : ان فى بيت لوط رجلا مارأيت مثل وجوههم قط : **وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** أهـ .

* هود ٧٧ *

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٧/٣

(٢) تقدمت ترجمته فى ص : ٣٥٤

(٣) تقدمت ترجمته فى ص : ٣٦١

(٤) الفرق بالفتح الخوف والجزع . لسان العرب : ٣٠٥/١٠ - فرق .

(٥) قصص الأنبياء : ٢٧٦/١ .

فأى بلية أعظم من هذه البلية ، التي نزلت عليه حتى قال :

وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾

" هود ٧٧ "

أى شديد بلاؤه ، ولكن لوطا عليه السلام لازال صابرا محتسبا قائما بحق الضيافة ، فلما جاءه القوم يريدون ضيوفه دافع عنهم ، وكان من دفاعه حينما جاءه قومسه ما قصه الله علينا فى سورة الحجر ، فقال سبحانه : ((وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هو إلا ضيفى فلا تفضحون ، واتقوا الله ولا تخزون)) ، فرد عليه القوم أن قالوا له :

قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

" الحجر ٧٠ "

فغدى ضيوفه بيناته ، ^{بالتزويج} والمقصود بهن نساءهم لأنهن بناته شرعا لأن النبى لامة بمنزلة الوالد ، لقوله تعالى : النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦١﴾

" الأحزاب ٦ "

وفى بعض القراءة : " وهو آبائهم " وقوله ((هن أطهر لكم)) أى بالتزويج (١)
قال مجاهد (٢) : " لم يكن بناته ، ولكن كن من أمته وكل نبى أبواته ، وروى

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٢ / ٨٤ - ٨٥

(٢) تقدمت ترجمته فى ص : ٦٥

ذلك عن قتاده (١) وغيره. (٢)

قال ابن كثير * ذكر المفسرون وغيرهم أن نبي الله لوط عليه السلام جعل يمانع قومه الدخول ويدافعهم والباب مغلق وهم يرومون فتحه وولوجه ، وهو يعظمهم وينهاهم من وراء الباب ، فلما غمق الأمر وعسر الحال قال ما قال :

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾

* هود ٨٠ *

لأحلت بكم النكاح . (٣)

فلما لم ينتهوا عن فسوقهم ولم يصبروا في المحنة والابتلاء حينما علموا بالضيوف الحسان ، أرسل الله عليهم عذابه الذي لا يرد ، فذكر أن جبريل عليه السلام خرج عليهم فضرب وجوههم خفته بطرف جناحه ، فطمست أعينهم حتى قيل أنها غارت بالكفية ، ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر ، فرجعوا يتحسسسون مع الحيطان ، ويتعدون رسول الرحمن ، ويقولون : إذا كان الغد كان لنا وله شأن (٤) أ.هـ.

قال الله تعالى : **وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا**

عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهمْ بُكَرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾

* القمر ٣٧-٣٨ *

فنزل بهم عند ذلك العذاب قال تعالى : **إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ**

هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾

* العنكبوت ٣٤ *

(١) تقدمت ترجمته ص : ٣٥٤

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٢/٧٠١

(٣) قصص الأنبياء : ١/٢٧٩ - ٢٨٠

(٤) ص : ٢٨٠/١

وذلك أن جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الأرض ثم رفعها الى عنان السماء
ثم قلبها عليهم ، وبعد ذلك أرسل عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة
عند ربك وماهى من الظالمين ببعيد .

وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة وجعلهم عبرة الى يوم التناد ، وهم
من أشد الناس عذابا يوم المعاد . (١)

ولهذا قال تعالى :

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

* العنكبوت ٣٥ *

كما أخبر الله بهلاكهم وجميع من خالف أمر الله ، فقال سبحانه :

فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ

وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

* العنكبوت ٤٠ *

وهم قوم لوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود والعرب تسمى
الريح العاصف التي فيها الحصى الصفار أو الثلج والبرد والجليد حاصبا . (٢)

فصارت هذه عبرة وعظة ، وآية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته في انتقامه
من خالف أمره ، وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاة ودليلا على رحمته بالمؤمنين
في انجائه اياهم من المهلكات واخراجه اياهم من الظلمات الى النور .

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٧/٣

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٥٠/٢٠

والله تركها عبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة وخشى الرحمن بالغيب وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانزجر عن محارم الله ، وترك معاصيه وخاف أن يشابه قوم لوط. (١)

وليس هذا بعيد عن بعض المجتمعات التي لا تدين لله ، لاتجد فيها الا التميع والانحلال ، واتخاذ الأخدان من الرجال ، والاعتداء على الأطفال جنسيا ، مما ينشر في الجرائد والمجلات ، وقد نشرت جريدة العالم الاسلامي (٢) هذا الخبر:

" أوضحت احصائية صدرت عن جمعية تهتم بالأطفال في بريطانيا أن واحدا من كل ستة أطفال موجودين في رعاية الجمعيات الاجتماعية في البلاد ، معرض للاعتداء الجنسي ، وأن ١٠٠٥ طفل من ٣٩ ألف طفل يعانون من خطر الاعتداء الجنسي وهذا يحصل على أيدي المربين الذين يخونون الأمانة " أهـ (٢)

وقد أبحاث محكمة الجنايات الكندية تعاشر الذكور معاشرة الأزواج ، واعتبرت ذلك علاقة مشروعة وقد احتفل ٢٥٠٠ ألفان وخمسائة شخص في تورنتو بمناسبة مرور الذكرى العشرين لانشاء حركة تحرير الوطنيين . (٣)

فأين هم من هذه العبرة والعظة التي قال الله عنها :-

مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ ط

وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * هود ٨٣ *

وقد جعل الله عقوبتهم عبرة وعظة في طريق سلوك معروف كما قال تعالى :

(٤)

وَإِنَّهَا لِبِسَابِلِ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ * الحجر ٧٦ *

وقال سبحانه :

وَإِنَّكُمْ لَنَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

-
- (١) قصص الأنبياء : ٢٧٤/١
(٢) أخبار العالم الاسلامي تصدر عن رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، السنة ٢٤ ، العدد ١١١٢ ، ص ٥١
(٣) نفس المصدر ، عدد ١١٣٩ ، ص ٤
(٤) قصص الأنبياء : ٢٨٢/١

ومن الآيات والعبر في هذه القصة أن القرابة والنسب لا تنفع صاحبها بسدون الدين والتعبد لله وحده اذ لو كانت تنفع لنفعت امرأة لوط حيث كانت من اقرب الناس اليه وألصقهم به ، ولكنها هلكت مع الهالكين لمخالفتها أمر العزيز الحكيم ،

قال تعالى : **قَالَ إِن فِيهَا لِلْأُنثَىٰ أَهْلٌ مُّكْتَبَةٌ فَأَعْلَمِ لِمَنِ الْمَوْلَىٰ فَغَابَتْ أَنَّهَا لِلَّذِينَ لَا يُلَاقُونَ اللَّهَ وَلَا يُنَبِّئُونَ بِهِ خَالِدِينَ** وَأَهْلُهُ إِلَّا أُمَّرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٢﴾

* العنكبوت ٣٢ *

وَلَمَّا

وقال سبحانه :

أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَكَ

كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢٢﴾

* العنكبوت ٣٣ *

ويقال ان امرأة لوط مكنت مع قومها ، ويقال أنها خرجت مع زوجها وبناتها ، ولكنها لما سمعت الصيحة وسقوط البلدة التفت الى قومها وخالفت أمر ربها قديما وحديثا ، وقالت : واقوماه . فسقط عليها حجر فدمغها وألحقها بقومها اذ كانت على دينهم ، وكانت عينا لهم على من يكون عند لوط من الضيفان (١) فانظر كيف يهلك الظالم من بين الناجين .

(١) قصص الأنبياء : ٢٨٢/١

الفصل الرابع

شعيب وقومه

بين الله لنا في هذه السورة أمر شعيب مع قومه حينما وجدهم على غير هدى من اشراكهم بالله ويخسهم حقوق الناس ، وكان موقفهم منه الاستهزاء والسخرية ، وقبل البدء في ايراد القصة وما فيها من العبر أريد أن أنبه أنه مرفى قصة ابراهيم عليه السلام أن كل الأنبياء بعده من عقبه وكان لوط ليس من عقبه وبينت ذلك .

أما شعيب فقد قال عطاء^(١) وابن اسحاق^(٢) وغيرهما أن نسبه يرجع الى ابراهيم ، فهو من عقبه^(٣) لأن مدين من سلالة ابراهيم عليه السلام^(٤) ، وان لم يكن عقبه فان النبوة في ذرية ابراهيم على الأغلب .

وشعيب يقال انه خطيب الأنبياء لفصاحة عبارته ، وجزالة عظته .^(٥)

وهذه صفة مميزة للدعاة الى الله عز وجل ينبغى أن يحرصوا عليها ليبلغوا دعوة ربهم الى من يدعونهم على الوجه المطلوب .

-
- (١) هو عطاء بن أبي رباح قيل اسمه أسلم أبو محمد القرشي مولاهم المكي ، حدث عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وحكيم بن حزام وغيرهم ، كان ثقة فقيها عالما كثير الحديث عالما بفناسك الحج ، ت ١١٥ هـ . سير أعلام النبلاء : ٥ / ٧٨٠ .
 - (٢) هو محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار أبو عبد الله القرشي المطلبى ، صاحب السيرة ، روى عن أنس ، وسعيد بن المسيب ، روى له مسلم في المتابعات ، واستشهد به البخارى ، ت ١٥٢ هـ . سير أعلام النبلاء : ٧ / ٣٣٠ .
 - (٣) معالم التنزيل للبيغوى : ٢ / ١٨٠ ، انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٧ / ٢٤٨ .
 - (٤) جامع البيان للطبرى : ٨ / ٢٣٧٠ .
 - (٥) تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٣٧٠ ، وقصص الأنبياء : ١ / ٢٨٩ ، معالم التنزيل للبيغوى : ٢ / ١٨٠ .

وقد كان أول ما دعى قومه اليه هو عبادة الله جل وعلا كما قال سبحانه

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا

اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾

* العنكبوت ٣٦ *

فكان أول ما دعاهم اليه هو التوحيد وقد حمل بينه وبينهم جدال فقد جادلهم

ووعظهم في الله كما قصه الله علينا في سورة الأعراف ، وهود ، والشعراء ، وغيرها

فمن جداله لهم في سورة الأعراف قوله سبحانه : وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا

قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ

بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا

النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

* الأعراف ٨٥ *

وقال تعالى في سورة هود :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ

شُعَيْبًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ

وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيكُمْ بِخَيْرٍ

وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾

* هود ٨٤ *

فبدوه عليه السلام بالتوحيد يدل على تغلغل الشرك في قومه ، واعراضهم

عن الله مع ما نصبه الله عز وجل لهم من الأدلة والبراهين الواضحة وكذلك

البينة التي جاءهم نبيهم بها .

وسا دعى شعيب قومه اليه هو الايمان باليوم الآخر ، كما في الآية الأولى من الصفا

يقول : ارجو بعبادتكم اياه جزاء اليوم الآخر ، وذلك يوم القيامة^(١) ، وبلا شك
أن من آمن باليوم الآخر وما فيه من عرض وحساب وجزاء فإنه سيعمل ما يرضى الذي
قدر هذا اليوم وأمر للايمان به .

لذلك عقب شعيب بعده بالنهي عن الفساد في الأرض بقوله :

وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا

اللَّهِ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾

* العنكبوت ٣٦ *

لأن من أفسد في هذه الحياة الدنيا وأقام على معصية الله فإنه لا يرجوا ما عند الله
ولا يطمع بجنته ولم يخف من ناره .

ومن الفساد الذي اشتهر عن قوم شعيب ما قصه الله علينا في الأعراف حيث قال

سبحانه : وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ

مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن

رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا

النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ

إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِّنْ أَمْنٍ بِهِءٍ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا

وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكثَّرَكُمْ وَأَنْظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

* الأعراف ٨٥ ، ٨٦ *

(١) انظر جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٤٨/٢٠

وقال تعالى في سورة هود : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ ۖ ﴾

شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ

وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيكُمْ بِخَيْرٍ

وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ

أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا

النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾

” هود ٨٤ ، ٨٥ ”

ففي هذه الآيات بين الله أنواع الفساد التي نهى شعيب قومه عنها فبعد ما

خصصها عم على جميع الفساد في الأرض وأنه ما نهى الله عنه .

قال القرطبي ^(١) : ” وهو لفظ يعم دقيق الفساد وجليله ” ،

قال ابن عباس : ” كانت الأرض قبل أن يبعث الله شعيبا رسولا يعمل فيها بالمعاصي

وتستحل فيها المحارم وتسفك فيها الدماء ” ، قال : فذلك فسادها فلما بعث الله

شعيبا ، ودعاهم الى الله صلحت الأرض وكل نبي بعث الى قومه فهو صلاحهم ^(٢) أهـ .

قال ابن جرير ^(٣) : يقول ولا تعملوا في أرض الله بمعاصيه وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث

الله اليكم نبيه من عبادة غير الله والاشراك به وبخس الناس في الكيل ^(٤) والوزن أهـ .

(١) تقدمت ترجمته ص : ٣٦٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢٤٨/٧

(٣) تقدمت ترجمته ص : ٦٤

(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن : ٢٣٨/٨

قال ابن كثير : * وكان أهل مدين كدارا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون الأيكة ، وهى شجرة من الأيك ، حولها غيضة ^(١) ملتفة بها ، وكانوا من أسوأ الناس معاملة يبخسون المكيال والميزان ، ويطغفون فيها يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص ^(٢) أه

فأرسل الله اليهم نبيه شعيب وهو منهم نسبا كما قال سبحانه ((والى مدين أخاهم شعيبا)) فأخوته فيهم أخوة نسب ، فوعظهم بالله ورجبهم ورهبهم ، وذكرهم بمن قبلهم من الأمم .
كما قال سبحانه عنه :

وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنكُمْ
بِعِيدِ ﴿٨٩﴾

* هود ٨٩ *

الى غير ذلك من الأساليب التى سلكها معهم ما بينه الله فى كتابه .
ولكن القوم لم يرعوا ولم يفيقوا ما هم فيه من الغطرسة والتكبر والتجبس فى الأرض بافسادها والاعتداء على أهلها ، فكان ردهم لنبي الله ردا شنيعا حيث كذبوه وجادلوه بالحجج الواهية والتنقص والاستهزاء التى قصها الله علينا فى الأعراف وهود والشعراء فكان عاقبتهم الهلاك والدمار ، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين ، كما فى العنكبوت والأعراف ، وفى هود قال :

وَلَمَّا جَاءَ

أَمْرًا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالدِّينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ

الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾

* هود ٩٤ *

(١) الغيضة جمع غياض ، وهى الشجر الملتف ويطلق على مفيض الماء الذى ينبست فيه الشجر . لسان العرب : ٢٠٢/٧ غيض .

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير : ٢٨٩/١

وفى سورة الشعراء :

فَكَذَّبُوهُ

فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾

* الشعراء ١٨٩ *

قال ابن كثير : * وقد جمع الله عليهم أنواعا من العقوبات وصنوفًا من المشلات وأشكالا من البليات ، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات سلب الله عليهم رجفة شديدة أسكت الحركات وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات وظله أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات ، ولكنه تعالى أخبر عنهم فسى كل سورة بما يناسب سياقها ويوافق طباقها ^(١) . أهـ

(١) قصص الأنبياء : ٢٩٨/١

الفصل الخامس

دعوة محمد صلى الله عليه وسلم

لقد كان الحديث في أول السورة عن الابتلاء والفتنة ، وأن الايمان الحقيقي لا يتحقق الا بالصبر عليها ولمجاهدة في الله عز وجل وكان خير من صبر وامثل وجاهد هو رسولنا صلى الله عليه وسلم .

وقد ورد في هذه السورة ما يدل على أمره بالدعوة صلى الله عليه وسلم

حيث قال تعالى : **أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ**

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

* المنكبات ٤٥ *

فتلاوة الكتاب تتضمن تلاوة لفظه والعمل بأحكامه والدعوة اليه .

قال ابن كثير : " ثم قال تعالى آمرا رسوله والمؤمنون بتلاوة القرآن وهو تلاوته وابلاغه للناس " . (١) ، فمعنى تلاوته اتباعه بامثال ما يأمر به واجتناب ما ينهى عنه والاهتداء بهداه وتصديق أخباره وتدبر معانيه وتلاوة ألفاظه . . فاقامة الدين من تلاوة الكتاب ومن ذلك اقامة الصلاة وذكر الله ، فهذا من عطف الخصاص على العام (٢) .

وقد امتثل صلى الله عليه وسلم ، فقام بالدعوة خير قيام ، فامتثاله صلى الله عليه وسلم من باب الدعوة بالقدوة الحسنة ، فقد كان قدوة للناس صلى الله عليه وسلم بالعمل بما يأمره الله عز وجل به كيف لا وقد " كان خلقه القرآن " (٣)

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٦٠/٣

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن : ٩١/٦

(٣) اشارة الى جزء من حديث طويل عن عائشة في صحيح مسلم : ٥١٢/١ صلاة

الساافرين ، باب جامع صلاة الليل ، طبقات ابن سعد : ٣٦٤/١ ، مستدرک

الحاكم : ٣٩٢/٢ ، وقال : " هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه =

وقد ثبت عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لـــــــي يتأول القرآن) . (١)

وقد قال الله عز وجل عنه :

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
* القلم ٤ *

ومن أمثاله صلى الله عليه وسلم لأمر الله عز وجل قيامه بالدعوة اليه حينما أمر بذلك ، " فقد جاهد في الله حق جهاده وشرع في ذلك من حين بعث النبي أن توفاه الله عز وجل ، فانه لما نزل عليه :

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾

* المدثر ١ - ٤ *

شمر عن ساق الدعوة وقام في ذات الله أتم قيام ، ودعا الى الله ليلا ونهارا وسرا وجهارا ، ولما نزل عليه :

فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾

* الحجر ٩٤ *

مدع بأمر الله لا تأخذه في الله لومة لائم ، فدعا الى الله الصغير والكبير ، والحر والعبد ، والذكر والأنثى ، والأحمر والأسود ، والجن والانس . (٢)

== سند أحمد : ٩١/٦ - ١٦٣ ، سنن أبي داود : ٨٨/٢ ، الصلاة باب في صلاة الليل .

(١) صحيح البخاري : ١٩٩/١ الأذان باب التسبيح والدعاء في السجود ، والتفسير : ٩٣/٦ - سورة ((اذا جاء نصر الله)) ، صحيح مسلم : ٣٥٠/١ الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود ، سنن أبي داود : ٥٤٦/١ الصلاة باب في الدعاء في الركوع والسجود ، سنن ابن ماجه : ٢٨٧/١ اقامة الصلاة .

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد : ١٢/٣

وقد كانت الدعوة سرية في بداية أمرها الى ثلاث سنوات من مبعثه صلى الله عليه وسلم ، ثم أمر بالجهار بالدعوة ، فامتثل صلى الله عليه وسلم ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فجعل ينادي : (يا بنى فهر يا بنى عدى ، لبطون قريش - حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هم - فجاءه أبو لهب وقريش ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم صدقي ، قالوا : ما جرنا عليك الا صدقا ، قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبالك سائر اليوم ، لهذا جمعنا ، فنزل قول الله تعالى :

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾

السد ١ - ٢*

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه :

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾

الشعرا ٢١٤*

فقال : (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا) . (٢)

(١) صحيح البخاري : ١٦/٦ التفسير سورة الشعرا ، واللفظ له .

وينحوه في صحيح مسلم : ١٩٢/١ الايمان باب قوله تعالى ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) ، مسند أحمد : ٣٠٧/١ .

(٢) تقدم تخريجه ص : ٣٠٦

فهذان النصفان وغيرهما تدل على قيام المصطفى صلى الله عليه وسلم بالدعوة
واخلاصه فيها ، وبدأه بمن أمر الله بالبدء بهم ، وهم أقاربه كما قال سبحانه :

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾

"الشعرا" ٢١٤

وقد بدأ بأهم شئ وهو التوحيد والاخلاص لله عز وجل بقوله : (اشتروا أنفسكم
لا أغنى عنكم من الله شيئا) .

ولكن هذا النداء منه صلى الله عليه وسلم خالف ما اعتاد عليه القوم وهو لم
يجاملهم لقرابتهم أولسبب آخر ، ومعظمهم أحسن بأن هذا خطر عليه وعلى
مركزه بين الناس . (١)

فنايذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العدا ، ومن أسلم معه وهذا صداقا
لقوله تعالى :

الَّذِينَ آمَنُوا أَكْثَرُ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا
يَفْتَنُونَ ﴿٢١٤﴾

"العنكبوت ١ ، ٢١٤"

فقد فتن الرسول صلى الله عليه وسلم في دينه وأهله .
قال ابن اسحاق (٢) : " ثم ان قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فسى
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم فأغروا برسول الله صلى الله
عليه وسلم سفهاهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون
ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفى به مبادلهم بما يكرهون من
هيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقة آياهم على كفرهم " . (٣)

(١) كما تقدم بيان ذلك عند الكلام عن امتناع بعض الكفار عن اجابة محمد صلى الله
عليه وسلم فى ص : ٣٣٨ من هذا البحث .

(٢) صاحب السيرة ، تقدمت ترجمته ص : ٢٤٧

(٣) السيرة النبوية : ١ / ٣٠٨ .

ومع ذلك هو مستمر على دعوته ، وقد حدث صلى الله عليه وسلم عن بعض
مالقي من قومه .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد
من يوم أحد ، قال : (لقد لقيت من قومك مالقيت ، وكان أشد مالقيت
منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبهنى
الى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق الا بقرن الشعالب
فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلمتنى ، فنظرت فاذا فيها جبريل ، فنادانى
، فقال : (ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك ، وماردوا عليك ، وقد بعث
اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فنادانى ملك الجبال فسلم على
ثم قال : يا محمد ، فقال ذلك فيما شئت ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين
، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من
يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) . (١)

وقد بين الله عز وجل هذا الايذاء في كتابه الكريم بعدة آيات منها قوله

سبحانه :

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ

الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦١﴾

* الحجر ٦ *

والرسول مستر في دعوته مع تكذيب قومه له ، فعن ربيعة (٢) بن عباد الديلى

(١) صحيح البخارى : ٨٣/٤ بدء الخلق باب اذا قال أحدكم : آمين . واللفظ
له . صحيح مسلم : ١٤٢٠/٣ الجهاد باب مالقي النبي صلى الله عليه وسلم
من أذى المشركين والمنافقين .

(٢) وهو من بنى الديلى بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، مدنى ، روى عنه ابن المنكر
وأبو الزناد ، وزيد بن أسلم ، عمر طويلا ، توفي بالمدينة أيام الوليد بن
عبد الملك . أسد الغابة : ٦١/٢ ، الاصابة : ٤٦٩/٢ .

وكان جاهليا قد أسلم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصرعيني يسوق
ذى المجاز يقول : (يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا) ، ويدخل فسى
فجاجها والناس متقصفون^(١) عليه ، فما رأيت أحدا يقول شيئا وهو لا يسكت
يقول : (أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا) ، الا أن وراءه رجلا أحول
وغى^(٢) الوجه ذا غديرتين يقول انه صابى كاذب ، فقلت : من هذا ، قالوا :
محمد بن عبد الله ، وهو يذكر النبوة ، قلت : من هذا الذى يكذبه ، قالوا :
عمه أبولهب ، قلت :^(٣) انك كنت يومئذ صغيرا ، قال : لا والله انى يومئذ
لأعقل .^(٤)

وقد أودى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا فى مكة .

فكان صلى الله عليه وسلم يمر على آل ياسر ، وهم يعذبون ، فيقول : (صبرا
آل ياسر فان موعدكم الجنة) .^(٥)

وقد تقدم حديث^(٦) خباب بن الأرت الذى هو سبب نزول أول آيات هذه السورة

(١) القصف الكسر والدفع الشديد لفرط الزحام ، وانقصفوا عليه أى تتابعوا . لسان

العرب : ٢٨٣/٩ - ٢٨٤ - قصف -

(٢) الغدائر ، الذوائب ، واحدها غديرة ، وقيل كل عقيصه غديرة ، لسان

العرب : ١٠/٥ . غدر .

(٣) أى الراوى عنه وهو أبى الزناد كما فى المسند .

(٤) المسند : ٤٩٢/٣ ، وقد روى بعدة ألفاظ متقاربة فى نفس الصفحة ، مجمع

الزوائد : ٢٢/٦ ، وانظر الاصابة : ٤٦٩/٢ ، وأسد الغابة : ٦٢/٢

، وانظر السنن الكبرى : ٧٦/١ ، ٢١/٦ ، وانظر الحاكم : ٦١٢/٢ وهما

عن طارق بن عبد الله المحاربى .

(٥) المستدرك : ٣٨٨/٣ ، معرفة الصحابة ، مجمع الزوائد : ٢٩٣/٩ ،

الحلية : ١٤٠/١

(٦) الحديث فى ص : ٢١٩ من هذا البحث . السيرة النبوية : ٣٤٢/١ .

ولما اشتد أذى المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه أذن الله لهم
بالهجرة ، قال تعالى :

يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

* العنكبوت ٥٦ *

فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بالهجرة الى الحبشة ، وذلك
في السنة الخامسة من البعثة . (١)

قال ابن اسحاق (٢) : " فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه
من البلاء ، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ، ومن عمه أبي طالب
وأنه لا يقدر على أن ينعمهم بما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى أرض
الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل الله
لكم فرجا ما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة
في الاسلام . (٣)

وكان عدد المهاجرين الى الحبشة ثلاثة وثمانون رجلا . (٤)

وقد قرنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بهجرة ابراهيم ولوط عليهما السلام
كما تقدم . (٥)

فمن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : " أول من هاجر من المسلمين الى الحبشة

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام : ٣٤٤/١ ، البداية والنهاية : ٦٦/٣

(٢) تقدمت ترجمته ص : ٣٤٧

(٣) السيرة النبوية لابن هشام : ٣٤٤/١ ، وانظر البداية والنهاية : ٦٦/٣ ،

زاد المعاد : ٢٣/٣

(٤) السيرة لابن هشام : ٣٥٣/١

(٥) تقدم في ص : ٣٦٤ من هذا البحث .

بأهله عثمان بن عفان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (صحبهما الله ان عثمان لأول من هاجر الى الله بأهله بعد لوط) وفي رواية (بعد ابراهيم ولوط)^(١).

وقد حاول المشركون ردهم فلم يفلحوا^(٢) ، فاشتد أذاهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، قال ابن اسحاق^(٣) : " فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أحابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ اليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبدالمطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل الاسلام يفسو في القبائل ، اجتمعوا واثمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم ، وبنى المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه نسي صحيفة ثم تعاهدوا ، وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبنة تأكيدا على أنفسهم " أهـ^(٤).

وكان من أمره صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ما كان في استمراره في الدعوة الى الله عز وجل ، وصبره على أذى قومه ، وتحمله لهم حتى أذن الله له بالقتال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، كما قال تعالى :

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ

الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ١٩٣

" البقرة ١٩٣ "

حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ويعبد الله ولا يعبد سواه ، عند ذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة الى المدينة ، وأقام بمكة ينتظر أن يأذن الله

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي : ١٤٤/٥

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام : ٣٥٦/١ ، وزاد المعاد : ٢٤/٣

(٣) تقدمت ترجمته ص : ٢٤٧

(٤) السيرة النبوية لابن هشام : ٣٧٥/١

له بالخروج والهجرة الى المدينة ، وقد وصلها المسلمون قبله وانتشر فيسها
الاسلام ، فنزلت أكثر آيات الأحكام فيها ، وقد واجه الرسول صلى الله عليه
وسلم في المدينة أهل الكتاب ، فدعاهم الى الاسلام ، وجادلهم بالتسبي

هي أحسن كما قال تعالى :
﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلْهِنَاوَاللَّهُكُمْ وَجِدْونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤٦)

* العنكبوت ٤٦ *

فمن ما ورد من دعوته صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب مارواه ابن عباس
رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لأهل خيبر :
(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب
موسى وأخيه والمصدق لما جاء به موسى ، ألا ان الله قد قال لكم يامعشر
أهل التوراة ، وانكم لتجدون ذلك في كتابكم :

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرْتَهُمْ رُكْعًا تُسْجَدُونَ فَضَلَا مِنْ اللَّهِ وَرَضُوا نَأْسِيمًا هُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ
فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)

* الفتح ٢٩ *

وانى أنشدكم بالله وأنشدكم بما أنزل عليكم وأنشدكم بالذى أطعم من كان
قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذى أبيض البحر لأبائكم حتى أنجاهم
من فرعون وعلمه ، الا أخبرتموني هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا
بمحمد ، فان كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدُ
مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥٦﴾ البقرة
فادعوكم الى الله والى نبيه (١) .

وقد كتب الى كسرى وقيصر ، وغيرهما يدعوهم الى الاسلام ، وقد آمن بعض
أهل الكتاب بدعوته ، كما قال تعالى :

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَايَنَّا هُمُ الْكٰفِرُونَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
إِلَّا الْكٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾

* العنكبوت ٤٧ *

كما سيأتى فى دعوة أهل الكتاب .

وقد امتن الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أمته بما يغنى عن
أهل الكتاب ، وما عندهم - بهذا القرآن العظيم - الذى لا لبس فيه
ولا مرا ، كما قال سبحانه :

بَلْ هُوَ

ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ
بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾

* العنكبوت ٤٩ *

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (مامن الأنبياء نبي الا أعطى مامله آمن
عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيت وحيا أوداه الله الى فأرجوان أكون أكثرهم
تابعاً يوم القيامة) . (٢)

(١) ابن هشام : ١٩٣/٢ ، اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ص : ٨٩ ،

نصب الراية للنزيلعى : ٤١٩/٤ .

(٢) صحيح البخارى : ٩٧/٦ ، فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي ، واللفظه

، والاعتصام : ١٣٨/٨ ، صحيح مسلم : ١٣٤/١

وقد ورد في الحديث القدسي : (انما بعثتك لأبتليك ، وأبتلى بك ، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقروه ، نائما ويقظانا) . (١)

وقد تقدم الكلام عن فضل القرآن .

وقد بين الله تعالى أنه أكبر معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم حينما طلب الكفار المعجزات ، وبين أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم هي الانذار والابانة ، وقد قام بها خير قيام صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم بيان شيء قليل مما قام به صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى :

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ

آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

يَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتٌ فِي ذَٰلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

* العنكبوت . ٥١ ، ٥٠ *

فهذا القرآن الذي جذب سامعهم وعجزوا أن يأتوا بمثله أو بسورة أو بعض سورة من مثله ، كما تحداهم الله بفصاحته وبلاغته مع ما اشتهر به القوم من الفصاحة والبيان ، ولكن : ^{كما قال تعالى}

قُلْ أَنْظِرُوا مَا ذَا فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾

* يونس ١٠١ *

== الايمان باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . سنن

أحمد : ٣٤١/٢ ، ٤٥١ .

(١) جزء من حديث في سلم : ٢١٩٧/٤ الجنة باب الصفات التي يعرف بها

في الدنيا أهل الجنة وأهل النار . سنن أحمد : ١٦٢/٤ .

ومع الموقف المخزى من حارب الله ورسوله ، فان رسولنا صلى الله عليه وسلم
موجه من ربه ، فهو الذى أدبه مثل لما فى كتابه كما تقدم ، لذلك كان موقفه
أن استكفى بالله واعتمد عليه سبحانه ، وما ذلك الا لالتحام علمه بالله كما قال
صلى الله عليه وسلم عن نفسه ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : صنع
النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزهه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم ، فخطب فحمد الله ، ثم قال : (ما بال أقوام يتنزهون عن شئ أصنعه
، فوالله انى لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية) . (١)

ولقد آمن بعلم الله الذى يعلم السر وأخفى ، وعلم حال هؤلاء القوم

فوكّل الأمر اليه سبحانه ، قال تعالى :
قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾
* العنكبوت ٥٢ *

ولكن القوم استمروا فى جهلهم وتمادوا فى غيهم فطلبوا العذاب العاجل

ان كان محمدا صادق فيما يقول ، قال تعالى :

وَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾
* العنكبوت ٥٣ *

٤٣٣

وسياتى بيان ذلك فى دعوتهم ص :

(١) صحيح البخارى : ٩٦/٧ كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب .
واللفظ له .

صحيح مسلم : ١٨٢٩/٤ الفضائل باب علمه صلى الله عليه وسلم .

المسند : ٤٥/٦ ، ١٨١ .

الفصل السادس

بقية الأنبياء الوارد ذكرهم في السورة

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أقوام بعض الأنبياء الذين كذبوا رسلهم ، وما فعل الله بهم من الهلاك والدمار بما يجاز ، فقال سبحانه :

وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ

لَكُمْ مِّنْ مَّسَكِينِهِمْ^١ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ

العنكبوت ٣٨ *

فعاد قوم هود عليه السلام كانوا يسكنون الأحقاف وهي قرية من حضر موت

بلاد اليمن .

وتمود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر ، قريبا من وادي القرى ، وكانت العرب

تعرف ساكنهما جيدا وتعر عليها كثيرا * . (١)

فلم يرد في السورة دعوة هؤلاء الأنبياء لأقوامهم وجدالهم لهم ولكن هذا

الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ليتعظوا ويعتبروا ولا يقعوا فيما وقع

فيه القوم .

وكذلك ذكر الله عز وجل موسى مشيرا أنه جاء قومه بالبينات الواضحة وكان ممن

أوضحها ابطل سحرهم الذي اشتهروا به ، وخذعوا به الناس ، وكان ممن

عارضه وتكبر على دعوته وعدم الاستجابة له قارون صاحب الأموال الجزيلة ومفاتيح

الكنوز الثقيلة ، وفرعون ملك مصر في زمان موسى عليه السلام ، ووزيره هامان

القبطيان الكافران بالله تعالى وبرسوله * (٢) ، فكان عاقبتهم ومن كفر بالله

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٨/٣

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦٥٨/٣

ورسله ما سيأتى تفصيله (١). قال تعالى :

فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ

وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾
* العنكبوت . ٤ *

(١) فى دعوة الناس فى ص : ٤٤٥

الباب الرابع

المدعوون في السورة

وينقسم الى أربعة فصول :

الفصل الأول : المؤمنون

الفصل الثاني : المنافقون

الفصل الثالث : الكفار

الفصل الرابع : أهل الكتاب

الباب الرابع

المدعوون في السورة على اختلاف أصنافهم

لقد أرسل الله رسله الى الناس يدعونهم الى عبادته وحده دون سواه - حين ساد الشرك ، وفشى الظلم وكثر الجهل - .

وتختلف قابلية الناس لدعوة التوحيد حسب ما في نفوسهم من جهل وظلم سابق .

فمنهم من يؤمن ويصدق لأول وهلة يسمع فيها داعي الله - ومنهم من يكون على دين سابق فيتعصب له دون فكر أوربية .

ومنهم من يكون جاهلا يظن أن الدين سيسلبه ملكه وجاهه فيكابر ويعاند .
والقرآن يخاطب كل قوم بما يناسبهم .

وقد ورد في السورة بيان لبعض حال المؤمنين - والمنافقين - والكفار ، وأهل الكتاب ، وهو ما سيتضح في هذا الباب إن شاء الله .

الفصل الأول : المؤمنون

القرآن كله دعوة للمؤمنين المستجيبين لله ولرسوله والمؤمنون بمحكم القرآن ،
ومتشابهه ، والمعتبرون بقصصه وأمثاله الذين يتلونه حق تلاوته ، فعندما
تحدى الله الشركيين به عند تعنتهم في طلب المعجزات ، بين أن فيه رحمة
وذكرى للمؤمنين ، قال سبحانه :

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
يَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

* العنكبوت ٥١ *

وهذا من الحكمة في دعوتهم ، فما ورد في السورة عن حالهم أن الله عز
وجل يجزيهم بأحسن الجزاء ، قال سبحانه :

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

* العنكبوت ٧ *

فمن صح إيمانه عند ابتلاء الله له لم يتردد وواصل عمره في الأعمال الصالحة
فان الله يكفر عنه ماسلف من الآثام حتى الشرك ، قال صلى الله عليه وسلم :
(الاسلام يجب ما قبله) . (١)

وزيادة على ذلك يجزي بأحسن الجزاء .

فهذا فضل من الله وكرم منه جل وعلا ترغيبا في الاقبال عليه وفي الحديث
القدسي : (يقول الله تعالى :) أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني
فاذا ذكرني في ملاذكرته في ملاخير منهم وان تقرب الي بشير تقربت اليه ذراعاً

(١) سند أحمد : ١٩٩/٤ - ٢٠٤ - ٢٠٥ عن عمرو بن العاص حينما أراد أن يسلم

وينحوه في مسلم : ١١٢/١ الايمان باب كون الاسلام يهدم ما قبله .

وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان اتانى يمشى أتيته هرولة . (١)

ومن جزاء المؤمنين دخولهم في الصالحين كما قال سبحانه :

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿١﴾

* العنكبوت ١ *

فهذه الآية جاءت بعد نهى الله عن طاعة الوالدين في الشرك * فهذه بيان أن المرء انما يحشر مع من أحب أى حبا دينيا . (٢)

فان من آمن وعمل الصالحات يدخل في زمرة الصالحين ، ويدخل في مدخل الصالحين ، وهو الجنة (٣) ، وهو من الصالحين .

فالمقصود بالصالحين أى الذين سبقوه .

وقد بين الله سبحانه نوع الأجر الذى يوثقه الله للصالحين فقال سبحانه :

وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ * العنكبوت ٥٨ *

وهذه الآية جاءت بعد ذكر الموت فمن جاءه الموت وهو مطيع لله عامل بمرضاته

جازاه بأحسن الجزاء باسكانه في المنازل العالية في الجنة تجرى من تحتها

الأنهار على اختلاف أصنافها من ماء ، وخمر ، وعسل ، ولبن ، بصرفونها ويجرونها

حيث شاءوا ماكين فيها نعمت أجراً على أعمالهم . (٤) يؤيد ذلك ما روى عن

(١) تقدم تخريجه ص ١٢٥

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٦٤٦/٣

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني : ١٩٣/٤

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم : ٦٦٩/٣

أبي مالك الأشعري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه
أن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدّها
الله تعالى لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام وتاب الصلاة والصيام وقسم
بالليل والناس نيام (١)

فى هذا الحديث بيان لبعض الأعمال الصالحة التى تكون سببا فى دخول
الجنة ، وهذا من بيان السنة لمجمل القرآن .
ومن ترغيب الله لعباده أنه وعد الذين يجاهدون لله وفى الله أنه يهديهم

السبيل ويكون معهم ، قال تعالى :

وَالَّذِينَ

جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

* العنكبوت ٦٩ *

فالجهد من الأعمال الصالحة ومن أجل العبادات كما تقدم ص : ١٧٦
فجزءاً من قام به خالصاً لله ، أن لا يضل فى الدنيا لهدايته السبيل ولا يشقى
فى الآخرة لدخوله الجنة .

قال ابن تيمية رحمه الله : " لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم السدى
بعث الله به رسوله والعمل به جميعاً فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله
: ((اهدنا الصراط المستقيم)) والمراد طلب العلم بالحق والعمل به
جميعاً " . (٢) أهـ

فالهداية هنا هى الهداية الخاصة ، وهى هداية التوفيق والالهام التى هى
من الله سبحانه وتعالى .

(١) تقدم تخريجه ص : ٢٩١

(٢) مجموع الفتاوى : ١٦٦/٧

أما هداية الدلالة والارشاد فان الله عز وجل جعلها لجميع الخلق حيث أرسل لهم الرسل ، وأنزل لهم الكتب .

ومن هذه قوله تعالى : **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَآخَذْتَهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾**

* فصلت ١٧ *

وقوله سبحانه :

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ * الشورى ٥٢ *

وقد جمعت (السبل) مع أن سبيل الله واحد ، وذلك لأن الجهاد متعدد فالجهاد في الله لأجل العلم ، أو لأجل قتال الكفار ، أو لأجل دعوتهم بالقول ، أو غير ذلك ، فهذه سبل متعددة وكلها يجب أن تكون لله .

فمن قام بأى نوع من أنواع الجهاد ، فانه يوفق الى سبيله ، وكل نوع من أنواع الجهاد لابد أن يكون موافقا لما شرع الله ، فالعلم لأجل الدنيا أو الجهاد لأجل حرية أوقومية ، فانه ليس لله فلا ينفع صاحبه ، وقد يقول قائل ان من جاهد فهو مهتد فما الفائدة فو هدايته السبيل ؟ .

فيقال انه لا يعرف جميع الهدى ، وقد يضل فهداية السبيل تكون بالثبوت أو بزيادة الهدى ، كما قال سبحانه :

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى

وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

* مريم ٧٦ *

وقيل لنوفقتهم لاصابة الطريق المستقيمة ، هي التي توصل بهم

الى رضا الله عزوجل " (١) ، ولا مانع من اجتماع كل هذا الخبر - لأن الله مع من جاهد في سبيله ، فيحصل له كل خير وفلاح في الدنيا والآخرة .
وهذه المعية التي ذكرت هنا ، قال العلماء إنها النصر والمعونة في الدنيا والشواب والمغفرة في الآخرة " (٢) .

قال ابن القيم : " وطق سبحانه الهداية بالجهاد فأكل الناس هداية أعظمهم جهادا ، وأفرض الجهاد جهاد النفس ، وجهاد الهوى ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الدنيا ، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هُدى الله سبيل رضاه الموصلة الى جنته ، ومن ترك الجهاد فإنه من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد " (٣) .

وقد ثبت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان الله تعالى يحب من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وماتقرب الى عبدي بشئى أحب الى مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى بيطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاننى لأعيننه ، وما ترددت عن شئى أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره المسوت وأنا أكره اسامته) (٤) .

ومن جاهد لله ولأجل الله فهو محسن فتحصل له الهداية والمعية فمنهم

(١) معالم التنزيل للبخارى : ٤٧٥/٣

(٢) معالم التنزيل للبخارى : ٤٧٥/٣ ، وانظر جامع البيان عن تأويل القرآن :

٠١٥/٢١

(٣) الفوائد : ص ٥٠

(٤) صحيح البخارى : ١٩٠/٧ ، الرقاق باب التواضع ، واللفظ له .

سند أحمد : ٢٥٦/٦ .

المحسنون ، فالمحسنون هم الذين يحسنون أعمالهم لأجل الله ، ويحسنون الى خلق الله بدون من أو أذى . .

كما أمرهم الله عز وجل بتعليم الجاهل ، والرفق بالعاجز ، وجميع وجوه الاحسان التي أمر الله بها ، هذا بالنسبة للخلق ، أما بالنسبة للخالق سبحانه ، فهو أن تحسن عبادتك له كما أمرك ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (١) .

قال القرطبي (٢) : " والمحسن من صحح عقد توحيدهِ وأحسن سياسة نفسه وأقبل على أداء فرائضه ، وكفى المسلمين شره " . (٣)

وهذا مستلزم للجهاد ، فهذا من عطف العام على الخاص ، فان الجهاد خاص أى أنه جزء من الاحسان .

وما ورد عن المؤمنين فى السورة اعتبارهم بالآيات ، وقد تقدم أن أول الآيات من السورة نزلت فى شأن الذين فتقوا من المؤمنين فى أول الاسلام ، وصبروا على ذلك حتى كانت لهم العقبى فى الأولى والأخرى ، وما ذلك الا ليعتبر المؤمنون .

كما بين سبحانه أن الآيات والعبر التى فى قصص الأولين لا يستفيد

منها الا المؤمنون ، فبعد أن ذكر نجات ابراهيم من النار قال سبحانه :

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ

فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

* العنكبوت ٢٤ *

(١) تقدم تعريفه فى ص :

(٢) تقدمت ترجمته ص :

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٤١٥

يقول تعالى ذكره ان في انجائنا لابراهيم من النار وقد ألقى فيها وهي تسمى
وتصيرها عليه بردا وسلاما لأدلة وحججا لقوم يصدقون بالأدلة والحجج
إذا عاينوا ورأوا * (١)

وانما خص المؤمنين لأنهم الذين يعتبرون بآيات الله سبحانه وأما من عداهم
فهم عن ذلك غافلون * (٢)

وبعد أن ذكر الله قصة لوط قال :

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

* العنكبوت ٣٥ *

قال الطبري : * يقول تعالى ذكره : ولقد أبقينا من فعلنا بهم آية يقول :
عبرة بينه وخطه لقوم يعقلون عن الله حججه ويتفكرون في مواظبه ، وتلك الآية
البينة هي عند غو آثارهم ودروس معالمهم * (٣)

وتذكر الله لنا في ساكن عاد وثمود ، انما هو للعبرة والعظة حيث

قال سبحانه :

وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ بَيَّنَّا

لَكُمْ مِنْ مَسَكِنِهِمْ^{٣٦} وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ^{٣٧} عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

* العنكبوت ٣٨ *

وهذا من ترهيب المؤمنين . وبعد أن بين سبحانه خلقه للسموات والأرض

بالحق بين أن الذي ينتفع بذلك هم المؤمنون ، قال تعالى

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لآيَةً^{٣٩} لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

* العنكبوت ٤٤ *

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٤١/٢٠

(٢) فتح القدير : ١٩٨/٤

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٤٩/٢٠

أى فى ذلك حجة لمن صدق بالحجج اذا عاينها ، والآيات اذا رآها . (١)

” وخص المؤمنين لأنهم الذين ينتفعون بذلك ” (٢) ، فان المؤمن اذا تدبر خلق السموات والأرض رأى فيها قدرة الله عيانا ما يدعوه للاذعان والتسليم .

وسا ميز الله به العلماء من المؤمنين فى هذه السورة ، عقلمهم الأمثال . قال

وَتِلْكَ

تعالى :

الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

العنكبوت ٤٣

فالعالمون ” هم العالمون بالله وآياته ” (٣)

كما روى عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه) . (٤)

فما يفهم الأمثال ويتدبرها الا الراسخون فى العلم المتضلعون منه (٥) سواء ما يتلى عليهم أو يشاهدونه .

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٥٤/٢٠ .

(٢) فتح القدير : ٢٠٤/٤

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٥٤/٢٠ .

(٤) معالم التنزيل للبغوى : ٤٦٨/٣

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٦٦٠/٣

وعن عمرو^(١) بن مرة قال : " ما مرت بآية من كتاب الله الا أعرفها الا أحزنني

لأنني سمعت الله تعالى يقول :

وَتِلْكَ

الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ عَطَايَا لِمَا يَعْزُبُ عَنْهَا لَعَلَّكُمْ تَافَهُونَ ﴿٤٣﴾

* العنكبوت ٤٣ *

فمن يعقل الأمثال التي يضربها الله فهو من أهل العلم الحقيقي الذين

وصل العلم الى قلوبهم فيعرفون أنها أهم من غيرها لاعتناء الله بها وحثه عباده على تعقلها ، وتدبرها ، فيبدلون جهدهم في معرفتها .

أما من لم يعقلها مع أهميتها فان ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم

لأنه لم يعرف المسائل المهمة فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأخرى * .^(٣)

فما ذكره الله عز وجل من الآيات في السورة انما هو عبرة للمؤمنين ، وما قصه

الله عز وجل من قصص الماضين وما فعل الله بهم ما هو الا ترغيب للمؤمنين

في سلوك طريق الناجين وترهيب لهم عن سلوك طريق الهالكين . .

(١) تقدمت ترجمته ص :

(٢) تقدم في ص : ٢٩٨

(٣) انظر تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٨٩/٦

وسا ورد عن المؤمنين في السورة حثهم على العمل بطاعة الله :

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بتلاوة الكتاب والأمر للرسول صلى الله عليه وسلم
أمر لأمته ما لم يرد ما يخصه * . (١)

قال تعالى : **أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ**

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

* العنكبوت ٤٥ *

وتلاوة الكتاب على معنيين كما تقدم ، فالتلاوة اللفظية وقد تقدم فضلها
ان كانت خالصة لله .

والتلاوة المعنوية هي العمل بما فيه من اقامة شرع الله بين المسلمين بارشاد
ضالهم وتعليم جاهلهم ، والسعى في مصالحهم ، وهذا من النصيحة لهم
كما قال صلى الله عليه وسلم : (الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله
ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم) . (٢)

(١) انظر التمهيد في أصول الفقه : ٢٧٦/١

(٢) صحيح مسلم : ٧٤/١ الايمان باب بيان أن الدين النصيحة .

سنن أبي داود : ٢٣٣/٥ الأدب باب في النصيحة

سنن النسائي : ١٥٦/٧ النصيحة للامام في كتاب البيعة ، وهو عن تميم

الدارمي ، الا عند الترمذي فهو عن ابن جرير ، سنن الترمذي : ٣٢٤/٤

البر ، باب ما جاء في النصيحة ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ومن اقامة شرع الله بينهم التأمير بينهم بالمعروف والتناهي عن المنكر وهو من تلاوة الكتاب وهو الذي يميزهم عن غيرهم ، وحصلت لهم الخيرية به بشهادة القرآن ، قال تعالى :

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)

* آل عمران ١١٠ *

وقد بين صلى الله عليه وسلم وجوبه على كل فرد من أفراد الأمة فقال : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان) . (١)

ولا يقوم بهذا العمل الا من ألزم نفسه بطاعة الله وأمرها بما أمر الله به ونهاها عما نهى الله عنه ، لذلك جعل الله الصلاة من أسباب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال جل وعلا :

(١) صحيح مسلم : ٦٩/١ الاياد باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان سنن أبي داود : ٦٧٧/١ الصلاة باب الخطبة يوم العيد سنن الترمذى : ٤٦٩/٤ الفتن باب ماجاء فى تفسير المنكر وقال : هذا حديث حسن صحيح .

مسند أحمد : ١٠/٣ - ٢٠

سنن النسائى : ١١١/٨ - الايمان ، تفاضل أهله .

سنن ابن ماجه : ٤٠٦/١ ، اقامة الصلاة باب ماجاء فى صلاة العيدين

أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

• العنكبوت ٤٥ •

والمعروف كل ما أمر به الشارع وحث عليه فمنه ما ذكر في هذه السورة
كالتوحيد ، والايمان ، وتلاوة القرآن واقام الصلاة والذكر ، والهجرة ،
والجهاد ، وبر الوالدين ، وقد تقدم الكلام عليها .

ومن المنكرات التي ورد التحذير منها في هذه السورة الشرك أو الكفر بالله
واليوم الآخر ، والنفاق ، واللواط ، وقطع الطريق ، والافساد في الأرض .

كما أن من اقامة شرع الله الدعوة الى دينه بتبيين محاسن الاسلام ومساوىء
الكفر والفسوق والعصيان .

وقد بين الله شيئا من ذلك في هذه السورة فقال سبحانه :

﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾
العنكبوت ٤٦

وهذا جزء من الدعوة وقد أمر الله بها عموما مقرونة بالأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر فقال سبحانه :

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠٤﴾

• آل عمران ١٠٤ •

فاذا قام المسلمون بهذا الأمر فان الله قد وعدهم بالخير العميم والهداية

وعدم الضلال ، ومعيته لهم بالمعية الخاصة كما قال سبحانه :

وَالَّذِينَ

جَاهِدُوا فِيْنَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

* العنكبوت ٦٩ *

وإذا تركوه حصل لهم الذل والخذلان كما قال صلى الله عليه وسلم
(إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم
الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم) . (١)

ولذلك أمر الله بالهجرة لإقامة شرعه والدعوة اليه ، كما قال تعالى :

يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

* العنكبوت ٥٦ *

وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم بوقوع الفتن بين المسلمين ، كما قال
صلى الله عليه وسلم : (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها
خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى من تشرف لها تتشرفه فمن
وجد فيها ملجأ أو معاذا فاليعذبه) . (٢)

ومن ذلك ما يظهر بين المسلمين من أونة الى أخرى من يدعو الى حزبية
أو أشخاص معينين يوالي فيهم ويعادى فيهم أو يقاتل لأجلهم ، ولو
كان لهم مخالقات صريحة لكتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم
من تأويل للنصوص واتباع للمتشابه وابتداع فى دين الله ، فما موقف
المسلمين من ذلك ؟

(١) سنن أبى داود : ٣ / ٧٤٠ البيوع باب فى النهي عن العينة واللفظ له .
السنن الكبرى للبيهقي : ٥ / ٣١٦ البيوع ، الكنى للدولابي : ٢ / ٦٥ وبنحوه
فى المسند : ٢ / ٢٨ ، وحلية الأولياء : ١ / ٣١٤ .
(٢) الجامع الصحيح للبخارى : ٨ / ٩٢ كتاب الفتن باب ٩ ، صحيح مسلم :
٤ / ٢٢١٢ الفتن باب نزول الفتن كمواقع القطر ، مسند أحمد : ٢ / ٢٨٢

لقد بين صلى الله عليه وسلم موقف المسلمين من ذلك ، وهو ان كان لهم امام فيجب عليه ايقات هو "لا" على حدهم ، والأخذ على أيديهم كما حصل منه صلى الله عليه وسلم حينما وقف لليهود في مسألة الرجم وبين لهم الحسب فيها بما يوجد في التوراة . (١)

وكالذي سأل عن الساعة فقال له : (ماذا أعددت لها) (٢)

وقد نهى صلى الله عليه وسلم الصحابة عن الأخذ من أهل الكتاب والتعلم منهم ، فعن عبدالله بن الحارث الأنصاري رضى الله عنه قال : دخل ابن الخطاب على النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب فيه مواضع من التوراة ، فقال : هذه أصبتها مع رجل من أهل الكتاب عرضها عليك ، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيرا شديدا ، لم أر مثله قط ، فقال عبدالله ابن الحارث لعمر ، أما ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا ، فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : (لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم أنا حظكم من النبيين وأنتم حظي من الأمم) . (٣)

(١) انظر القصة في صحيح البخاري : ٢٢/٨ ، ٣٠ ، الحدود باب الرجم في البلاط ، وكتاب التوحيد : ٢١٣/٨ ، باب ما يجوز من تفسير التوراة ، صحيح مسلم : ١٣٢٦/٣ الحدود باب رجم اليهود كما أخرجها أحمد وأبو داود وابن ماجه ومالك والطيالسي .

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري : ٢٠٠/٤ مناقب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر رضى الله عنه ، والأدب : ١١٢/٧ ماجه ، فسرى قول الرجل ويملك ، صحيح مسلم : ٢٠٣٢/٤ البر باب المرء مع من أحب كما أخرجه الترمذي وأحمد .

(٣) تقدم في ص : ١٨٩

فانظر الى شدة انكار الرسول صلى الله عليه وسلم وحرصه على حفظ الدين من أن يدخل فيه شيئاً مما تستحسنه الأهواء ، وانظر الى سرعة استجابة صحابته وامثالهم لأوامره ، ومن ذلك ما فعله أبو بكر رضى الله عنه مع مانعى الزكاة حيث حاربهم وجعلهم مرتدين عن الاسلام .

ومن ذلك ما فعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالرجل الذى يسأل عن متشابه القرآن ، فعن سليمان^(١) بن يسار قال : " ان رجلاً من تميم يقال له صبيغ^(٢) بن عسل قدم المدينة ، وكانت عنده كتب ، فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه ، فبعث اليه وقد أعد له عراجين^(٣) النخل ، فلما دخل عليه جلس ، فقال له عمر رضى الله عنه من أنت ؟ ، فقال : أنا عبد الله صبيغ ، فقال عمر رضى الله عنه

(١) هو : أبو عبد الله المدني ، مولى أم المؤمنين سيمونة الهلالية ، ولد فى خلافة عثمان سنة ٣٤ هـ ، حدث عن جمع من الصحابة منهم زيد بن ثابت ، وابن عباس ، وأبى هريرة ، وحسان ، وعائشة ، وغيرهم .

من أوعية العلم ، ثقة ، مأمون ، فاضل ، عابد ، كثير الحديث ، ت سنة ١٠٧ هـ ، ((سير أعلام النبلاء : ٤ / ٤٤٤))

(٢) ويقال صبيغ بن سهل الحنظلي ، وقيل بعد هذه القصة نفاه عمر الى البصرة ، ونهى عن مجالسته حتى تاب ، وكان سيداً فى قومه وبعد هذه القصة صار ضعيفاً . الاصابة : ٣ / ٥٨٨

(٣) العرجون العذق عامه ، وقيل العذق اذا يبس واعوج ، وقيل اصل العذق الذى يعوج وتقطع منه الشمايخ . لسان العرب : ١٣ / ٢٨٤ عرجن .

وأنا عبد الله عمر ، ثم أهوى اليه فجعل يضربه بتلك العراجين ، فما زال يضربه
حتى شجه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، فقال : حسبك يا أمير المؤمنين
، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي * .^(١)

ولما ساق الآجري^(٢) هذه القصة ، وسبب ضرب عمر له قال ولأنه راع يجسب
عليه تغد رعيته في هذا وفي غيره * .^(٣)

ومن ذلك ما فعله علي رضي الله عنه مع الخوارج حينما قتلهم .^(٤)

وقال يوما سلوني فقام ابن الكوا^(٥) فقال ما السواد الذي في القصر ،

(١) سنن الدارمي : ٥١/١ مقدمة باب من هاب الفتيا ، وانظر الاصابة : ٤٥٨/٣
الشرعية للآجري : ص ٧٣ .

(٢) هو محمد الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري ، دينا ، ثقة ، صدوق
، صاحب سنة واتباع ، له كتب منها : الشريعة ، والرواية ، والغريب ، والأربعين
التمانين ، توفي سنة ٣٦٠ هـ ، وعمره ثمانون سنة . سير أعلام النبلاء : ١٣٣/١٦

(٣) الشريعة : ٧٤

(٤) انظر سند أحمد : ٨٨٠٨٦/١ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١٣٩ ، وسند الطيالسي : ٢٤/١
حديث ١٦٥ .

(٥) هو عبد الله أبي أوفى اليشكري من بكر بن وائل . من قادة الخوارج ورجع
الى علي بعد مناظرة ابن عباس لهم . انظر البداية والنهاية : ٢٨١/٧

فقال قاتلك الله سل تفقها ولا تسأل تعنتا ، الا سألت عن شيء ينفعك
في أمر دينك أو أمر آخرتك ، ثم قال : ذلك محو الليل .^(١)

أما اذا لم يكن للمسلمين امام أو كان لهم امام لا يهتم بمثل هذه القضية
، فعلى المسلم سلوك ماسلكه سلف الأمة من ترك الجدل والخصام ، وعليه
توضيح شرع الله للناس بدون الجدل والخصام ، فقد نهى عنه صلى الله
عليه وسلم وقال : (ماضل قوم بعد هدى الا أتوا الجدل ، ثم قرأ :

وَقَالُوا أَأَلِهْتَنَا

خَيْرَ أَمْرٍ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ لِإِلَاجِدَالٍ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾

الزخرف ٥٨ .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : (سيكون أقوام يجادلونكم
بمتشابه القرآن ، فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنن أطم بكتاب الله) .^(٣)

وقال الحسن^(٤) : " المؤمن لا يدارى ولا يمارى منشر حكمة الله عز وجل
فان قبلت حمد الله عز وجل ، وان ردت حمد الله عز وجل . " .^(٥)

(١) الشريعة : ٧٤

(٢) سند أحمد : ٢٥٢/٥ ، ٢٥٦ ، سنن الترمذى : ٣٧٨/٥ ، التفسير الزخرف

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

سنن ابن ماجه : ١٩/١ ، مقدمة باب اجتناب البدع والجدل

، الحاكم : ٤٤٨/٢ ، وقال : هذا صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

(٣) الشريعة : ٧٤

(٤) هو : الحسن البصرى .

(٥) الشريعة : ٧٤

للحكم^(١) : " ما اضطر الناس الى الأهواء " ، قال : الخصومات " .^(٢)

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن (قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ،
ومنع وهات ، وعقوق الأمهات وواد البنات)^(٣) .

ولما ساق الآجری^(٤) بعض الأدلة والآثار على ذم الخصام والجسدل
قال : " فاسلكوا طريق من سلف من أئمتكم يستقم لكم الأمر الرشيد وتكونوا
على المحجة الواضحة ان شاء الله تعالى " أه^(٥)
وصدق الامام مالك حينما قال : " لن يصلح آخر هذه الأمة الا بما
صلح به أولها " .^(٦)

هذا بالنسبة للجدل المذموم ، أما الجدل المدوح فهو ايضاح الحق لمن يريد
بدون اظهار غلبة أو تشفى كما تقدم في أساليب الدعوة ص : ٣٣٠

(١) هو الحكم بن عتبة ، أبو محمد الكندى ، مولاهم الكوفى ، ولد سنة ٤٦ هـ ،
صاحب عبادة وفضل ، ثقة ، ثبت ، فقيه ، صاحب سنة واتباع ، ت سنة
١٢٥ هـ . (سير أعلام النبلاء : ٢٠٨/٥) .

(٢) الشريعة للآجری ص : ٥٨

(٣) جزء من حديث في صحيح البخارى : ١٨٤/٧ الرقاب باب ما يكره من قيل وقال
والاعتصام : ١٤٣/٨ ، باب ما يكره من كثرة السؤال واللفظ له .
صحيح مسلم : ١٣٤٠/٣ ، ١٣٤١ ، الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل
من غير حاجة ، سنن الدارمي : ٢١٩/٢ ، الموطأ : ٩٩٠/٢ ، السند
: ٣٢٢/٢

(٤) تقدمت ترجمته ص : ٤١٧

(٥) الشريعة ص : ٧٥

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم : ٧٥٤/٢ ، الشفاء للقاضى عياض : ٨٨/٢ ، وذكر
في الصارم المنكى لابن عبد الهادى ص ٣٥٠

الفصل الثاني

القسم الثاني من أقسام المدعوين في السورة

المنافقون

قال بعض العلماء أن المنافقين لم يظهرُوا إلا في المدينة بعد أن أعز الله الإسلام وأهله (١) .

قال ابن كثير رحمه الله : " وإنما نزلت صفات المنافقين في السورة المدنية لأن مكة لم يكن فيها نفاق ، بل كان خلافه من الناس من كان يظهر الكفر مستكرها وهو في الباطن مؤمن فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج قل من أسلم من اليهود مثل عبد الله بن سلام رضى الله عنه ، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضا لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف ، فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته وأعز الإسلام وأهله قال عبد الله بن أبي بن سلول وقد عزموا أن يملكوه عليهم فجاءهم الخير واشتغلوا عنه ، بقى في نفسه مسن الإسلام وأهله فقال : هذا أمر قد توجه فأظهر الدخول في الإسلام ودخل معه طوائف من هم على طريقته ، ونحلته وآخرون من أهل الكتاب ، فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب " . (٢)

لذلك اختلف العلماء في هذه السورة هل هي مكة أو مدنية أو بعضها

مكي وبعضها مدني .

(١) انظر جامع البيان عن تأويل القرآن : ١١٢/١

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٧٤/١

ومن قال انها مكية ، هو ابن عباس ، وعبد الله بن الزبير ^(١) ، والحسن ^(٢) ،
وعكرمة ^(٣) ، وعطاء ^(٤) ، وجابر ^(٥) ، وقتادة ^(٦) .

وفي القول الآخر لابن عباس وقتادة هو قول يحيى بن سلام ^(٧) أنها مكيّة

(١) الدر المنثور : ١٤٠/٥

(٢) هو الحسن البصرى .

(٣) هو : أبو عبد الله القرشى مولا هم المدني البربري الأصل ، حافظ مفسر
، ثقة ، حدث عن كبار الصحابة ، كابن عباس ، وعائشة ، وأبي هريرة
، وابن عمر ، ت سنة ١٠٥ هـ . سير أعلام النبلاء : ١٢/٥

(٤) تقدمت ترجمته ص : ٣٧٢

(٥) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي اليمحدي ، مولا هم ، البصري ،
الكوفي ، كان عالم أهل البصرة في زمانه ، من كبار تلامذة ابن عباس ،
ت ٩٣ هـ . (سير أعلام النبلاء : ٤٨١/٤)

(٦) تقدمت ترجمته ص ٣٨١

(٧) يحيى بن سلام ابن أبي ثعلبة الامام العلامة أبو زكريا البصري
، نزيل المغرب بافريقية ، صدوق ، ثقة ، ثبتا ، عالما ،
بالكتاب والسنة ، وله معرفة باللغة العربية ، ولد سنة ١٢٤ ، وتوفى
بمصر سنة ٢٠٠ هـ رحمه الله . . .

((سير أعلام النبلاء : ٣٩٦/٩))

الاعشر آيات من أولها فانها نزلت بالمدينة في شأن من كان من المسلمين بمكة^(١) وبهذا قال الشعبي^(٢) (٣)

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " نزلت بين مكة والمدينة " .^(٤)

والذي يظهر لي أن السورة كلها مكية كما قاله ابن عباس وابن الزبير لاسناد ذلك عنهما كما في الدر ، وهو أكثر قول التابعين ، والذين فتنوا من المسلمين كانوا بمكة ، والظاهر أن قصة سعد كانت بمكة ، أو أن الآيات التي فيها ذكر من فتنوا المراد بهم ضعاف الايمان ، «أو أن هذا من الاخبار بالغيب» .^(٥) ، فالله يعلم ظهور المنافقين في المدينة قبل أن يظهروا ، ومكة لم يكن فيها نفاقا ، وإنما كان فيها ضعاف الايمان ، فمن الناس من آمن بظن أن المطلوب منه القول فقط ، فسن ضعف ايمانهم أنهم اذا فتنوا لأجل مصالحهم ارتدوا على أعقابهم ، وهذا ما يدل

على قوله تعالى وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

* العنكبوت ١٠ *

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣٢٣/١٣ ، وانظر جامع البيان عن تأويل القرآن :

١٣٣/٢٠ ، زاد السير : ٢٥٣/٦ .

(٢) هو : عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كهار ، من أقبال اليمن ، الهمداني

الشعبي ، رأى عليا وصلى خلفه وسمع من بعض كبار الصحابة منهم ابن عمر ، وكان

حافظا وما كتب شيئا ، ت سنة ١٠٤ هـ ، (سير أعلام النبلاء : ٢٩٤/٤) .

(٣) معالم التنزيل : ٤٦٢/٣

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٣٢٣/١٣ ، وانظر فتح القدير : ١٩١/٤

(٥) انظر روح المعاني للالكوسي : ١٤٠/٢٠

ولم يظهر للمنافقين شوكة وذكر الا في المدينة .

والله سبحانه لما بين في أول السورة أنه لا بد من الفتنة والابتلاء بين الذين

يصبرون عليها وجزاؤهم ، كما بين الكفار الذين لم يدعو الايمان أملاً ثم بين الذين

ادعوا الايمان وأن حقيقتهم تظهر عند الابتلاء ، فقال سبحانه وتعالى عنهم :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ
اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي
صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾

* العنكبوت . ١١ ، ١٠ *

فهذه الآية ((ومن الناس)) نزلت في أناس كانوا يؤمنون بالسننهم

فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا .

وقيل : نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون الى بدر فارتدوا* . (١)

فمن ابن عباس رضى الله عنه قال : * كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون

باسلامهم فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم وقتل بعضي ، وقال

المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكروهوا ، فاستغفروا لهم ، فنزلت

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ

قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَاوَلَيْكَ مَا وَدَّعْتَهُمْ

* النساء . ٩٢ *

جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾

(١) أسباب النزول للواحدى : ٣٩٦ ، وانظر جامع البيان عن تأويل القرآن :

الى آخر الآيه ، قال : فكتب الى من بقى بمكة من المسلمين بهذه الآيه أن لا عذر لهم فخرجوا . فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت فيهم هذه الآيه :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾
"العنكبوت . ١٠"

فكتب المسلمون اليهم بذلك ، فخرجوا وايسوا من كل خير

ثم نزلت فيهم

ثُمَّ آتَىٰ رَبَّكَ

لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا أَنَّهُمْ جَاهِدُوا
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾

"النحل . ١١"

فكتبوا اليهم بذلك : " ان الله قد جعل لكم مخرجا ، فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل " . (١)

قال الشوكاني : " والظاهر أن هذا النظم من قوله ((ومن الناس من يقول)) الى قوله ((وقال الذين كفروا)) نازل في المنافقين لما يظهر من السياق ولقوله : ((وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين)) فانها لتقرير ما قبلها وتأكيده " (٢) . أهـ

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٣٣/٢

(٢) فتح القدير : ١٩٤/٤

ومن خلال هذه النقول تبين أن المنافقين لم يظهروا وتكون لهم شوكة الا نسي المدينة ، أما مكة فان فيها من أسلموا قديما وتزعزع اسلامهم بسبب فتنة المشركين لهم فلما انتصر المسلمون ببدر أظهروا الاسلام ، يدل على ذلك قول المسلمين :
 " كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكروها " وكأبتهم لهم أن لا عذر لكم . .

ومن خلال سبب النزول تبين لى أن بعض ضعاف الايمان الذين نزلت بهم هذه الآيات قد تابوا الى الله عز وجل وذلك أن الذين لم يقتلوا فى بدر خرجوا من مكة وتبعهم المشركون وقتلوه ، وهذا من رحمة الله بعبادة اذ حاربوه وبارزوه بالعداوة ثم رجعوا اليه فقبل منهم وتجاوز عنهم وهذا فضل منه وكرم جل وعلا ، وفتح الباب أمام عباده الظالمين لأنفسهم أن يرجعوا اليه ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، قال تعالى :

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾
 الزمر ٥٣

وقد ورد ذكر النفاق فى السورة ، يقول تعالى :

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾

وسأبين قسبي النفاق لكي يتضح من أى القسمين النفاق الوارد فى السورة .
 فالنفاق فى الشرع هو : " اظهار الاسلام وابطان الكفر " ، والمنافق اسلم اسلامي لم يعرف فى الجاهلية وهو من دخل فى الاسلام بلسانه دون قلبه . (١)

(١) المزهرفى علوم اللغة للسيوطي : ٣٠١/١

وقد جاءت نصوص عامة باطلاق النفاق ، وبعضها يطلق على أعمــــال
تقع من المؤمن ، فمثلا قوله صلى الله عليه وسلم : (أربع من كن فيه كان منافقا
خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتي يدعها : اذا
اثمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر) .^(١)

لقد اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أن النفاق ينقسم الى قسمين
، وهذا ماورد عن الترمذى رحمه الله حيث قال عن الحديث : " هذا حديث
حسن صحيح ، وانما معني هذا عند أهل العلم نفاق العمل وانما كان نفاق
التكذيب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم " ، هكذا روى عن الحسن
البصرى شيئا من هذا أنه قال : " النفاق نفاقان : نفاق العمل ونفاق
التكذيب " . أهـ^(٢)

وقال ابن كثير : " النفاق هو : اظهار الخير واسرار الشر وهو أنواع
اعتقادي : وهو الذى يخلد صاحبه فى النار ، وعطى : وهو من أكبر الذنوب "^(٣)
ويدل على ذلك الحديث المتقدم ..

واستدل بعض العلماء على هذا التقسيم بخوف الصحابة على أنفسهم من النفاق
لأنه ليس عندهم شك فى ايمانهم لأن الشك كفر^(٤) ، وانما يخافون على أنفسهم

(١) صحيح البخارى : ١٤/١ ، الايمان باب علامات المنافق ، والمظالم : ١٠١/٣
باب : اذا خاصم فجر ، واللفظ له . صحيح مسلم : ٧٨/١ ، الايمان باب
بيان خصال المنافق . سنن الترمذى : ١٩/٥ .
كما أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وأحمد

(٢) سنن الترمذى ٢٠/٥

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٧٤/١ ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووى : ٤٦/٢

(٤) انظر الشريعة للأجرى ص ١٣٦ ، الايمان لابن تيمية ص ١٠٠

من نفاق العمل ، كما اثر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه يقول لحذيفة رضى الله عنهما : " أنشدك بالله أمن القوم أنا " ^(١) فإنه لم يرد بذلك نفاق الكفر ، وإنما أراد نفاق العمل . ^(٢)

وعن ابن أبي مليكة ^(٣) قال : " أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول أنه على إيمان جبريل وميكائيل " ^(٤)

وعندى أنهم يخافون من نفاق الاعتقاد وهذا من شدة خوفهم ووجلهم من الله عز وجل وليس شكاً في إيمانهم وذلك لأن عمر سأل حذيفة عن الذين عداهم لله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصلى عليهم ، والرسول لم ينهى عن الصلاة على عصاة الموحدين وإنما من خرج من ذلك .

(١) الزهد لوكيع : ٢٩١/٣ ، ونحوه في مساوي الأخلاق للخرائطي : ٢٧/١ ب ٢٨/١ ، البداية والنهاية : ١٩/٥ ، وانظر فتح الباري : ٩٠/١ ، وروى أنه قال ذلك لأُم سلمة . انظر مناقب أمير المؤمنين عمر ، لابن الجوزي ص : ١٦٠ ، وسند عمر بن الخطاب ص : ٩٠ .

(٢) فتح الباري : ٩٠/١

(٣) هو : عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي ، حدث عن كبار الصحابة كعائشة ، وأسامة ، وأبي محذورة ، وابن عباس ، وكان عالماً مفتياً صاحب حديث واتقان ، ثقة ، ولي القضاء لابن الزبير ، والآذان ، ت سنة ١٢٧ هـ .

سير أعلام النبلاء : - ٨٨/٥ .

(٤) صحيح البخاري : ١٧/١ الايمان باب خوف المؤمن أن يحبط عمله .

وكذلك ما يدل على خوف المؤمن على نفسه مهما كانت حالة ماورد عن ابن مليكة المتقدم ، وماورد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ((والذين يؤمنون ما أتوا وقلوبهم وجلة))^(١) ، قالت عائشة : هم الذين يشربون الخمر ، ويسرقون ، قال : لا يابنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ، ويصلون ، ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون فى الخيرات) .^(٢)

وعلى هذا التقسيم فالذى يظهر أن النفاق الوارد فى السورة هو من القسم الأكبر وهو النفاق الاعتقادى ، لأن الله عز وجل ذمهم على نفاقهم بقوله : ((آمننا)) أتى بها على صيغة الجمع ولم يأتى بها على صيغة المفرد ، هذا يدل على مجرد ادعائهم ، فالمنافق لم يؤمن فى الحقيقة وإنما ضم صوته السى صوت المؤمنين لأجل مصلحة فى نفسه بدون عمل ، فلو سئل مادورك فى هذا الايمان - من عالم بحقيقته وسلوكه - لم يجد جوابا ، مثال ذلك : كالرقيق الذى عند سيده يقول اشترينا بضاعة كذا وكذا وهو فى الحقيقة لم يشتر شيئا .

وكون نفاقهم اعتقادى لعدم صبرهم على البلاء وايتارهم العاجل على الآجل فيصددهم الأذى من الناس عن دينهم واعتقادهم ، لأن قولهم بألسنتهم لم يواطىء ما فى قلوبهم ، وهذا سوء تقديرهم وفساد تفكيرهم ، والا كيف يقارنون بين عذاب الله الدائم الذى لا راد له ، وهو من غضب الله سبحانه على من عصاه ، وبين عذاب الناس المنقطع الذى يمكن أن يرد بالأسباب ويترتب عليه ثواب عظيم ، فهل هناك وجه للمقارنة .

(١) سورة المؤمنون : ٦٠

(٢) سنن الترمذى : ٣٢٧/٥ ، التفسير باب ومن سورة المؤمنون ، واللفظ له

مسند أحمد : ١٥٩/٦ .

تفسير القرآن العظيم : ٣٩٧/٣

ولكن القوم لا يؤمنون بعذاب الله أصلاً أو أن إيمانهم على غير مراد الله
، وهم مذمومون على كل الحالين .

يقول الله عز وجل عنهم :

وَمِنَ النَّاسِ

مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ

وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

البقرة ٨ ، ٩ .

وقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم منهم فقال : (ان أخوف ما أخاف
عليكم بعدى كل منافق عليم اللسان) . (١)

كما أنهم يأتون بأفعال المؤمنين ما يغر المؤمنین بهم ، فقد قال صلى الله
عليه وسلم : (أكثر منافق أتى قراؤها) . (٢)

فهم يقرأون القرآن ، ولكن لا ينفعهم شيئاً ، لأنهم لا يعطون به .

وكذلك الله عز وجل فضحهم بقوله :

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ

فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ

إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾
العنكبوت ١٠ .

فلاستفهام للانكار ، والآية فيها تشنيع عليهم فعلهم ، وذل لهم ، وتحذير

للمؤمنين أن يقعوا بما وقعوا فيه ، لأنه الذى خلقهم ويعلم حالهم وما تكن صدورهم

، والله عز وجل مجازيهم على فعلهم هذا لأنه عالم بحالهم وما يستحقون .

(١) سند أحمد ٢٢/١ - ٤٤ - صفة المنافق للفرهاني : ٥٢

(٢) أخرجه أحمد في السند : ١٢٥/٢ ، ١٥٥/٤ . خلق أفعال العباد للبخاري : ١٢١

، التاريخ الكبير له : ٢٥٧/١/١ ، صفة المنافق للفرهاني : ٥٦

قال سبحانه :

وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾

"العنكبوت ١١"

والله سبحانه وتعالى حينما أنزل هذه الآيات تتلى فالمنافقون يسمعونهم
لأنهم يأتون مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعون الآيات تتلى ، فاذا
سمعوا ذلك افتضحوا ، وقد أخبر الله عنهم بقوله :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ

وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خَشَبٌ مَسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ

صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

المنافقون ٤

والمنافقون حينما يخافون من عذاب الناس لأنهم يتبعون أهواءهم ، وأهوائهم
تدعوهم الى الراحة والدعة فى هذه الدنيا ، فعن الحسن قال : "المنافق
يعبد هواه ، لا يهوى شيئا الا ركبته" (١)

(١) صفة المنافق ، الفريابى ص : ٦١
ذم الهوى لابن الجوزى ص ٢١ - ٢٢ .

المنافقون اليوم

من النفاق الاعتقادي الشاهد اليوم تجد من يزعم أنه من المسلمين ، ولكنه يوالى أعداء الله ويطلب منهم المساعدة ، حتى في الأمور الشرعية ويعجب بأرائهم ، وإذا نهى عن ذلك تعلل بالمصالح والسياسة دون أن يعمل شيئا في المستقبل لصالح الاسلام والمسلمين .

ومن صور النفاق من تجده بين المسلمين يصلي ويصوم ، فإذا خلا بنفسه أو مع أصحابه يبذل ذلك بترك الصلاة أو التثاقل عنها وخاصة صلاة العشاء والفجر حيث لا يعرفه أحد والاشتغال بما حرم الله من اللهو والمزامير لأنها تنبت النفاق في القلب .

وهو بين المسلمين ترى عليه السكينة والالتزام ، وإذا تكلم معهم وإذا هو

بارع متقن كما قال تعالى عن المنافقين وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْ يَؤُوفَكُونَ ﴿٤﴾ الْمِنَافِقُونَ

ومن صور النفاق وأخطر من يكون من المسلمين وبين أظهرهم ويدعى أنه يعمل لأجل مصالحهم وهو يدبر المكائد لهم ويخبر بأسرارهم حتى يزعزع كياناتهم ويفسد ذات بينهم ينطبق عليهم قوله سبحانه :

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

” البقرة ١٢ ”

ومنهم من ظهر وعلم به المسلمون أمثال يهود الدونة^(١) وما تحويه المحافل الماسونية ، وأندية الروتاري ، وغيرها ، ومنهم من لازال مستترا بنفاقه ، نسأل الله أن يفضحهم ويقوى شوكة المسلمين لقطع فتنتهم .

(١) انظر يهود الدونة بكامله .

الفصل الثالث

القسم الثالث من أقسام المدعوين في السورة

الكفار في السورة

تقدم أن السورة مكية أو أكرها ، والكفر كان على أشده في مكة عند بعثته الرسول صلى الله عليه وسلم ، لذلك فالحديث عن الكفر وأهله في السور المكية كثير ، فيه بيان لحالهم وما هم عليه ومناقشتهم ، والتنزل معهم على قدر عقولهم وافتراضاتهم ، وما ذلك إلا لدعوتهم الى توحيد الله فان أجابوا والا قامت عليهم الحجة .

وما ورد عنهم في هذه السورة ظنهم أنهم قادرون على اعجاز الله سبحانه وأنه غير قادر عليهم ، فنفى الله هذا الظن ، قال تعالى :

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ "العنكبوت ٤"

فلا استفهام للتوبيخ والانكار .

قال ابن جرير (١) : " أم حسب الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره وهم

المعنيون بقوله : ((الذين يعطون السيئات أن يسبقونا)) يقول أن يعجزوا فيفوتونا بأنفسهم فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله " . (٢)

(١) تقدمت ترجمته في ص : ٣٤٢

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٣٠/٢٠

قال ابن عباس : " يريد الوليد بن المغيرة وأبا جهل والأسود والعاص بن هشام - وعتبة - والوليد بن عتبة ، وعقبة بن أبي معيط ، وحنظلة بن أبي سفيان ، والعاص ابن وائل " .^(١) او قول ومع أنها نزلت في هؤلاء فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قال ذلك المفسرون والأصوليون .^(٢)

وصورة السبب وما يماثلها كلها تندرج فيما تعنيه الآية ، وقد جاءت هذه الآية بعد ذكر الفتنة وأنها لازمة للمؤمنين ، وهذا لا يبيح للكفار أن يفتنوهم ، وما يحصل منهم من السيئات ، ومنها فتنة المؤمنين فان الله ليس بغافل عنها ، فكما أن الفتنة حاصلة للمؤمنين فان العذاب حاصل للكافرين ، وهو الفتنة الحقيقية التي لا مخرج منها ، لذلك نفى الله عليهم حسابهم وبين أن هذا حكم سيء ، فان الله لا يعجزه ولا يفوته شيء فحكمهم في صفات الله أنه مسبوق وهو القادر على كل شيء ، حكم جائر ، وتسمية هذا حكما تهكما بهم وأنهم ليسوا أصحاب أحكام فيطاعون .

وبين الله سبحانه أن من كلف بشيء ولم يأت به يعذب سوا في الحال أو في الاستقبال ، وخاصة من لم يأت بالتوحيد لله ، أما غيره فتحت شيئة الله ، ومن قال ان هذا من الله ترهيب لأن الله لو أراد التعذيب ما كان عاجزا عن العذاب عاجلا ولم يؤخره ، فيقال ان الذي يعذب عاجلا هو من يخاف الفوت اذا أخره ، أما الله فانه لا يفوته شيء ، وأما الامهال فلا يفضى الى الامهال .^(٣)

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٣٢٦/١٣ ، وانظر زاد السير : ٢٥٦/٦

(٢) انظر البرهان : ٣٢/١ ، والاتقان : ٨٥/١

(٣) انظر التفسير الكبير للرازي : ٣٠/٢٥

وسا ورد عنهم في السورة ادعائهم أنهم يتحملون آثام من تبعهم ، قال

تعالى : **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴿١٢﴾

* العنكبوت ١٢ *

وقد كذبهم الله سبحانه وتعالى وبين أن التبعة عليهم وأنهم سيحملون آثامهم
التي علوها بأنفسهم وآثام من أضلوا من تبعهم ، فقال تعالى :

**وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴿١٣﴾

* العنكبوت ١٣ *

وكما قال تعالى :

**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَّا
سَاءَ مَا يَزُرُونَ** ﴿٢٥﴾

* النحل ٢٥ *

وكما قال صلى الله عليه وسلم : (من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده
كتب له مثل اجر من عمل بها ولا ينقص من اجرهم شي * ، ومن سن في الاسلام
سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من اوزارهم
شي *) . (١)

(١) جز* من حديث في صحيح مسلم : ٢ / ٧٠٥ الزكاة باب الحث على الصدقة ، والعلم
: ٤ / ١٠٥٩ باب من سن سنة حسنة أو سيئة واللفظ له ، سنن الترمذي :
٥ / ٤٣ العلم باب ماجاء فيمن دعا الى هدى فاتبع كما رواه النسائي وابن ماجه
والدارمي وأحمد : ٢ / ٥٢٠ .

ثم وبخهم الله بقوله : **وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا**
مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾

* العنكبوت ١٣ *

وسوءهم هذا سؤال توبيخ وتقريع ^(١) والافتراء؛ أما الكذب على الله وأما انكار البعث ، وأما زعمهم تحملهم خطايا غيرهم . ^(٢)

فأمر التحمل ليس بأيديهم ، لذلك قال تعالى : ((وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء)) ، لا قليل ولا كثير .

فهذا التحمل لورضى به صاحبه فانه لا يفيد شيئاً ، فان الحق لله ، والله تعالى لم يمكن العبد من التصرف في حقه الا بأمره وحكمه ، وحكمه كما قال تعالى :

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَىٰهَا وَلَا نَزْرُورًا وَإِزْرَةٌ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

* الأنعام ١٦٤ *

ونفى التحمل في قوله ((وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء)) واثباته نفس قوله ((وليحملن أثقالهم))

فالنفي في الأول المقصود به النفي الذي يخفف عن صاحبه المحمول عنه فانه ليس مخفف عنه شيء .

والاثبات المقصود به أن اضلالهم هذا اثم ، فعليهم تبعته من الآثام يوضح ذلك آخر الحديث المتقدم وهو قوله (ولا ينقص من أوزارهم شيء) .

(١) معالم التنزيل للبخاري : ٤٦٣/٣

(٢) انظر زاد المسير : ٢٦١/٦ ، فتح القدير : ١٩٤/٤

وما ورد عنهم في السورة دعوتهم الى الايمان باليوم الآخر ، وايراد الأدلة
النقلية فلم يقرأوا بها لأن الأصل عندهم فاسد فلم يؤمنوا بمن جاءت عن طريقه
وهم الرسل ، فاعتمدوا على عقولهم القاصرة ، ومع ذلك فان الله سبحانه ناقشهم
على مستوى عقولهم ، فأورد الشبه التي جاءوا بها ونقضها في عدة مواضع من كتابه
الكريم كما دلت لهم على البعث بما يشاهدونه ويحسونه في هذا الكون ، فما
ورد في السورة من ذلك :-

١ - القدرة على الاعادة وأنها أهون من البدء ، فان بدء خلق الأكوان
من العدم ، فاعادتها أهون من باب أولى ، قال سبحانه :

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

* العنكبوت ١٩ *

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال : (شتني
ابن آدم وما ينبغي له أن يشتني ، ويكذبني وما ينبغي له ، أما شتمه فقول
أن لى ولدا ، وأما تكذيبه فقله : ليس يعيدني كما بداني) . (١)

ومن الخلق الذي يقدر الله على اعادته الانسان ، فليتأمل في عجب صنع الله
وخلقه لأن دليل النفس أكمل ، واحاطته بها أشمل وأتم ، فاذا ما أهمل الانسان
النظر في نفسه وجهلها ، ولم يعلمها كان ذلك ما يدعو الى الانكسار
عليه والعجب من أهواله ، وهذا فيه انكار على المشركين مجادلتهم في البعث
وكفرهم به ، والحال أن في أنفسهم دليلا ناطقا على قدرة الخالق المبدع
سبحانه على البعث .

(١) صحيح البخارى : ٤ / ٧٣ بدء الخلق باب (١) ، واللفظ له ، ومسند أحمد :

قال ابن تيمية بعد أن ساق الأدلة على أن الاعادة هي اعادة الأجسام

وان تغيرت النشأة كما قال سبحانه :

عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلَّمْنَا النُّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

" الواقعة (٦١ ، ٦٢) "

قال: أي خلقكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون ، كيف شئت ، وذلك
أنكم علمتم النشأة الأولى كيف كانت في بطون الأمهات ، وليست الأخرى كذلك . .
فعلم أن النشأتين نوعان تحت جنس ، يتفقان ، ويتماثلان ويتشابهان من وجهه
، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر ، ولهذا جعل المعاد هو المبدأ وجعل مثله
أيضا ، فباعتبار اتفاق المبدأ والمعاد ، فهو هو ، وباعتبار ما بين النشأتين
من الفرق فهو مثله ، وهكذا كل ما أعيد فلفظ الاعادة يقتضي المبدأ والمعاد
سواء في ذلك اعادة الأجسام أو الأعراس كاعادة الصلاة وغيرها . . كأن يقال للرجل
أعد كلامك ، ويعيد الدرس ، فالكلام هو الكلام وان كان صوته الثاني غير صوته الأول
وحركته بل قد قال تعالى :

قُلْ

لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

" الاسراء ٨٨ "

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا
. وبهذا تزول الشبهات الواردة على هذا الموضوع ، كقول من قال الاعادة
لا تكون الا مع اعادة ذلك الزمان ، ونحو ذلك ما يمنع اعادته في صريح العقول
وانما يعاد بالاتيان بمثله . .

والاعادة التي أخبر الله بها هي الاعادة المعقولة في هذا الخطاب وهي الاعادة
التي فهمها المشركون والمسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي التي

يدل عليها لفظ الاعادة ، والمعاد هو الأول بعينه ، وان كان بين لوازم الاعادة ولوازم البدأة فرق فذلك الفرق لا يمنع أن يكون قد أعيد الأول وليس الجسد والثاني مابيننا للأول من كل وجه ، كما زعم بعضهم . أو أن النشأة الثانية كالأولى من كل وجه كما ظن بعضهم ، وكما أنه سبحانه خلق الانسان ولم يكن شيئاً كذلك يعيده بعد أن لم يكن شيئاً^(١) . أه

حتى أن بعض المنكرين يوردون شبهة بعيدة لا يفهم منها الا العناد والتعنت ، وهي لو أن السباع أكلت انسانا وصارت أجزاء المأكول في أجزاء الأكل ، فان أعيد فأجزاء المأكول اما أن تعاد الى بدن الأكل فلا يبقى للمأكول أجزاء تخلق منها أعضاؤه ، واما أن تعاد الى بدن المأكول منه فلا يبقى للاكل أجزاء .

ورد هذه الشبهة أن الله قادر على كل شيء محيط علمه بكل شيء ، فقول الله

سبحانه :

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

" يس ٧٩ "

يدل على أن الله يعلم كل شيء من خلقه فكل تفيد العموم ، فهو يعلم ما اختلط من المأكول بالاكل فيفصله عنه بعلمه وقدرته ويجعل كل جزء الشيء صاحبه .

يقول ابن تيمية : " فالانسان الذي صار ترابا ونبت من ذلك التراب نباتا آخر أكله انسان آخر ، وهلم جرا ، والانسان الذي أكل انسان أو حيوان ، وأكل ذلك الحيوان انسان آخر ، ففي هذا كله قد عدم هذا الانسان وهذا

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ٢٥٢ / ١٧ .

الانسان وصار كل منهما ترابا كما كان قبل أن يخلق ثم يعاد هذا ويعاد هذا من التراب وانما يبقى عجب الذنب منه خلق ومنه يركب* (١) أهـ

وصدق الله الذى علمه محيط بما فى السموات والأرض حيث يقول:

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا

بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

* العنكبوت ٥٢ *

ومن الأمور المقررة للبعث فى هذه السورة لفت نظر المنكرين الى خلق الأكوان التى هى أكبر من خلق الناس - مثل السموات والأرض وذلك أنه اذا كابر المنكر بعد اقامة الدليل باظهار واقع التساوى بين الاعادة والبدء فقال : الاعادة أشد من البدء مصرا على هذا التوهم ، أتاه الجواب القرآني ينقله الى ماهو أكبر منه فى تصوره من ابتداء خلق الانسان واعادته الا وهو خلق السموات والأرض ان من المعلوم بالبداهة الحسية أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس فى ابتداءهم

أو فى اعادتهم (٢) كما قال سبحانه أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

* يس ٨١ *

ولذلك أمر الله بالسير فى الأرض والنظر فى مخلوقاته والاستدلال بها على

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ٢٥٦/١٧

(٢) صراع مع الملاحدة ص : ٢٠١

قدرته سبحانه على البعث ، قال تعالى :

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

* العنكبوت ٢٠ *

فالمجادلون في أمر البعث والمنكرون له قد علموا أن الله سبحانه هو الذي خلق السموات والأرض واعترفوا بذلك كما حكى الله عنهم ذلك في كثير من كتابه الكريم حيث قال سبحانه :

وَلَيْنَ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنى يُوَفِّكُونَ ﴿٦١﴾

* العنكبوت ٦١ *

والسموات والأرض ما هما في كبر أجرامهما وعظم أحكامهما وشدة أجزاءهما ، وسعة أرجائهما ، وكثرة ما فيهما من عجائب الخلق أيستبعدون ما هو أدنى من ذلك ، قال الله سبحانه :

لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ

خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

* غافر ٥٧ *

وما ورد عنهم في السورة بيان حال من كان قبلهم من الكفار :
فالله سبحانه بين لعباده حال من كان قبلهم وأنهم متفقون على الكذب

، فقال سبحانه : **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ**
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾

* العنكبوت ٣ *

وهذا يدل على أن في من كان قبلنا مكذابين كما قال سبحانه :

وَإِنْ تُكَذِّبُوا
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ ﴿١٨﴾

* العنكبوت ١٨ *

على ما تقدم من خلاف هل المقصود بها كفار قريش أو قوم ابراهيم . (١)

فالآية دليل على اتفاق الكفار على تكذيب الرسل وأن ذلك لا يضر الله
شيئا ولا ينقص من ملكه شيئا ، ولكن النقص والضرر حاصل على من كذب
الرسل فيما دعوا اليه من عبادة الله والبراءة مما سواه ، كما حصل للأمم
من قبلكم : " فحل بها سخط الله ونزل بها منه عاجل عقوبته فسبيلكم سبيلها فيما هو
نازل بكم بتكذيبكم " . (٢)

(١) تقدم في ص : ٣٥٤ من هذا البحث .

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٣٨/٢٠ .

وسا ورد عنهم ذكر تهاة معبوداتهم .

والله سبحانه وتعالى بين للكفار تهاة معبوداتهم وأنها لا تغنى منه شيئا

، فقال سبحانه عن خليله ابراهيم حينما دعا قومه : **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن**

دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن

دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ

وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ تِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ تَرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

* العنكبوت ١٧ *

فالأصنام لا تملك من الرزق مثقال ذرة ، لذلك جاء رزقا منكرا - بالنسبة لها -

أما اضافته الى الله فجاء معرفا (الرزق) لأن جميعه منه سبحانه " ومعلوم أن النكره

فى سياق النفي تقتضى العموم - أما فى الاثبات فلايد من التعريف " . (١)

وقد تقدم توضيح الآيه فى دعوة ابراهيم ص : ٣٥٢

وسا بينه الله سبحانه وتعالى عن تهاة تلك المعبودات كذلك ماورد عن ابراهيم

فى دعوته لقومه يقول الله سبحانه :

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم

بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ

وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

* العنكبوت ٢٥ *

فى هذه الآيه بين لهم حقيقة هذه العبارة ، وأنها لا لشيء انما للاجتماع

(١) انظر تليق الفهوم ص : ٣٩٨

والتواد فيما بينهم والا فهي أوثان - والأوثان لا تنفع نفسها فكيف يرجى منها
أن تنفع غيرها .

ولكن هذا الاجتماع والتواد الذي لم يكن لله ولأجله ينقلب ويتغير الى بغض
وشنآن ، ويجحد بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا * أى يلعن الأتباع
المتبوعين والمتبوعون الأتباع* ^(١) كما قال سبحانه : **الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ**

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾

* الزخرف ٦٧ *

هذا وان كانت الآيات لقوم ابراهيم الا أنها تحذير وانذار لمن يسلك مسلكهم
من هذه الأمة ، فان مصيره كصيرهم ، وهو النار ولا أحد منقذهم منها ، وهذا
من ترهيبهم وانذارهم من مغبة ما هم فيه من الكفر .

وسا بينه الله سبحانه وتعالى عن تهاة معبوداتهم قوله عز وجل :

مَثَلُ الَّذِينَ

أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ
أَتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

* العنكبوت ٤١ *

قال ابن كثير : " هذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للمشركين في اتخاذهم
آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد ، فهم فسى
ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه - ووهنه ، فليس في أيدي هؤلاء * من آلهتهم الا
كمن يتمسك ببيت العنكبوت فانه لا يجدى عنه شيئا ، فلو علموا هذا الحال لما

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٦٥٢/٣

اتخذوا من دون الله أولياء (١) أهـ

ولما بين الله سبحانه تهاة تلك المعبودات رهيبهم وبين أنه عالم بهيـ
وبحالهم وحال من يدعونه وأنه لن يفنيهم من الله شيئاً ، فهل من رجوع اليه
، قال تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ

دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ العنكبوت ٤٢ .

جزاء من استر على تلك المعبودات :

وبعد ما بين الله سبحانه تهاة تلك المعبودات من دونه بين عاقبة من يتخذها
من دونه أولياء من هلك من الأمم الماضية ، كما بين ابراهيم لقومه تهاة
أصنامهم ، قال

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

* العنكبوت ٢٥ *

كما حصل لقوم نوح حيث أغرقوا - وكذلك فرعون وقومه وغيرهم ، قال تعالى :

فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ العنكبوت ٤٠ .

فالله عز وجل دعا الناس جميعا الى دينه بما بينه لهم من حال المشركين
وحقيقة المنازقين ، واستقامة المؤمنين ، وحسد الكافرين ، وغير ذلك في كتابه
الكريم وما أعز الله به هذا الدين وخذل أعداءه ما جعل الناس يعرفون حقيقة
هذا الدين فأقبلوا عليه كما قال سبحانه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

* سورة النصر *

فكان منهم دعاة مخلصين كما أن هذه الدعوة باقية الى يوم الدين فان من
تدبر هذا القرآن العظيم وفهم مافيه من الذكر الحكيم في كل زمان ومكان ، فانه
لا بد أن يكون في نفسه شيء ما هو فيه ، فان أراد الله به خيرا هداه الى
صراطه المستقيم ، وان أراد به غير ذلك ولاه وما تولى وماواه جهنم وبئس المصير .
لذلك بعض الناس لم تنفع فيه هذه الآيات والمواظب شيئا ككفار قريش
فقد كذبوا بالقرآن والرسول وتعنتوا في طلب المعجزات وتحداوا في نزول العذاب
كما سيأتي تفصيله مع ماوضحه الله لهم من الآيات البينات .

وما ورد عنهم في السورة تكذيبهم بالقرآن والرسول .

لقد تقدم في انكار البعث أنه ناتج عن انكار الرسالة وانكار القرآن كذلك ، لذا
سأعرض في هذا الموضوع موقف المشركين من القرآن وكيف أن الله سبحانه
وتعالى دحض حججهم وردهم على أعقابهم ، فقد بين الله سبحانه وتعالى
أنهم يؤمنون به في الحقيقة ولكنهم ينكرونه مكابرة ، ومعاندة ، لأن الجحود
لا يكون الا بعد المعرفة ، كما قال سبحانه :

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۗ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾

* العنكبوت ٤٧ *

يقول الطبري^(١) في تفسيره ، يقول تعالى ذكره : " وما يجحد بأدلتنا وحججنا
الا الذي يجحد نعمنا عليه ، وينكر توحيدنا وربوبيتنا عن علم منه عنادنا لنا .
يروى عن قتادة : ((وما يجحد بآياتنا الا الكافرون)) قال : " انا يكسون
الجحد بعد المعرفة " .^(٢)

ومن الأدلة على معرفته أنهم أعجبوا به واعترفوا أنه ليس من كلام البشر
كما حدث للوليد بن المغيرة حينما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه
القرآن وكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فقال له : يا عم ان قومك يريدون أن
يجمعوا لك مالا ليعطوكه فانك أتيت محمدا تتعرض له لما قبله ، فقال : قد علمت
قريش أنى من أكرها مالا ، قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له وكساره
، قال : وماذا أقول ؟ ، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم بجزها
وبقصيدها مني ، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، والله ان لقوليه
الذى يقول حلاوة وان عليه لطلاوة ، وانه لثمر أعلاه مغدق أسفله ، وانى
ليعلوا ، وما يعلى ، قال : ألا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعنى
حتى أذكر فيه ، فقال : ((هذا سحر يوثر)) بأثرة عن غيره فنزلت : ((ذرنى
ومن خلقت وحيدا)) الآيات كلها .^(٣) المدثر :

(١) تقدمت ترجمته ص : ٦٤

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ٤ / ٢١

(٣) أسباب النزول للواحدى ص ٤٧٥ ، وساق روايات أخرى .

فهذه الرواية وغيرها تدل على أنه عرف أنه ليس من كلام البشر ولكنه عاند وكابسر فأطلق عليه سحرا أرضاً لقومه ، وكذلك ما حدث لبعض زعماء قريش في استماعهم القرآن ، فقد أخرج ابن اسحاق ^(١) قال : حدثني محمد ^(٢) بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث : أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام والأخمس ابن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلوراكم بعض سفهائكم لأوجعتم في أنفسكم شيئاً ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا . ^(٣)

فهذه الحادثة تدل على أن هذا القرآن قد أحدث في أنفسهم شيئاً وأنهم وجدوا فيه شيئاً قد شدهم إليه حيث أنهم عادوا ثلاث مرات بعد اتفاقهم على عدم العود ، وبقيّة هذه الحادثة يدل على ما وجدوا من صدق هذا القرآن

== مستدرک الحاكم : ٥٠٦/٢ ، ٥٠٧ ، والصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٦٧

، انظر سيرة ابن هشام : ٢٨٨/١ .

(١) تقدمت ترجمته ص : ٣٧٢ .

(٢) هو محمد بن مسلم بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن

كعب بن لؤي بن غالب ، روى عن ابن عمر وجابر شيئاً قليلاً وأنس بن مالك ، عالم

بالسنة ثبت ، حجة ، ت ١٢٤ هـ . سير أعلام النبلاء : ٣٢٦/٥

(٣) سيرة ابن هشام : ٣٣٧/١

حيث أن بعضهم آمن كأبي سفيان ، وبعضهم جحد كأبي جهل ، والجحود يكون بعد العلم كما تقدم وبقيّة الحادثة " أن الأحنس بن شريق لما أصبح أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ ، فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ، ولا ما يراد بها . قال الأحنس : وأنا والذي حلفت به كذلك " . (١)

فهذا أبو سفيان يقربا فيه ، ويتبين تأثيره عليه من خلال هذه الاجابة ، ولكن قد يكون سبب الجحود طلب الشرف والرفعة والحسد للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما حدث لأبي جهل بن هشام حينما جاء الأحنس وقال له : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ ، فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا ونحن بنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى اذا تجاذبنا على الركب وكنا ككسر رهان ؟ ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمضى تدرك مثل هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق^(٢)ه .

وهو "الزعما" من قريش وغيرهم لما رأوا من شدة تأثير القرآن على النفوس تعاهدوا أن لا يعودوا لأجل أن لا يقتدى بهم غيرهم ، وحاولوا معارضة القرآن بكل وسيلة كما قال تعالى عنهم :-

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ

وَالْغَوَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٥٦﴾

* فصلت ٢٦ *

(١) السيرة لابن هشام : ٣٩٧/١

(٢) " " " : ٣٣٧/١

ولكن لم يستطيعوا ذلك ، فقد أشر القرآن على الناس بأسلوبه وفصاحته
التي هزت الشاعر ، فمن عائشة رضی الله عنها قالت : " لم أعقل أبسوى
الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم طرفى النهار ، بكرة وعشية ، ثم بدا لأبى بكر فابتنى سجدا بفناء داره ،
فكان يصلو فيه ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين ، وأبناءهم ، يعجبون
منه ، وينظرون اليه ، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرئ القرآن
فأنزع ذلك أشراف قريش من المشركين " . (١)

والكفار على وجه العموم أنكروا القرآن وقالوا انه مخلوق مكذوب جاء به
محمد من عند نفسه ، واستعان على جميعه وتصنيفه بقوم آخرين .

وقد بين الله سبحانه مقولتهم هذه بقوله سبحانه :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا آفَاقٌ

أَفْتَرَبْنَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾

" الفرقان ٤ "

وقد نقض الله سبحانه هذه الدعوى بأمرين هما :

١ - أن محمدا صلى الله عليه وسلم رجل أمى لا يكتب ولا يقرأ ، فكيف
ظهر عليهم فجأة بهذه المعلومات ، قال سبحانه :

وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ

وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابِ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

" العنكبوت ٤٨ "

(١) صحيح البخارى : ١٢٢/١ ، الصلاة باب المسجد يكون فى الطريق ، بهذا
اللفظ ، ومطولا فى : ٥٨/٣ ، الكعالة باب جوار أبى بكر فى عهد النبى
صلى الله عليه وسلم وعقده : ٢٥٤/٤ ، ومختصرا فى : ١٠٢/٣ العظالم
باب أفنية الدور ، سيرة ابن هشام : ١٣/٢ .

فلا يعقل أن يكون هذا النظام العام الشامل الذي يعجز البشر عن مثلـه أنه يأتي به رجل أمي لم يتعلم من أحد ولم يجالس أهل الفلسفة والمنطق ، فلا شبهة لهم في ذلك فهو من عند العزيز الحكيم .

٢ - أنه لو كان من عند محمد ومن استعان به من المفكرين ، فانكم يا أهل قريش أرباب فصاحة وبيان ، فلو استعنتم بأهل الكتاب ، ومالديهم من أخبار وقصص لكنتم أقدر من محمد ، فدليل على أن محمد لم يأتي به من عند نفسه حيث تحداهم الله بأن يأتيوا بمثل هذا القرآن فعجزوا ، ثم تحداهم أن يأتيوا بعشر سور منه فعجزوا ثم تحداهم أن يأتيوا بسورة واحدة فتحدى الله سبحانه عوم الثقيلين ليقطع لجاجهم ومكابرتهم في كل زمان ومكان ، قال سبحانه **قُلْ**

لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

* الاسراء ٨٨ *

وقد تقدم في قصة الوليد بن المغيرة أنه ادعى أن القرآن سحر والحقيقة أن هناك فرقا كبيرا بين المعجزة والسحر ومن أهم الفوارق وأوضحها أن ما يختص بالسحر والكهانة فانه لا يخرج عن مقدور الانس والجن ، أى يمكنهم التوصل اليه بطريق من الطرق التي يتعلمونها كما أن نهاية الساهر الخذلان والـبوار ووجود من يعارضه وينتصر عليه في هذه الدنيا ، اما آيات الله أو بسحر أقوى منه . (٢)

(١) انظر منهاج الجدل ص ٢٨٦

(٢) انظر النبوات لابن تيمية : ٢٥٩ - والفتاوى : ٣١١/١١ ، ومجموعة الرسائل والوسائل (قاعدة في المعجزات والكرامات : ٣/٥) تعليق محمد رشيد رضا - دار الباز - مكة .

أما المعجزة فإنها ليست في مقدور أحد وانما هي بإرادة الله بقوله ((كن))
ونهاية صاحبها الفوز بالدنيا والآخرة وفشل من يعارضه ولا ينكر هذا وغيره الا مكابر
مثل من ينكر العلوم الضرورية ، لذلك لم يلتفت الرسول صلى الله عليه وسلم
الى قولهم ولا أحد من أصحابه وذلك علما منهم أن الكفار قد عرفوا الآيات
فجحدوها ، وقد بين الله سبحانه براءة الرسول من ذلك كما يعرفونه هم بالخبرة

، قال سبحانه : **أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ** ﴿٦٩﴾

• المؤمنون ٦٩ •

والسحريين من علوم البداهة بل لا بد من تعلمه من أربابه ، والرسول صلى
الله عليه وسلم لم يتعلم على يد ساحر حتى أنه كان لا يعرف القراءة والكتابة وهم

يعرفون ذلك عنه ، قال الله سبحانه : **وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ**

وَلَا تَخْطُهُ رِيمِيْنِكَ إِذَا لَا تُرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

• العنكبوت ٤٨ (١) •

فهما ادعى مدعي أنه صلى الله عليه وسلم جلس الى عالم أو تعلم منه
فانه لا يستطيع أن يقدم برهانا على هذا البهتان الا ما يجده في نفسه من وحى
الشیطان .

يقول ابن تيمية : فان محمدا صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بحاله كان
أميا من قوم أميين ، مقيدا بمكة ، ولم يكن عندهم من يحفظ التوراة ولا الانجيل
ولا الزبور ، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخرج من بين ظهرانيهم ولم يسافر قط

(١) انظر معالم الدعوة في القصص القرآني : ١ / ٣٤٦ .

الا سفرتين ولم يجتمع قط بعالم أخذ عنه شيئاً ، لا من علماء اليهود والنصارى ، ولا من غيرهم لا بحيرى ولا بغيره ولكن كان بحيرى الراهب لما رآه عرفه لما كان عنده من ذكره ونعته ، فأخبر أهله بذلك وأمرهم بحفظه من اليهود . (١)

وقد أورد الكفار عدة شبه للطعن فى هذا القرآن الكريم والتشكيك فى صحة رسالة سيد المرسلين ، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ورد عليها رداً مفحماً ولكن

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ

يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَلِيماً (١٧)

* الكهف ١٧ *

والرد عليهم واضح فى كتاب الله عز وجل وآياته فى الأنفس والآفاق ولكن القوم

لم يقفوا عند هذا الحد ، بل طلبوا الآيات تعنتاً .

فما ورد عنهم فى السورة طلبهم انزال الآيات تعنتاً .

اقتضت حكمة البارئ جل وعلا أن يرسل الرسل ويؤيدهم بالآيات الواضحة

ليتبين الصادق من الكاذب ممن ادعوا الرسالة كما قال سبحانه :

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوكَ بِالْبَيِّنَاتِ

وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤)

* آل عمران ١٨٤ *

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ١/١٩٧ .

وقوله سبحانه :

الْقِيَامِ

نَبَأَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾

* التوبة . ٧٠ *

ففي هاتين الآيتين وغيرها يبين الله سبحانه انزاله الآيات ولكن المكذبيين
للسل يعرضون عن تلك الآيات مع أنه ليس فيها خفاء أو ضعف في الحجة والبرهان
، ولكنها الرغبة عن الحق اما عنادا أو استكبارا عن قبول الحق أو التقليد الأعمى
بما كان عليه الآباء والأجداد ومع وضوح الآيات التي يأتي بها الرسل عليهم
الصلاة والسلام وكوتها لا تخفى على أحد الا أن الكفار لا يكتفون بها ففى
الاستدلال على صدق الرسل ، وما جاءوا به ، ولكنهم يطلبون منهم آيات حتى
لكأن الرسل لم يأتوا بشيء من الآيات ، فهذا يدل على أن الكفار عندما
يطلبون آيات فانهم لا يريدون الاهتداء بعد الاستجابة لمطالبهم ، وانما يطلبونها
لمجرد التعنت .

وموقف كفار قريش من القرآن كما تقدم ثم طلبهم من محمد صلى الله عليه وسلم

انزال الآيات لهو اصدق دليل على ذلك ، قال سبحانه عنهم :

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ

آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

مُبِينٌ ﴿٥٠﴾

* العنكبوت . ٥٠ *

فكيف يطلبون انزال الآيات من محمد صلى الله عليه وسلم وقد أنزل الله لهم من الآيات الحسية والمعنوية ما يكفي ويشفي كانشقاق القمر^(١) - والاسراء^(٢) والمعراج^(٣) وحنين الجذع^(٣) - ونبع الماء من بين أصابعه^(٤) وأكبر آية هي انزال القرآن الكريم كما سيأتى .

فالآيات والمعجزات ليست بيد الرسول صلى الله عليه وسلم والا فهو حريص على هدايتهم وكان يتمنى أن ينزل بعض ما طلبوا لعلمهم يهتدون ، ولكن الله العليم الحكيم بين له أنهم لن يهتدوا حيث قال سبحانه : **وَلَقَدْ كَذَّبْتَ**

رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

* الأنعام ٣٤ - ٣٥ *

وان نزلت الآيات وأنكروا كان ذلك سببا لهلاكهم وهي سنة الله في الأمم

الماضية كما قال سبحانه عن قوم صالح :

**وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ
وَأَيُّنَا ثَمُودُ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾**

* الاسراء ٥٩ *

(١) انظر صحيح البخارى : ٢٤٣/٤

(٢) انظر صحيح البخارى : ١٦٨/٤

(٣) انظر صحيح البخارى : ١٧٣/٤

(٤) انظر صحيح البخارى : ١٧٠/٤

فبين الله سبحانه في هذه الآية أن عدم ارسال الآيات هو عدم تصديقهم
لها حيث كذب بها من قبلهم فكان ذلك سبب هلاكهم كما قال سبحانه عنهم
وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٦٧﴾

* هود ٦٧ *

وقد روى الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سأل أهل مكة
النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، وأن ينحى الجبال
عنهم فيزرعوا ، فقبل له : " ان شئت أن تستأنى بهم وان شئت أن تؤتميمهم
الذى سألوا ، فان كبروا اهلكوا كما اهلكت من قبلهم " ، قال : لا بل أستأنسى
بهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ
وَأَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

* الاسراء ٥٩ *

فتبين من هذا أن الآيات من عند الله وأنه حجب مطالبهم لسبب وانزل آيات أخرى
أوضح في الدلالة وهو القرآن ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بيده من انزال
الآيات شيء كما قال الله سبحانه وتعالى

وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ
آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ
مُبِينٌ ﴿٥٠﴾

* العنكبوت ٥٠ *

(١) أحمد : ٢٥٨/١ ، الطبرى في التفسير : ١٥/١٠٨ ، الحاكم في المستدرك :
٣٦٢/٢ ، وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، مجمع الزوائد : ٧/٥٠ ،
أسباب النزول للواحدى : ٣٣٣ .

ووجهه أنه ليس من شرط الرسالة اظهار المعجزة وانما المعجزة التوقف فسى
الرسالة ، ولهذا علم وجود رسل؛ كشيث وادريس وشعيب ولم يعلم لهم
معجزة ، وكان فى بنى اسرائيل أنبياء لم تعرف نبوتهم الا بقول موسى أو غيره ،
فليس على النبي الا النذارة * (١) .

فهمة الرسول التبليغ والانذار ، وانزال الآيات يكون بعلم الله ، وحكمته
وليس لأحد أن يقترح عليه شيئا سبحانه فهو سبحانه الذى يأذن للأنبياء أن
يأتوا بالآيات فهم لا يأتون بها من عند أنفسهم كما قال سبحانه : وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾

* الرعد ٣٨ *

وقوله سبحانه :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ
بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾

* غافر ٧٨ *

(١) غرائب القرآن ورفائب الفرقان : ١٠/٢١ .

القرآن في نفسه معجزة كافية :

فالكفار حينما طلبوا الآيات التي تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بين الله سبحانه وتعالى لهم أن لديهم آيات واضحات تدل على صدق الرسول وما جاء به وان كان ما لم يقترحوه ، وذلك هو القرآن الكريم حيث قال سبحانه :

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
يَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

"العنكبوت ٥١"

يقول ابن كثير رحمه الله : " ثم قال تعالى مبينا كثرة جهلهم وسخافسة عقلم حيث طلبوا آيات تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم ، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، الذي هو أعظم من كل معجزة ، ان عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته بل عن معارضة عشر سور من مثله بل عن معارضة سورة منه .

أولم يكفهم آية انا أنزلنا عليك الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ونبأ ما بعدهم وحكم ما بينهم " (١) أه

وساق حديثا عن الامام أحمد رحمه الله وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم (ما من الأنبياء نبي الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله الي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) . (٢)

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٦٦/٣

(٢) صحيح البخارى : ٩٧/٦ فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي (١) ، و ١٣٨/٨ الاعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (بعثت بجوامع الكلم) . صحيح مسلم : ١٣٤/١ الايمان باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، مسند أحمد : ٣٤١/٢ ، ٤٥١ .

فهذا القرآن الذى لم يكتيهم بما فيه من اعجاز وبلاغة وفصاحة واخبرار بالمفريات ، وشريعة سالحة لكل زمان ومكان فأى شىء يريدون ؟ ، وقد تحداهم الله به وأعجزهم أن يأتوا بشىء على منواله ، وهذا التحدى نفسه من معجزات القرآن الخالدة الى يوم القيامة لأنه أعجز أهل اللسان وفحول البيان وقت نزول القرآن عن الاتيان بسورة من مثله ، فان من سواهم من المتأخرين أولى بالعجز لاستيلاء العجمة على ألسنتهم " . (١) . . . وهذا التحدى من الله سبحانه وتعالى مازال قائما على كل كافر وملحد ينال من القرآن أن يوافقنا بسورة من مثل سوره حاوية معانيه ومشتلة على الفصاحة والبلاغة والاعجاز ، والا كان مكابرا مع العجز الفاضح وما أخسها من صفة ، وما أتبعها من فعلة " . (٢)

وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى وجوها عديدة فى اعجاز القرآن ذكر بعضها الشيخ مناع القطان ، ثم قال : " والحقيقة أن القرآن معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ من معنى فهو معجز فى الفاظه وأسلوبه ، والحرف الواحد منه فى موضعه مسن الاعجاز الذى لا يفتنى عنه غيره فى تماسك الكلمة ، والكلمة فى موضعها مسن الاعجاز فى تماسك الجملة ، والجملة فى موضعها من الاعجاز فى تماسك الآية وهو معجز فى بيانه ونظمه ، يجد فيه القارىء صورة حية للحياة والكون والانسان ، وهو معجز فى معانيه التى كشفت الستار عن الحقيقة الانسانية ورسالتها فى الوجود .

وهو معجز بعلومه ومعارفه التى أثبت العلم الحديث كثيرا من حقائقهم المفقية - وهو معجز فى تشريعاته وصيانتة لحقوق الانسان وتكوين مجتمع مثالى تسعد الدنيا على يديه " أهـ . (٣)

(١) صفوة الآثار والمفاهيم : ٢٩/٢

(٢) صفوة المفاهيم والآثار : ٤١/٢

(٣) مباحث فى علوم القرآن : ص ٢٦٢

ومعلوم أن القرآن أعظم معجزة جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه ما يغنى عن كل معجزة لمن كان يريد الحق والاهتداء إلى الصواب ، فكان المشركين كانوا إذا طلبوا آيات من رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الاحالة أحيانا من الله سبحانه ، على القرآن لبيان أنه يغنى عن كل آية حسية يطلبونها وذلك

مثل قوله تعالى :

وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ

آيَاتٍ مِّن رَّبِّهِ لَقُلْنَا إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

يَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتٍ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

* العنكبوت ٥٠ - ٥١ *

ومع هذا الاعجاز والتحدى الا أن القوم لم يقتصروا على ذلك بل حاولوا التحدى فطلبوا استعجال العذاب .

فما ورد عنهم في السورة : استعجالهم العذاب

لقد كان اصرار الكفار على تكذيب محمد وما أنزل عليه قد أعمى بصائرهم مما جعلهم يبحثون عن أساليب متعددة للعناد والتكذيب ، حيث صموا آذانهم ، وأغلقوا عقولهم وأبصارهم عن تدبر كل آية تأتيهم فاذا لم يستطيعوا دفع الحجة وغلبتهم لجأوا إلى الأساليب اللطوية كما تقدم في طلبهم انزال الآيات ، وفي هذه المرة يطلبون العذاب العاجل لينزل بهم ، حينما أُنذروا به وحذروا

منه كما قال سبحانه :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ

أُولَئِكَ يَسْأَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

* العنكبوت ٢٣ *

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس : انى نذير لكم بين يدي عذاب شديد) . (١)

وما كان هذا منهم الا على جهة التعجيز والتكذيب والاستهزاء بالعذاب الذى كان يتوعدهم به الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) ، فهم يزعمون أنه كاذب فيمسا يخوفهم به من بأس الله وعقابه (٣) ، وطلبهم هذا يدل على أنهم لا يتبعون الله وان كان هو الحق المنزل من عند الله ، وهذا طلب غريب يصور حالة من العناد الجامح الذى يوتر الهلاك على الايمان للحق حتى ولو كان حقا .

ان الفطرة السليمة حين تشك تدعو الله أن يكشف لها عن وجه الحسق وأن يهديها اليه ، دون أن تجد فى هذا غضاضة ، ولكنها حين تفسد بالكبرياء الجامحة ، تأخذها العزة بالاثم ، حتى توثر الهلاك والعذاب على أن تخضع للحق ، عندما يكشف لها واضحا لاريب فيه (٤)

وما هذا الا لشدة الجهل والحماقة ، والا فقد بين الله سبحانه وتعالى فظاعة ذلك العذاب وفداحته فلا يستعجله الا جاهل ، مثلهم ، فأين هم

من قول الحق سبحانه :

وَلَيْنَ أَخْرَجْنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ

أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ

مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾

هوود ٨

(١) جزء من حديث تقدم تخريجه ص : ٣٠٧

(٢) البحر المحيط : ٢٥٦/٧

(٣) أضواء البيان : ٧٩/٣

(٤) فى ظلال القرآن : ١٥٠٥/٣

وقوله سبحانه :

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ رَبِّيًّا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾

" يونس . ٥٠ "

والآيات في ذلك كثيرة جدا .

ولكن ترى المشركين وصل بهم الحد الى منتهى العناد والمكابرة فأبوا أن يذعنوا
لسلطان الله ، ويستسلموا لبرهانه ، فقد كان له تأثير في نفوسهم عندما سمعوا
حججه وآياته ، فما كان من عنادهم الا أن يستعجلوا العذاب ويحددوه وهذا
من أدلة امعانهم في الكفر والشقاء حيث يستعجلوا ما لا خير لهم فيه ويقترحوا
أنواعه وتحديده حيث قال الله سبحانه وتعالى عنهم :

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا هَذَا
هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ
أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾

" الأنفال ٣٢ "

وهذا ما جعل غيرهم يستهجن طلبهم هذا وخروجه عن الفطرة السليمة
لأنه كان الأولى بأولئك المشركين أن يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فاهدنا له ووفقنا لاتباعه . . ولكن العناد الجامح الذي استولى عليهم جعلهم
يوشرون الهلاك على الانعان للحق ، ويفضلون عبادة الأصنام على اتباع محمد
صلى الله عليه وسلم الذي دعاهم الى عبادة الله وحده . .

وهكذا النفوس عندما تنغمس في الأحقاد ، وتتمادى في الجحود وتنقاد للأهواء
والشهوات ، وتأخذها العزة بالاثم ترى الباطل حقا والحق باطلا ، وتوشر العذاب
وهي سادرة في باطلها على الخضوع للحق والصواب .

الحكمة من تأخير العذاب :

ومع عنادهم هذا وعتوهم الا أن رحمة الله وحكمته اقتضت عدم تعجيل العقاب لهم وتأخيره الى أجل مسمى قيل انه يوم القيامة وقيل : أجل الحياة الى المسوت أو أجل الموت الى حين البعث ، وقيل مدة أعمارهم وقيل يوم بدر^(١) ، وطسقى أى حال فان الله سبحانه " وعد رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ويستأصلهم ، وأن يؤخر عذابهم " .^(٢)

وتأخير العذاب لحكم عظيمة وغايات جليلة قد نعلمها وقد لا نعلمها ، فمما نعلمه من تلك الحكم - استدراج الظالمين ليزدادوا عتوا وفسادا .
- امتحان المؤمنين ليزدادوا ايمانا وثباتا .
- تخلف المنافقين الذين لا يطيقون الصبر والثبات لتتكشف حقيقتهم ويتبين أمرهم .
- استبقاء من يعلم الله فيهم خيرا من أولئك المنحرفين حتى يتبين لهم الرشد من الفى فيثوبوا الى الهدى ، وهذا واضح من هداية الله سبحانه وتعالى لبعض الناس الذين كانوا ألد أعداء للدعوة فى بدايتها .
- استخراج الذرية الصالحة من ظهور هؤلاء المعاندين تعبد الله سبحانه وتعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمالك الجبال (بل أستأنى بهم لعسل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله) .

كما أخرج البخارى وسلم رحمهما الله أن عائشة رضى الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : (لقد لقيت من قومك مالقيت ، وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة ، ان عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم

(١) زاد المسير فى علم التفسير : ٢٨٠/٦

(٢) انظر تفسير البغوى : ٤٧١/٣

أستفق الا وأنا بقرن الشعاب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت
فاذا فيها جبريل فناداني ، فقال : ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك
وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال
فسلم علي ثم قال : يا محمد ، فقال : وذلك فيما شئت ان شئت أن أطبق
عليهم الأخشبين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (بل أرجو أن يخرج الله
من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) . (١)

وبعد فان في ذلك درس وعبرة للدعاة ليكونوا حريصين مشفقين على من
يدعونهم الى الله لا تأخذهم العجلة والغيرة ، فان الله سبحانه وتعالى أغير على
دينه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أمة محمد ما أحد أغير من الله أن
يرى عبده أو أمته يزني ، يا أمة محمد : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا) . (٢)

فالله أحكم وأرحم من عباده حيث أخرج العذاب عنهم لحكم عظيمة كما تقدم

وكما بين سبحانه في قوله عز وجل : **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ**

وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ لِيَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

* الأنفال ٣٣ *

(١) صحيح البخارى : ٨٣/٤ كتاب الخلق باب اذا قال أحدكم آمين .
صحيح مسلم : ١٤٢٠/٣ ، الجهاد باب ما لقي النبي صلى الله
عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين .

فمن حكمة الله وعدله أنه لم يعذب أمة محمد عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم ، فقد ظهر من أمته من يعبد الله فلو أهلكوا لما حصل من نذيرتهم من يحمل راية الاسلام ويجاهد في سبيل الله وهذا من رحمة الله سبحانه بهــــــذِهِ الأمة كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان الله عزوجل اذا اراد رحمة أمة من عبادهِ ، قبض نبيها قبلها ، فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها ، واذا اراد هلكة أمة عذبها ونبيها حتى ، فأهلكها وهو ينظر ، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره) (١) ، أما بالنسبة لاستغفارهم فمعناه نفى الاستغفار عنهم أى لو كانوا من يَوْمٍ من ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله سبحانه : وَمَا كَانَ

رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

* هود ١١٧ *

ولكنهم لا يَوْمُونَ ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم ، وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهو المسلمون بين أظهرهم من تخلف . (٢)
وقيل أن الاستغفار هو قولهم في الطواف (غفرانك) . . وقيل ما كان في أصلابهم من يستغفر الله . (٣)

وهذا يدل على حلم الله سبحانه وتعالى وحكمته ورحمته حيث أمهل هــــــو ولا المعاندين الى الأجل السمي لتلك الحكم التي تقدمت والا فهو سبحانه معذبهم لا محالة من استمر على عناده وكفره كما قال جل وعلا :

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾

* العنكبوت ٥٤ *

(١) صحيح مسلم : ١٧٩١ / ٤ الفضائل باب اذا اراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها .

(٢) الكشاف : ١٢٤ / ٢

(٣) فتح القدير : ٣٠٤ / ٢

وبعد هذا التعنت فى جلب الآيات والتحدى فى استعجال العذاب أخبر الله عنهم أنهم يعترفون بربوبيته ويشاهدون نعمه العظيمة عليهم من الانجاء من الفرق والأمن فى الحرم .

فذكرهم الله بذلك ، رحمة بهم لعلهم يرجعون أو تقوم عليهم الحجة فيسلط عليهم ما يستحقون .

فما ورد عنهم فى السورة اعترافهم بالربوبية وانكار الألوهية :
لقد كان من الأساليب التى سلكها القرآن فى دعوة الكفار ليخلصوا العبادة لله وحده هو تقريره اعترافهم بربوبية الله سبحانه وتعالى فى آيات كثيرة من كتابه .

فى سورة العنكبوت قوله سبحانه :

وَلَيْنِ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾

* العنكبوت ٦١ *

وفى آية أخرى فى نفس السورة يقول سبحانه :

وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ

مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

* العنكبوت ٦٣ *

فالاقرار بأن الله خالق كل شيء ، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان فى الصفات والأفعال : هو توحيد الربوبية الذى لم يذهب الى نقيضه طائفة معروفة من بنى آدم (الا الدهرية المنكرون للصانع)^(١) بل القلوب مغطورة على الاقرار بسسه

(١) تفسير القرآن العظيم : ٢٣٠/٤

أعظم من كونها مغطورة على الاقرار بغيره من الموجودات ، كما قال سبحانه وتعالى
 عنهم : **قَالَتْ رَسُولُهُمْ فِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ
 لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ
 أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا
 سُلْطٰنًا مُّبِينًا** ﴿١٠﴾

ولكن طائفة من الناس اعتقدت أن هذا التوحيد يكفي وأنه هو الذي
 بينه القرآن ودعت إليه الرسل ونزلت به الكتب ، ولكن هذا ليس بصحيح
 إذ لو كان كذلك لما نعى الله على كفار قريش كفرهم حيث كانوا يقولون بهــــذا
 التوحيد كما دلت عليه الآيات السابقة ، ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام
 أنها مشاركة لله في خلق العالم ، فهم مقرون بالصانع ، وأنه ليس للعالم
 صانعان ، ولكن اتخذوا هو "أ" شفعاء ^(١) ، كما أخبر تعالى عنهم بقوله .

أَلَا

**لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
 مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
 فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ**

" الزمر ٣ "

كٰفَرٌ ﴿٣﴾

وقد بين الله سبحانه وتعالى لنا في تلك الآيات التي نحن بصدد هــــا
 موقف المشركين وتصوراتهم المتناقضة حيث يقولون بخلق الله للسموات والأرض وتسخيره
 للشمس والقمر وانزال الماء من السماء واحياء الأرض ، وما يتضمنه هذا من بســــط
 الرزق لهم أو تنسيقه عليهم ، ثم هم بعد ذلك يشركون بالله في العبادة ، وهذا

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ص ٧٨ .

تناقض عجيب يعجب الله منه في هذه الآيات ((فأنى يوفقون)) أى كيف يصرفون عن الحق الى هذا التخليط العجيب . (١)

ومعلوم أنه ليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم ، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف وغيرهم . وذلك لو أقر رجل بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ، ونزهه عن كل ما ينزه عنه ، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء - لم يكن موحدًا بل ولا مؤمنًا حتى يشهد أن لا اله الا الله وحده هو الاله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له ومشركوا العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين (٢) ، قال تعالى :

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

” يوسف ١٠٦ ”

والله سبحانه وتعالى قرر في هذه الآيات وغيرها أنه الاله المستحق للعبادة حيث أن المشركين اعترفوا بأنه مستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار ، وأنه الخالق الرازق لعباده ، ومقدر آجالهم واختلافها ، واختلاف أرزاقهم فاذا كان الأمر كذلك فلم يعبدوا غيره ؟ ، ولم يتوكلوا على غيره ؟ ، فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته ، وكثيرا ما يقرر تعالى مقام الألوهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية ، وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم (لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هولاك تملكه وما ملك) (٣)

(١) انظر في ظلال القرآن : ٢٧٥٠/٥

(٢) انظر درر تعارض العقل والنقل : ٢٢٥/١

(٣) صحيح مسلم : ٨٤٣/٢ الحج باب التلبية .

وهذا عجيب من أهل مكة وغيرهم لم يعبدوا الله مخلصين مع علمهم بأنه خالقهم ورازقهم فكيف يصرفون عن توحيد الله وتعظيمه .

ولا عظمة فوق عظمة خالق الذرات ، والأرض والسموات فكيف يشركون عبادة خالق الموجودات ويشغلون بعبادة أخس المخلوقات ^(١) وبلا شك أن هذا انتكاس عن الفطرة لذلك أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بحمد الله سبحانه على هذه النعمة ، وهي نعمة العبادة لله وحده والبرائة من التناقض والتهافت ، حيث لم يعطوا بعلمهم ، فلذلك وعدهم الله من الذين لا يعقلون حيث لم تهدم عقولهم

الى الحق كما قال سبحانه :

وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ

مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

* العنكبوت ٦٣ *

ومعرفة المشركين بربوبية الله سبحانه وتعالى معرفة حق فلم ينكر الربوبية الا شرذمة قليلة يقوم انكارها على محض المكابرة والعناد ، وكثيرا ما يزول هذا العناد عند التعرض للشدائد ، فيعود الايمان الى نفوس المعاندين والمكابرين ، فيجأرون الى الله ضارعين كما بينه الله سبحانه في آيات كثيرة من كتابه وفي سورة العنكبوت

كما قال سبحانه :

فَإِذَا رَكِبُوا فِي

الْفُلْكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا
هُمْ يَشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾

* العنكبوت ٦٥ *

(١) انظر غرائب القرآن وغرائب الفرقان : ١٤/٢١ - بتصرف - .

وقد ذكر محمد ^(١) بن اسحاق أن عكرمة ^(٢) بن أبي جهل لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ذهب فارا منها ، فلما ركب في البحر ليذهب السبي الحبشة اضطرت بهم السفينة ، فقال أهلها : يا قوم أخلصوا لربكم الدعاء فإنه لا ينجى هاهنا الا هو ، فقال عكرمة : "والله لئن كان لا ينجى في البحر غيره ، فإنه لا ينجى في البر أيضا غيره ، اللهم لك على عهد لئن خرجت لأذهب فلأضعن يدي في يد محمد فلأجدنه روه وفاق رحيميا" ^(٣)

الامتنان عليهم بالنعم :

وكذلك من الأساليب التي سلكها القرآن في دعوة الكفار ، الامتنان عليهم

بالنعم كما قال سبحانه : **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّاءٍ آمِنًا وَيُنْخَطِفُ**

النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِئَّةً يَنْزِلُ فِيهِمُ الْغَيْثُ وَيُمْسِكُ بِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ

"العنكبوت ٦٧"

فبعد أن ذكر الله الشركين حين يشتد بهم الخوف اذا ركبوا في الفلك ونحوه لجئوا الى الله وحده مخلصين له العبادة ، ذكرهم في هذه الآية حين الأمن في حصنهم الحصين وهو مكة التي يأمن من دخلها من الشرور والأذى يكفرون به ويعبدون معه سواء ، وتلك حال من التناقض لا يرضاها لنفسه عاقل فان دعاؤهم اياه حال الخوف مع الاخلاص ، ما كان الا ليقينهم

(١) تقدمت ترجمته ص : ٢٤٧

(٢) هو المخزومي ، استشهد في اليرموك . أسد الغابة : ٥٦٧/٣

(٣) تفسير ابن كثير : ٦٧١/٣ ، وأسد الغابة : ٥٦٨/٣

بأن نعمة النجاة منه لا من سواه ، فكيف يكفرون به حين الأمن ، وهم يوقنون
بأن الأصنام حين الخوف لا تجديهم فتيلاً ولا قطميراً ؟ (١)

وبلا شك أن مكة كانت ولا تزال بلداً آمناً لوجود البيت الشريف فيها ، فقباة العرب متفقة على احترام البيت وتعظيمه لنسبته الى الله ، حتى أن من دخله يأمن على نفسه لا من الاعتداء عليه وايداعه فقط ، بل يأمن أن يثار منه ومنى على هذا عمل الجاهلية على اختلافها في المنازع والأهواء والمعبودات وكثرة ما بينها من الأحقاد والأضغان . (٢)

وقال قتادة (٣) في قوله : ((ومن دخله كان آمناً)) قال : كان هذا في الجاهلية ، كان الرجل لو جر كل جريرة على نفسه ثم لجأ الى الحرم لم يتناول ولم يطلب . (٤)

وقال ابن كثير : ((ومن دخله كان آمناً)) يعنى : حرم مكة ، اذا دخله الخائف يأمن من كل سوء ، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية ، كما قال الحسن البصرى وغيره : "كان الرجل يقتل فيضع في عنقه صوفة ويدخل الحرم ، فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج" (٥) أهـ

وعن ابن عباس قال : "من عاذ بالبيت أعانه البيت ولكن لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ، فاذا خرج أخذ بذنبيه" (٦)

(١) تفسير المراغي : ٢١/١١

(٢) تفسير المنار : ٨/٤

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٢/٢ ، وفتح القدير : ٣٦٤/١

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٥٧٤/١

(٥) جامع البيان عن تأويل القرآن : ١٣/٢

وقال الله تعالى : **أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا وَيُنْخَطَفُ
النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾**

* العنكبوت ٦٧ *

وقوله تعالى : **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ
﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾**

* سورة قريش *

وحتى أنه من جملة تحريمها حرمة اصطياد صيدها وتنفيذه عن أوكاره وحرمة قطع
شجرها وقطع حشيشها كما وردت بذلك الأحاديث والآثار ، ومن ذلك ما ثبت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح حيث قال : (ان هذا البلد حرمة الله يوم
خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، وأنه لم يحل القتال
فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي الا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله الى
يوم القيامة ، ولا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته الا من عرفها
، ولا يختلئ خلاه) الحديث .. (١)

وعن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح) . (٢)

(١) صحيح البخارى : ٧٢/٤ الجزية باب اثم الغادر والفاجر، وانظر: ١٣/٣

، ٣٥/١١ ، صحيح مسلم : ٩٨٧/٢ حج باب تحريم مكة وصيدتها .
كما أخرج الترمذى وابن ماجه وأحمد بألفاظ متقاربة .

(٢) صحيح مسلم : ٩٨٩/٢ الحج باب النهى عن حمل السلاح بمكة ، واللفظ
له ، أحمد : ٣٤٧/٣ .

وبلا شك أن هذه نعمة عظيمة واجابة لدعوة نبي الله ابراهيم عليه السلام

كما قال سبحانه :

وَإِذْ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ
أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾

* ابراهيم ٣٥ *

فالنعمة لا بد لها من شكر لنعمها ، ومن شكرها معرفتها والاعتراف بأنـه

هو سديها ، فالنعم تـدوم وتزداد بالشكر كما قال سبحانه :

وَإِذْ تَأَذَّنَ

رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾

* ابراهيم ٧ *

فالشكر استعمال المواهب والنعم فيما وهبت لأجله ، فالذين يقولون

اننا لانقدر على فهم هذا الدين وانما علينا اتباع آباينا وأجدادنا ، فأولئك

كافرون بنعمة العقل كما قال الله تعالى عنهم :

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾

* الزخرف ٢٣ *

وكذلك الذين يتخذون وسطاً بينهم وبين الله تعالى لأجل التقرب اليه

زلفى بغير ما شرعه الله من الدين^{الدين} ، فقد احتقروا نعمة الله .

فالله سبحانه وتعالى ذكر كفار قريش بهذه النعمة التي خصهم بهـ

دون سائر الناس ، مع كفرهم بنعمته ، واشراكهم في عبادته .

قال الطبري : " أفلم ير هؤلاء المشركون هذه النعمة فيشكروا الله عليهمـ

وينزجروا عن كفرهم بالله ، وإشراكهم معه مالا ينفعهم ولا يضرهم ، فالله حرم على الناس دخول بلدهم بغارة أو حرب آمننا يأمن فيه من سكنه فأوى اليه من السبي والخوف (١) أهـ

وَقَالُوا إِن

ومثل هذه الآية قوله سبحانه :

نَتَّبِعُ الْهَدْيَ مَعَكَ نُنْخِطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقْنَا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

* القصص ٥٧ *

فلما جعل الله الحرم آمنا وأكثر فيه الرزق حال كونهم معرضين عن عبادة الله تعالى مقبلين على عبادة الأوثان ، فبقا هذه الحالة مع الايمان أولى .
" ولا يخفى أن التخطف على تقدير وقوعه ، لا يصلح عذرا ، لعدم الايمان فان درجة الشهادة أعلى وأجل ، ومضرة التخطف أهون من العقاب الدائم ، الا أنه تعالى احتج عليهم بما هو معلوم من عادة العرب ، وهو أنهم كانوا لا يتعرضون لساكن الحرم ، والأمر البين للحسن أولى باقحام الخصم ، فلذلك قدمه الله سبحانه " . (٢)

وقد بين الله سبحانه وتعالى لهم في هذه السورة وغيرها عن أسباب الهلاك الحقيقية وهي البعد عن الله والاعراض عن اتباع رسله كما تقدم في دعوات بعض الأنبياء ولكن النظرة السطحية والتصور المحدود هو الذي أوحى لقريش هذه الشبهة حيث خافوا على مكانتهم بين العرب ، والا فهم يعلمون أنه حق كما تقدم

(١) انظر الطبري : ١٤/٢١

(٢) انظر غرائب القرآن وغرائب الفرقان : ٥٦/٢٠

وَقَالُوا إِن

وَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ عَنْهُ :
نَتَّبِعُ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ
حَرَمَاءَ أَمِنَّا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ

* القصص ٥٧ *



أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

فهم بذلك نسوا الله ونسوا انه هو الحافظ وحده ، فكفروا بنعمته فأين ذهب

عقولهم ، وانسلخت أحلامهم حيث آثروا الضلال على الهدى ، والباطل على الحق ، والشقاء على السعادة ، وحيث كانوا أظلم الخلق ^(١) ، فهم غافلون عن الاستدلال وأن من رزقهم وأمنهم فيما مضى حال كفرهم يبرزهم لو أسلموا ويمنع الكفار عنهم في إسلامهم ^(٢) .

وان الكفر في هذا الزمان أمثالهم يشفقون من اتباع شريعة الله والسير على هداه ، يشفقون من عداوة أعداء الله ومكرهم ، ويشفقون من تألب الخصوم عليهم ، يخافون على اقتصادهم وكراسيهم وملكهم وجاههم ؟ ، وماتلك الا أوهام كأوهام قريش .

فلما اتبعت هدى الله سيطرت على مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ربع

قرن .

(١) تفسير ابن سعدى : ١٠٧/٦

(٢) تفسير القرطبي : ٣٠٠/٧

الفصل الرابع

أهل الكتاب في السورة

المقصود بهم اليهود والنصارى ^(١) ، ولم يرد ذكر لهم في السورة الا قليلا ،
فما ورد عنهم أنهم ممن فتنوا من الأمم السابقة كغيرهم لعموم قوله سبحانه :

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾

* العنكبوت ٣ *

وكما تقدم في حديث خباب بن الأرت رضى الله عنه ، وفيه : (قد كان من قبلكم
يوخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه
فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه فما يصدده
ذلك عن دينه) ^(٢) الحديث ..

وسا ورد عنهم في السورة قوله جل وعلا :

﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا

الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقَوْلُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ

إِلَيْكُمْ وَإِلْهِنَاوَالْإِهْكُمْ وَحِدَّوَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾

* العنكبوت ٤٦ *

وقد اختلف العلماء في نسخ الآية فقال قتادة ^(٣) ومقاتل ^(٤) : " صارت منسوخة

بقوله : ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله)) . ^(٥)

(١) انظر جامع البيان عن تأويل القرآن : ١/٢١

(٢) تقدم الحديث بتمامه في ص : ٢١٩ - ٣٩١

(٣) تقدم في ص : ٣٥٤

(٤) هو : مقاتل بن سليمان البلخي ، أبو الحسن كبير المفسرين ، مجمع على تركه ،

ت سنة نيف ١٥٠ هـ . سير أعلام النبلاء : ٢٠١/٧ .

(٥) معالم التنزيل : ٤٧٠/٣ ، وانظر جامع البيان عن تأويل القرآن : ٢/٢١ .

وعن ابن زيد ^(١) أنها ليست منسوخة . ^(٢)

قال ابن جرير ^(٣) : " معنى لقول من قال : نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال وزعم أنها منسوخة لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر ، ولا دلالة على صحته من فطرة أو عقل . . ولا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل " . ^(٤)

والأمر بالقتال لا ينافي المجادلة لأن الحكمان لم يتناقضا ، كاستقبال بيت المقدس والكعبة - فلا يمكن الجمع .

بل هنا يمكن الجمع فيجادل أولا فان ظلم قوتل بالجهاد " ومعلوم أن كلا منهما ينفع حيث لا يقع الآخر وأن استعمالهما جميعا أبلغ في اظهار الهدى ودين الحق " . ^(٥)

وما يؤيد ذلك أنه لا يتبين الظالم منهم في الغالب إلا بعد دعوته ومجادلته واسماعه الحق ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم جادل أهل الكتاب ودعاهم إلى الاسلام كما تقدم ^(٦) ، فتبين المعاند والمكابر منهم .

والآية فيها أمر للمؤمنين أن يقولوا الحق الذي أوجبه الله عليهم ، وعلى جميع الخلق ليرضوا به الله وتقوم به الحجة على المخالفين ، فان هذا من الجـدال بالتي هي أحسن وهي أن تقول كلاما حقا يلزمك ويلزم المنازع لك أن يقولـه فان وافقك والا ظهر عناده وظلمه " . ^(٧)

(١) هو جابر بن زيد ، تقدم في ص : ٤٢٢

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ٢/٢١

(٣) تقدمت ترجمته في ص : ٦٤

(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن : ٣/٢١

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ٦٦/١

(٦) تقدم في ص : ٣٩٥

(٧) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ٤٣/٢

ومن قبل منهم فانه يستمر معه في الجدل والتي هي أحسن سواء آمنوا
أورضوا بأحكام الاسلام ، ولولم يؤمنوا فقل ان الذين يجادلون والتي هي
أحسن هم المؤمنون بحمد على الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وسائر من
آمن بحمد على الله عليه وسلم ، وجدال هؤلاء بالموافقة فيما حدثوا من أخبار
أهل الكتاب* . (١)

وقيل أنهم من رضى بأحكام الاسلام ولولم يسلم - فدفع الجزية ولم يحارب
، قال ابن جرير : " ان الله تعالى ذكره أذن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب
بغير الذي هو أحسن بقوله ((الا الذين ظلموا منهم)) فمعلوم اذا كان قد
أذن لهم في جدالهم ان الذين لم يؤذن لهم في جدالهم الا والتي هي
أحسن ، غير الذين أذن لهم بذلك فيهم وأنهم غير المؤمن لأن المؤمن منهم
غير جائز جداله الا في غير الحق لأنه اذا جاء بغير الحق ، فقد صار في
معنى الظلمة في الذي خالف فيه الحق ، فاذا كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى
لقول من قال : عن بقوله * ولا تجادلوا أهل الكتاب أهل الايمان منهم* (٢) أهـ

والذي يظهر لي أن المجادلة تشمل كل من جاء بما يخالف الاسلام وقصده
طلب الحق لا التعنت سواء آمن أولم يؤمن وجدالهم والتي هي أحسن : بالجميل
من القول والدعاء الى الله سبحانه وآياته والتنبيه على حججه * وأن يكون على
بصيرة وعلى قاعدة مرضية مع حسن خلق ولطف ولين كلام ودعوة الى الحق وتحسينه
ورد الباطل وتهجينه بأقرب طريق موصل لذلك ، وأن لا يكون لقصد منها مجرد
المجادلة والمغالبة وحب العلو بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق* . (٣)

(١) فتح القدير : ٢٠٥/٤

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣/٢١

(٣) انظر تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن : ٩٢/٦

ومن المجادلة بالتي هي أحسن ما بينه الله عز وجل في آخر الآية بقوله :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا

الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ

إِلَيْكُمْ وَإِلْهِنَاوَالْهَيْكُمُ وَجِدْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾

"العنكبوت ٤٦"

ففي الآية بيان لأهل الكتاب أننا وإياهم متفقون على الايمان بالله ورسوله
وكتبه ، أما ما يخبرون به فاننا نتوقف فيه كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال : " كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل
الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
((وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم والهنأ والهكم واحد ونحن له مسلمون)) (١)

وهذا من المجادلة الحسنة حيث أنه لا يرد عليهم بالتعننت وأن ما حدثونا

به وليس موجودا في كتابنا نوؤمن به ايمانا مجملا كما أمرنا الله عز وجل .

قال السعدى (٢) رحمه الله في تفسير الآية : " ولا تكن مناظرتكم اياهم على وجه

يحمل به القدح في شيء من الكتب الالهية أو بأحد من الرسل ، كما يفعل

الجاهل عند مناظرة الخصوم ، يقدح بجميع ما معهم من حق وباطل ، فهذا

ظلم وخروج عن الواجب وآداب النظر (٣) . أه

(١) صحيح البخارى : ١٥٠/٥ تفسير سورة البقرة باب قولوا آمنا بالله .

جامع البيان عن تأويل القرآن : ٣/٢١

معالم التنزيل : ٤٧٠/٣ ، ابن كثير : ٦٦٣/٣

(٢) تقدم في ص ٣٥٧

(٣) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن : ٩٤/٦

وأهل الكتاب بما أنزل عليهم يدعون أن عندهم علم وأنهم نزل عليهم كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، لذلك كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون الايمان بما أنزل عليهم جملة ، فهم يؤمنون بالتوراة والانجيل عموماً كما في الآية السابقة ، وعموم جميع الكتب المنزلة من عند الله لأن الايمان بالكتب أحد أركان الايمان الستة كما تقدم. (١)

ولكن هل ما يوجد بأيدي أهل الكتاب هو ما أنزل من عند الله حقيقة ، أم أنه محرف ومبديل ؟ ، والحقيقة أن غالبه محرف ومبديل ، قال ابن كثير : " ثم ليعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحاً" (٢) أهـ

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : " كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله وما أنزل اليانا) (٣) ، وفي اللفظ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) وما ورد عنهم في السورة أن بعضهم آمن بمحمد كما قال سبحانه

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ

يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا

إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧)

* العنكبوت ٤٧ *

(١) تقدم بيان ذلك في ص : ١٨٢

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦٦٣/٣

(٣) صحيح البخارى : ١٥٠/٥ تفسير سورة البقرة ، باب : قولوا آمنا بالله ،

جامع البيان عن تأويل القرآن : ٣/٢١

(٤) صحيح البخارى : ١٦٠/٥ الاعتصام ، باب : لا تسألوا أهل الكتاب

عن شي ، والتوحيد : ٢١٣/٨

ف قيل ان الذين أوتوا الكتاب هم الأنبياء .

وقيل هم الذين آمنوا بهم في وقتهم لأن الايمان برسول ايماننا صحيحا

يقتضى الايمان بجميع الرسل .

وعلى هذا ف قوله ((ومن هو لا *)) أى أهل الكتاب الموجودين في عهد

الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقيل المقصود ب ((الذين آتيناهم الكتاب)) وهم أهل الكتاب الذين آمنوا

به صلى الله عليه وسلم لما بعث فيهم .

وخصوا بأنهم ((أهل الكتاب)) لأنهم هم الذين تلووه حق تلاوته . .

وقوله ((ومن هو لا *)) المقصود بهم من آمن من العرب .

وقد آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم كثير من العرب .

ومن أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي ، وأصحمة النجاشي ،

ونصاري نجاران وغيرهم .

قال القرطبي^(١) رحمه الله : " ومن هو لا * الذين بين ظهرانك اليوم من يؤمن

به كعبد الله بن سلام ومن آمن برسوله من بنى اسرائيل " .^(٢)

" فالذين أخذوه فتلووه حق تلاوته من أحبار العلماء الأذكيا^(٣) آمنوا به مشـ

سلمان الفارسي ، وعبد الله بن سلام ، وغيرهما .

(١) تقدم في ص : ٣٦٣

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ٢/٢١

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٦٦٤/٣

لذلك من المناسب أن أسوق قصة اسلام عبدالله بن سلام لما فيها من الدلالة على دعوة الرسول لليهود وحرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم ، وايمان الذى يريد الحق وعتاد الجاحدين المكابرين .

قال عبدالله بن سلام عن نفسه : " لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوكل^(١) له فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما نزل بقبا^٢ فى بني عمرو بسن عوف ، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدة ابنة الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعتُ الخبر بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرتُ ، فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى : خبيك الله والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما مازدت ، قال : فقلت لها : أى عمه هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بعث بما بعث به ، قال : فقالت : أى ابن أخى ، أهو النبي الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ، قال : فقلت لها : نعم ، قال ، فقالت : فذاك اذا ، قال : ثم خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ، ثم رجعت الى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا ، قال : وكنت اسلامي من يهود ، ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ليه : يارسول الله : ان يهود قوم بهت^(٢) وانى أحب أن تدخلني فى بعض بيوتك وتخفينى عنهم ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا باسلامي ، فانهم ان علموا به بهتوني ، وعابوني ، قال : فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوتهم ، فدخلوا عليه ، فكلموه وسألوه ، ثم قال لهم : (أى رجل الحصين^(٣)

(١) التوكل التوقع والانتظار . لسان العرب : ٣٦٤/٩ ، وكف . غريب

الحديث للهروى : ٣٧٩/٢ .

(٢) البهت : الكذب ، وهو جمع بهوت من بناء المبالغة فى البهت مثل صبور ، وصبر ،

ثم يسكن تخفيفا . لسان العرب : ١٣/٢ بهت .

(٣) هكذا فى السيرة ، أما الروايات الأخرى فهى : (أى رجل عبد الله بن سلام فيكم) .

ابن سلام فيكم ؟) ، قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا ، وعالمنا ، قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، وقلت لهم : يامعشر يهود : اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله انكم لتعلمون انه لرسول الله ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فاني أشهد أنه رسول الله وأؤمن به ، وأصدقه وأعرفه ، فقالوا : كذبت ، ثم وقعوا بي ، قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت ، أهل غدر وكذب وفجور !! ، قال : فأظهروا لي أسلامى واسلام أهل بيتي وأسلمت عنتى خالدة بنت الحارث ، فحسن اسلامها^(١).

وكما في وفد النصارى الذين قدموا من الحبشة كما ذكر ذلك ابن اسحاق^(٢) فقال : " ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا ، دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاخت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتبهم من أمره^(٣) .

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ١٦٣/٢ بهذا اللفظ . ، وينحوه في صحيح البخارى : ١٠٣/٤ ، الأنبياء ، ومناقب الأنصار : ٢٦٨/٤ باب ٥١ ، وانظر : ١٤٨/٥ ، سند أحمد : ١٠٨/٣ ، ٢٧١ .

(٢) تقدم في ص : ٣٨١ -

(٣) السيرة النبوية لابن هشام : ٣٢/٢ .

فهذان النصفان وغيرها ^(١) ، دليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم عند أهل الكتاب حيث آمن به بعضهم ولكن بعضهم ظلم وجحد فأعرض عن الحق

، قال تعالى :
﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ ﴾
العنكبوت ٤٦

والذين ظلموا في الآية قيل انهم كل من لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقى على كفره ، وهذا باعتبار أن الجدل بالتي هي أحسن خاص بالمؤمنين منهم ^(٢) ، وهذا يكون ظالم لنفسه .

والذى يظهر أن المقصود أنهم الذين ظلموا أهل الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم بنصب الحرب لهم وانكار الجزية ^(٣) ، ومن ظلمهم قولهم " أن مع الله اله أوله ولد أوله شريك أو يد الله مغلولة أو الله فقير ، أو آذوا محمداً صلى الله عليه وسلم " . ^(٤)

ومن ظلمهم : " بقاءهم على المعاندة بعد ظهور الحجة " . ^(٥)

وقد لا يتبين ظلمهم الا بعد جدالهم واسماعهم الحق ثم نكوصهم عنه وعداوة أهله وعدم الخضوع لهم .

(١) انظر زاد المعاد : ٦٢٩/٣

(٢) انظر فتح القدير : ٢٠٥/٤

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢/٢١

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢/٢١ ، ونقله عن قتادة ومجاهد

(٥) انظر أحكام القرآن لابن العربي . ١٤٨٨/٣

فيظهر من مجادلتهم أنه لا ارادة لهم في الحق وانما يجادلون على وجه
الشاغبة والمغالبة فهو لا فائدة في مجادلتهم لأن المقصود منها ضائع". (١)

" فحينئذ ينتقل من الجدل الى الجلال ويقاتلون بما ينعمهم ويردعهم" (٢)

قال تعالى :

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

" الحديد ٢٥ "

قال جابر رضى الله عنه : " أمرنا من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف" (٣)

وكما فعل صلى الله عليه وسلم في بنى قريظة والنضير وغيرهم .

ومع ظلمهم وعنادهم فان الله سبحانه دعاهم الى الايمان وأقام عليهم الحجة
ليعلموا أن الأمر ليس مجرد دعوة فقط ان أجبتم والا فأنتم وشانكم ، وانما يترتب

على هذا حساب وعقاب وجنة ونار

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

" المائدة ١٩ "

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٩٣/٦

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦٦٢/٣

(٣) " " " : ٦٦٣/٣

ولأجل أن لاتنطوى شبههم على الجهال منهم ومن يأتي من بعدهم ويدعى أنه من أهل الكتاب فمن الحجج التي أقامها الله عليهم ما يعرفونه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أمي ، قال تعالى :

وَمَا كُنْتَ تُتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ

وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

" العنكبوت ٤٨ "

قال مجاهد (١) : " كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتابا فنزلت هذه الآية " . (٢)

فأله سبحانه دعاهم للإيمان بالرسول ، بما يعرفون جنسه من الأنبياء الذين كانوا قبله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدمت قصصهم .

وكذلك جنس الكتاب الذي أنزل اليه ، قال تعالى : ((وكذلك أنزلنا إليك الكتاب)) أي كما أنزلنا على من قبلك يا محمد من الرسل " . (٣)

قال ابن تيمية : " بل طريق معرفة الأنبياء وكطريق معرفة نوع من الآدميين خصهم الله بخصائص يعرف ذلك من أخبارهم واستقراء أحوالهم كما يعرف الأطباء والفقهاء ولهذا انما يقرر الرب تعالى في القرآن أمر النبوة واشتات جنسها بما وقع في العالم من قصة نوح وقومه ، وهود وقومه ، وصالح وقومه ، وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى وغيرهم فيذكر وجود هؤلاء وأن قوما صدقوهم وقوما كذبوهم " (٤)

(١) تقدم في ص : ٢٦٨

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن : ٥/٢١ ، الدر المنثور : ١٤٨/٥

(٣) " " " " " : ١/٢١

(٤) النبوات لابن تيمية : ١٣

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أسئلة اليهود له صلى الله عليه وسلم وقولهم
أنه لا يعلم هذا الا نبي واعترفهم أنه لم يعلمه أحد حيث جاء المشركون الى أهل
الكتاب يسألونهم عن شأنه ، ثم قال : " فهذا من أهل المدينة ومن قريش قومه
يبين أن قومه المشركين وأهل الكتاب كانوا متفقين على أنه لم يتعلم شيئاً
من ذلك من البشر ، ان لو جوزوا ذلك لم يحصل مقصودهم بذلك ، ولم
يجز أن يقولوا : " لا يعلمها الا نبي " (١) أهـ

فحجتهم بأنه تعلمه من ساحر أو من أهل الكتاب باطله بما يعرفونه هم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجدونه في كتبهم فارتياهم وشكهم باطل
لا دليل عليه .

وبين الله سبحانه أن عدم ايمانهم بالرسول انما هو جحود ، قال تعالى :

بَلْ هُوَ

ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ
بِءَايَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾

" العنكبوت ٤٩ "

قال البغوي : " وذلك أن اليهود وأهل مكة عرفوا أن محمد نبي والقرآن

حق فجدوا " ، وقال قتادة : " الجحود انما يكون بعد المعرفة " . (٢)

واختلف في أهل العلم ، فعن ابن عباس والحسن البصري أنهم أصحاب

محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به يحفظونه ويقرأونه " (٣) أي القرآن .

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ٦٣/٤

(٢) معالم التنزيل : ٤٧١/٣

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٦٦٥/٣

وعن ابن عباس وقتادة والضحاك * بل هو * أى محمد صلى الله عليه وسلم .
والذين أتوا العلم من أهل الكتاب يجدونه مكتوبا عندهم فى كتبهم بهذا
الصفة أما لا يقرأ ولا يكتب * . (١)

وهذا الذى رجحه ابن جرير .

وعلى كل القولين فان أهل الكتاب يعرفون محمدا بما وصف لهم فى كتبهم

من انه أمى وغير ذلك من صفاته ، قال تعالى :

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

الرَّسُولَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

* الأعراف ١٥٧ *

ومن الحجج التى أقامها الله عليهم ما يجدونه فى كتبهم من البشارة بمحمد

صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

وَإِذ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾

* المصف ٦ *

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن : ٥ / ٢١ - ٦ .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضى الله عنهما قال : " قرأت في التوراة صفة النبي صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله عبدى ورسولى ، سميته التوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ^(١) فيفتح بها أعينا عميا وآذانا عما وقلوبا غلغا " . ^(١)

ومن ذلك تذكيرهم بما كانوا يستفتحون على الذين كفروا بمحمد صلى الله

عليه وسلم ، قال تعالى :
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
" البقرة ٨٩ "

والقرآن ملوًا بدعوتهم للإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل معه ، ولكن
ما تقدم يتبين أنهم أهل جحود وحسد وطلباً للرياسة وليس جهلاً منهم .
يقول ابن تيمية : " ولهذا كان من نازع من أهل الكتاب فى نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم اما أن يكون لجهله بما جاء به وهو الغالب على عايتهم ، أو
لعناده وهو حال طلاب الرياسة بالدين منهم " . ^(٢)

(١) الجامع الصحيح للإمام البخارى ، باب كراهة الصخب بالأسواق ، من كتاب
البيوع : ٨٣/٣ ، وانظر تفسير سورة الفتح فى صحيح البخارى : ٤٤/٦ ،
باب انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، مسند أحمد : ١٧٤/٢ .

(٢) النبوات : ٢٤

ولا أدل على أن قصد بعضهم العناد والحسد ماتقدم في قصة اسلام عبد الله ابن سلام وكذلك ماورد عن صفية بنت حبي بن أخطب أنها قالت : " كنت أحب ولد أبي اليه والى عمى أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما الا أخذاني دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء ، فو بنى عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي حبي بن أخطب وعمى أبو ياسر ابن أخطب مفلسين ، قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس ، قالت : فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهويني قالت : فهششت اليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت الى واحد منهما مع مابهما من الغم ، قالت : وسمعت عمى ابا ياسر وهو يقول لأبي حبي بن أخطب أهو هو ؟ ، قال : نعم ، قال : أتعرفه وثبته ، قال : نعم ، قال : فما في نفسك منه ؟ ، قال : عداوته والله مابقيت " . (١)

وقد استمر أهل الكتاب في ظلمهم وعنادهم ومحاولة تشكيك المسلمين في دينهم وذلك واضح من استعراض تاريخهم .
فهم يقولون أن الله ثالث ثلاثة . .

وبعض أهل الكتاب وخاصة النصارى يعتقدون أن عيسى ابن الله ، وأنه اله وانسان ، فهو اله من جهة أبيه ، وانسان من جهة أمه ، وأن اليهود قتلوا انسانيته ، وأن الألوهية بعد ما دخل جسد انسانيته القبر ، نزلت الى جهنم ، وأخرجت منها آدم ، ونوحا ، وابراهيم ، وجميع الأنبياء ، وأنهم كلهم كانوا فيها من أجل خطيئة أبيهم آدم في الأكل من الشجرة ، وأن جميع هؤلاء الأنبياء صعدوا الى السمك في صحبة الهية عيسى بعد اجتماع لاهوته بناسوته ، وهذا الاعتقاد في غاية الكفر والحق والفساد ، فنعوذ بالله ما ابتلاهم به " . (٢)

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ١٦٥ / ٢

(٢) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب : ١٢٧ .

قال تعالى : لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَوَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

* المائدة ١٧ *

فمن كفرهم وتبديلهم قولهم نحن أبناء الله وأحبائه .

وقد رد الله عليهم قولهم هذا ، قال تعالى :

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

* المائدة ١٨ * (١)

ومن كفرهم قولهم - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - : " انتبه لم تنام يارب

، استيقظ من رقدتك " (١)

فأين هم من قوله سبحانه :

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا
شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

* البقرة ٢٥٥ *

وقولهم ان الله تعالى قال لشموائل النبي عليه السلام : " نجاتي كسى
هملاخى ان شاوالمليخ على يسراييل " .

تفسيره : " ندمت ان وليتك (شاوول) ملكا على بنى اسرائيل ، وقولهم :
" وأذوناي نيجام كى هميلمخ انى شااول على يسراييل " .

وتفسيره : " والله ندم على تملكه شاوول على اسرائيل " . (١)

واعتقادهم أن نوحا النبي عليه السلام لما خرج من السفينة بدأ ببناء مذبح
لله تعالى وقرب عليه قربانين ، ويتلوا ذلك . " ويأرح أذوناي ان ديبح هنيجو
وح ولوهر آذوناي ال لبولواسيف عوذ لقليل ان حا اذا ما عا عبرها اذام كسى
بيعير ليب ها اذام راع منور او ولو اوسيف مود لهلكوث ان كل حى
كا اتير عاسيشي " .

وتفسيره : " فاستنشق الله رائحة القثار ، فقال الله تعالى فى ذاته :
لن أعاد لعنة الأرض بسبب الناس لأن فاطر البشر مطبوع على الرذالة ، ولن
أعاد اهلاك جميع الحيوان كما صنعت " . (٢)

فأى كفر أعظم من هذا ؟؟

(١) افحام اليهود : ١٣٤

(٢) افحام اليهود : ١٣٤

من مهازلهم أنهم يزعمون أن المسيح أعطاهم الخبز ، وقال لهم هذا لحمي فلكوه ، وأعطاهم الخمر وقال لهم هذا دمي فاشربوه^(١) وهم في احتفالهم بالعشاء الرباني المقدس يأكلون الخبز ، ويشربون الخمر ، ليقولوا أنهم أكلوا لحم ربهم وشربوا دمه .^(٢)

وقد استمر ظلمهم وعنادهم وذلك لاعتراف كبرائهم بالدين الحق ولكن حسب الجاه والرياسة أعماهم عن ذلك وهذا ما حصل لأسلافهم ، كذلك من رجع منهم الى الحق بهتوه ، ونابذوه ، كما تقدم في قصة اسلام عبد الله بن سلام - وكما حصل للميورقي^(٣) حينما أسلم ، فما حدث له في قصة اسلامه أنه سمع خلافا بيين طلبه العلم في قول الله عز وجل على لسان عيسى عليه السلام في الانجيل : " انه يأتي من بعده نبي اسمه (البارقليط) فأخبر شيخه بما حدث ، واختلافهم في اسم البارقليط ، فقال : " ان هذا الاسم الشريف لا يعلمه الا الراسخون في العلم وأنتم لم يحصل لكم من العلم الا القليل " . فألح عليه الحاحا شديدا حتى يخبره ، فبكى الشيخ وخافه عليه من عامة النصارى أن يقتلوه ، وعاهده أن لا يخبر أحدا ، فأخبره أن البارقليط المبشر به هو محمد ، وقال : " ان دينه هو الحق وولته هي الملة البيضاء المذكورة في الانجيل " فقال له : يا سيدي وما تقسول في دين هو "الانصارى ؟ ، فقال له : يا ولدي لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله ، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله ، ولكن بدلوا وكفروا .

(١) راجع يوحنا ص : ٦ : ف ٥٨

(٢) معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير : ٧٨

(٣) هو عبد الله بن عبد الله الترجمان - واسمه قبل اسلامه " انسلم تورميديا " ولد في

ميورقا سنة ٧٥٦ هـ تقريبا ، ت سنة ٨٣٢ هـ . اشتغل بالترجمة وترقى في

في الوظائف في دولة بني حفص بتونس " تحفة الأريب ص ٢٣ " مقدمة

المحقق .

فقال له : ياسيدى وكيف الخلاص من هذا الأمر ، فقال : ياوليدى بالدخول فى دين الاسلام ، قلت له : وهل ينجو الداخل منه ، قال له : نعم ، ينجوفى الدنيا والآخرة ، فقال له : ياسيدى ان العاقل لا يختار لنفسه الا أفضل مايعلم فاذا علمت فضل دين الاسلام فما يمنعك منه ؟ ، فقال : ياولدى ان الله تعالى لم يطلعنى على حقيقة ما أخبرتك به من فضل الاسلام وشرف نبي أهل الاسلام الا بعد كبرسنى ووهن جسمى ، ولا عسذر لنسا فيه بل هو حجة الله علينا قائمة ، ولو هدىنى الله لذلك وأنا فى سنك لتركيت كل شىء ودخلت فى دين الحق ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة ، وأنا كنت ترى ما أنا فيه عند النصارى ، من رفعة الجاه والعز والترف وكثرة عرض الدنيا ، ولو أنى ظهر على شىء من الميل الى دين الاسلام لقلتنى العامة فى أسرع وقت ، وهب أنى نجوت منهم ، وخلصت الى المسلمين فأقول لهم انى جئتكم مسلما ، فيقولون لى : قد نفعت نفسك بنفسك بالدخول فى دين الحق فلا تمن علينا بدخولك فى دين خلصت به نفسك من عذاب الله ، فأبقى بينهم شيخا كبيرا فقيرا ابن تسعين سنة ، لا أفاقه لسانهم ، ولا يعرفون حقى فأموت بينهم جوعا

فهذه الأسباب التى ذكرها هى فى الحقيقة من تلبيس الشيطان وليسست بأشد من عذاب الله على فرض حصولها والا فان المسلمون يكرمون الداخل نفسى الاسلام ويواسونه ، وهذا ما حصل للميورقى . وبعد ذلك سافر الميورقى الى بلاد المسلمين وأعلن اسلامه بعدما أثنى عليه خيرا أحبار النصارى الموجودين فى بلد المسلمين التى سافر اليها ، فلما شهد شهادة الحق صلبوا على وجوههم ، وقالوا ما حمله على هذا الا حب التزويج فان القسيس لا يتزوج وحزنوا لذلك . (١)

(١) القصة بكاملها فى : (تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب) ص : ٦٦ .

وقد استمر ظلمهم وعنادهم فهم يتحينون الفرص للغدر بالمسلمين وماتلك
الرساليات التبشيرية في البلاد الاسلامية قبل الاستعمار وبعده (١) الا من هذا

الظلم والعناد ، وصدق الله ان يقول : **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا
وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ مِّنْهُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾**

* البقرة ١٠٩ *

وقد شهدوا لذلك ما كتبوه في أدبهم وقصصهم التي نشرت بعد صلاح الدين
وريتشارد قلب الأسد، ما يدعي "عندهم بطولة الصليبيين ، ولكن نستخلص منها
وحشيتهم وظلمهم الفادح فمن ذلك أن الملك ريتشارد قلب الأسد كان مريضاً ذات
يوم وطلب من حاشيته أن يحضروا له طعاماً من لحم الخنزير ، ولما لم يكن لحم الخنزير
معروفاً في بلاد المسلمين بل وان أكله محرم في الاسلام ، وكان الملك يلح على ذلك
، فقد قام رئيس حرس الملك بذبح طفل من أطفال المسلمين مقتلياً الجسم وقدمه
للملك على أنه لحم خنزير .

وفي الأدب الفرنسي قصة بعنوان : " حملة الملك ريتشارد " وفيها أن الملك فسى
احدى غزواته أمر جنوده بقتل جميع أسرى المسلمين من رجال وأطفال ونساء

(١) انظر التبشير والاستعمار للفروح والخالدي .

وانظر التبشير النصراني في جنوب السودان وادي النيل .

ووضع رؤوس القتلى على مواقد الطعام * (١).

وهم ينشرون ذلك على أنه قمة البطولة والشجاعة ، فأى دناءة وخساسة أشد من هذا ، والفتك بالضعيف ، مع اختلاق تلك الأكاذيب والحكايات لتشويه الاسلام والمسلمين والا فممن المعروف ما حصل لريتشارد من الهزيمة والفشل وما حصل في صفوفه من خلافات أذهبت ريحهم سدى وما زال هجومهم مستمرا وكتاباتهم تنبني على حقدهم الدفين ، فهم يعتبرون الاسلام فسسى كتاباتهم كأنه شيء متأخر ومنحط ليس له حضارة ورقى ، وتقدم ، وان تحدثوا عن حضارته فيعتبرونها اندثرت وأفل نجمها .

وقد ظهر عندهم أدب الرحلات ، وذلك بتسجيل رحلاتهم الى الشرق للحج أو التجارة ، أو القبور والأماكن المقدسة ، والذين يكتبون هذا الأدب هم من الدبلوماسيين ، والمبشرين ، والتجار ، والجنود ، والأطباء ، والتجار ، وكانت كتاباتهم من أهم الأسباب الرئيسية في نجاح الاستعمار ، حيث ركزوا في تلك الكتابات عن الدولة العثمانية ، وأن الخليفة العثماني جبار دكاتوري وما الى ذلك من الأوصاف ، ومن ذلك كتاب "هل" والذي اسمه عرض عن الحالة الراهنة للإمبراطورية العثمانية (١١٢١ هـ - ١٢٠٩ م) وكتاب ريتشارد بيكوك المسمى : " وصف الشرق " .

وعندما انتهت الخلافة العثمانية ، ظهر أدب الرحلات للاستخدام في أغراض الجاسوسية لتيسير مهمة الاستعمار ، والقضاء على الحركات الداخلية التي تقاوم الاستعمار .

ومن هذه الكتب كتاب " بورتين " واسمه " قصة شخصية للحج الى المدينة

ومكة " ١٢٧٢ هـ .

(١) الاستشراق والمستشرقون ، وجهة نظر ، ص ١٦٥ عن دائرة المعارف البريطانية .

وكتابات "فلبى" التى منها "قلب الجزيرة" ١٣٤١ هـ .

و"جزيرة العرب الوهابية" ١٣٤٧ هـ .

و"حاج فى الجزيرة العربية" ١٣٦٦ هـ .

ومن الكتب التى تدل على الجاسوسية كتاب : "لورانس العرب" الذى اسمه

"أعمدة الحكمة السبعة" ١٣٥٤ هـ . (١)

وغير ذلك من كتاباتهم عن الاسلام لا أنه ظاهرة حضارية وانما لتحقيق أغراض تنبى

عن وثبة استعمارية وتبشيرية مدمرة للاسلام والمسلمين .

ومن ظلمهم ما ظهر عندهم من حركات هدامة بأسماء جمعيات ذات طابع خاص

انتشرت فى بلاد المسلمين ، وذلك مثل : الماسونية ، والبهائية ، والروتارى ،

وشهود يهوه ، والجمعيات الروحية ، والدونمة القاديانية ، وغيرها من الجماعات .

وقد تقدم أن هذه من صور النفاق فى هذا العصر وهى خطط يهودية

لمحو الاسلام .

فمثلا فى أندية الروتارى ينشرون بطرق ملتوية أفكارا هدامة : كسفور المرأة

، واختلاطها ، وانشاء الملاهى ، والشركات السينمائية ، واختيار ملكات الجمال

، والرحلات المختلطة ، وما يلاحظ فى أندية الروتارى تختار فى بيوت فخمسة

ومواقع يقطنها القادة والمفكرين ورجال الاقتصاد ، وقريبة من الأماكن الحيوية

كالدفاع والبريد والهاتف ، ويبدل فى حفلاتها أموالا طائلة مجهولة

المصدر . (٢)

(١) انظر الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ص ١٧١ .

(٢) انظر الاسلام والحركات الهدامة ص ١١٣

ومن ظلمهم في هذا الوقت عدم دخولهم الاسلام لقيام الحجة عليهم كما هـ —
واضح من اعتراف كبارهم في هذا الزمان بأنه لن يقف في طريقهم
غير الاسلام .

ومن ذلك قول جلادستون - رئيس الوزراء البريطاني سابقا - : " مادام هذا
القرآن موجودا فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولن تكون نفسها هـ
في أمان " .

وقال جورج براون سنة ١٩٤٤ م : " لقد كنا نخاف شعوبا مختلفة ، ولكننا
بعد الاختبار لم نجد مبررا لمثل هذا الخوف ، بيد أن الخطر الحقيقي كما سن
في نظام الاسلام وفي قدرته على التوسع ، وقوته في الاخضاع ، وحيويته في الانتشار
، انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي " . (١)

لذلك حاولوا التشكيك في عقائد المسلمين ، وبث الأفكار الخبيثة بينهم
التي تمحو عقيدة المسلمين وتسهل مهمة الاستعمار للاستيلاء على خيراتهم
، ومن ذلك ما كتبه القسيس مندوب الانكليز في البحرين - إيران الاستعمار - الى أمير
البحرين في القرن الثالث عشر الهجري - وذلك أنه كتب كتابا فيه شبهات نصرانية
يزعم فيها تصحيح العلة المسيحية - ودفعه الى أمير البحرين - فقيض الله له من
يرد عليه من علماء المسلمين وهو الشيخ ابن معمر (٢) ، ما أثار استغراب ذلك

(١) وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الاسلامي : ٤٥ .

(٢) هو : عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر ، ولد في الدرعية سنة
١٢٠٣ هـ ، برز في علوم كثيرة منها منحة القريب المجيب ، واختصار نظم
ابن عبد القوي ، هاجر الى البحرين حين حارب ابراهيم باشا الدرعية
وكان له أشعار رائعة في رثاء الدرعية ، ومكاتبات بينه وبين مشايخ الدعوة حينما
كانوا بمصر ، ت ١٢٤٤ هـ ، بالبحرين رحمه الله .

شاهير علما نجد وغيرهم ص : ٢١٩ .

القسيس حيث خاب ظنه بأن المسلمين جهلة لا يعرفون هذه الأمور . (١)

ومن ذلك ما يثبته في اذاعتهم من الشبه والانحرافات التي يدعون أنها

هي الخلاص .

وما يشاهد ويسمع اليوم من حث اليهود ، فهم كما قال تعالى : لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ

النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ
أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ
قَسِيصِينَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ مادة ٨٢ *

فقد احتلوا ديار المسلمين وقتلوا رجالهم واستباحوا أعراضهم ، وهذا مسن

أعظم الظلم ، ولا جدال معهم الا بالسيف ، واقامة علم الجهاد حتى يسلموا أو

يرضخوا لأحكام الاسلام .

قال ابن معمر : " والله أيد رسوله وأتباعه بالحجج الصحيحة العلمية ،

والبراهين القاطعة العقلية ، والنقلية ، بما لم يبق بعده للمخالف الا محض

العناد ، وحينئذ فالدواء الشافي من هذا الداء سيف الجهاد (٢) أهـ

فما يحصل من مناقشة لهم من بعض العلماء انما هولبيان هذه الحجج

لما قد يكون بينهم من جهله لو عرفوا الحق لاتبعوه ، ولثلا يلبسوا على عوام

المسلمين وجهلتهم ، الذين جهلوا أحكام دينهم وفتنوا بما ينشر للأعداء مسن

ثقافات ، هي في الحقيقة ثقافات مادامت تصد عن سبيل الله . .

(١) منحة القريب المجيب " ترجمة المؤلف " ص ٥٥ .

(٢) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ص ١٣

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وبعد . .

فقد كان هذا البحث عن الدعوة الى الله فى سورة العنكبوت وما فيها من عبر وعظات ، ما يدل على أهمية القرآن فى حياة الدعاة الى الله عز وجل خصوصا - والأمة عموما اذا تمسكت به قولا وعملا - ففيه السعادة فى الدنيا والآخرة - وبلوغ المقاصد فى نشر هذا الدين ، ففي هذه السورة التى لا تتجاوز سبعون آية فيها من العقائد والعبادات والأخلاق والحكمة ما يشفى ، ولا داعى للتفصيل ، فان ذلك قد تقدم فى ثنايا البحث ، ولكن من أهم الفوائد التى استفدتها من خلال البحث :-

١ - الوقوف على بعض معانى آيات الله الكريمة وما دلت عليه - وأن القرآن هو المنهل الصافى لمعرفة العقيدة والدعوة اليها ، وبها بين الناس تعلما وعملا كما كان سلف هذه الأمة لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلمونهن ويعلمون بهن .

٢ - اطلعت على سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الدعوة وصبره عليهم - وكذا الأنبياء قبله ، وما بذلوه فى سبيل نشر دين الله ، وقيامهم بمسأله أوجه الله عليهم بدون ملل أو تقصير ، فعلى الداعية السير على منوالهم ملتزما كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

٣ - معرفة أحاديث مشتهرة على ألسنة الناس ، وفى ثنايا الكتب ، وقتت على صحيحها من سقيمها ، وهوما ينبغى للداعية السلم الحرس عليه فى معرفة الأحاديث الصحيحة والاستشهاد بها - فان فيها الكفاية عن الموضوعات والأسرائليات التى تشوش على الناس عقائدهم وأفكارهم .

٤ - أهمية أساليب الدعوة التى بينها القرآن من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة التى هى أحسن ، فالحكمة مطلوبة لتبيين أحكام هذا الدين للمتعطشين اليه الذين عندهم رغبة واقبال .

كما أن الموعظة الحسنة مطلوبة للوعظ والتذكير لمن هم في غلظة من أمرهم ، يحتاجون الى ايقاظ ضمائرهم بالترغيب تارة ، والترهيب أخرى .
والقصص والأمثال التي جمعت بين الاثنين - واشتمل عليهما كتاب الله سنة رسوله صلى الله عليه وسلم - ففيهما الأمثال الكريمة ، والقصص الثابتة الصحيحة - التي ينبغي على الدعاة أن يستعملوها ويوضحوها للناس ويضربون لهم الأمثال من واقعهم - ويستشهدون بالقصص التي تحدث صحيحة لا لبس فيها ولا غموض ، دالة على الحق شادة الانتباه الى نتيجة مرضية دل عليها كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

كما ينبغي للدعاة أن يكون قصدهم الحق واطهاره لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم ودياناتهم ، ويدخل في ذلك من أمر الله بجدالهم بالتي هي أحسن باظهار الحق لهم بدون تعسف أو مراء ، فاما أن يذعنوا لأمر الله ، أو تقوم عليهم الحجة .

٥ - ولقد مرفى ثنايا البحث مقامات في سورة العنكبوت مهمة كالفتنة والابتلاء والصبر والشكر والرضا ، فما يصبر على البلاء ويشكر على النعمان ويرضى بالقضاء الا المؤمنون بالله ورسوله وأخصهم الداعون الى الهدى فينبغي أن يكونوا قدوة ومثلاً أعلى في ذلك .

٦ - ومع ما أوضحه الله عز وجل من الدلائل والبراهين في كتبه وعلى لسان رسوله عليهم السلام من حق في بيان وجوب الاخلاص لله والمتابعة لشرعه الا أن هناك من لم يستفد من تلك الأدلة والبراهين ولم يرفع بذلك رأساً ، لذا توجه سورة العنكبوت أنه ينبغي على الداعية أن لا ييأس ، ولا يطلب النتائج لأول وهلة ، وانما عليه أن يبلغ ما أمر به والتوفيق بيد الله عز وجل .
ومن العجيب أن ترى في الأمة من يقوم بالدعوة وهو بعيد عنها فيبينى دعوته على أصول وقواعد فاسدة يخضع النصوص لأجلها ، أو يهتهم

بأمر لا طاقة له بها ، ويترك الأولويات التي ينبغي التركيز عليها ، لذلك غالبا ما يصاب باليأس حتى لا يستطيع انكار الأمور البسيطة في مجتمعه . وأعجب من ذلك أن ترى بين أفراد الأمة الاسلامية من يستغنى عن كتاب الله ويعرض عن دينه ، طلبا للسعادة والتقدم والرقى ، كما يزعم ، مغترا بما يشاهده من تقدم وانتاج مادي ظنا منه أن دينه هو الذى منعه من ذلك ، فأين هو ما حصل للمسلمين الأوائل من صبر وتحمل للأذى في سبيل الله والدعوة الى دينه ، وكيف يغتر بهؤلاء الكفار وقد قال تعالى : **وَلَوْلَا**

أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾
وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِنْ
كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

* الزخرف ٣٣ - ٣٥ *

فأوصى كل من يقوم بالدعوة سواء أفرادا أو جماعات ، حكومات أو هيئات أو مؤسسات اسلامية أن يلتزموا بكتاب الله قولا وعملا ، وأن يفهموا كما فهمه سلف الأمة الذين نزل عليهم ، فاستقر في قلوبهم وعملوا بمقتضاه في واقعهم ، فملكوا الدنيا وأقاموا العدل بأقل من ربع قرن . . .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . .

الفهرس

٥٠٤	= فهرس الآيات القرآنية
٥٢٩	= فهرس الأحاديث والآثار
٥٤٤	= فهرس المراجع
٥٦٩	= فهرس الأعلام
٥٨٥	= فهرس الموضوعات

*** ** **

** **

**

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
اياك نعبد واياك نستعين	٥	١١٩ - ١٠١
البقرة		
واستعينوا بالصبر والصلاة	٤٥	١٥٦ - ٤٥
من كان عدوا لله وملائكته	٩٨	١٨٤ - ٥١
وكذلك جعلناك أمة وسطا	١٤٣	٧٦
يخادعون الله والذين آمنوا	٩	٤٣٠
فازكروني أذكركم	١٥٢	٢٩١ - ١٦١
يا أيها الناس اعبدوا ربكم	٢١	١١٩
ومن الناس من يقول آمنا بالله	٨	٤٣٠ - ١٢٠
ان الذين آمنوا والذين هاجروا	٢١٨	١٧٣ - ١٢٨
يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم	١٧٢	١٣٧
ود كثير من أهل الكتاب	١٠٩	٤٩٦
ليس البر أن تولوا وجوهكم	١٧٧	١٤١
الذين آتيناهم الكتاب يتلونه	١٢١	٥٥
وأنفقوا في سبيل الله	١٩٥	٢٠٩
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	١٩٣	٢١٣ - ٢١٢
		٣٩٤
آمن الرسول بما أنزل اليه	٢٨٥	٢٢٧ - ١٨٤

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٣٥	١٥٦	الذين اذا اصابتهم مصيبة
٢٣٥	١٥٧	اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
٢٦٩	١٦٣	والهكم اله واحد
٢٨٠	١٢٩	ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
٣٢٠	٢٦١	مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
٣٢٢	٦٨	قالوا ادع لنا ربك
٣٣٧	١٧١	ومثل الذين كهروا كمثل الذي ينعق
٣٤٤	٤٤	اتأمرون الناس بالبر
٣٥٦	٢٥٦	لا اكراه في الدين
٤٩٠	٨٩	ولما جاءهم كتاب من عند الله
٤٣٢	١٢	الا انهم هم المفسدون
٤٩٢	٢٥٥	الله لا اله الا هو الحي القيوم

آل عمران

١	١٠٢	يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
٢٢٨ - ٤٩	١٤١	وليمحص الله الذين آمنوا
٢٢٨ - ٧٧	١٥٤	ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة
٣٥٦ - ١٥١	١٧٣	الذين قال لهم الناس
٢٦٧	٧	هو الذي أنزل عليك الكتاب
٢٦٧	٥٩	ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم-
٤١٢	١١٠	كنتم خيرا أمة أخرجت للناس
٤١٣	١٠٤	ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٤٥٣	١٨٤	فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
		<u>النساء</u>
١	١	يا أيها الناس اتقوا ربكم
١٢٣	٤٨	ان الله لا يغفر أن يشرك به
١٤٤	١٩	يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم
١٥٧	١٤٢	ان المنافقين يخادعون الله
١٦٤	٣٦	اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً
١٨٧	١٣٦	يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله
٣٦٩	١٧	انما التوبة على الله
٤٢٤	٩٧	ان الذين توفاهم الملائكة
		<u>المائدة</u>
١٤٧	٢٣	قال رجلان من الذين يخافون
١٨٨	٤٨	وأنزلنا اليك الكتاب بالحق
٤٨٥	١٩	يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
٥٠٠	٨٢	لتجدن أشد الناس عداوة
٤٩٢	١٧	لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
٤٩٢	١٨	وقالت اليهود والنصارى
		<u>الأنعام</u>
٢٦	١٢٢	أومن كان ميتاً فأحييناه
٣٠١	٦٧	لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون
٣٤٠	١٢٤	واذا جاءتهم آية قالوا

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٥٥	٣٥-٣٤	ولقد كذبت رسل من قبلك
٤٣٦	١٦٤	قل أغير الله أبغي ربا
الأعراف		
٦٣ - ٥٨	١٨٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها
٩٧	٥٦	ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها
١١٢	١٥٩	ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق
٣٠٢	٤١	لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش
٣٠٣	٢٨	وإذا فعلوا فاحشة قالوا
٢٠٣	١٧٩	ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
٢٦٤	٣٤	ولكل أمة أجل
٣٣٩	٨١	انكم لتأتون الرجال شهوة
٣٤٦	٥٩	لقد أرسلنا نوحا الى قومه
٣٧٢	٨٢	وما كان جواب قومه الا أن قالوا
٣٨٢ - ٣٨٢	٨٥	والى مدين أخاهم شعيبا
٣٨٣	٨٦	ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
٤٨٨	١٥٧	الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
٣٧٢	٨٣	فأنجيناه وأهله
الأنفال		
وان قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من		
٤٦٢ - ٣٠٠	٣٢	عندك
٤٦٤	٣٣	وما كان الله ليعذبهم
١٥١	٦٤	بما أيها النبي حسبك الله

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٢٥	٢٨	واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة
٢٤٦	٣٧	ليميز الله الخبيث من الطيب
٢٥٥	٤٩	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
٢٧١	٢٨	واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة
التوبة		
٢١٢ - ٢٥٤	٤٩	ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني
٢٥٥		
٢٢٣ - ٢٣٦	١٢٠	ما كان لأهل المدينة ومن حولهم
٣٥٩	١٠٩	أقمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
٤٥٤	٧٠	ألم يأتيهم نبأ الذين من قبلهم
يونس		
١٧	٢٥	والله يدعو إلى دار السلام
١٦٨	٥٨	قل بفضل الله وبرحمته
٢٠٩	٢٦	للذين أحسنوا الحسنى وزيادة
٣٥٧ - ٣٩٧	١٠١	قل انظروا ماذا في السموات
٤٦٢	٥٠	قل أرأيتم ان أتاكم عذابه
هود		
١٠٠	٦	وما من دابة في الأرض
١٣٢	٤٧	قال رب اني أعوذ بك أن أسألك-
١٩٩	١٠٧	خالدين فيها مادامت السموات والأرض

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٤٣٥	٢٥	ليحملوا أوزارهم كاملة
٣٧٢	٥٦	ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا
		الاسراء
٢١	١٥	من اهتدى فانما يهتدى لنفسه
٣٩	١	سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
٥٦	١٠٢	قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء
١٦٦ - ١٦٤	٢٣	وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه
١٦٦	٢٤	واخفض لهما جناح الذل
٤٥١ - ٤٣٨	٨٨	قل لئن اجتمعت الانس والجن
٤٥٦ - ٤٥٥	٥٩	وما منعنا أن نرسل بالآيات
		الكهف
١٢٣	١١٠	قل انما أنا بشر مثلكم
٤٥٣	١٧	وترى الشمس اذا طلعت
		مريم
٦٢	٦٥	هل تعلم له سميا
١٢١	٩٣	ان كل من فى السموات والأرض
١٤٧	٨١	واتخذوا من دون الله آلهة
١٤٧	٨٢	كلا سيكفرون بعبادتهم
٤٠٥	٧٦	ويزيد الله الذين اهتدوا
		طه
٢٦٩ - ٦٠	١٤	اننى أنا الله

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٢١١	٤٠	اذ تمشى أختك فتقول
الأنبياء		
٢٠٤	٢٣	لا يستل عما يفعل
١٨٤	٢٠	يسبحون الليل والنهار
٢١٤ - ٢١١	٣٥	كل نفس ذائقة الموت
٣٢٥ - ٣٢٤	٢٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول
٣٤٥		
٣٥٥	٥٧	وتالله لأكيدن أصنامكم
٣٥٥	٥٨	فجعلهم جذ اذا
٣٥٥	٥٩	قالوا من فعل هذا بالكهتنا
٣٦٠	٧٠	وأرادوا به كيدا
الحج		
١٢٩	٣١	حنفا لله غير مشركين به
٣٤٠	٧٥	الله يصطفى من الملائكة رسلا
المؤمنون		
١٠٤	١٤	ثم خلقنا النطفة علقة
١١٨	٢٤	فقال الملا الذين كفروا من قومه
١٣٧	٥١	يا أيها الرسل كلوا من الطيبات
٢٤٩	٧٦	ولقد أخذناهم بالعذاب
٤٥٢	٦٩	أم لم يعرفوا رسولهم

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
		<u>النور</u>
٢٨٥	١٧	يعظكم الله أن تعودوا لمثله
٢٨٨	٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم
		<u>الفرقان</u>
٩٤	٤٤	أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون
١٠٩ - ١٩٨	٢	الذى له ملك السموات والأرض
١١١	٣١	وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
٢٩٩	٢٣	وقدنا
٢٢٥	٢٠	وما أرسلنا قبلك من المرسلين
٤٥٠	٤٠	وقال الذين كفروا ان هذا الا افك
		<u>الشعراء</u>
٣٦٨	١٦١	ان قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون
٣٨٦	١٨٩	فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة
٣٨٩ - ٣٩٠	٢١٤	وأندر عشيرتك الأقربين
		<u>النمل</u>
٣٧٢	٥٦	فما كان جواب قومه الا أن قالوا
		<u>القصص</u>
١١١	٥٦	انك لا تهدي من أحببت
٤٧٤ - ٤٧٥	٥٧	وقالوا ان نتبع الهدى معك -
١٤٥	٥٩	وما كان ربك مهلك القرى

العنكبوت

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٣-٤٩-١٤٢-١٩٩	١	الم
٢٠٥-٢١١-٢١٢		
٢١٤-٢١٥-٢٢١		
٢٥٦-٣٠٨-٣٩٠		
٣٣-٤٩-١١٠-١٤٢	٢	أحسب الناس أن يتركوا
١٩٩-٢٠٥-٢١١		
٢١٢-٢١٤-٢١٥		
٢١٩-٢٢١-٢٥٦		
٣٠٨-٣٩٠-٣٩٥		
٤١٣		
٣٣-٤٩-٦١-٧٥-١٤٢	٣	ولقد فتنا الذين من قبلهم
١٩٩-٢٠٥-٢١١		
٢١٢-٢١٤-٢١٥		
٢١٩-٢٢١-٢٤٥		
٢٥٤-٢٥٦-٣٠٨		
٣٢٥-٣٥١-٣٩٠		
٤٤٢-٤٧٦		
٨٣-١١٢-٢١٨-٢٩٨-٤٣٣	٤	أم حسب الذين يعملون السيئات-
٧٤-٩١-١٢٧-١٤٢	٥	من كان يرجو لقاء الله
١٩٥-٢٣٨-٢٤٠		

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٧٦	٦	ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه
٥٠ - ١٢١ - ١٢٢	٧	والذين آمنوا وعملوا الصالحات
٢١٠ - ٢٢٩ - ٢٣٨		
٢٤٠ - ٢٨٩ - ٢٩٠		
٤٠٢ - ٤٠٣		
٧٧ - ٨١ - ١٢٢ - ١٢٤	٨	ووصينا الانسان بوالديه حسنا
١٦٤ - ١٩٥ - ٢١٠		
٢٢٠ - ٢٨١ - ٢٨٧		
٥٠ - ١٢١ - ١٢٢	٩	والذين آمنوا وعملوا الصالحات
٢١٠ - ٢٢٩ - ٢٣٨		
٢٤٠ - ٢٨٩ - ٢٩٠		
٤٠٢ - ٤٠٣		
٤٩ - ٦٩ - ٧٨ - ١٤٢	١٠	ومن الناس من يقول آما بالله
٢٠٥ - ٢٢٢ - ٢٤٨		
٣٣١ - ٤٢٣ - ٤٢٤		
٤٢٥ - ٤٣٠		
٧٥ - ٤٢٤ - ٤٣١	١١	وليعلمن الله الذين آمنوا
٢٧٤ - ٢٩٨ - ٤٣٥	١٢	وقال الذين كفروا للذين آمنوا
٤ - ١٩٢ - ١٩٦ - ٢٩٨	١٣	وليحملن أثقالهم
٤٣٥ - ٤٣٦		
١٩٠ - ٢١٧ - ٢٩٤	١٤	ولقد أرسلنا نوحا

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
- ٣٤٢ - ٣٢٦ - ٣٢٥		
- ٣٤٨ - ٣٤٧ - ٣٤٦		
٣٥٠ - ٣٤٩		
- ٢٨٨ - ٢٢٢ - ٩٨	١٥	فأنجيناه وأصحاب السفينة
٣٤٨ - ٣٤٦ - ٣١٧		
- ١٩٠ - ١١٨ - ٢٢	١٦	وابراهيم ان قال لقومه
٣٣٥ - ٣٢٥ - ٣٠٥		
- ١٠٤ - ١٠٠ - ٢٢	١٧	انما تعبدون من دون
١٩٢ - ١٢٥ - ١١٩		
٣٠٥ - ٢٤٣ - ١٩٦		
٣٤٢ - ٣٣٥ - ٣١٢		
٤٤٣ - ٣٥٢		
٣٠٥ - ١٩٢ - ١١٩	١٨	وان تكذبوا فقد كذب أم
٤٤٢ - ٣٥٣ - ٣٣٥		
- ١٩٣ - ١٠٤ - ٨٢	١٩	أولم يروا كيف بيدي الله الخلق
٤٣٧ - ٣٣٥ - ٣٠٩		
- ١٠٣ - ٨٥ - ٨٢	٢٠	قل سيروا في الأرض
١٩٣ - ١١٥ - ١٠٤		
٤٤١ - ٣٥٣ - ١٩٦		
- ١٩٣ - ٩٨ - ٨٩	٢١	يعذب من يشاء ويرحم من يشاء
٢٨٦ - ١٩٦		

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٢٥٣ - ٢٩٨ - ٨٤	٢٢	وما أنتم بمعجزين في الأرض
- ١٢٤ - ١٢٢ - ٩٨	٢٣	والذين كفروا بآيات الله
٣٥٣ - ٢٩٩ - ١٩٣		
٤٦٠		
- ٢٢٢ - ٢١٧ - ٨٤	٢٤	فما كان جواب قومه الا أن قالوا
٣٥٦ - ٣٥٤ - ٢٨٨		
٤٠٧		
- ١٩٣ - ١٢٥ - ١١٩	٢٥	وقال انما اتخذتم من دون الله
٢٨٢ - ٢٦٢ - ١٩٦		
٣٤٢ - ٣١١ - ٣٠٥		
٣٥٩ - ٣٥٨ - ٣٥٢		
٤٤٣ - ٤٤٥ - ٣٦٠		
- ١٠٨ - ١٠٦ - ٦٩	٢٦	فأمن له لوط
٣٦٤ - ١٧٣ - ١٧١		
٢٧٤ - ٢٣٩ - ١٩٦	٢٧	ووهبنا له اسحاق
٣٦٥ - ٢٨٨		
٣١٢ - ١٩٠ - ١٧٣	٢٨	ولوطا اذ قال لقومه
٣٣٦		
- ٣١٢ - ٢٧٣ - ٢١٧	٢٩	أئنكم لتأتون الرجال
٣٧١ - ٣٣٨ - ٣٣٦		
٣٧٢		

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٣٢ - ١٣١ - ٧٢ - ٦٩	٣٠	قال رب انصرني على القوم الفاسدين
٣٧٣		
١٨٤	٣١	ولما جاء رسلنا ابراهيم
٣٨٠ - ٣٣٦ - ٨٥	٣٢	قال ان فيها لوطا
- ٣١٧ - ٢٨٩ - ٢١٨	٣٣	ولما ان جاءت رسلنا لوطا
٣٨٠ - ٣٧٥		
٣٧٧ - ٣١٧ - ٢٩٤	٣٤	انا منزلون على اهل هذه القرية
٤٠٨ - ٣٧٨ - ٢٢٣	٣٥	ولقد تركنا منها آية
- ١٩١ - ١٢٧ - ١١٩	٣٦	والى مدين اخاهم شعيبا
- ١٩٧ - ١٩٣ - ١٩٢		
٣٨٣ - ٣٨٢ - ٢١٨		
٢٩٥ - ٢١٨	٣٧	فكذبوه فأخذتهم الرجفة
- ٣١٢ - ٢٩٦ - ٢٦٣	٣٨	وعادا وشمود
٤٠٨ - ٣٩٩ - ٣٣٨		
- ٢٩٦ - ٢٧٢ - ٢١٨	٣٩	وقارون وفرعون وهامان
٣٣٨		
- ٤٠٠ - ٣٧٨ - ٢٩٦	٤٠	فكلا أخذنا بذنبه
٤٤٥		
٣٢٠ - ١٢٥ - ٨٥ - ٦	٤١	مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء
٤٤٤ - ٣٢١		
٤٤٥ - ١٢٥ - ١٠٨ - ٧٨	٤٢	ان الله يعلم ما يدعون من دونه

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٢٠ - ١٢٥ - ٨٥ - ٦	٤٣	وتلك الأمثال نضربها للناس
٣٢١		
- ١٠٩ - ١٠٣ - ٨٥	٤٤	خلق الله السموات والأرض بالحق
٤٠٨		
١٥٢ - ٧٨ - ٣٩ - ٣٧	٤٥	أتل ما أوحى اليك
- ١٩١ - ١٥٨ - ١٥٦		
- ٤١١ - ٣٨٧ - ٢٩١		
٤١٣		
- ١٨٧ - ١٦٨ - ١٢٠	٤٦	ولا تجادلوا أهل الكتاب
- ٤٨٠ - ٣٩٥ - ٣٢٠		
- ٤٧٩ - ٤٧٦ - ٤٨٤		
٢٧٢ - ٦٣ - ٤٠ - ٣٩	٤٧	وكذلك أنزلنا اليك الكتاب
- ٤٤٧ - ٣٩٦ - ٣٢٦		
٤٨٠		
٤٥٢ - ٤٥٠ - ٢١٦ - ٤٠	٤٨	وما كنت تتلوا من قبله من كتاب
٤٨٦		
٤٨٧ - ٣٩٦ - ٣٣٣	٤٩	بل هو آيات بينات
٣٩٧ - ٣٣٣ - ٢١٦ - ٦٩	٥٠	وقالوا لولا أنزل عليه آيات
٤٦٠ - ٤٥٤ - ٤٥٤		

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٩٧ - ١٨٨ - ٣٣٣ -	٥١	أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب
٣٩٧ - ٤٠٢ - ٤٥٨		
٤٦٠		
٧٨ - ١٢٤ - ٣٣٤ -	٥٢	قل كفى بالله بيني وبينكم
٣٩٨		
٣٠٠ - ٣٩٨	٥٣	ويستعجلونك بالعذاب
٣٠١	٥٤	يستعجلونك بالعذاب
٣٠٢	٥٥	يوم يغشاهم العذاب
١١٧ - ١٢١ - ١٧١	٥٦	ياعبادى الذين آمنوا
١٧٢ - ١٧٤ - ١٩٢		
٢٢١ - ٢٣٩ - ٢٦٤		
٢٧٣ - ٢٩٣ - ٤١٤		
٢٠٠ - ٢٦٤ - ٢٦٥	٥٧	كل نفس ذائقة الموت
٢٧٣ - ٢٩٢ - ٣١٣		
٥١ - ١٢٢ - ١٤٠ -	٥٨	والذين آمنوا وعملوا الصالحات
٢٩٠ - ٤٠٣		
٤٥ - ٦٩ - ١٤٠ -	٥٩	الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
١٤١ - ١٤٥		
٨ - ٧٤ - ٩٢ - ٩٨	٦٠	وكأين من دابة
١٠١ - ٢٦٥ - ٣١٤		

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
١١٥ - ١٠٣ - ٥٧	٦١	ولئن سألتهم من خلق السموات
٤٤١ - ٣٣٤ - ٣١٥		
٤٦٦		
- ١٢١ - ١٠٢ - ٧٤	٦٢	الله يبسط الرزق لمن يشاء
٢٠٢ - ٢٠٠		
٣٣٤ - ٣١٥ - ١١٦	٦٣	ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء
٤٦٩ - ٤٦٦		
٢١٥ - ١٩٧ - ١٩٤	٦٤	وما هذه الحياة الدنيا الا لهو
٢٨٧ - ٢٧١		
١٢٦ - ١٢١ - ١١٦	٦٥	فاذا ركبوا في الفلك
٤٦٩ - ٣٣٤ - ١٣٤		
٣٣٩ - ٣٣٥	٦٦	ليكفروا بما آتيناهم
- ١١٦ - ٤٧ - ٤٦	٦٧	أولم يروا أنا جعلنا حرما آتنا
٤٧٢ - ٤٧٠ - ٣٣٥		
٣٣٥ - ٣٠٣ - ١٢٤	٦٨	ومن أظلم ممن افترى على الله
١١٣ - ١١١ - ٥٢ - ٩	٦٩	والذين جاهدوا فينا
٢٠٧ - ١٨٠ - ١٧٦		
٢٥٦ - ٢٤٠ - ٢٠٩		
٤١٤ - ٤٠٤ - ٢٩٢		
		-
	<u>الروم</u>	
٢٣	٤١	ظهر الفساد في البر والبحر

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٣٤٩	٤٧	ولقد أرسلنا من قبلك رسلا
		لقمان
١٦٥	١٤	ووصينا الانسان بوالديه
٢٢٠ - ١٦٥	١٥	وان جاهداك على أن تشرك
		السجدة
٩٠	١٣	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
١٠٨	٧	الذي أحسن كل شيء خلقه
		الأحزاب
٣٧٦	٦	النبى أولى بالمؤمنين
١	٧٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
١	٧١	يصلح لكم أعمالكم
٣٧٦	٦	النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم
١٥	٤٦	وداعيا الى الله باذنه
٣٢	٣٥	ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
٦٣	٤١	يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله
٨٢	٢٧	وأورثكم أرضهم وديارهم
		سبا
٢٤٣	١٣	يعملون له ما يشاء من محاريب
		فاطر
١٠٣	٣	يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
١١٢	٨	فمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
١٥٢	٢٩	ان الذين يتلون كتاب الله
		<u>يسين</u>
٩٠	٨٢	انما أمره اذا أراد شيئا
٤٣٩	٧٩	قل يحييها الذي أنشأها
٤٤٠	٨١	أوليس الذي خلق السموات والأرض
		<u>الصافات</u>
٢٠٢	٩٦	والله خلقكم وما تعلمون
٣٧٩	١٣٧	وانكم لتمرون عليهم مصبحين
		<u>الزمر</u>
٣٠٢	١٦	لهم من فوقهم ظلل من النار
٤٦٧-٢٦١	٣	ألا لله الدين الخالص
		<u>غافر</u>
١٣٢-١٣١	٦٠	وقال ربكم ادعوني أستجب لكم
٣٣١	٥	كذبت قبلهم قوم نوح
٤٥٧	٧٨	ولقد أرسلنا رسلا من قبلك
٤٤١	٥٧	لخلق السموات والأرض
		<u>فصلت</u>
٤٠٥	١٧	وأما شعور فهد بناهم
٤٤٩	٢٦	وقال الذين كفروا لا تسمعوا

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٣٣٧-١٦٨	٣٣	ومن أحسن قولا من دعا الى الله
٦٠-٥٤	١١	فاطر السموات والأرض
٤٠٥-١١١	٥٢	وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا
<u>الزخرف</u>		
٤٤٤-٣٥٨-٣٠٥	٦٧	الأغلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
٤١٨	٥٨	وقالوا ألمهتنا خير
٥٠٣	٣٣	ولولا أن يكون الناس
٥٠٣	٣٤	ولبيوتهم أبوابا
٥٠٣	٣٥	وزخرفا وان كل ذلك
<u>الجاثية</u>		
٥٦	٢٤	وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا
<u>الأحقاف</u>		
١٧	٣١	يا قومنا أجيئوا داعي الله
<u>محمد</u>		
٦٣	١٩	فاعلم أنه لا اله الا الله
١١٠	٣٨	ها أنتم هؤلاء تدعون
<u>الفتح</u>		
٣٩٥-٣٢١	٢٩	محمد رسول الله والذين معه
<u>الحجرات</u>		
٣٢	١٤	قالت الأعراب آتينا قل لم تؤمنوا

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٢٠	١٢	يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الذاريات
١٠٤	٢١	وفي أنفسكم أفلا تبصرون
١٤٦ - ١٢٠	٥٦	وما خلقت الانس والجن
٢٢٣	١٣	يوم هم على النار يفتنون
٢٢٣	١٤	ذوقوا فنتنكم
		الطور
٣٠٢	١٦	اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا
		النجم
١١٠	٤٨	وأنه هو أغنى وأقنى
٣٦٦	٣٧	وابراهيم الذي وفى
		القمر
٨٢	٥٥	في مقعد صدق
٣٧٧	٣٧	ولقد راودوه عن ضيفه
٣٧٧	٣٨	ولقد صبحهم بكرة
		الرحمن
٢٠٩	٦٠	هل جزاء الاحسان الا الاحسان
		الواقعة
٤٣٨	٦١ - ٦٢	على أن نبدل أمثالكم

رقم الصفحة	رقبها	الآية
١١٣	٤	هو الذى خلق السموات والأرض
٤٨٥	٢٥	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات
		المجادلة
٩٤ - ٩٢	١	قد سمع الله قول التى تجادلك
١١٣	٧	ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات
١٤٦	١٠	أما النجوى من الشيطان
		الصف
٤٨٨	٦	وان قال عيسى بن مريم
		المنافقون
١٠٧	٨	يقولون لئن رجعنا الى المدينة
٤٣٢ - ٤٣١	٤	واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم
		التغابن
٢٧٠ - ٢٢٤ - ٢١٢	١٥	أما أموالكم وأولادكم فتنة
		الطلاق
٢٣٩ - ١٥١	٣	ويرزقه من حيث لا يحتسب
٢٣٩	٢	فاذا بلغن أجلهن
		المالك
٢٠	٢	الذى خلق الموت والحياة
٨٠	١٣	وأسروا قولكم
٨٠	١٤	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير

<u>الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٣٠٠	٢٥	ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
		القلم
٣٨٨	٤	وانك لعلى خلق عظيم
		نوح
٢١	١	انا أرسلنا نوحا الى قومه
٢١	٢٣	وقالوا لا تذرنا آلهتكم
٣٧٣	٢٧	انك ان تذرهم
		المزمل
٤١	٢٠	ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل
		المدثر
٣٨٨	٤-٣-٢-١	يا أيها المدثر
٤٤٧	١١	ذرتي ومن خلقت وحيدا
٤٤٧	٢٤	فقال ان هذا الا سحر يوشع
		الانسان
٨٩	٣٠	وما تشاؤون الا أن يشاء الله
		المرسلات
٢٠٨	٤٤	انا كذلك نجزي المحسنين
		النازعات
٢٣	١٧	اذهب الى فرعون انه طغى
٢٣	٢١	فكذب وعصى

<u>رقم الصفحة</u>	<u>رقمها</u>	<u>الآية</u>
٢٣	٢٢	ثم أدبر يسعى
٢٣	٢٣	فحشر فنادى
٢٣	٢٤	فقال أنا ربكم الأعلى
		البروج
٢٥٨	١٠	ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
		العصر
١٤٠	٣-١	والعصر ان الانسان لفي خسر
		قريش
٤٧٢	٤-٣-٢-١	لا يلاف قريش
		النصر
٤٤٦	٣-٢-١	اذا جاء نصر الله والفتح
		المسد
٣٨٩	٢-١	تبت يدا ابي لهب

فهرس الأحاديث والآثار

حرف (أ)

الصفحة	الحديث
١٣٤	ابتلينا بالضراء فمبرنا اثر عن عبد الرحمن بن عوف
٢٧٨ - ٢٩٩ - ٣٥٣	أندرون من المفلس
٢٣٥	احتضرت بحضار من نار
٢٤٤	أخرجوا الى المدينة وهاجروا
٤٢٨	أدركت ثلاثين من أصحاب النبي اثر عن ابن أبي طيكة
١٣٨	أدعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة
١٦	أدعوك بدعاية الاسلام
٢٣٨	اذا ابتليت عبدى بحبييته
٤١٤	اذا تبايعتم بالعينة
٢٥٣	اذا سمعتم بالطاعون بأرض
٩٢	اذا قال الامام سمع الله لمن حمده
٢٠٠	أرأيت دواء تداوى به
٤٢	أرأيت لو أن نهرا بباب أحدكم
٤٢٧	أربع من كن فيه كان منافقا
٩٣	أربعو على أنفسكم
٢٣٤ - ٢٣٠	أشد الناس بلاء الأنبياء
١٥٨	أطت السماء
٢٩٠	أعددت لعبادى الصالحين

<u>الصفحة</u>	<u>الحديث</u>
٨٨	اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك
١٣٩	اعملوا فكل ميسر لما خلق له
٤٣٠	أكثر منافق أمتي قراؤها
٣١٣	أكثروا من ذكر هادم اللذات
٤٠٢	الاسلام يجب ما قبله
٨٦	اللهم أستخبرك بعلمك
١٠٧	اللهم أنت ربي
٢٣٥ - ١٢٨	اللهم اني أسألك بأني أشهد
١٣٣	اللهم اني أعوذ بك من فتنة النار
٩١	اللهم اني أعوذ بك من قول لا يسمع
١٢٨	اللهم رحمتك أرجو
٦٠	اللهم لا مانع لما أعطيت
١٣٥	أما الركوع فعظموا فيه الرب
٥٨	أما لولم تفعل للفحتك النار
١٢٠	أمرت أن أقاتل الناس حتى
٣٣١	أمر الصحابة أن يحلوا من أحرابهم
٢٦٤ - ١٠٢	ان أحدكم يجمع خلقه في
٤٣٠	ان أخوف ما أخاف
٢٩١ - ١٦١ - ١٢٧	أنا عند ظن عبدي بي
٤٠٢	
١٥٢	ان أول الناس يقضى عليه
٢٤٧	ان الحلال بين وان الحرام بين

الصفحة

الحديث

٣٢٧-١	ان الحمد لله نستعينه
٩٧	انا الرحمن خلقت الرحم
٥٢	انتدب الله لمن خرج في سبيله
١٢٤	ان تجعل لله ندا وهو خلقك
٢٧٨	ان الرجل ليأتي يوم القيامة بحسنات
٢٣٤	ان شئت صبرت ولك الجنة
٤٢٨	اشدك بالله آمن القوم انا اشرف عن عمر
٤٣	ان الشمس والقمر لا ينكسفان
٢٦٢	ان الشيطان قعد لابن آدم
٢٨٣ - ٢٤٣	ان صلاتنا هذه لا يصلح فيها
١٤٥ - ٢٣٧	ان عظم الجزاء مع عظم البلاء
١٥٧	ان العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له
١٦٤	ان فلانا يصلي بالليل
٢٩١ - ٤٠٤	ان في الجنة غرفا يرى
٢٩٩	ان القرآن نزل على خمسة اوجه
١٦٩ - ٣٤١	انك ستأتي قوما من اهل الكتاب
٢٤٤	ان الله اذا احب قوما ابتلاهم
٤٦٥	ان الله اذا اراد رحمة امة
٢٠٢	ان الله اول ما خلق القلم
٤٠٦	ان الله تعالى يقول من عادى لي وليا
٣٠٤	ان الله خلق الرحم يوم خلقها
٩٣	ان الله قد سمع قول قومك لك

الصفحة

الحديث

٢١٠	ان الله كتب الاحسان على كل شي*
٢٧	ان الله يبعث لهذه الامة
٥٨	ان لله عز وجل تسعة وتسعين اسما
١٧٢	انما الأعمال بالنيات
٣٩٧	انما بعثتك لأبتليك
٣٧١	ان ما أدرك الناس من كلام النبوة
١٦٧	ان من أبر البر صلة الولد
٢٧	ان من أشراط الساعة
٣٥٣ - ٢٧٨	ان الفيلس من يأتي بصلاة وصيام
٣٩٤ - ٣٦٤	انه أول من هاجر بعد ابراهيم
٤٧٢	ان هذا البلد حرمه الله
٢٧٣	ان هذه الدنيا حلوة
٣٤٣ - ٢٨٢	ان هذه المساجد لا تصلح
١٨٥	اني أرى ما لا ترون
٣٠٦	اني انما أريدكم على كلمة
٢٧٦	اني لأنذركموا ما من نبي الا
٢٣٤	اني لأوعك مثل رجلين منكم
١٦٢	ألا أخبركم بخير أعمالكم
١٧٨	ألا أخبركم بالمؤمن
١٤١	ألا ان الصبر من الايمان
١٤١	ألا لا ايمان لمن لا صبر له

<u>الصفحة</u>	<u>الحديث</u>
٤٨	أى الأعمال أفضل
١٢٤	أى الذنب أعظم
٤٨٢	أى رجل الحصين بن سلام فيكم
٢٢٤	أىكم يحفظ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أشر عن عمر
٤٨	إيمان بالله وجهاد
٢٣٤ - ٢٣٠	أى الناس أشد بلاء
١٣٧	أىها الناس إن الله طيب
٢٤٣	أىها الناس ليس من شئ يقربكم إلى الجنة
	حرف (الباء)
٢٤٤	برى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصالحة
٣٩٥	بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
٤٦٤ - ٣٩٢	بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم
٣٣	بنو الإسلام على خمس
١٣٢	بين لنا ديننا
٣٤٣ - ٢٨٢	بينما أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٧	بينما ثلاثة نفر من كان قبلكم
٣٤٢ - ٢٨٢	بينما نحن في المسجد مع رسول الله
٢٠٤ - ٣٦ - ٣١	بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
	حرف (التاء)
٢٤٦	تعرض الفتن على القلوب
١٥٧	تلك صلاة المنافق

الصفحة	الحديث
	حرف (التاء)
٩٦	شككت أمك يامعاذ
٣٥٨	ثلاث من كن فيه وجد
	حرف (الجيم)
٣٢٩	جاء أعرابي والنبي صلى الله عليه وسلم جالس
	حرف (الحاء)
٤٣	حبيب الى من الدنيا
١٥٦	حدثنا الذين يقرؤنا القرآن أثنى عن عبد الرحمن السلمي
١٤٩ - ٣٤٨	أثنى عن ابن عباس
٢٢٠	حلفت أم سعد أن لا تكلمه
٢٦٨	الحلال بين والحرام بين
٩٤	الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات
	حرف (الخاء)
٢٢٤	خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨٥	خلقت الملائكة من نور
١٨١	خير الصحابة أربعة بالهاشم
١٥٢	خيركم من تعلم القرآن وعلمه
١٦	الخلافة في قريش
	حرف (الدال)
١٤	دع داعية اللبن
١١٩	دعوات المكروب اللهم رحمتك
١٣١	دعوة ذى النون ان يدعى
٢٣٤	دفنت ثلاثة من الولد

الصفحة	الحديث
١٣١	الدعاء هو العبادة
١٣٥	الدعاء لا يرد بين الأذان
٢٥١	الدنيا سجن المؤمن
٤١١	الدين النصيحة قلنا لمن
	حرف (الذال)
٢٥٧	ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال
	حرف (الراء)
٣٩١	رأيت رسول الله بصر عيني
٩٢	ربنا ولك الحمد
٤٤	رجعت الى رسول الله ليلة الأحزاب
١٨٩	رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا
	حرف (السين)
٤٥٦	سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم
٤١٤	ستكون فتن القاعد فيها
١١٧	سيد الاستغفار اللهم أنت ربي
٤١٨	سيكون أقوام يجادلونكم أشر عن عمر
١٣٧	سيكون قوم يعتدون في الدعاء
١٥٩	سينهاه ماتقول
	حرف (الشين)
٤٣٧	شتمني ابن آدم وما ينبغي له
	حرف (الصاد)
٢٢	صارت الأوثان التي كانت أشر عن ابن عباس

الصفحة	الحديث
٣٩١	صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة
٣٩٤	صحابهما الله الى عثمان
٢٢٤ - ٢٧١	صدق الله ، رأيت هذين
٣٩٨	صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا
٤٤	الصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم
٢٣٢	الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة
	حرف (الضاد)
٨٦	ضع يدك على الذى تألم
	حرف (العين)
١٤٢ - ٢٢٩	عجبا لأمر المؤمن
١٤٧	عرضت على الأمم
١٦٠	عليكم بقيام الليل
٢٩٨ - ٣٠٥	العالم من عقل عن الله
٢٧	العلماء ورثة الأنبياء
	حرف (الغين)
٢٥٨	غير الدجال أخوفني عليكم
	حرف (الفاء)
٢٧٥	فاذا فيه أما بعد
١٥٥	فتعلمنا القرآن والعلم
١٨٩	فتغير وجه رسول الله
١٨٦	فرفع الى البيت المعمور
٣٤٦	فيأتون نوحا فيقولون

الصفحة	الحديث
٢٦٩	فيها مالا عين رأت
٣١٧	فيه خبر ما قبلكم ونياً ما بعدكم
	حرف (القاف)
٤١٨	قاتلك الله سل تفقها
٢١٣	قاتلنا حتي لم تكن فتنة
٤٧٦ - ٣٩١ - ٢١٩	قد كان من قبلكم يوم أخذ الرجل
٤٩٠	قرأت في التوراة صفة النبي
٢٨٦	قولوا كلمة تدين لكم بها العرب
٣٤٤	قوموا فأنحروا ثم احلقوا
	حرف (الكاف)
١٥٩	كان آخر كلام رسول الله الصلاة
٤٨٠	كان أهل الكتاب يقرأون
٣٨٧	كان خلقه القرآن
٢٧١	كان رسول الله يخطبنا
٤٧١	كان الرجل يقتل فيضع في عنقه
٢٥٩	كان ملك فيمن كان قبلكم
٣٨٨	كان النبي يكثر أن يقول
٥٧	كان الشركون يقولون
١٩٨	كتب الله مقادير الخلائق
١٤٣	كشفت الشمس على عهد رسول الله
٢٢٤	كنا جلوساً عند عمر بن الخطاب
	أثر عن حذيفة

المفحة

الحديث

٩٣	كنا مع النبي في سفر
٤٩١	كنت أحب ولد أبي اليه أثر عن صفية بنت حبي
٨٨	كنت أضرب غلاما لي أثر عن أبي مسعود البدرى
١٢٨	كيف تجدك قال أرجو
١٣٠	الكيس من دان نفسه وعمل

حرف (اللام)

١٦٩	لأعطين الراية غدا
٢٧٦	لأننا أطم بمسامع الدجال منه
٢٠١	لبيك وسعديك
٢٦٦	لتتبعن سنن من كان قبلكم
٢٦٣	لتكونن هجرة بعد هجرة
٢٧٠	لقد رأيتنا مع رسول الله
٤٤	لقد رأيتنا ليلة بدر
٤٦٣ - ٣٩٢	لقد لقيت من قومك مالقيت
٤٥٠	لم أعقل أبوى الا وهما
٤٨٢	لما سمعت برسول الله عرفت صفته
١٣٤	لما كان يوم بدر نظر رسول الله الى المشركين
٣٨٩	لما نزلت ((وأنذر عشيرتكم))
٣٢٨	لم يقص في زمن النبي أثر عن ابن عمر
٣٦٢	لم يكذب ابراهيم عليه السلام
٣٢٨	لم يكن قاص في زمن النبي
٤٢٠	لن يصلح آخر هذه الأمة أثر عن مالك

الصفحة	الحديث
١٨١	لن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة
٣١٤ - ١٤٨ - ٨	لو أنكم توكلتم على الله حق
٤١٥ - ١٨٩	لو نزل موسى فاتبعتموه
٣٥٦	لولا أن الله قال وسلاما
٣٠٤	لو يعلم الكافر ما عند الله
١٣٣	ليس على الله شيء أكرم من الدعاء
٢٤٤	ليس منا من ضرب الخدود
حرف (الميم)	
١٢٨	ما اجتمعا في قلب عبد
٣٩٨	ما بال أقوام يتنزهون
٢٧٥	ما بين خلق آدم الى
٤١٥	ماذا أعددت لها
٢٣٤	ما رأيت رجلا أشد عليه الوجع عن عائشة
٢٧٢	ما رأيك فيما سمعت من محمد
٤١٨	ما ضل قوم بعد هدى
٢٣٨ - ١٤٣	ما لعبدى المؤمن عندى جزاء
٤١٠ - ٢٩٨	ما مررت بآية من كتاب الله أثر عن عمرو بن مرة
٤٥٨ - ٣٩٦	ما من الأنبياء نبي الا
١٣٦	ما من أحد يدعو بدعا
٢٣٧	ما من شيء يصيب المؤمن
٢٣١ - ٢٢٣	ما من مسلم يصيبه أذى
٢٣٠	ما من مصيبة تصيب المسلم

الصفحة

الحدیث

٢٣٣	مامن الناس من مسلم يتوفى له
٣٧١	أثر عن عمرو بن دينار
٤	أثر عن ابن عباس
٢٣٠	ما يصيب المسلم من نصب
٢٣٧	ما يصيب المؤمن من شوكة
١٤١	ما يكون عندي من خير
٢١٤	مثل المؤمن كمثل خامة الزرع
١٦٢	مثل الذي يذكر ربه
٧٩	مفاتيح الغيب خمس
٣١٧	من أحب أن يتمثل
٣٥٨	من أحب لله وأبغض لله
٤١٢ - ٢٥٤	من رأى منكم منكراً فليغيره
٢٧٥	من سمع بالدجال فليأمنه
٤٣٥	من سن في الإسلام سنة
٤٠٦ - ٤٢	من عادى لي ولياً
٤٧١	من عاد بالبيت أعاده أثر عن ابن عباس
١٨٠	من قاتل لتكون كلمة الله
١٢٠	من كان آخر كلامه لا إله إلا الله
٣٧١	من وجدتموه يعمل
٢٣٨ - ٢٣١	من يرد الله به خيراً
٢٩٠	المرء مع من أحب
١٧١	المسلم من سلم المسلمون من لسانه

الصفحة	الحديث
٢٣٥ - ٢٣٣	المصاب من حرم الثواب
٤٣١	المنافق يعبد هواه
٤١٨	المؤمن لا يدرى ولا يبارى
	حرف (النون)
١٦٦	نعم صلى أمك
٤٢٠	نهى صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال
	حرف (الهاء)
٣٩٤ - ٣٦٤	هاجر عثمان الى الحبشة
٤٦٣	هل أتى عليك يوم أشد
١٦٦	هل بقى من بر والدي
٨٨	هو حر لوجه الله
	حرف (الواو)
١٣٥	والذي نفسي بيده
٤٧	ولن يستحل هذا البيت الا أهله
١٦٩	ومن دل على خير فله مثل
٥٧	ويلكم قد قد
	حرف (لا)
١٠٢	لا اله الا الله وحده
٤٥٦	لا بل أستأني بهم
٢٥٣	لا تتمنوا لقاء العدو
١٥٣	لا تحاسدوا الا في
٢٤٢ - ٢٨٢	لاتزرموه دعوه

<u>المفحة</u>	<u>الحديث</u>
٤٧٩ - ٤٨٠	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا
٨٩	لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان
٢٨ - ٤٦	لا تقوم الساعة حتى
١٧٤	لا تنقطع الهجرة حتى
١٧٤	لا تنقطع الهجرة ما قوتل
٤١	لا صلاة لمن لم يقرأ
٣٢٣	لا ملجأ منك الا اليك
١٧٤	لا هجرة بعد الفتح
٤٢٩	لا يابنت الصديق
٤٧٢	لا يحمل لأحدكم أن يحمل
١٢٨	لا يرجو عبد الا ربه أثر عن علي
١٣٦	لا يزال يستجاب للمعبد
٢٢٥	لا يقولن أحدكم اللهم أثر عن ابن مسعود
٣٩	لا يؤمن أحدكم حتى أكون
٢٥٢	لا ينبغي للمسلم أن يذل نفسه
	حرف (اليا)
٢٧٢	يا أبا الحكم مارأيك
٤٦٤	يا أمة محمد
٣٩١	يا أيها الناس قولوا
٢٧٤	يا بن أخي انك منا حيث علمت
١٩٨	يا بني انك لن تجد طعم أثر عن عباد
٣٨٩	يا بني فهر يا بني عدى

الصفحة

الحديث

٣٣	يارسول الله ان هذا الحي
١٣٩	يارسول الله بين لنا ديننا
٣٩٢	يارسول الله هل أتى عليك
٢٥٣	ياعبدالرحمن لا تسأل الأمانة
١٩٩	ياغلام اني أعطك كلمات
٣٨٩ - ٣٠٦	يافاطمة بنت رسول الله سليمان
١٢٦	ياقوم اخلصوا لربكم الدعاء
٣٨٩ - ٣٠٦	يامعشر قريش اشتروا أنفسكم
٤٦	ياخرب الكعبة ذو السويقتين
٢٦٩	ياحشر المرء مع من أحب
١٥٣	ياخرج فيكم قوم
١٣٦	ياستجاب لأحدكم ما لم يعجل
٢٣٦	يقول الله عز وجل لملك الموت
١٣٥	ينزل ربنا تبارك وتعالى الى السماء
١٥٣	يوثي بقارى القرآن

فهرس المراجع

حرف الهمزة

- ١ - أبو العتاهية أشعاره وأخباره ت. د. شكري فيصل ط. دار الملاح ، دمشق .
- ٢ - الاتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي ، ت ٩١١ هـ ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط. الثالثة ، دار التراث ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ .
- ٣ - أحكام القرآن لمحمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، ت ٥٤٣ هـ ، ت. علي محمد الجاوي ، ط. عيسى الباهي الحلبي ، مصر ، نشر دار احياء التراث العربية بمصر .
- ٤ - أخبار العالم الاسلامي ، جريدة أسبوعية تصدر عن ادارة الصحافة والنشر ، رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة .
- ٥ - الأدب الفرد للامام البخاري ، ط. أولى ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان ، ١٤٠٦ هـ .
- ٦ - ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) محمد ابن محمد العمادى ، ت ٩٥١ هـ ، نشر دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٧ - ارواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل ، لمحمد ناصر الدين الألبانى ، ط. الأولى ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، دمشق ، ١٣٩٩ هـ .
- ٨ - أسباب النزول ، علي بن أحمد الواحدى ، ت ٤٦٨ هـ ، السيد أحمد عاطف الصقر ، ط. الثالثة ، ١٤٠٧ هـ ، نشر مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، بيروت ، ودار القبله للثقافة الاسلامية ، جدة .
- ٩ - الاستقامة لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ، د. محمد رشاد سالم ط. الأولى ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ .

- ١٠ - الاستشراق والمستشرقون ، وجهة نظر ، د. عدنان محمد وزان ، ط. رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، ضمن سلسلة دعوة الحق ، السنة الثالثة العدد ٢٤ .
- ١١ - الاسلام والحركات الهدامة ، معالي عبدالحميد حمودة ، ط. رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، ضمن سلسلة دعوة الحق ، السنة الثالثة ، عدد ٢٥ .
- ١٢ - أسد الغابة في معرفة أخبار الصحابة ، علي بن محمد الجزري (ابن الأثير) ، ت. ٦٣٠ هـ ، ط. دار الفكر .
- ١٣ - أسس البلاغة لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ، ت. ٥٣٨ هـ ، ت. عبدالرحيم محمود ، ط. دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .
- ١٤ - أسس الدعوة وأداب الدعاة لمحمد السيد الوكيل ، ط. مطابع الأخبار ، نشر دار الطباعة والنشر الاسلامية ، القاهرة .
- ١٥ - أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا ، د. عبدالغني محمد سعد بركسة ، ط. دار غريب ، القاهرة ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة .
- ١٦ - الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، ت. ٨٥٢ هـ ، ت. علي محمد البجاوي ، ط. دار النهضة ، مصر القاهرة .
- ١٧ - أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ، للشيخ محمد الأمين الجكنسي الشنقيطي ، عالم الكتب ، بيروت .
- ١٨ - اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين للامام محمد بن طولون الدمشقي ، ت. ٩٥٣ هـ ، ت. محمود الأرنؤوط ، ط. مؤسسة الرسالسة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، نشر الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت .

- ١٩ - اعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم ، ت ٧٥١ هـ ، ت. محمد
محي الدين عبدالحميد ، ط. مؤسسة جواد ، لبنان .
- ٢٠ - الاعلام ، لخير الدين الزركلي ، ط. السادسة ، ١٩٨٤ م ، دار
العلم للملبيين ، بيروت ، لبنان .
- ٢١ - اغاثة اللهفان لابن القيم ، ت ٧٥١ هـ ، ت. محمد حامد الفقي ،
ط. دار الفكر .
- ٢٢ - افحام اليهود وقصة اسلام السموة اول للامام السموة ال بن يحيى المغربي ،
ت ٥٧٠ هـ ، ت. د. محمد عبدالله الشرقاوي ، ط. الثانية ، ١٤٠٧ هـ .
الطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ، نشر ادارة البحوث والافتاء ، الرياض .
- ٢٣ - أمثال الحديث (كتاب الأمثال في الحديث النبوي ، لأبي الشيخ الاصبهاني
، ت ٣٦٩ هـ ، ت. د. عبد العلي عبدالحميد ، ط. الأولى ، ١٤٠٢ هـ ،
الدار السلفية بهوباي ، الهند .
- ٢٤ - أمثال الحديث - للرامهرمزي : الحسن بن عبدالرحمن بن خالد الفارسي ،
ت ٣٦٠ هـ تقريبا ، ت. د. عبد العلي عبدالحميد ، ط. الدار السلفية
، هوباي ، الهند .
- ٢٥ - الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ت ١٢٠٦ هـ ، انظر
حاشية الأصول الثلاثة .
- ٢٦ - الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة ، للامام أبي بكر أحمد بن
الحسين البيهقي ، ت ٤٥٨ - ، تصحيح أحمد محمد مرسى ، ط. الطبعة
العربية ، باكستان ، نشر احاديث أكاديمي - باكستان .
- ٢٧ - الايمان ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ، ط. الثالثة ، ١٤٠١ هـ
، المكتب الاسلامي ، بيروت ، دمشق .

- ٢٨ - الايمان لابن منده ، ت ٣٩٥ هـ ، ت. علي بن محمد ناصر فقيهي ، ط. الأولى ،
الجامعة الاسلامية بالمدينة ، ١٤٠٧ هـ .
- ٢٩ - الايمان ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، ت ٢٢٤ هـ ، ت. محمد ناصر الدين
الألباني ، ضمن (مجموع) مسنن كتوز السنة - رسائل أربع - هو الثانية
، ط. دار مصر للطباعة ، نشر دار الأرقم ، الكويت .
- ٣٠ - الايمان ، لمحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني ، ت ٢٤٣ هـ ، ت. حمد
بن حمدي الجابري الحربي ، رسالة ماجستير ، من شعبة الفقه
بالجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية ، ١٤٠٤ هـ .
- ٣١ - بدائع الفوائد ، للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ،
ط. بساط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٣٢ - بذل المجهود في حل أبي داود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري
، ت ١٣٤٦ هـ ، ط. شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، الرياض
، دار اللؤلؤ ، الرياض .
- ٣٣ - بيان فضل علم السلف على الخلف ، للحافظ عبدالرحمن بن الحسن
(ابن رجب الحنبلي) ت ٧٩٥ هـ ، ضمن ثلاث رسائل له . ت. محمد
ابن ناصر العجمي ، ط. الأولى ، ١٤٠٧ هـ ، ط. دار السياسة ،
الكويت ، نشر دار السلفية ، الكويت .
- ٣٤ - بيان المختصر شرح المختصر ، لابن الحاجب ، تأليف محمود بن
عبدالرحمن بن أحمد الأصفهاني ، ت ٧٤٩ هـ ، ت. محمد مظهر بقا ،
ط. الأولى ، ١٤٠٦ هـ ، دار المدني ، جدة ، نشر المركز العلمي ،
جامعة أم القرى ، مكة .

٣٥ - البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطيسى ،
ت ٧٥٤ هـ ، نشر وطبع مطابع النصر الحديثة ، الرياض .

٣٦ - البداية والنهاية للمحافظ اسماعيل بن كثير ، ت ٧٧٤ هـ ، ط. الثالثة ،
١٩٨٠ م ، مكتبة المعارف ، بيروت .

٣٧ - البرهان فى أصول الفقه لأبى المعالي عبدالمك بن عبدالله الجوينسى
، ت ٤٧٨ هـ ، ت. د. عبدالعظيم الديب ، ط. الثانية ، ١٤٠٠ هـ ،
توزيع دار الأنصار ، القاهرة .

٣٨ - البرهان فى علوم القرآن ، لمحمد بن عبدالله الزركشى ، ت ٧٩٤ هـ ،
ت. محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار التراث ، القاهرة .

- ت -

٣٩ - تاريخ بغداد ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، ت ٤٦٣ هـ ،
دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤٠ - تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساکر ، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله
، ت ٥٧١ هـ ، ت. سكينه الشهابى وآخرون ، ط. دار الفكر ، دمشق ،
مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق .

٤١ - تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، لأبى محمد عبدالله الترجمان
الميورقي ، ت ٨٣٢ هـ ، ت. عمروفيق الداوق ، ط. الأولى ، ١٤٠٨ هـ ،
دار البشائر الاسلامية ، بيروت .

٤٢ - تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، ليوسف بن الزكى عبدالرحمن بن يوسف
المزى ، ت ٧٤٢ هـ ، تصحيح عبدالصمد شرف الدين .

ط. الأولى ، طبع وزارة المعارف لهكومة الهند ، والدار القيمية ،

الهند

- ٤٣ - التاريخ الكبير ، للإمام البخارى ، ت ٢٥٦ هـ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .
- ٤٤ - التحفة العراقية فى الأعمال القلبية ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ، ط. الثالثة ، ١٤٠٢ هـ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ومعها رسالة أمراض القلوب وكذلك طبعة دار الهدى ، الرياض ، ت. سليمان سلم الحرش .
- ٤٥ - تخريج أخاديت احياء علوم الدين ، محمود بن محمد الحداد ، ط. الأولى ، دار العاصمة ، الرياض .
- ٤٦ - تذكرة الخاظم ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ، ت ٧٤٨ هـ ، دار احياء التراث العربى ، لبنان .
- ٤٧ - تسلية أهل المصائب ، تأليف محمد بن محمد بن محمد المنجسى الحنبلى ، ت ٧٨٥ هـ ، شرح محمد حسن الحمصي ، ط. الأولى ، ١٤٠٤ هـ .
- مؤسسة الايمان ، بيروت ، دار الرشيد ، دمشق ، بيروت .
- ٤٨ - التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني ، ت ٨١٦ هـ ، ط. الأولى ، ١٤٠٣ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٤٩ - تعظيم قدر الصلاة ، لمحمد بن نصر المروزي ، ت ٣٩٤ هـ ، ت. د. عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريواني ، ط. الأولى ، ١٤٠٦ هـ ، دار الأرقم للطباعة ، استنبول ، نشر مكتبة الدار بالمدينة النبوية .
- ٥٠ - تفسير أسماء الله الحسنى ، لأبى اسحاق ابراهيم بن السرى ، ت ٣١١ هـ ، ت. أحمد يوسف الدقاق ، ط. ١٣٩٥ هـ ، مطبعة محمد هاشم الكتبي .

- ٥١ - تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للشيخ عبدالحميد
ابن باديس ، ت ١٣٥٩ هـ ، ت . محمد الصالح رمضان ، وتوفيق
محمد شاهين ، ط . الثانية ، دار الفكر ، بيروت .
- ٥٢ - تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي
، ت ٧٧٤ هـ ، ضبط حسين بن ابراهيم زهران ، ط . الأولى ، ١٤٠٦ هـ
، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٥٣ - التفسير الكبير ، (للفخر الرازي) ، محمد بن نمر بن حسين القرشي
الطبرستاني ، ت ٦٠٦ هـ ، ط . الثالثة ، دار احياء التراث العربي
، بيروت ، المطبعة البهية المصرية .
- ٥٤ - تفسير المراغي أحمد مصطفى المراغي ، ت ١٣٢١ هـ ، الطبعة
الثانية ، ١٩٨٥ م ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- ٥٥ - تفسير النار ، محمد رشيد رضا ، ت ١٣٥٤ هـ ، ط . الثانية
، دار المعرفة ، بيروت .
- ٥٦ - التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ، ط . مطبعة السعادة ، القاهرة
، ١٣٩٢ هـ .
- ٥٧ - تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم ، للحافظ خليل بن كيكسدي
العلائي ، ت ٧٦١ هـ ، ت . د . عبدالله بن محمد بن اسحق آل الشيخ .
ط . الأولى ، ١٤٠٣ هـ .
- ٥٨ - التمهيد في أصول الفقه ، تأليف محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطابي
الكلوذاني الحنبلي ، ت ٥١٠ هـ ، ت . د . فريد محمد أبو عشيقة
ط . الأولى ، ١٤٠٦ هـ ، دار المدني ، جدة .

- ٥٩ - تهذيب السنن ، سنن أبي داود ، للإمام ابن القيم ، ت ٧٥١ هـ ، ت. محمد حامد الفقي ، مطبوع مع مختصر أبي داود ، للمندري ، ومعاليم السنن للخطابي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة .
- ٦٠ - التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ت ٣١١ هـ ، ت. د. عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان ، ط. الأولى ١٤٠٨ هـ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، نشر دار الرشيد ، الرياض .
- ٦١ - تيسير العزيز الحميد ، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ت ١٢٣٣ هـ ، ط. الثالثة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق .
- ٦٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ت ١٣٧٦ هـ ، ت. محمد زهري النجار ، ط. مطابع الدجوى ، القاهرة ، نشر المؤسسة السعيدية ، الرياض .
- ث -
- ٦٣ - ثلاث كلمات في الاخلاص والاحسان والالتزام بشريعة الاسلام ، للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ، ط. مطابع الجامعة الاسلامية ، بالمدينة النبوية ، ١٤٠٨ هـ ، نشر مركز شئون الدعوة بالجامعة .
- ج -
- ٦٤ - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر النعيرى ، القرطبي ، ت ٤٦٣ هـ ، الطباعة السنيرية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٦٥ - جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبرى) لمحمد بن جرير الطبرى ، ت ٣١٠ هـ ، ط. الثالثة ، ١٣٨٨ هـ ، مصطفى البابسى الحلبي - مصر .

- ٦٦ - جامع الرسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ، ت. د. - محمد رشاد سالم ، ط. الثانية ، ١٤٠٥ هـ ، مطبعة المدني مصر .
- ٦٧ - الجامع الصحيح للإمام البخاري ، ت ٢٥٦ هـ ، المكتبة الاسلامية باستانبول ، ١٩٨١ م ، توزيع مكتبة العلم بالسعودية .
- ٦٨ - الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ، القرطبي ، ت ٦٧١ هـ ، دار احياء التراث العربي . بيروت .
- ٦٩ - الجامع لشعب الايمان ، لأبي بكر البيهقي ، ت ٤٥٨ هـ ، ط. الأولى المطبعة العزيزية شاه علي بنده حيدرآباد الهند ، ١٣٩٣ هـ .
- ٧٠ - الجرح والتعديل ، للإمام عبدالرحمن بن أبي حاتم (الرازي) ت ٣٢٧ هـ ، ط. الأولى ، ١٣٧١ هـ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- ٧١ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ، مطابع المجد التجارية .
- ٧٢ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- ح -

- ٧٣ - حاشية الأصول الثلاثة بقلم عبدالرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي ، مجموع ثلاث رسائل للأربعين النووية - الموهظة النظامية ، ط. ١٤٠٤ هـ ، دار عكاظ ، جدة .
- ٧٤ - الحسنة والسيئة لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ، ت. محمد عثمان الخشت ، ط. الأولى ، ١٤٠٥ هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٧٥ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ت ٤٣٠ هـ ، ط. الثالثة ، ١٤٠٠ هـ ، مؤسسة جواد للطباعة والتصوير ، بيروت ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت .

- خ -

٧٦ - خلق أفعال العباد للإمام محمد بن اسماعيل البخارى ، ت ٢٥٦ هـ ، ط. الأولى ، ١٤٠٤ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

- د -

٧٧ - درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ، ت. دكتور محمد رشاد سالم ، ط. الأولى ، ١٣٩٩ هـ ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض .

٧٨ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، لأحمد بن علي بن محمد بسن محمد بن علي بن أحمد ابن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢ هـ .

٧٩ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطي ، ت ٩١١ هـ ، ط. دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

٨٠ - دعوة الرسل الى الله ، لمحمد بن أحمد العدوى ، ط. مصطفى البياهي الحلبي ، مصر ، ١٣٥٤ هـ .

٨١ - الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ، لمحمد الراوى ، ط. مطبعة الحريصة ، بيروت ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت .

٨٢ - دلائل النبوة لأبى بكر جعفر بن محمد الفريابي ، ت ٣٠١ هـ ، ت. أم عبد الله بنت محروس العسلى . ، ط. مطابع دار طيبة ، الرياض .

٨٣ - الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون المالكي ، ت ٧٩٩ هـ ، ت. د. محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، مطبعة المدني .

- ذ -

٨٤ - ذم الكلام وأهله لأبى اسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (الهروى) ، ت ٤٨١ هـ ، مخطوط بالجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية رقم (٥٧٨) وهو مصور عن دار الكتب الظاهرية بدمشق .

٨٥ - ذم الهوى - لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن
الجوزى ، ت ٥٩٧ هـ ، تصحيح أحمد عبدالسلام عطا ، ط. الأولى
، ١٤٠٢ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- ر -

٨٦ - رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد - على بشر المريسي العنيد
، توفي الدارمي سنة ٢٨٢ هـ ، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقيسي
، ط. الأولى ١٣٥٨ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨٧ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي ،
البغدادى ، ت ١٢٧٠ هـ ، ط. الثانية ، المركز الاسلامي للطباعة
والنشر ، مصر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .

٨٨ - الروح لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ،
ط ١٣٩٩ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- ز -

٨٩ - زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد
بن علي بن الجوزى ، ت ٥٩٧ هـ ، ط. الأولى ، ١٣٨٤ هـ ، المكتب
الاسلامي ، دمشق ، بيروت .

٩٠ - زاد المعاد في هدى خير العباد ، للامام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر
ابن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ، ت. عبدالقادر ، وشعيب الأرنؤوط ،
ط. الثامنة ، ١٤٠٥ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار
الاسلامية ، الكويت . -

٩١ - زاد المهاجر الى ربه للامام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن القيم
الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ، تقديم د. محمد جميل غازي ، ط ١٤٠٦ هـ ،
دار المدني ، جدة ، مطبعة المدني ، القاهرة .

- ٩٢ - الزهد للامام وكيع بن الجراح ، ت ١٩٧ هـ ، ت. عبدالرحمن عبدالجبار
الغريواني ، ط. الأولى ، ١٤٠٤ هـ ، مكتبة الدار - المدينة .
٩٣ - الزهد والورع والعبادة ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ،
ت. حماد سلامة ، ط. الأولى ، ١٤٠٧ هـ ، مكتبة المنار ، الزرقاء
الأردن .

- س -

- ٩٤ - سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط. الثالثة
١٤٠٣ هـ ، المكتب الاسلامي ، بيروت - دمشق .
٩٥ - سنن أبي داود ، للامام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث
السجستاني الأزدي ، ت ٢٧٥ هـ ، تعليق عميد الدعاس ، وعادل
السيد ، ط. الأولى ، ١٣٨٨ هـ ، ط. دار الحديث ، سوريا .
٩٦ - سنن ابن ماجه ، أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، ت ٢٧٥ هـ ،
ت. محمد فؤاد عبدالباقي ، ط. دار الفكر .
٩٧ - سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره ، ت ٢٧٩ هـ ،
ت. أحمد محمد شاكر ، ط. الثانية ، ١٣٩٨ هـ ، شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي بمصر .
٩٨ - سنن الدارقطني ، للامام علي بن عمر الدارقطني ، ت ٣٨٥ هـ ،
ط. الثانية ، ١٤٠٣ هـ ، عالم الكتب ، بيروت .
٩٩ - سنن الدارمي ، للامام أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ،
ت ٢٥٥ هـ ، ت. السيد عبدالله هاشم يماني ، المدني ، ط ١٤٠٤ هـ
، حديث أكاديمي ، نشاط آباد ، فيصل آباد ، باكستان .
١٠٠ - سنن النسائي ، للامام أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي
ت ٣٠٣ هـ ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، حاشية الاسام

السندی ، دار احیاء التراث العربی ، بیروت .

١٠١ - السنن الكبرى للامام أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، ت ٤٥٨ هـ ، ط. دار الفكر بيروت .

١٠٢ - سير أعلام النبلاء ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت ٧٤٨ هـ ، ت. شعيب الأرنؤوط ، وحسين الأسد ، ط. الأولى ، ١٤٠١ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١٠٣ - سير السلف الصالح ، لاسماعيل بن محمد بن الفضل اليتيمي الأصفهاني ، ت ٥٣٥ هـ ، مصر عن دار العلوم لندوة العلماء بلكناو - الهند ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، رقم ١٤٧١ تراجم مكروفلم .

١٠٤ - السيرة النبوية لابن هشام ، ت ٢١٨ هـ ، رواها عن ابن اسحاق ، ت ١٥٣ هـ ، ت. مصطفى السقا ، ابراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبي ، ط. دار القلم ، بيروت .

- ش -

١٠٥ - شأن الدعاء لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ، ت ١٣٨٨ هـ ، ت. أحمد يوسف الدقاق ، ط. الأولى ، ١٤٠٤ هـ ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، بيروت .

١٠٦ - شجرة النور في طبقات المالكية ، تأليف محمد بن محمد مخلوف ، ت ١٣٦٠ هـ ، ط. دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٠٧ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لعبدالحي بن العماد الحنبلي ، ت ١٠٨٩ هـ ، ط. الأولى ، ١٣٩٩ ، ط. دار الفكر ، بيروت .

١٠٨ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للامام هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري اللالكائي ، ت ٤١٨ هـ ، د. أحمد سعد حمدان ، ط. شركة العبيكان ، الرياض ، نشر دار طيبة ، الرياض .

١٠٩ - شرح الطحاوية ، للعلامة ابن أبي العز الحنفى ، ت ٧٩٢ هـ ، عن جماعة من العلماء ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، ط. الخامسة ، ١٣٩٩ هـ ، المكتب الاسلامي ، دمشق .

١١٠ - الشريعة للامام أبي بكر محمد بن الحسين الأجرى ، ت ٣٦٠ هـ ، ت . محمد حامد الفقي ، نشر : أنصار السنة المحمدية ، لاهور .

١١١ - شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، للامام أبى عبدالله محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ، تصحيح محمد بدر الدين أبو فراس النعماني الحلبي ، ط. الأولى ، ١٣٢٣ هـ ، المكتبة الحلبية (محمد أمين الخانجي وشركاه) مصر .
مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

١١٢ - الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبى ت ٥٤٤ هـ ، المكتبة التجارية الكبرى ، توزيع دار الفكر ، بيروت .

- ص -

١١٣ - صفوة الفاهيم والآثار للشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسرى ، ت ١٣٩٨ هـ ، ط. الثانية ، ١٤٠٤ هـ ، شركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض .

١١٤ - الصارم الضكى فى الرد على السبكي ، للامام محمد بن أحمد بن عبد الهادى الحنبلي ، المقدسي ، ت ٧٤٤ هـ ، ت . اسماعيل بن محمد الأنصارى ، ط. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ .

١١٥ - الصراح تاج اللغة وصحاح العربية ، لاسماعيل بن حماد الجوهري

ت ٢٩٣ هـ ، أو ٣٩٨ هـ ، ت. أحمد عبدالغفور عطار ، ط. الثانية
١٤٠٢ هـ ، القاهرة .

١١٦ - الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل بن هادي الوادعي
، ط. ١٤٠٠ هـ ، مؤسسة جواد بيروت ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض .

- ط -

١١٧ - الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري
، ت ٢٣٠ هـ ، ط ١٤٠٥ هـ ، دار صادر ، بيروت .

١١٨ - طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام أبي عبدالله محمد
بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ، نشر : دار الكتاب
العلمية ، بيروت .

- ع -

١١٩ - عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى ، للإمام الحافظ ابن العريسي
المالكي ، ت ٥٤٣ هـ ، دار الوحي المحمدي - القاهرة .

١٢٠ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام ابن عبدالله محمد بن أبي بكر
ابن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ، تصحيح نعيم زرزور ، ط. مطابع
يوسف بيهضون ، بيروت ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢١ - العبودية لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ، ط ١٣٩٨ هـ ، مطبعة
المدني ، القاهرة .

- غ -

١٢٢ - غرائب القرآن و غائب الفرقان ، تأليف الحسن بن محمد بن الحسين
القبي النيسابوري ، ت ٧٢٨ هـ ، ت . ابراهيم عطوة عوض ، ط. الأولى
، ١٣٨١ هـ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،

مصر .

- ١٢٣ - غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ، ت ٢٢٤ هـ ،
ط. الأولى ، ١٤٠٦ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٢٤ - غريب الحديث للامام أبي اسحاق ابراهيم بن اسحاق الحربي ، ت
٢٨٥ هـ ، ت. د. سليمان بن ابراهيم بن محمد الفايد ، ط. الأولى
، ١٤٠٥ هـ ، دار المدني ، جدة ، مركز البحث العلمي ، جامعة
أم القرى ، مكة المكرمة .

- ف -

- ١٢٥ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر
العسقلاني ، ت ٨٥٢ هـ ، ترقيم محمد فواد عبد الباقي ، تصحيح
ساحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .
- ١٢٦ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،
لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ت ١٢٥٠ هـ ، دار احياء
التراث العربي ، بيروت .
- ١٢٧ - فتح المجيد ، شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبدالرحمن بن حسن
آل الشيخ ، ت ١٢٨٥ هـ ، تصحيح الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله
ابن باز ، ط. السابعة ، ١٣٩٩ هـ ، نشر المكتبة السلفية
، المدينة النبوية .
- ١٢٨ - فضل الدعوة الى الله وحكمها وأخلاق القائمين عليها ، لساحة
الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، ط ١ ، مطابع الجامعة الاسلامية
بالمدينة النبوية ، نشر مركز شئون الدعوة بالجامعة .
- ١٢٩ - فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لمحمد عبدالرؤف المنساوي
ت ١٠٣١ هـ ، ط. الثانية ، ١٣٩١ هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ،
بيروت .

- ١٣٠ - في ظلال القرآن ، بقلم سيد قطب ، ت ١٣٨٧ هـ ، ط. الخامسة
١٣٩٧ هـ ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة .
- ١٣١ - الفائق في غريب الحديث ، للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري
، ت ٥٣٨ هـ ، ت. محمد علي البجاوي ، ومحمد أبو الفضل
ابراهيم ، ط. الثانية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر .
- ١٣٢ - الفوائد للامام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ
، ط. الأولى ، ١٤٠٠ هـ ، المكتبة القبية ، مصر ، السودان .
- ١٣٣ - الفوائد المشوقة الى علوم القرآن وعلم البيان ، للامام أبي عبدالله محمد
ابن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ، ط. في مصر ، ودار الكتب
العلمية ، بيروت ، لبنان ، مكتبة المعارف ، الرياض .
- ق -
- ١٣٤ - قصص الأنبياء للامام أبي الفداء اسماعيل بن كثير ، ت ٧٧٤ هـ ،
ت. عبدالقادر أحمد عطا ، ط. الثانية ، ١٤٠٢ هـ ، نشر المكتبة
الاسلامية ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٣٥ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، لأبي محمد عز الدين بن عبدالعزيز
ابن عبدالسلام السلمي ، ت ٦٦٠ هـ ، ط. الأولى ١٣٥٣ هـ ، المكتبة
الحسينية المصرية ، القاهرة .
- ١٣٦ - القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي المشيرازي ، ت ٨١٧ هـ
، عالم الكتب ، بيروت .
- ١٣٧ - القصص القرآني ابحاوه ونفحاته ، د. فضل حسن عباس ، ط. الأولى
، ١٤٠٧ هـ ، دار الفرقان ، الأردن .

١٣٨ - القواعد الثلثي في صفات الله وأسمائه الحسنی للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ط. الثانية ، ١٤٠٨ هـ ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، نشر مركز شؤون الدعوة بالجامعة ، رقم ٨٩ ،
- ك -

١٣٩ - الكشاف لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ، ت ٥٣٨ هـ ، دار المعرفة ، بيروت .

١٤٠ - الكنى والأسماء لأبي بشر : محمد بن أحمد بن حماد الدولابسي ، ت ٣١٠ هـ ، ط. الأولى ١٣٢٢ هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند ، ط. الثانية ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ ، بيروت .

١٤١ - الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية ، للشيخ عبدالعزيز بن محمد السلطان ، ط. الثانية ، ١٣٩٠ هـ ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

- ل -

١٤٢ - لسان العرب ، للعلامة محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، ت ٧١١ هـ ، ط. الأولى ، ١٣٠٠ هـ ، مصر ، دار صادر ، بيروت .

١٤٣ - لواع الأنوار البهية ، للسفاريني .

- م -

١٤٤ - مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع خليل القطان ، ط. الثانية ، ١٤٠١ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الشركة المتحدة للتوزيع .

- ١٤٥ - مجلة كليتي الشريعة وأصول الدين بالقصيم ، العدد الثاني ،
السنة الثانية ، ١٤٠١ هـ - ١٤٠٢ هـ .
- ١٤٦ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي
ت ٨٠٧ هـ ، ط. الثانية ، ١٤٠٢ هـ ، مطبعة العلوم ، لبنان
، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ١٤٧ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ، جمع عبدالرحمن
ابن محمد بن قاسم وابنه محمد ، ط. ١٤٠٤ هـ ، ادارة الساحة العسكرية
القاهرة ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة .
- ١٤٨ - محاضرات الجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية ، عام ١٣٩٧ هـ ، مؤسسة
مكة للطباعة ، نشر الجامعة .
- ١٤٩ - مختصر منهاج القاصدين للامام أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي
، ت ٦٨٩ هـ ، تعليق شعيب ، وعبدالقادر الأرنؤوط ، ط ١٣٩٨ هـ
، مكتبة دار البيان ، دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ودمشق .
- ١٥٠ - مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، للامام
أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية) ، ت ٧٥١ هـ
، ط. الأولى ١٤٠٣ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، مكتبة
المعارف ، الرياض .
- ١٥١ - مرشد الدعاة للشيخ محمد نمر الخطيب ، ط. الأولى ، ١٤٠١ هـ ،
مؤسسة جواد ، بيروت ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٥٢ - مساوي الأخلاق ، ومذمومها وطرائق مكروهها ، لأبي بكر : محمد بن
جعفر بن محمد بن سهل السامري ، ت ٣٢٧ هـ ، مخطوط
بالجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية ، رقم - ٤٦٣ - وهو مصور عن المكتبة
الأزهرية بالقاهرة .

- ١٥٣ - مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تمنية يوسف
أبي يعقوب بن شيبة بن الصلت ، ت ٢٩٢ هـ ، ت. كمال يوسف
الحوث ، ط. الأولى ، ١٤٠٥ هـ ، مؤسسة الكتب الثقافية ،
بيروت .
- ١٥٤ - مسند أبي داود الطيالسي ، ت ٢٠٤ هـ ، ط. الأولى ، ١٣٢١ هـ ،
دائرة المعارف النظامية ، الهند .
- ١٥٥ - مسند عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، تخريج أبي أمية محمد بن
ابراهيم الطرطوسي ، ت ٢٧٣ هـ ، ت. أحمد راتب عروشي ، ط. الأولى ،
١٣٩٣ هـ ، دار النفائس ، بيروت .
- ١٥٦ - شاهير طما' نجد وغيرهم ، للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف
ابن عبدالله آل الشيخ ، ط. الثانية ، ١٣٩٤ هـ ، دار اليمامة
للبحث والترجمة والنشر .
- ١٥٧ - مشكاة المصابيح ، تأليف محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي
، ت ٧٤١ هـ ، ت. محمد ناصر الدين الألباني ، ط. الثالثة ،
١٤٠٥ هـ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، دمشق .
- ١٥٨ - مشكل الآثار للطحاوي ، أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي المصري
الحنفي ، ت ٣٢١ هـ ، ط. الأولى ، ١٣٣٣ هـ ، مجلس دائرة
المعارف النظامية ، الهند .
- ١٥٩ - مساعد النظر للاشراف على مقاصد السور ، لابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي
، ت ٨٨٥ هـ ، ت. عبدالسميع محمد أحمد حسنين ، ط. الأولى
، ١٤٠٨ هـ ، مكتبة المعارف ، الرياض .
- ١٦٠ - معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول ، للشيخ حافظ بن أحمد

- الحكمي ، ت ١٣٧٧ هـ ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية
، الرياض .
- ١٦١ - معالم التنزيل (تفسير البغوى) الحسين بن سعود الفراء ، البغوى
الشافعي ، ت ٥١٦ هـ ، ت. خالد عبدالرحمن العلي ، مسروان
سوار ، ط. الأولى ، ١٤٠٦ هـ ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٦٢ - معالم الدعوة فى القصص القرآني ، لعبد الوهاب بن لطف الديلمي
، ط. الأولى ، ١٤٠٦ هـ ، دار المجتمع ، جدة ، الخبر .
- ١٦٣ - معالم السنن للخطابي ، حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب
البيستي ، ت ٣٨٨ هـ ، انظر (تهذيب السنن) .
- ١٦٤ - معجم البلدان ، لياقوت بن عبدالله الحموى الرومي البغدادي ، ت ٦٢٦ هـ
، ط. دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ .
- ١٦٥ - معجم مقاييس اللغة ، للحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت ٣٩٥ هـ ،
ت. عبدالسلام هارون ، ط. الثانية ، ١٤٠٢ هـ ، الخانجي ، مصر .
- ١٦٦ - مفتاح دار السعادة ومنشور دار العلم والولاية ، للإمام أبو عبداللـه
محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ، مكتبة الرياض
، الرياض .
- ١٦٧ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن علي بن اسماعيل
الأشعري ، ت ٣٣٠ هـ ، ت. محمد محي الدين عبدالحميد ، ط. الثانية
، ١٣٨٩ هـ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مطبعة السعادة .
- ١٦٨ - مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، للإمام عبدالرحمن بن علي بن محمد
ابن الجوزي ، ت ٥٩٧ هـ ، ت. د. السيد الجميلي ، ط. الأولى ،
١٤٠٥ هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

- ١٦٩ - من أسرار ترتيب القرآن الكريم ، لجلال الدين السيوطي ، ت ٩١١ هـ
، ت. عبدالقادر عطا ، ط. الثانية ، ١٣٩٨ هـ ، دار الناصر
القاهرة ، نشر دار الاعتصام .
- ١٧٠ - مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د. زاهر عواض الألمعي ، ط. الثانية
، ١٤٠٠ هـ ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض .
- ١٧١ - مناهج القرآن في الدعوة الى الايمان للدكتور / علي بن محمد ناصر
فقيهي ، ط. الأولى ، ١٤٠٥ هـ .
- ١٧٢ - منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، لابن معمر
عبدالعزیز بن حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر ، ت ١٢٤٤ هـ ، ط. الثانية
، دار ثقیف ، الطائف ، ١٣٩٨ هـ .
- ١٧٣ - موطأ الامام مالك بن أنس ، ت ١٧٩ هـ ، ت. محمد فواد عبدالباقي
، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ١٧٤ - المجموع المغني في غريب القرآن والحديث ، للامام محمد بن أبي بكر
بن أبي عيسى المدني الاصفهاني ، ت ٥٨١ هـ ، ت. عبدالكريم
العزباوي ، ط. الأولى ، ١٤٠٦ هـ ، دار المدني ، جدة ،
نشر مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، مكة .
- ١٧٥ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لعلي بن اسماعيل بن سيده ، ت ٤٥٨ هـ
، ت. عبدالستار أحمد فرح ، ط. الأولى ، ١٣٧٧ هـ ، مصطفى
البابي الحلبي ، بصر .
- ١٧٦ - المستدرک علی الصحیحین ، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري ، ت ١٤٣ هـ
، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت .

- ١٧٧ - المسند للامام أحمد بن حنبل الشيباني ، ت ٢٤١ هـ ، ط. الخامسة
، ١٤٠٥ هـ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، دمشق ، وكذلك
المحقق ، ت. أحمد محمد شاكر ، ط. الرابعة ، دار المعارف
بصر ، ١٣٧٣ هـ .
- ١٧٨ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، لعبدالرحمن جلال الدين السيوطي
، ت ٩١١ هـ ، شرحه أحمد جاد المولى وطى محمد البجاوى ، محمد
أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى
الحلبى وشركاه .
- ١٧٩ - الصباح المنير ، لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، ت ٧٧٠ هـ
، ت. عبدالعظيم الشناوى ، ط. دار المعارف .
- ١٨٠ - المصنف في الأحاديث والآثار ، للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة
، ت ٢٣٥ هـ ، ت. عبدالخالق الأفغاني ، ط. الثانية ، ١٣٩٩ هـ
، السدار السلفية ، الهند .
- ١٨١ - المعجم الكبير للطبراني .
- ١٨٢ - المغازي للواقدي : محمد بن عمر بن واقد ، ت ٢٠٧ هـ ، ت. د. مارسون
جونس ، ط. الثالثة ، ١٤٠٤ هـ ، عالم الكتب ، بيروت .
- ١٨٣ - المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد
والراغب الأصفهاني ، ت ٥٠٢ هـ ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٨٤ - الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر
أحمد الشهرستاني ، ت ٥٤٨ هـ ، ت. محمد سيد كيلاني
، ط. ١٣٩٦ هـ ، شركة مكتبة وطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

١٨٥ - المنتخب للحافظ عبد بن حميد ، ت ٢٤٩ هـ ، ت. مصطفى بن
العدوي شلباية ، ط. الأولى ، ١٤٠٥ هـ ، دار الأرقم ، الكويت.

- ن -

١٨٦ - نصب الراية لأحاديث الهداية ، لعبدالله بن يوسف الحنفى الزيلعى
، ت ٥٧٦ هـ ، ط. الثانية ، المجلس العلمى - جوهانس برغ ، باكستان
، الهند ، المكتب الاسلامى ، بيروت .

١٨٧ - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، لمحمد بن علي بن محمد
الشوكاني ، ت ١٢٥٠ هـ ، ت. طة عبدالرؤف سعد ، ومصطفى
محمد الهولوى ، مؤسسة روز اليوسف ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية
، القاهرة .

١٨٨ - النبوات لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ، ط ١٣٤٦ هـ ،
دار الفكر .

١٨٩ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين يوسف بن تغرى
بردى الأتابكى ، ت ٨٧٤ هـ ، مصر عن طبعة دار الكتب ،
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

- ه -

١٩٠ - هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى للامام أبى عبداللـه
محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية ، ت ٧٥١ هـ ، ط ١٣٩٦ هـ ،
مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ، توزيع الجامعة الاسلامية بالمدينة
النبوية .

١٩١ - هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة ، للشيخ علي محفـوظ
، ت ١٣٦١ هـ ، ط. التاسعة ، ١٣٩٩ هـ ، دار النصر للطباعة
الاسلامية ، القاهرة ، دار الاعتصام .

- و -

١٩٢ - وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة ، د. حسن ضياء الدين
عتر ، سلسلة دعوة الحق ، السنة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ ، عــــدد
٢٨ ، تصدر عن رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، مطبعة الرابطة
، مكة .

١٩٣ - وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الاسلامي ، د. حسان محمد حسان
، ط. رابطة العالم الاسلامي ، مكة ضمن سلسلة دعوة الحق
، السنة الأولى ، العدد (٥) ،

١٩٤ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأحمد بن محمد بن أبي بكر
ابن خلكان ، ت ٦٨١ هـ ، ت. د. احسان عباس ، دار صادر
، بيروت .

- ي -

١٩٥ - يهود الدنة ، د. محمد عمر ، دراسات تاريخية .

فهرس الأعلام

الصفحة

حرف (أ)

٤ - ٥ - ١٢ - ٢٢ - ١٥١ - ٦٥

ابراهيم عليه السلام

١٨٧ - ١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٦

١٩٩ - ٢٠٨ - ٢١٥ - ٢١٧

٢٢٢ - ٢٣٩ - ٢٦٢ - ٢٨٦

٢٨٨ - ٣٠٠ - ٣٠٦ - ٣٠٩

٣١١ - ٣١٢ - ٣٣٥ - ٣٤١

٣٥١ - ٣٧٠ - ٣٨١ - ٣٩٣

٣٩٤ - ٤٠٨ - ٤٣٣ - ٤٨٦

١٥

ابراهيم بن محمد - الزجاج

٣٨ - ٤١٧ - ٤٢٠

الاجري

٢٧٢ - ٤٤٨

الأخنس بن شريق

٤٣٤

الأسود

٣٢٨

ابن أبي شيبه - عبدالله

٤٢٨

ابن أبي مليكة - عبدالله

٣٩٤, ٣٩٣, ٣٩٠, ٣٨١, ٣٤٧

ابن اسحاق - محمد

٩٥ - ٩٧ - ١٠٦

ابن بطلال - علي بن خلف

ابن تيمية - أحمد

٢٣١ - ٢٤١

ابن جرير الطبري - محمد

ابن حجر - أحمد بن علي

٤١٩

ابن رجب

الصفحة

٢٨٩ - ٤٩	أبو عبيد - القاسم بن سلام
٣١٣	أبو العتاهية - اسماعيل بن قاسم
٣٩٢	أبولهيب
٨٨	أبو مسعود البدرى
٤٠٤ - ٢٩١	أبو مالك الأشعرى
٢٤٤ - ٢٣٦ - ٩٣	أبو موسى الأشعرى
٦٦	أبو المعالي - عبد الملك الجوينى
٣٩٣ - ٣٥٨ - ٢٨٢ - ٢٣٧	أنس بن مالك
١٥٩ - ١٥٤ - ١٤٣ - ١٣٦	أبو هريرة
٣٨٩ - ٣٦٢ - ٢٣٨ - ٢١٤	
٤٨٠	
٢٤١	أحمد بن ادريس - القارافى
١٤٧ - ٨٨ - ٨٧ - ٦١ - ٢٦	أحمد بن تيمية
٢٣٦ - ٢٢٧ - ١٥٨ - ١٥٠	
٢٦٨ - ٢٥٥ - ٢٥٣ - ٢٤٣	
٤٣٨ - ٤٠٤ - ٣٢٧ - ٢٧٩	
٤٨٧ - ٤٨٦ - ٤٥٣ - ٤٣٩	
٤٩٠	
٢٤١ - ٢٣١	أحمد بن علي - ابن حجر
١٤٦ - ١٤٠ - ١١٤ - ١٠٥	أحمد بن حنبل
٤٥٨ - ٣٤٣	
٣٦٥	اسحاق واسماعيل

الصفحة

٣٦٤ - ١٦٥ - ٤٣	أسما بنت أبي بكر
٣٧٥ - ٣٦٥ - ٣٦١	اسماعيل بن عبد الرحمن - السدي
٣١٣	اسماعيل بن قاسم - أبو العتاهية
٣٤٦ - ٣٣٠ - ٣٢٥ - ٧٥ - ٢٢	اسماعيل بن كثير
٣٥٥ - ٣٥٤ - ٣٥١ - ٣٤٨ - ٣٤٧	
٣٦٦ - ٣٦٥ - ٣٦٤ - ٣٦١ - ٣٦٠	
٣٨٦ - ٣٨٥ - ٣٧٧ - ٣٧٥ - ٣٧٤	
٤٥٨ - ٤٤٤ - ٤٢٧ - ٤٢١ - ٣٨٧	
٤٨٠ - ٤٧١	
٤٨١	أصحمة النجاشي
٣٤٤	أم سلمة رضی الله عنها
(الباء)	
٤٥٣	بحيرى الراهب
٤٩٧	بورتن
- ١٠٥ - ٩٥ - ٨٨ - ٥٢ - ٢٢	البخارى
٤٦٣ - ٢٢٣ - ١١٧	
٤٨٧ - ٢٠٣	البغوى الحسين بن سعود
١٧٥	البيهقي - أحمد بن الحسين
(التاء)	
٤٢٧ - ٢٢٣	الترمذى
(الجيم)	
٤٧٧ - ٤٢٢	جابر بن زيد

الصفحة	
٤٧٢ - ٤٠٩ - ١٣٩ - ١٣٦	جابر بن عبدالله
٤٨٥	
- ٢٠٧ - ٢٠٦ - ٥٢ - ٣١	جبريل
٣٩١ - ٣٧٨ - ٣٧٧ - ٢٩٤	
٤٦٤	
٤٩٩	جرج براون
٤٩٩	جلادستون
٣٢٢ - ٣٢١	جلال الدين السيوطي
٢٥٥	الجد بن قيس
١٧٩	الجنيد بن محمد
٦٦	الجوهني - عبد الملك - أبو المعالي
(الحاء)	
- ٢٢٥ - ٢٢٤ - ٨٩ - ٤٤	حذيفة بن اليمان
٤٢٨	
٤١٩ - ٤١٨ - ٢٥٠ - ١٧٨	حسن البصرى
٤٧١ - ٤٣١ - ٤٢٧ - ٤٢٢	
٤٨٧	
٢١	حسن ضياء الدين عتر
٢٧١ - ٢٢٤	الحسن والحسين رضى الله عنهما
٢٢٨ - ٨٣	حسين بن محمد - الراغب
٣٢١	الحسين بن فضل
٢٠٣	الحسين بن مسعود - البغوى

الصفحة

٤٨٢	الحصين بن سلام - عبد الله بن سلام
٤٢٠	الحكم بن عتبة
٦٢ - ٦٦ - ٦٧	حمد بن محمد بن ابراهيم - الخطابي
٣٩٤	حمزة بن عبد المطلب
٢٢١	حننة أم سعد بن أبي وقاص
٤٣٤	حنضلة بن أبي سفيان
٣٣٨ - (٤٩)	حبي بن أخطب

(الخاء)

٤٨٣ - ٤٨٢	خالدة بنت الحارث
٢١٩ - ٣٩٢ - ٤٧٦	خباب بن الارت
٢١٦	خديجة رضي الله عنها
٦٢ - ٦٦ - ٦٧	الخطابي - حمد
٦٥ - ٦٦	الخطيل بن أحمد

(الذال)

١٧٧	الداراني - عبد الرحمن بن أحمد
٧٩	الدارمي - عثمان بن سعيد
٢٧٥	الذجال

(الذال)

١٣٩	ذى اللحية الكلابي - شريح
-----	--------------------------

(الراء)

٣٩١	ربيعة بن عباد الديلي
١٥٨	رفيع بن مهران - أبو العالية

الصفحة

٤٩٦	ريتشارد قلب الأسد
٤٩٧	ريتشارد بيكوك
٢٢٨ - ٨٣	الراغب - حسين بن محمد
(الزاي)	
٤١٩	زيد بن ثابت
١٥	الزجاج - ابراهيم بن محمد
٤٤٨	الزهرى - محمد بن شهاب
(السين)	
٣٦٣ - ٣٦٢	ساره - زوج ابراهيم
١٣٩	سراقة بن مالك
١٦٥ - ٢٢٠ - ٢٢١	سعد بن أبى وقاص
٢٣٠ - ٢٧٠ - ٤٢٣	
٤٧	سعيد بن سمعان
١٩٨ - ٤٨١	سلمان الفارسي
٢١٩	سلعة بن هشام
٤١٦	سلمان بن يسار
٢٢٠	سمية أم عمار بن ياسر
١٦٩	سهل بن سعد
٦٧	السهيلي - عبد الرحمن بن عبد الله
٣٦١ - ٣٦٥ - ٣٧٥	السدى - اسماعيل
٣٢٢ - ٣٢١	السيوطي جلال الدين

الصفحة

(الشين)

٤٩٣	شاوول
١١٧	شداد بن أوس
١٣٩	شريح بن عامر
١٩٣ - ١٩١ - ١٢ - ٤	شعيب عليه السلام

٣٧٠ - ٢٩٧ - ٢٩٥

٤٨٦ - ٣٨١

٢١٥ - ٨٩ - ٦٦

٤٢٣

٧٦

٤٢٥ - ٣٥٧

الشافعي

الشعبي - عامر بن شراحيل

الشنقيطي - محمد الأمين

الشوكاني - محمد بن علي

(الصاد)

٤٨٦ - ٣٩٩ - ٢٩٥

١٣

٤١٦ - ٣١٣

٣٨٩ - ٣٠٦

٤٩١

٢٥٩

٤٩٦

صالح عليه السلام

صالح بن عبدالله العبود

صبيح بن عسل

صفية عمة الرسول صلى الله عليه وسلم

صفية بنت حبيبي بن أخطب

صهيب الرواسي

صلاح الدين الأيوبي

(الضائر)

٤٨٨ - ٣٦٢

الضحاك بن مزاحم

الصفحة

(الطائي)

٢٤٥

الطبراني

الطبري - محمد بن جرير

١٦

الطيالسي

(العين)

٩٤ - ١٨٥ - ٢٣٤

عائشة رضي الله عنها

٢٣٧ - ٢٤١ - ٣٨٨

٣٩١ - ٣٩٨ - ٤٢٩

٤٥٠ - ٤٦٣

٤٢٣

عامر بن شراحيل - الشعبي

١٩٨

عبادة بن الصامت

١٧٧ - ٢٢٢

عبدالحق بن غالب - ابن عطية

٢٤٧ - ٤٢١

عبدالله بن أبي بن سلول

٢٢٤

عبدالله بن بريدة

١٥٥

عبدالله بن حبيب - أبو عبد الرحمن السلمي

١٨٩ - ٤١٥

عبدالله بن الحارث الأنصاري

٤٢٢ - ٤٢٣

عبدالله بن الزبير

٤٢١ - ٤٨١ - ٤٨٢

عبدالله بن سلام

٢٢ - ٥٧ - ٦٥ - ٧٤

عبدالله بن عباس

٧٥ - ١٠٨ - ١٤٧

١٥١ - ١٥٥ - ١٥٧

١٥٩ - ١٨٠ - ١٩٩

٢١٩ - ٢٦٢ - ٣٦٦

الصفحة

٣٧٤ - ٣٨٤ - ٣٨٩ -	عبد الله بن عباس - تابع
٣٩٥ - ٤٢٢ - ٤٢٣ -	
٤٢٤ - ٤٧١ - ٤٨٧ -	
٤٨٨	
٤٩٤	عبد الله بن عبد الله - الميوقري
٩٥ - ٢٠٤ - ٢١٣ - ٢٧٦ -	عبد الله بن عمر - ابن عمر
٣٢٨	
١٩٨ - ٤٩٠ -	عبد الله بن عمرو بن العاص
٣٢٨	عبد الله بن محمد - ابن أبي شيبة
١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٩ -	عبد الله بن مسعود
٤١٩ - ٢٢٥ -	
١٣٧	عبد الله بن المغفل
٤١٧	عبد الله اليشكري - ابن الكوا
٦٧	عبد الرحمن بن عبد الله - السهيلي
٩٧ - ١٤٣ -	عبد الرحمن بن عوف
٣٥٧ - ٤٧٩ -	عبد الرحمن بن ناصر السعدي
٤٩٩ - ٥٠٠ -	عبد العزيز بن حميد بن معمر
٢٣٥ - ٢٤١ -	عبد العزيز بن عبد السلام - العز
٢٨٠	عبد العزيز بن عبد الله بن باز
٦٦	عبد الملك بن عبد الله - الجويني - أبو المعالي
٢	عبد المحسن بن حمد العباد
٢٧٤ - ٤٣٤ -	عتبة بن ربيعة

الصفحة	
٧٩	عشان بن سعيد - الدارمي
٣٩٤ - ٣٦٤ - ١٥٥	عشان بن عفان
٨٦	عشان بن أبي العاص
٤٢٢ - ٣٨١	عطاء بن أبي رباح
٤٣٤	عقبة بن أبي معيط
٤٧٠	عكرمة بن أبي جهل
٤٢٢	عكرمة المفسر
٤٤ - ١٤١ - ١٦٩ -	علي بن أبي طالب
٤١٩ - ٤١٧ - ٢٠٤	
٤٢٣	
٢٢١	علي بن أحمد الواقدي
٦٥	علي بن حمزة - الكسائي
١٠٦ - ٩٧ - ٩٥	علي بن خلف - ابن بطال
١٣٣	علي بن عقيل - ابن عقيل
٩	علي بن محفوظ
٢٢٠ - ١٥٧	عمار بن ياسر
٢٢٠	عمارة أخو سعد بن أبي وقاص
١٣٩	عمران بن حصين
١٨٩ - ١٣٤ - ٥٣ - ٣١	عمر بن الخطاب
٢٢٤ - ٢٢٥ - ٤١٥ -	
٤١٦ - ٤١٨ - ٤١٩ -	
٤٢٨	

الصفحة

٤١٩	عرو بن قيس
٣١٨ - ٣٧١ - ٤١٠	عمر بن مرة
	عياض بن أبي ربيعة
٢٣٦ - ٢٣٢	عياض السلمي - القاضي
١٩٠ - ٢١٥ - ٢٧٨ -	عيسى عليه السلام
٤٩٤	
٤٣٤	العاص بن هشام
٤٣٤	العاص بن وائل
٣٠٦ - ٣٨٩	العباس بن عبد المطلب
	(الغين)
٦٦	الغزالي أبو حامد
	(الفاء)
٣٠٦ - ٣٨٩	فاطمة رضى الله عنها
٢٧٢ - ٢٩٦ - ٢٩٧ -	فرعون
٣٩٩	
٤٩٨	فليبي
٦٥	الفراء - يحيى بن زياد
١٢٣	الفضيل بن عياض
	(القاف)
٢٩٦ - ٢٩٧ - ٣٩٩	قارون
٢٣ - ٣٥٤ - ٣٦٣ -	قتادة بن دعامة
٣٦٦ - ٣٧٥ - ٣٧٧ =	

الصفحة

٤٧١ - ٤٤٧ - ٤٢٢ =
٤٨٨ - ٤٨٧ - ٤٧٦
٣٩٦
٢٤١
٣١٠ - ٤٩
٢٣٦ - ٢٣٢
٤٠٧ - ٣٨٤ - ٣٦٣ - ٧
٤٨١

(الكاف)

٣٩٦
٢٧٥
٦٥

(اللام)

١٧٣ - ٧٢ - ١٢ - ٥ - ٤
- ٢٢٣ - ٢١٧ - ١٩٠
- ٢٩٤ - ٢٨٩ - ٢٧٣
- ٣٣٦ - ٣١٧ - ٣١٢
- ٣٦٢ - ٣٦١ - ٣٣٨
- ٣٦٨ - ٣٦٤ - ٣٦٣
- ٣٩٤ - ٣٩٣ - ٣٨١
٤٨٦

== تابع - قتادة

قيصر

القارافي - أحمد بن ادريس

القاسم بن سلام - أبو عبيد

القاضي عياض

القرطبي - محمد بن أحمد

كسرى

كعب بن مالك

الكسائي - علي بن حمزة

لوط عليه السلام

الصفحة	(الميم)
٣٦٦-٢٦٨-٦٥-٤٥	مجاهد بن جبر
٤٨٦-٣٧٦	
٢٨١-١٧٦-٦٤-٢٣	محمد بن جرير الطبري
٣٨٤-٣٦٣-٣٦٠-٣٥٤	
٤٧٣-٤٤٧-٤٣٣-٤٠٨	
٤٨٨-٤٧٨-٤٧٧	
٤٢٥-٣٥٧	محمد بن علي الشوكاني
٢٣٣	محمد بن محمد المنجي
٢٢٥	مسروق
٤٦٣-٢٢٣	سلم بن الحجاج
٢٢٠	مصعب بن سعد
٤١٩-١٦٩	معان بن جبل
٣٤٣-٢٨٣	معاوية بن الحكم السلمي
٩	معوض عوض ابراهيم
٤٧٦-٢١٢-١٧٨	مقاتل بن سليمان البلخي
٤٥٩	مناع القطان
٢٠٨-١٩٠-١٨٧-٢٣	موسى عليه السلام
٣٩٥-٢٩٦-٢١٨-٢١١	
٤٨٦-٤١٥-٣٩٩	
٥٢	ميكائيل
٢٧٥	المسيح الدجال
٦٦	المفضل بن سلمة أبوطالب

الصفحة

٢٣٣	المنبجي محمد بن محمد الصالحي
٤٩٤	الميورقي عبد الله بن عبد الله
	(النون)
٣٢٨	نافع
٢٢ - ٢١ - ١٢ - ٥ - ٤	نوح عليه السلام
- ٢١٥ - ٢٠٨ - ١٩٠	
- ٢٨٨ - ٢١٧ - ٢١٦	
- ٣١٧ - ٢٩٧ - ٢٩٤	
- ٤٨٦ - ٣٤٦ - ٣٢٥	
٤٩٣	
٤٨١ - ٣٩٤	النجاشي - أصحابه
٣٤٣ - ٢٣٢ - ٢٠٦	النووي - يحيى بن شرف
	(الهاء)
٢٠٨	هارون
٣٩٩ - ٢٩٦	هامان
٤٩٧	هل
٤٨٦ - ٣٩٩	هود
	(الواو)
٢٢١	الواحدى - علي بن أحمد
٤٣٤	الوليد بن عتبة
٤٣٤ - ٤٤٧ - (٥١)	الوليد بن المغيرة
٢٢٠	الوليد بن الوليد

الصفحة

(اليا)

٢٢٠	ياسر - أبوعمار
٢٩٥	ياقوت الحموي
٦٥	يحي بن زياد الفراء
٤٢٢	يحي بن سلام
٢٣٢ - ٢٠٦	يحي بن شرف النووي
٢٣٩	يوسف الصديق

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	= المقدمة
١	= خطبة الحاجة
٢	سبب اختيار الموضوع
٣	أهم النقاط التي اشتملت عليها سورة العنكبوت
٤	الموضوع الأساسي - للسورة
١٠	مايشتمل عليه البحث عموما
١٠	أقسام البحث
١٤	التمهيد - الدعوة وحاجة الناس اليها
١٤	الدعوة في اللغة
١٨	التعريف الاصطلاحي
٢٠	حاجة الناس الى الدعوة
٢٨	أقسام الناس في هذا العصر
	= <u>الباب الأول : المدعو ، وحقه كما ورد في السورة :</u>
٣١	= مقدمة : بيان مراتب الدين اجمالا
٣٦	= الفصل الأول : المرتبة الأولى : الاسلام
٣٨	الركن الأول : الشهاداتين .
٤١	الركن الثاني : الصلاة
٤٥	بقية أركان الاسلام
٤٦	الحج ونعمة وجود البيت

الصفحة	الموضوع
١٠٨	الحكيم
١١٠	الغني
١١١	المهادي
١١٣	صفة المحبة
١١٥	- المبحث الثالث : توحيد الألوهية في السورة
١٢٢	تضمنه لجميع أنواع العبادة
١٢٣	حكم الشرك بالله
	- المبحث الرابع : العبادات الواردة في السورة
١٢٧	الرجاء
١٣٠	الفرق بين الرجاء والتمني
	الدعاء
	الحرص على الدعاء وتحسين أوقات الاجابة
١٣٤	وبيانها
١٣٦	من آداب الدعاء
١٣٧	بعض الأسباب المانعة من اجابة الدعاء :
١٤٠	الصبر والتوكل
١٤٥	التوكل
١٥٢	قراءة القرآن ، والصلاة ، والذكر.
١٥٦	الصلاة وذكر فوائدها
١٦١	معنى ذكر الله أكبر
١٦٤	بر الوالدين

المفحمة	الموضوع
١٦٨	الدعوة الى الله
١٧١	الهجرة
١٧٦	الجهاد
	- الفصل الثالث : بقية أركان الايمان :
	- السبحة الأولى : الركن الثاني من أركان الايمان - الايمان بالملائكة
١٨٤	
١٨٧	- السبحة الثانية : الركن الثالث - الايمان بالكتب
١٩٠	- السبحة الثالثة : الركن الرابع الايمان بالرسول
١٩٢	- السبحة الرابعة : الركن الخامس الايمان باليوم الآخر
١٩٨	- السبحة الخامسة : الركن السادس الايمان بالقدر
٢٠٦	- الفصل الرابع : المرتبة الثالثة من مراتب الدين : الاحسان
	- الفصل الخامس : الفتنة والابتلاء لتحقيق الايمان :
٢١١	الفتنة والابتلاء
٢١٤	- السبحة الأولى : كونها سنة .
٢٢٧	- السبحة الثانية : الحكمة من الفتنة والابتلاء
٢٣١	سألة : هل التكفير خافى بالصفائر
٢٣٢	سألة ثانية : هل المصائب مكفات أم مشيات
٢٣٤	من الحكمة في كون الأنبياء أشد بلاء
	سألة ثالثة : هل التكفير حاصل بمجرد المصيبة أم لابد
٢٤٠	من الصبر
٢٤٤	من حكمة الابتلاء التمييز

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٥١	- المبحث الثالث : هل للمسلم أن يستدعي البلاء على نفسه
٢٥٧	- المبحث الرابع : أنواع الفتن الواردة في السورة
٢٥٨	١ - فتنة الشبهات
٢٥٩	شبهة ايذاء الناس وقصة أصحاب الأخدود
٢٦١	شبهة عبادة الأصنام وتزيين الشيطان
٢٦٤	شبهة الخوف من الموت وفوات الرزق
٢٦٦	الفتنة بالكفار ، وفتنتهم بالمسلمين
٢٦٧	فتنة اتباع المتشابه
٢٧٠	٢ - فتن الشهوات
٢٧٠	فتنة الأهل والأحباب
٢٧٤	فتنة الاغراء من قبل الكفار
٢٧٥	فتنة الدجال
٢٧٩	= <u>الباب الثاني</u> : <u>أساليب الدعوة في السورة</u> :
٢٨٠	- <u>الفصل الأول</u> : الحكمة
٢٨٢	أمثلة من حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم
٢٨٥	- <u>الفصل الثاني</u> : الموعظة الحسنة
٢٨٨	- <u>المبحث الأول</u> : الترغيب
٢٨٩	الترغيب بالجزاء في الآخرة
٢٨٩	الترغيب في الايمان والأعمال الصالحة
٢٩١	الترغيب في عبادات وأعمال مخصوصة

الصفحة	الموضوع
٢٩٤	- المبحث الثاني : التهيب
٢٩٤	مانزل يقوم لوط
٢٩٥	ماحصل لقوم شعيب
٢٩٦	ماحصل لفرعون وقارون وهامان
٢٩٨	التهيب من العذاب في الآخرة
٣٠٤	متى يستعمل الداعية الترغيب والتهيب
٣٠٨	- المبحث الثالث : أسلوب لفت الأنظار
٣١١	بعض الحكم في خلق الأرض
٣١١	استعمال العقل فيما خلق له
٣١٣	التنبيه على الموت
٣١٤	النظر في البهائم كيف تحصل على قوتها
٣١٧	- المبحث الرابع : الجمع بين الحكمة والموعظة الحسنة
٣١٧	الأمثال
٣١٩	فوائدها
٣٢١	أقسام الأمثال
٣٢٣	شرح المثل الوارد في السورة
٣٢٤	القصص
٣٢٦	من فوائدها
٣٢٧	التكرار في القصص القرآني
٣٢٨	حكم القصص والحكايات

الصفحة	الموضوع
٣٣٠	- الفصل الثالث : أسلوب الجدل
٣٣٢	جدال الكفار في انكار الرسالة والقرآن
٣٣٤	الزامهم بما يترتب على اعترافهم بقدره الله
٣٣٤	جدالهم بالنعم التي من الله بها عليهم
٣٣٥	جدال الأنبياء لأقوامهم
٣٣٦	الجدال المدح والذموم
٣٣٧	- الفصل الرابع : موانع قبول الدعوة
٣٤٠	= الباب الثالث : الدعاة في السورة :
	- مقدمة : أهم صفات الداعية :
٣٤٠	الاخلاص والتابعة
٣٤١	العلم
٣٤٢	الصبر ، الحكمة
٣٤٤	القدوة
٣٤٦	- الفصل الأول : نوح عليه السلام
٣٤٧	صبره على قومه
٣٤٩	دعوتهم عليهم
٣٥٠	أهم الفوائد من دعوتهم لقومه
٣٥١	- الفصل الثاني : ابراهيم عليه السلام
٣٥٢	أول ما بد به قومه
٣٥٤	دعوتهم للإيمان باليوم الآخر
٣٥٥	تأمر قومه عليه

الصفحة	الموضوع
٣٥٦	قوة توكله على الله
٣٥٧	استمراره في الدعوة
٣٥٩	عدم اهلاك قومه بعذاب
٣٦١	من آمن به : سارة ، ولوط
٣٦٢	هجرته عليه السلام
٣٦٥	جزائه في الدنيا والآخرة . . .
٣٦٨	الفصل الثالث : لوط عليه السلام
٣٦٩	نهيهِ عن الفاحشة
٣٧٠	خطر الفاحشة ، وقبحها
٣٧٢	لجأهم وتكذيبهم
٣٧٣	استجابة الله لدعائه
٣٧٤	المنكرات التي يأتونها قوم لوط
٣٧٥	قصته مع ضيوفه
٣٧٧	نزول العذاب بقومه
٣٧٩	مشابهة بعض المجتمعات في هذا العصر لقوم لوط
٣٨٠	من الآيات والعبر في القصة
٣٨١	الفصل الرابع : شعيب وقومه :
٣٨٢	بدءه بالتوحيد
٣٨٧	الفصل الخامس : دعوة محمد صلى الله عليه وسلم
٣٩٠	بعض ما حصل له من البلاء والفتنة
٣٩٢	بعض ما حصل لأصحابه

الصفحة	الموضوع
٣٩٣	أمره لهم بالهجرة الى الحبشة
٣٩٤	أمره لهم بالهجرة الى المدينة
٣٩٥	دعوته لأهل الكتاب
٣٩٦	الاستئذان عليه بالقرآن
٣٩٧	عجز الكفار عن معارضته
٣٩٩	- الفصل السادس : بقية الأنبياء الوارد ذكرهم في السورة
٤٠١	<u>الباب الرابع : المدعوون في السورة على اختلافهم :</u>
٤٠٢	- الفصل الأول : المؤمنون
٤٠٢	جزأهم بأحسن الجزاء
٤٠٣	نوع هذا الجزاء
٤٠٤	وعد الله للمجاهدين لله وفى الله
٤٠٦	تعليق الهداية بالجهاد
٤٠٧	منهم المحسنون
٤٠٧	اعتبار المؤمنون بالآيات
٤١١	تلاوة الكتاب اللفظية والمعنوية
٤١٢	التأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤١٣	من اقامة شرع الله الدعوة الى دينه
٤١٤	حصول الفتن للمؤمنين
٤١٤	موقف المؤمنين من الدعوات الحزبية
٤١٤	موقف الرسول صلى الله عليه وسلم ^{صلى الله عليه وسلم} من الخرافات
٤١٦	موقف عمر رضى الله عنه

الصفحة	الموضوع
٤١٧	موقف علي رضي الله عنه
٤١٨	ترك الخصام والجدال
	- الفصل الثاني : القسم الثاني من أقسام المدعوين في السورة :
٤٢١	المنافقون
٤٢١	الخلافة في مكة السورة
٤٢٦	تعريف النفاق
٤٢٧	أقسام النفاق
٤٢٨	خوف الصحابة من النفاق
٤٢٩	النفاق الوارد في السورة
٤٣٢	المنافقون اليوم
	- الفصل الثالث : القسم الثالث من أقسام المدعوين في السورة :
٤٣٣	الكفار
٤٣٣	ظنهم أنهم قادرون على اعجاز الله
٤٣٥	ادعائهم تحمل آثام من تبعهم
٤٣٧	دعوتهم للإيمان باليوم الآخر
٤٣٧	الرد على شبهاتهم في انكار اليوم الآخر
٤٤٢	بيان حال من كان قبلهم من الكفار
٤٤٣	ذكر تفاهة معبوداتهم
٤٤٥	جزاء من استمر على تلك المعبودات
٤٤٦	شكدهم بالقرآن والرسول
٤٥٠	قولهم ان القرآن مخلوق مكذوب والرد عليهم
٤٥١	الفرق بين المعجزة والسحر

الموضوع	الصفحة
طلبهم انزال الآيات تعنتا	٤٥٣
القرآن في نفسه معجزة كافية	٤٥٨
بعض وجوه اعجازه	٤٥٩
استعجالهم العذاب	٤٦٢
الحكمة من تأخير العذاب	٤٦٣
اعترافهم بالربوبية وانكار الألوهية	٤٦٦
الامتنان عليهم بالنعيم	٤٧٠
حرمة مكة وأمنها شرفها الله	٤٧١
- الفصل الرابع : أهل الكتاب في السورة	٤٧٦
جدالهم	٤٧٧
قصة اسلام عبدالله بن سلام	٤٨٢
بيان الذين ظلموا من أهل الكتاب	٤٨٤
دعوتهم للإيمان بالرسول	٤٨٦
جهودهم وطلبهم للرياسة	٤٩٠
قصة صفية بنت يحيى بن أخطب	٤٩١
استمرار أهل الكتاب في الظلم والعناد	٤٩١
بعض اعتقاداتهم الفاسدة	٤٩١
اعتراف أكابرهم بالدين الحق	٤٩٤
ما حدث للميبرقي عندما أسلم	٤٩٤
تحسينهم التفسير للفرد بالمسلمين	٤٩٦
كتاباتهم ضد الاسلام والمسلمين	٤٩٦

الصفحة

الموضوع

٤٩٧	أدب الرحلات عندهم
٤٩٨	ظهور الحركات الهدامة على أيديهم
٤٩٩	قيام الحجّة عليهم باعتراف كبارهم
٤٩٩	تشكيكهم في عقائد المسلمين
٥٠٠	احتلال اليهود لديار المسلمين
٥٠١	= الخاتمة - أهم الفوائد من البحث
	= الفهارس :
٥٠٤	فهرس الآيات القرآنية
٥٢٩	فهرس الأحاديث والآثار
٥٤٤	فهرس المراجع
٥٦٩	فهرس الأعلام
٥٨٥	فهرس الموضوعات
